

الرَّكَّاءُ



لویدو غلس ترجمه: تمام داود

A.U.E. - BRARY

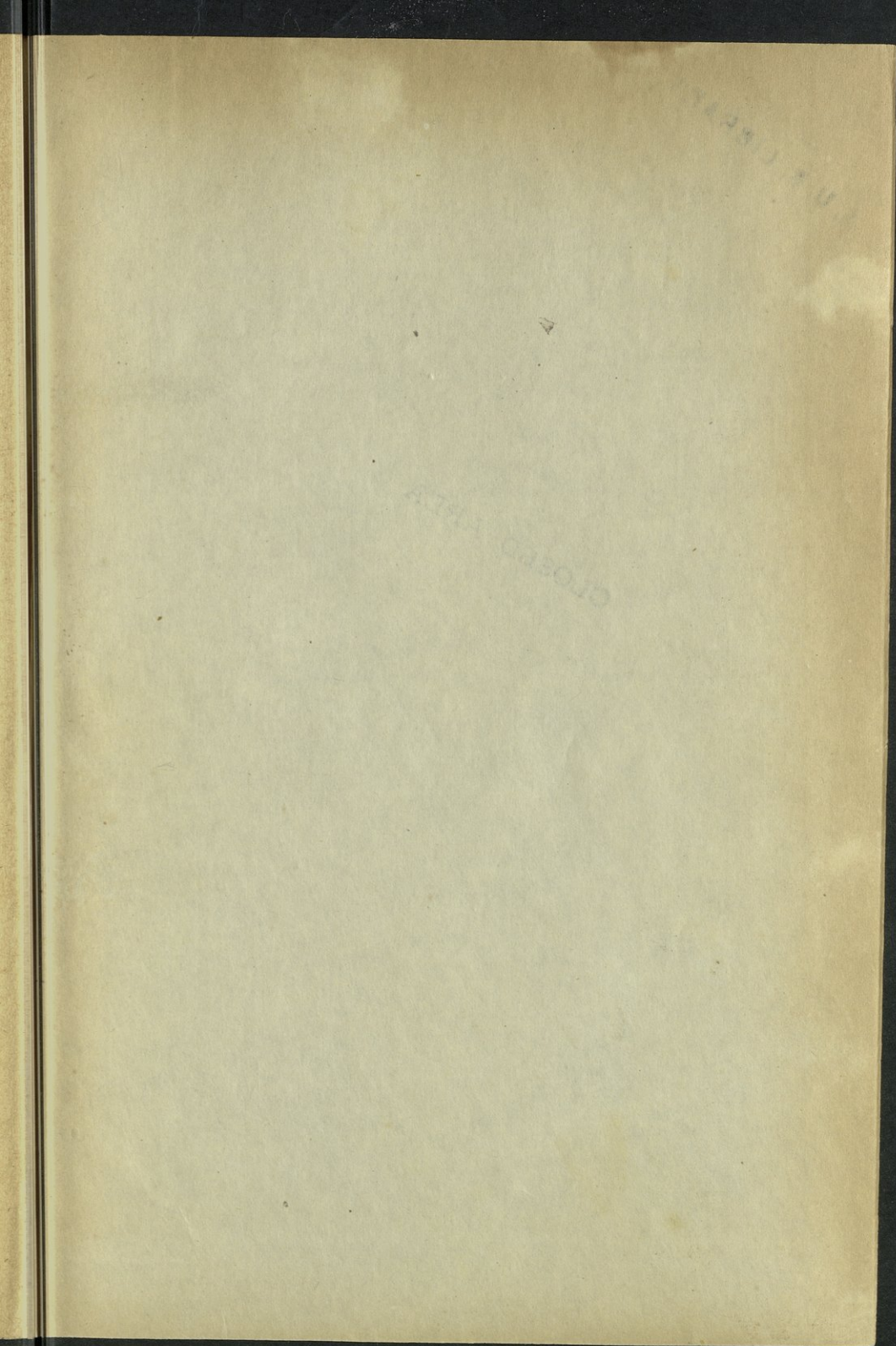
CLOSED AREA

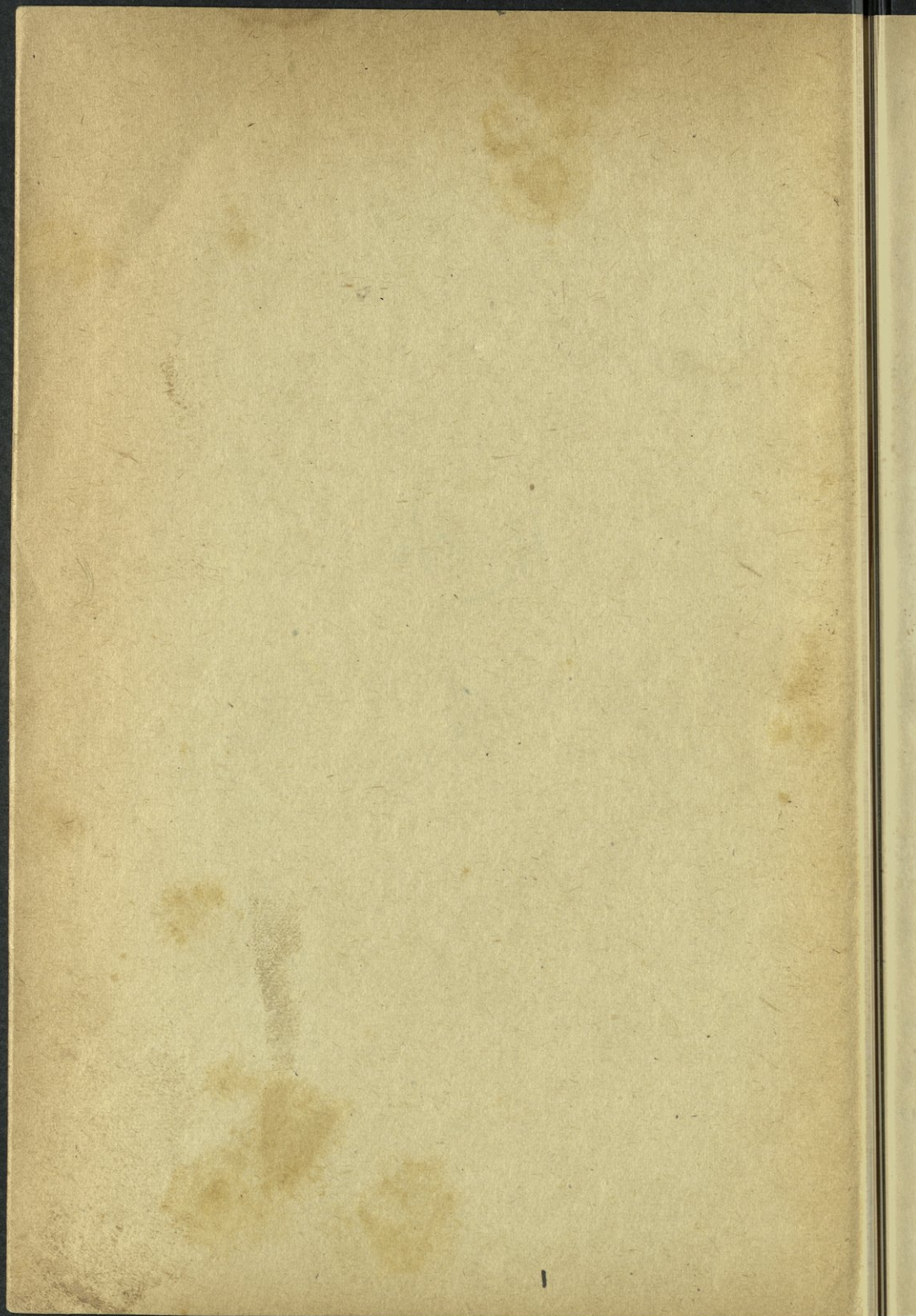
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

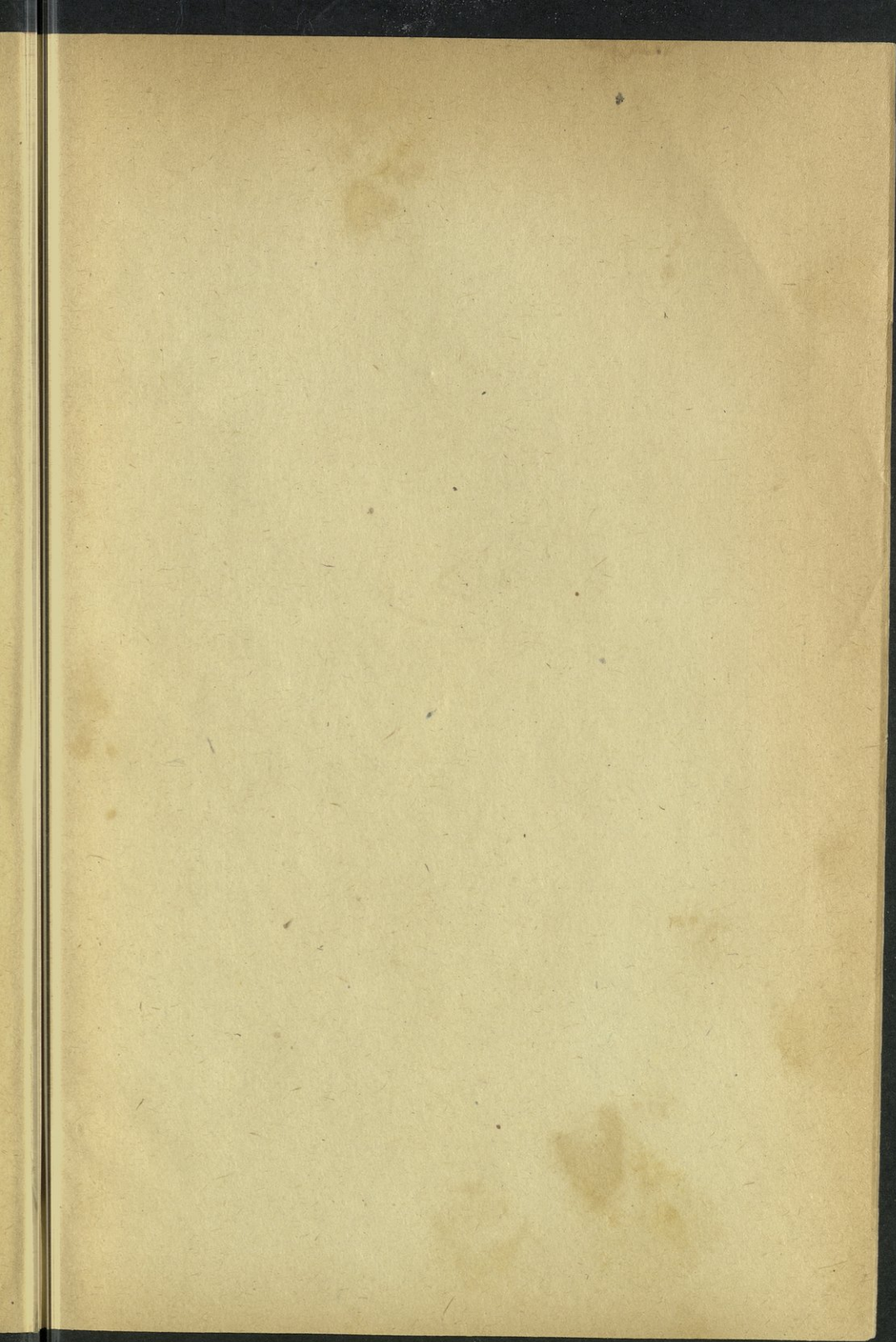


A.U.B. LIBRARY

CLOSED AREA







الرداء

٧١٠

باسماء الكتب المترجمة عن الانكليزية

بقلم

السيدة تمام داود

المفقودة البيضاء في قارة افريقيا السوداء

قول بابل العظيم

الروح فوق المادة

القصص الادبية للاحداث

الحب المنتصر او ادنا وسانت المو

الرداء



يلبس مرسيلوس الرداء في روما امام اصدقائه

A

لويد دوغلس

CA
818
D734rA
c.1

الرداء



مترجم عن الانكليزية

بقلم

السيدة تمام داود

المطبعة الاميركانية - بيروت

١٩٤٨

صدر هذا الكتاب في الولايات المتحدة وترجم باذنه من المؤلف
لويد دوغلس ومن الناشر شركة هونن مفلن
فلهم جزيل الشكر والامتنان

الفصل الاول

كانت لوسيا حين بلوغها السنة الخامسة عشرة من عمرها تنمو قواها الجسدية والعقلية نمواً تدريجياً كسائر اترابها . بيد ان دائرة افكارها كانت لا تزال ضيقة محدودة

ففي ذات صباح من ايام الربيع شعرت انها اصبحت تحت عبء مسؤولية كبيرة وهو ان والدتها التي كانت تخاطبها فيما سلف من الايام بامور تافهة افضت اليها في ليلة امس بامر هام وهو : ان اباهما تهوّر في انتقاده الجارح على مجلس الشيوخ الذي هو عضو من اعضائه . فكان من الفتاة ان سرّت لما احزته من ثقة والدتها بها لاطلاعها على مثل هذا الشأن الخطير حتى انها اكدت في نفسها بعد اعمال الروية ان الامير غايوس هو ابعد من ان يعير هذه المسألة اهمّته لكنها بعد ذهابها الى مضجعها لتنام اخذت اعصابها تهيج وهي تفكر وتقول في نفسها :

ان الامير غايوس في امكانه ان يضرب صفحاً عن انتقادات ابي على نفقات الدولة الباهظة وعلى سوء ادارته لو لم يكن شديد الاستياء من عائلة غاليو . مع انه لم يكن احد مطلعاً على هذا الامر الا انا وصديقتي ديانا . فيجب اذاً على كل واحد من العائلة ان يكون على حذر والا فانها معرضة لاتعاب جسيمة

* * * *

وقد ايقظتها في ذلك اليوم زقزقة العصافير التي لم تكن معتادة ان تسمع شذوها لان ربيع تلك السنة اقبل قبل اوانه في اواخر شباط . وكان اول خاطر طراً في

ذلك الوقت على مخيلتها ذلك الهمّ الاليم الذي ازعجها في اول الليل ولازمها كأنه
في الضرس .

ثم نهضت من فراشها وارتدت ثيابها بهدوء كي لا ترعج ترتبها التي كانت نائمة
على المقعد والتي لو استفاقت ووجدت سرير سيدتها خلواً منها لاجست خيفة لذلك
احتذت لوسيا صندلها وهدت بتؤدة على البلاط الفاخر الانيق الذي افضى بها الى
قاعة الضيوف فالمرّ الطويل فالدرج العريض المؤدي الى الدار الفسيحة ومنه الى
الرواق الواسع حيث وقفت تحجب عينيها من توهج نور الشمس

ولقد لاحظت في هذه السنة غو عضلاتها وازدياد قوتها البدنية ولكنها تجاه
تلك العواميد الرخامية الضخمة القائمة عليها السقوف المقيمة والتأثيل الفخمة المائلة
بسكون امام ذلك السهل الضيق والينبوع الفضي العالي . وجدت نفسها صغيرة
وانها ستظل صغيرة مهما تقدمت في السن . وبينما هي سائرة على ذلك الرخام لمحت
وجه خادما النحاسي اللون واساريه العميقة فتذكرت ايام طفوليتها حين كان كلما
رأها يرفع قبضة راحه الى جبهته المتجمدة ويحييها تحية الصباح فكان منها ان ابتسمت
له . وتابعت طريقها الى الايوان الذي كانت اغصان الكرمة تغشاه في آخر المربع .
وهناك على « الدرايزون » الرخامي الذي كان يشرف على الحديقة واشجارها وبركة
مائها وكذلك على المدينة والنهر الجاري فيها اخذت لوسيا تناجي نفسها فيما اذا
كانت تحب اخاها مرسيلوس بذلك الحادث الذي اذا وقف عليه فانه بدون شك
يفضّب غضباً شديداً وربما يفعل ما يؤدي به الى عاقبة وخيمة . على ان من
الضروري الافضاء بذلك الى احد افراد العائلة لئلا يحدث بعدئذ ما لا تحمد عقباه .
لذلك اوحى اليها فكرتها ان تؤجل الخبر الى وقت الغداء لان اخاها لا يستطيع
قبل ذلك بحيث قضى ليلته ساهراً في الوليمة التي اقامها غايوس على شرف جنود
محكمة القضاء . وقد ودّت لو انها افتكرت واطلعت على الحادث الذي وقع لها
في الصيف الماضي .

وبينما هي في هذا الهاجس اذ سمعت وقع خطوات « صندل » خفيفة فالتفتت الى ورائها ورأت دسيموس العشي مقبلاً نحوها ووراءه خادمتان توأمان مكدونيتان حاملتان صينيتين فضيتين على اكفهما . فسالها دسيموس وهو خافض النظر هل تريد سيدته ان تتناول فطورها هنا ؟ فاجابته بالايجاب

فنادى دسيموس بصوت عالٍ الفتاتين فاسرعتا حالاً في تحضير المائدة بينما لوسيا تراقب بسرور وارتياح حركاتهما اللطيفة كأنها تراقب حركات كلبين خفيفي الروح . ولقد كانت الابنتان جميلتين واكبر من سيدتهما ببضع سنين وهذه هي المرة الاولى التي تراهما فيها تأتیان عملاً ما لان والدها كان قد اشتراها منذ اسبوع وقال لها انها من عائلة معروفة راقية لذلك كان اول عمل جرى اختبارها فيه هو خدمة المائدة . فكانتا تقومان بشغلها بمجلة بدون ان تلتفتا الى سيدتهما وكانتا شديدي البياض وذلك من جراء حبسهما مدة طويلة في احدى السفن البخارية

وكان والد لوسيا يلذُّ له اشتراء الخدم الممتازين مع انه لم يكن في عائلة غاليو عددٌ وافر منهم لانه كان يعتقد ان تكثير عددهم يؤدي اخيراً الى الخراب لذلك اشترى عبيده بتمام التروي كما يشتري الاشياء الضرورية لمنزله والادوات الفنية . وكان الجنود بعد ان يعودوا من غزو بلاد راقية يُعاملون معارفهم الاغنياء انهم جاؤا باسرى من الدرجة الاولى . فكان والد لوسيا يذهب قبل عرضهم للبيع بيوم واحد وينتقي منهم الاحسن طبعاً بعد الاطلاع على تاريخ حياة كل منهم ثم ياتي بهم الى منزله وقلماً طرد واحداً ممن اختارهم .

كان احد هؤلاء الخدم يدعى ديتريوس وقد ابتاعه والذي منذ ست سنوات واهداه الى مرسياوس لمناسبة عيد ميلاده السابع عشر فكان لهذه الذكرى يوم مشهود عندنا اذ البسوا فيه اخي الحبة البيضاء بعد ان حلقوا ذقنه لاول مرة في حياته وصار من الواجب عليه ان يتصرف تصرف الرجال اما انا فكانت مبتهجة جداً وليس لي من العمر الا تسع سنوات . اما ديتريوس فكان اكبر من مرسياوس

بسمتین ومجترمه كل الاحترام على ان الاخير كان يعامله معاملة الصديق لصديقه .
 وكان ديتريوس هذا ابن رجل غني كورنثي الاصل يملك عدة مراكب وقد
 قضت عليه الحكومة بالموت لتدخله في السياسة الدفاعية وكان له شقيقان تسميهما
 سفير اخائية الجديد واما والدتهما الشريفة فانتحرت . وقد أتى بديتريوس ذي
 القوام الطويل والوجه الجميل والسواعد المفتولة الى رومية تحت المراقبة الشديدة لانه
 كان قوياً وجسوراً جداً

وتذكر لوسيا ان والدها كان يخبر زوجته عنه فكانت تقول له انها تحشى
 اذاه وهو يحببها ان لا خوف منه اللهم اذا عامله مرسيلوس معاملة حسنة . فان
 ديتريوس لا ينتظر اكثر من معاملة سيد لعبده . وهو يعرف ذاته انه خادم ويسكره
 كونه عبداً ولكنه مضطراً ان يطيع . واخبرها ايضاً كيف انه لما ابتاعه اخرجه
 بنفسه من الكهف وفك القيود من يديه الداميتين واستطرد قائلاً : انني سرت
 امامه بدون ان التفت الى الوراء لاراه سائراً خافياً

كان حوذي عربي ينتظرني امام الباب ولما اقتربنا منه أشرت اليه ان يتجه
 نحو الطريق المؤدي الى القصر

قالت زوجته هل تركته وحده ؟ الم تخاطر بعملك هذا ؟

- بلى اجاب والدي وانني كنت امام خطر اعظم لو انني اتيت به مقيداً
 بالسلاسل لذلك اطلقت له الحرية لارى اي الطريقين يختار أيعيش معنا ام يتنجس
 عناً . فالتفت اليّ مدعوشاً من معاملتي هذه وسألني بلغة يونانية فصيحة ماذا تريد
 ان اعمل عندما اصل الى القصر ؟ اجبتة اسأل عن مرسيلوس وهو يخبرك ماذا تعمل
 خفي راسه ووقف واذ كان يحرك السلاسل التي على يديه قلت له القبر هذه بعيداً
 ثم صعدت الى عربي . قالت له امرأته لا اظن انك تراه فيما بعد . وجواباً على
 كلامها دخل مرسيلوس وقال يا سيدي وصل الى القصر شاب كورنثي يقول انه
 يخصنا

سراً والذي بهذا الخبر وقال نعم انني قد ابتعته هذا الصباح وساهديه الى ابني ولكن لا تقل له في الوقت الحاضر . اعطيه طعاماً كثيراً لياكل وثياباً نظيفة ليلبس بعد ان يفتسل لانه قد مضت عليه مدة طويلة وهو رهين السجن
— قد فعل ذلك

— حسناً فعلت

— لا يا سيدي انا لم افعل شيئاً . جاءني هذا الكورنثي وانا في الحديقة وسَمَّى لي اسمه . ولما وقع نظره على بركة الماء خلع ثيابه بحجة زائدة وتحفَّز للسقوط فيها وما كدت ادفعه عنها حتى غطس فيها ولكنني سافرغها واغسلها
وكان مرسيبور يعامل ديتريوس معاملة اب لابنه حتى ظن كل من رآه ان بينهما صلة قرابة لان مرسيبور هذا كان كورنثياً مثله

* * * *

خرج ديتريوس من البيت وسار في الرواق الى ان اقترب من لوسيا ووقف صامتاً لا ينبس ببنت شفة ريثما تسمح له بالتكلم . فقالت له ما الخبر يا ديتريوس ؟ اجابها باحترام ان قاضي محكمة القضاء يتمنى لشقيقته الصحة والهناء ويطلب ان تسمح له ان يتناول فطوره معها .

سرت لوسيا ثم تكلمت برصانة قائلة اخبر سيدك ان شقيقته ستكون مسرورة للغاية واعلمه ان الفطور سيكون هنا في الايوان

بعد ان سار ديتريوس بضع خطوات مشى لوسيا امامه ولما ابتعد قليلاً سألته لماذا استيقظ سيدك باكراً اليوم ؟ ألم يذهب امس الى الوليمة ؟ اجابها بلى وربما يريد هو ان يكلمك بهذا الشأن

— هل وقع له حادث ما ؟

— اذا كان الامر كذلك ربما يريد هو ان يفضي لك بنفسه بدون مساعدة خادمه

- كنت لا شك معه في الوليمة لتقوم بخدمته

- نعم

- هل كان الامير هناك ؟ فالحنى ديتريوس ثانية

- هل كان الامير غايوس منشرح الصدر ؟

- نعم كثيراً الى ان نام

- لا شك انه كان سكران

- ممكن كان كذلك ولكن ايس لي ان اتكلم

ثم استأذن منها وذهب - اما هي فعادت من حيث اتت واخذت تناجي نفسها قائلة لو لم يحدث شي . مزعج في الحفلة الليلة الماضية لما كان ديتريوس هكذا متكثماً . اما دسيموس فانتحى ناحية بعيدة من الايوان لانه راي علامات الاهتمام بادية على وجه سيدته

وكانت التوأمان واقفتين بتأدب الواحدة بازاء الاخرى تنتظران الاوامر - فاقتربت منهما لوسيا وسالتهما عن اسميهما فاجابت احدهما : انا أدعى هيلانه واخوتي تسمى نستا

- ولماذا لا تتكلم اختك ؟

- لانها خائفة

عندئذ مدت لوسيا يدها ودغدغت ذقنيهما ورفعت رأسيهما قائلة لهما : لا تخافا انني لن اضربكما ثم اخذت تلعب بشعر هيلانه كأنها احدى اللعب وربطت شريط شعر نستا التي بككت عندما شعرت بجنوها نخوها - فقالت لهما لا ترهبنا شيئاً فلن يؤذيكما احد لانكما من خاصة الشيخ مرقس لوقا غاليو احد اعضاء مجلس الشيوخ فانه دفع ثنكهما غالياً لما وجدته فيكما من التهذيب والطاعة . ثم التفتت الى دسيموس وقالت له ألبس هاتين الابنتين ألبسة بيضاء . وضع عقداً من المرجان في عنق كل منهما ودعمهما تخدمان على المائدة فان اخي سيتناول فطوره معي هنا .

واما انت فاذهب الى عملك

كان لدسيموس مدة طويلة يعتني بشؤون المنزل الضرورية كشراء المأكّل من الاسواق وكذلك التوابل التي كانت تأتي بها القافلة من بلاد بعيدة وهو خادم له اهميته ولكن لم تكن لوسيا لتراتاح اليه لانه كان مستبداً برأيه خلافاً لمرسيلوس الخادم اللطيف والامين الذي كان يهتم بامور البيت وباملاك سيده ويديرها ويعرف كل خصائصها اكثر مما يعرف سيده لانه قضى حياته في خدمته .

تلقى دسيموس الامر بالذهاب الى عمله غير انه لم تعجبه ملاطفة لوسيا للابنتين لان تدريبيهما يتعلق به وحده فما ان سار حتى سارتا ورائه وهما فرحتان مرحتان فاخذت لوسيا تراقب حركاتهما الى ان توارتا عن الانظار وهناك اخذت تناجي نفسها قائلة : هل أخبر اخي بما حدث لي مع غايوس لا لابل يجب اولاً ان اعرف ماذا حدث في الولاية

* * * *

صباح الخير يا شقيقتي العزيزة قال مرسيلوس هذا وطبع على خدها قبلة ثم ابتدأ يداعبها بلبس شعرها بينما كان يمسك كلب الراعي الكبير الاسود يدخل راسه تحت ابطها ويصبص بذنبه فالتفتت لوسيا الى مرسيلوس وقالت له يظهر لي انك اليوم على غاية من الانبساط والانشراح ويغلب على ظني انك كنت ليلة امس في الحفلة التي احيها الامير غايوس ؟

— ولكن يا اختي اشكري الالهة لانك لا يمكنك ان تصبحي في عداد القضاة يوماً من الايام . لقد كانت ليلة طويلة مثيرة للعواطف — قل لي ماذا حدث ؟

فضحك مرسيلوس وقال اخشى ان اكون قد أهنت عائلتي ان الالهة وحدها تعلم ما تكون العاقبة . لم يكن سموه صاحياً ليفهم ما جرى ولكن لا بد من ان

يعلمه احد بذلك قبل انقضاء النهار . فاقتربت منه لوسيا ووضعت يدها على ركبته
وسأله مرتعدة ماذا حدث يا مرسيلوس ؟

— ان الشيخ طسقوس العضو في مجلس الاعيان هو وابنه انطونيوس الذي
اراد ان ينال الخطوة في عيني غايوس نظم قصيدة مديح مسهبة وأوعز الى ولده في
القائها

— لا شك ان الامير 'سر' بها كثيراً وانت وطولوس قابلتما ذلك بالثناء والجميل
— الحق يا اختاه ان الجميع ودّوا لو كانوا في أسرهم لانهم كانوا منهموكي
القوى من كثرة الشراب والمأكل المتنوعة الفاخرة التي قدّمت لهم فضلاً عن عزف
الموسيقى وعرض الألعاب السحرية واللقاء الخطب المزعجة واجراء الملائكة حتى ان
طولوس الذي كان جالساً مقابلي نام كالطفل الرضيع

— بعد هذا كله جاء دور القصيدة أليس كذلك ؟

— بلى لقد ابتدأ انطونيوس يتلو القصيدة اولاً بصوت عالٍ ثم خفّت لهجته .
ولقد طالّت ابياتها حتى ملّ الحاضرون فناموا ما خلا بعض اشخاص منهم وكنتموس
شقيق انطونيوس الذي اغضبه تلك الحالة .

— ماذا فعلت انت لتغضب غايوس ؟

— لو ان خفامته كان نائماً يهدوء وبلياقة دون ان تكون ذقنه السمينة ملتوية
نحو صدره لكان اخوك التعيس استطاع احتمال كل شيء . ولكن كان رأس
الامير منقلباً الى الوراء وفمه مفتوحاً ولسانه مندفعاً وغطيطه يعلو المكان ويزعج
كل انسان وفي نهاية القصيدة زاد انطونيوس في مديح الامير قائلاً ان غايوس هو
ينبوع المعرفة وان عينيه تتوهجان بنور الهي . وعندما تتحرك شفتاه تجري الحكمة
من فيه ويبتسم العدل . ولما سمعت هذا المديح لم استطع ان امكك نفسي بل قهقمت
قهقهة شديدة حتى استيقظ الجميع ما عدا غايوس

فقال لوسيا ولكن يا مرسيلوس ؟ فنظر اليها ورآها اصبحت صفراء كالاموات

فضمها اليه وسألها هل انت مريضة ؟ اجابته نعم . قال لها لا تخافي يا اختاه ان غايوس سيفضبك ولكنه لا يتجاسر ان يعاقب ابن مرقس لوقا غاليو فقالت له :

- اسمعت ما حدث امس حينما انتقد والدك الامير غايوس ؟

- نعم سمعت ولكن الوالد له قوة كافية للاهتمام بامر نفسه

- لو كان هذا الامر هو الشيء الوحيد لكان ممكناً ان يتغاضى غايوس عنه

ولكن انت اغضبتة وهو حاقده علي ايضاً

- انت ؟ ما الذي حمله ان يحقد عليك ؟

- أتذكر ذلك الوقت الذي فيه كانت ديانا ووالدتها وانا ضيفات في قصر

كاري واتي غايوس لزيارة الامبراطور ؟

- نعم

- ان غايوس وقتئذ حاول ان يتجنب اليّ

- ماذا تقولين ؟ سأري ذلك الحيوان الكريه كيف يكون التجنب .

ساخرج لسانه من فيه وعينيه من رأسه . لم كنتم عني ذلك قبلاً ؟

- لو كان اخي رجلاً جباناً لكنت اخبرته بذلك ولكنه قوي شديد

الشكيمة واخشى ان يقتل غايوس ويحكم عليه بالهلاك وعلى والدي ايضاً والديتي

- وماذا قالت والديتي بهذا الصدد

- لم اخبرها شيئاً من ذلك

لم لم تخبريها ؟

- لانني لو اخبرتها لكانت تخبر والدي وحينئذ يقع الخطر عليكم كما لو

كنت اخبرتك انت

- لقد كان من الواجب ان تطلعي الامبراطور على ذلك ولو كان خلواً من

الفضيلة لانه لا بُد من اهتمامه بهذه القضية بسبب بغضه لغايوس

- انت تعلم انه ضعيف الشعور ولا يبعد اذا ما وبّخ غايوس امام الحضور ان

ينسى بعدئذ كل شيء . وغايوس لا يفتي شيئاً . حاولت ان اتجاهل الامر اذ لا احد يعرف شيئاً الا ديانا وانا

- ديانا الطفلة . ما زال هذا الامر سرّاً فلماذا اخبرتني ؟

- لانها كانت تخشاه وقد فهمت انني اخاف البقاء معه وحدي . ولكنني اقول لك ان ديانا لم تبق طفلة وعندما تجي لزيارتي ارجو منك ان لا تعاملها كأنها ابنة خمس سنوات وانت ابن مئة . فقد بلغت السادسة عشرة من سنّها . يجب ان تعاملها من الان فصاعداً كأنها ابنة في ريعان الصبا . ولو كنت تعني شيئاً من وراء تلك المعاملة لما كانت تغتاظ منك وهي تتأثر عندما تدعوها يا حبيبة قلبي

- لم اعتقد ان ديانا شديدة التأثير لهذا الحد فاني اعلم انها تغضب لا قل شيء . لا يعجبها وقد كانت غير هيابة عندما طلبت تغيير اسمها

- كانت تكره ان تدعى اسينيا واظن اسم ديانا اعمل أليس كذلك ؟

- ربما لان اسينيا اسم لاهة ساذجة

- اظن ان ديانا كانت تُسرّ حينما كنت تنادياها يا حبيبة قلبي اذا كنت تعني ما تقول

- هل ديانا تجبني ؟

- بلا ريب . وكيف لم تلاحظ ذلك ؟ تعال الان اجلس هنا واستعد للفقير تطلع مرسيلوس في ناحية البيت ودُهِش حين رأى الجاريتين مقبلتين فسأل اخته هل هما يا ترى ذكيتان كما انهما جميلتان اجابته هذا هو اول يوم تقومان به بعمل ما لان والدك اشتراها الاسبوع الماضي لذلك لا يستطيع ان اجيب بنعم او لا وضعت الابنتان الصينيتين على الطاولة وانتحنا ناحية الايوان وانتظرتا . اما ديانا فانها سارت متجهة نحو الدرايزون فتبعها اخوها وسألها ما بالك ؟

اجابت اخشى ان يكون مصيري يوماً ما كهاتين الابنتين لان غايوس لا يعرف الرحمة

- ماذا تريد ان اعمل ؟ هل اذهب واعتذر ؟
 - افعل ذلك في هذا النهار واني ارجو منك ان تتوجه اليه وتتصالحا
 - يمكنك ان تقول له انك كنت سكران أليس كذلك ؟
 - انني افضل ان أجلد على ان اعتذر
 - انا اعرف ذلك ولكن ألا تعلم ان غايوس شديد الانتقام ؟
 - ماذا يستطيع ان يفعل ان الامبراطور لا يسمح لحفيده ان يعاقب احداً من
 عائلة غاليو لانه يكرهه كرهاً بليغاً
 - نعم . جعله الامبراطور نائبه لان جوليا طلبت منه ذلك وهي تقدر على
 كل شيء . . ففكر ملياً بهذه المسألة ودعنا الان نتناول فطورنا وبعد ذلك تذهب الى
 غايوس وتأخذ معك الدواء الذي يشفي غليله وهو ان تمدحه وتقول له انه مشال
 الجمل والكمال ولا مثيل له في المملكة كلها بل قل له ايضاً انه اله ولكن اياك
 والابتسام عند هذا المديح والاطراء بل كن رصيناً في كلامك معه

* * * *

فقبل مرسياوس نصيحة اخته بيد أنه اراد التخلص من هذا الواجب الممقوت
 فاستقر رأيه على ان يذهب توّاً الى غايوس ويضرب صفحاً عن اتباع العادات
 الرسمية . لذلك استنجم عند الساعة العاشرة بالماء الساخن ثم سبج في البركة وارتدى
 ثوباً لا ثقاً وتزل الى الطبقة السفلى . وقد شاهد في طريقه باب مكتبة ابيه
 مفتوحاً فدخل ليحييه قبل ذهابه فسأله والده عما اذا كان يستطيع ان يرافقه لشراء
 مهرتين

اجابه مرسياوس اتأسف لعدم تمكني من ذلك لان لدي مهمة ضرورية يجب
 ان اتمها . فهل تريد يا سيدي ان توجل ذهابك الى الغد . اجابه والده اني ارى
 على محياك امارات الهم والاهتمام فاذا كان في الامر ما يوجب مساعدتي لك فلا
 تأخر البتة

جلس مرسيلوس على الكرسي وقص على والده كل ما حدث له ليلة الوليمة الى ان انتهى الى القول انه يريد الاعتذار فسمع غاليو الرواية كلها دون ان يعترض . غير انه لما ذكر له مسألة الاعتذار تحمس والده وصاح قائلاً لا . لا . لا .

فتعجب مرسيلوس وساله ما السبب يا ابتاه ؟ فاجابه ابوه ان اخطر آلة يستعملها الانسان في اصلاح ما فسد هي الاعتذار . قال هذا وانتصب واقفاً ثم استطرد قائلاً حتى في احوال مرضية عندما تريد ان تصالح صديقاً آذيتة فاذا كان الاعتذار يحط من كرامتك ربما يصبح اكثر قرداً عليك واذا كان الصديق لا يرضى الا باعتذار كهذا فهو ليس بصديق وصدافته لا يجب ان تدوم . وفي مسألة غايوس يكون الاعتذار مضراً بلا شك لانك لا تعتذر الى رجل شريف بل بالعكس لانه يعتبر كرم الخلق علامة ضعف

ان لدى غايوس اسباباً تجعله يشعر بسلطته . لا تدافع ابداً عن شخص غير امين على مركزه . اجاب مرسيلوس ربما انت على صواب يا سيدي

— لا شك انني على صواب قال غاليو هذا واتجه نحو الباب واغلقه ثم عاد وجلس في كرسيه واستطرد قائلاً : اعلم انه من الامور الضرورية مراقبة غايوس وشدة الحذر منه واليك البرهان :

لماذا يطلب طيباريوس الشيخ مساعدة الالهة وهو في غنى عنها لانها وجدت لمساعدة الفقراء فقط وليس الاغنياء . حينئذ يطلب نظير الامبراطور هذا مساعدة الالهة يكون اما مختل الشعور او معوجاً وهو على ما اؤكد انه من النوع الاول لانه حاقد على والدته منذ سنوات كثيرة لانها التمسست منه ان يطلق قسبانيا المرأة الوحيدة التي احبها فقاطعه مرسيلوس قائلاً : اظن انه يجب ديانا

— نعم ولماذا ؟ لانها حفيدة قسبانيا . انني اذكر انه لم يكن حاكماً مستبداً غاشماً في بداءة حكمه التي ازهرت في اثنائها رومية حتى انها فاقت احكام يوليوس قيصر في عظمتها كما انه لا يخفى عليك انه بعد ما طلق قسبانيا طلقته كل لذة في

المملكة حيث احاط به المنجمون والسحرة والدجالون والكهنة واقنعوه اخيراً ان يتخذ جوليا التي كان يكرهها منذ صغرها زوجة له وهو ينحاشها جداً وهو على صواب لانها امرأة وحشية تقدم على قتل اي انسان دون ما رهبة او خشية
قال مرسيلوس اخبرني لوسيا ان الامبراطور لا يذوق الحمر الذي يوضع على المائدة قبل ان تشرب منه امبراطورته

- لا عجب من ذلك فانه من شدة خوفه وسوء ظنه يحرس ابواب غرفة نومه ونوافذها اثنا عشر رجلاً من المصارعين . وهذه الامور جميعها يعرفها غايوس ولا يخفى عليه ان الامبراطور سخييف العقل وان ايام والدته ان تطول واذا حدث لها حادث ما فان السلطة تبعدهم حالاً الى كريت وعلى راسهم الامير غايوس
- واذا ماتت جوليا هل ينصب الامبراطور طيباريوس اسينيوس امبراطوراً على العرش؟

- ربما يتم ذلك لكي يعوض شعبانيا من الاكرام بتشريف ولها قال مرسيلوس مخاطباً نفسه هل يهيم ديانا يا ترى ان تصبح اميرة؟ واذا فاه بهذه الكلمات التفت الى والده فرآه مدهوشاً فقال له هل يهيمك يا بني امر ديانا؟
- لا يهمني اكثر مما يهيم لوسيا فانهما لا تفرقان البتة كما اراهما تقريباً كل يوم
- انها جميلة ونشيطة
- نعم اجاب مرسيلوس ولكنها لم تبق طفلة فقد بلغت السادسة عشرة من

العمر

- اذاً فقد اصبحت في سن الزواج . ولكن اليك نصيحتي وهي ان لا تتعجب كثيراً اليها لان لغايوس جواسيس في كل مكان وهو يريد لها
- هل في بيتنا يمكن ان يكون له جواسيس؟
- لم لا؟ اتظن ان غايوس ابن اغريبا الذي لم يعرف الامانة كل حياته يصعب عليه ان يقوم بعمل كهذا . . . ثم قال دعنا الان من هذا كله فلنمتطر جوادينه

ونذهب لنفحص المهرتين

فلما حال لبي مرسيوس طلب والده كأن مسألة غايوس قد انتهت وعند خروجهما رأيا ديتريوس مستنداً الى عمود في الرواق ولما وقع نظره عليهما حياهما برحه كما هي عادة العبيد نحو سادتهم ثم تبعهما

فكلم مرسيوس والده بصوت منخفض قائلاً ليس من عادة ديتريوس ان يقف مثل هذا الموقف في الرواق كأنني به ينتظر حدثاً جديداً . أتظن انه مرتاب من شيء ؟

— لا شك من ذلك . فانه كان مرافقاً لك ليلة امس في الوليمة وقد عرف انك اغضبت غايوس ولهذا السبب اخذ الاحتياطات اللازمة

— أأسأله عما اذا كان هناك من جواسيس ؟

— اذا كان يرتاب في احد فانه يخبرك

— انني ارى كنتوس مقبلاً نحونا وقد فهمت انه يوافق الامير في هذه الايام في ذهابه وايابه

وعند وصوله اليهم لم يجيهم قط بل اخرج رسالة مذبذبة من منطقتة وقال قد امرني سمو الامير غايوس ان اسلم هذا الكتاب الى القاضي مرسيوس لوقا غاليو . فتعجل مرافقه عن جواده واخذه منه وسلمه فتناوله مرسيوس من يده وسأله عما اذا كان ينتظر جواباً

فاجابه كنتوس بلهجة جافية : ان الاوامر الملكية لا تطلب جواباً بل طاعة . ثم همز جواده وسار مسرعاً

فقال غاليو : ان غايوس سريع في انجاز اعماله . وسراً اذ رأى هدوء ابنه وهو يخرج الخنجر من منطقتة ويتزع برأسه الشمع عن الدرج . ثم فتح الكتاب وعرضه على انظار والده الذي قرأه بصوت عالٍ وهذا مضمونه

تحية من الامير غايوس درودس اغريبا الى القاضي مرسيوس لوقا غاليو

ان شجاعة القاضي في منصّة القضاء يجب ان تصرف في خدمة الدولة
في مراكز حيث تبدو الجرأة شريفة وذات قيمة . ولا تكون في حفلات
الولائم حيث ينحط قدرها . فعلى القاضي مرسيلوس لوقا غاليليو ان يتقدم
قبل الغروب من رئيس الحرس الپريتوري كورنيليوس كاييتو ليتسلّم
منصبه

طوى مرسيلوس الدرج وسلمه الى ديتريوس وقال لوالده : ان لدينا الوقت
الكافي للذهاب وخص المهرتين . ولما رأى والده ان ابنه لم يعر المسألة اهمية عظيمة
سراً بشجاعته واقتخر

ثم اشار مرسيلوس الى ديتريوس ان يأتي اليه وقال له : انك قد سمعت خوى
الرسالة ؟ اجاب نعم يا سيدي - يظهر ان الامير يريد ان يتخلص مني . اجابه ثانية
نعم

قال مرسيلوس : انني قد جنيت على نفسي لذلك انصح لك ان لا تجازف
بجياتك لاجلي فلك مل . الحرية في ان تقرر البقاء هنا او الذهاب معي
- لا بل اذهب معك

- حسناً . اذا هي . ما نحتاج اليه واذا احتجت الى دراهم اشراء شيء ما
فاطلبها من مرسيمور . ثم همز جواده ولحق بالده الذي سار جواده شوطاً بعيداً عنه
وقال له تكلمت مع ديتريوس واطلقت له الحرية فيما اذا كان يريد ان يذهب معي
فقال انه مستعد للذهاب . غير انني افهمته بصراحة انه ربما يلاقي حتفه هناك

اجابه والده حسناً فعلت . ثم اطلق لفكره العنان وقال لابنه قليلون في المجلس
الرجال الذين خصتهم الالهة بالذكا . كما خصت به عبدك ديتريوس لا تظن لكونه
عبداً بان افكاره واراءه غير صائبة . اقول لك انه سيأتي يوم وليس ذلك ببعيد
فيه يستلم العبيد زمام الاحكام ولو انهم كانوا مدربين لكنت تراه في ايديهم اليوم
او غداً لانهم لا ينقصهم سوى التدريب فقط

ولا يخفى عليك ان ثلاثة ارباع سكان رومية هم من العبيد لان الجنود يأتون
يومياً براكب ملأى منهم . ولا بد من ان يتحدوا يوماً ما ويشوروا على الحكم
ويطلبوا الحرية . ومعلوم ان الحكومة عاجزة على مقاومة هذا العدد العظيم لانها
حكومة جوفاء ضعيفة وشريرة دأبها اللهو والمرح واقامة الولاثم يحكمها امبراطور
صغير العقل يقرب من حد الجنون . ان رومية مهددة بالخراب ولكنني لست
اعلم متى يكون ذلك . على انني اؤكد انها سائرة في طريق الاضمحلال لانها
ضعيفة وشريرة جداً فلن تدوم



الفصل الثاني

لما ذهب مرسيلوس الساعة الثالثة ليعرف ماهية الوظيفة التي دبرها له الامير غايوس لم يجد كرنيليوس كايستو هناك . فتعجب من ذلك وتشاءم لانه ادرك حالاً ان صديق والده الحميم لم يرغب في مقابلته كي لا يبلغه امر تلك الوظيفة الخطرة . سار غاليو وابنه على ظهري جواديهما مسافة ميلين من محلة استعمل دون ان يتمكنوا من ابتياع شيء . ما لان بائعاً طمأناً طلب سعراً فاحشاً ولان مسألة ابنه شغلت باله لذلك لم يبق له رغبة في المساومة .

ولما وصلا ولم يجدا كورنيليوس هناك اخذ العجب من غاليو كل مأخذ بحيث يعلم بالتأكيد انه لو كان في رومية من يعدل تحويل العقاب الذي قصده غايوس لابنه لما كان الا رئيس الحرس الپريتوري والقائد العام الذي كانت له السلطة المطلقة في تعيين الميعاد وضبطه .

غاص غاليو في لجة تذكاراته القديمة وطفق يقصّ على ابنه باخلاص سيرة ابطال الحرس الپريتوري المخزنة وكان ابنه يعلم تلك السوالف حق العلم . فشرح له كيف ان يوليوس قيصر اسس هذا المشروع لاجل سلامة حياته واختار حرسه من الابطال المشهورين الذين قاموا باعمال خطيرة ومشهورة . وقد تقدم هذا المشروع مع تقدم الايام وتألف من الحرس جيش عظيم لاجل الحرب . ونُصبت الواح من النحاس والرخام في الساحة الواسعة نقشت عليها سير واعمال ابطاله الاتني الذكر وكل من اتصف بالجرأة والاخلاص ونال الشرف العظيم في تلك الايام . ثم استطرد غاليو والفهم ملء قلبه قائلاً . ان اوغسطس الذي زاد زهوه زيادة سيئة اخذ يمنح العضوية الشرعية التي هي من حق الشيوخ فقط الى اخصائه الذين غصوا الطرف عن خطاه .

وكذلك الى اغنياء مقربين اليه ازدادوا ثروة من ريع صناعة الاشغال الاجنبية والى
سماسرة العبيد والى الذين كانوا يجمعون دخل الولاية وكل من يقدم له خدمة ما ، او
يألى طمعه الذي لا حد له وهكذا زال المجد والامتياز عن الحرس الپريتوري اذ
كانت العضوية تُباع وتُشرى

ان الامبراطور طياريوس عين كورنيليوس كابيتو رئيساً للحرس الپريتوري مع
ان المذكور لم تهمه تلك الوظيفة ولكنه اطاع وقبلها واخذ ينظف الحرس من كل
من لم يكن اهلاً لها . ولما رأى طياريوس ذلك امره ان لا يتأدى كثيراً في
التطهير عند ذلك فهم كورنيليوس ان الامبراطور انما عينه في الوظيفة ليستعمل اسمه
كمظهر .

ولو ان اوغسطس قيصر اكتفى باسقاط الحرس الپريتوري ووقف عند ذلك
الحد لكان ذلك سهلاً ولكنه دمر نظام مجلس الاعيان الذي كان شريفاً ايضاً .
فكان القضاة المتغيبون عن اشغالهم لاسباب ضرورية يقتسمون عند رجوعهم فرصة
ليشغلوا المكاتب بما يريدون ويتمتعوا بالحمامات والمأكولات والملبوسات . ثم ان
اوغسطس وسع نظام المجلس وادخل فيه ابناء اعضاءه فاذا كان لدى الشيخ
دراهم كافية وله اهميته السياسية كان ابنه يلبس اللباس الرسمي وتؤدي له تحية
الشيخ نفسه

احب مرسيوس ان يعتقد ان له من المواهب ما يبرر قضيته لانه في دروسه
في « الاكاديمية » او مجمع العلماء كان ممتازاً في الاطلاع على تاريخ الحروب وعلم
الحركات الحربية وتفهمها وقد ربح جوائز كثيرة في رمي السهام الى ما هناك من
الدروس المفيدة لذلك كان يتربح الفرصة للحصول على وظيفة جديدة به بالنظر
لثقته بنفسه بحسن القيام بابة وظيفة كانت . ولم يكن مقتخراً بلقبه كقاضٍ لانه
لم يرد ان يدعوه عينه بهذا اللقب

وقال غاليو لابنه اني ارجو ان يعير كابيتو قضيتك الاهتمام اللازم فاذا كانت

الوظيفة شريفة فاني لا ابالي بما ينجم عنها من الاخطار والمصائب لانني مستعد ان ادفعك الى الاخطار وليس الى هوة العار . ولي ملء الثقة ان صديقي يبذل كل ما في وسعه لاجلك فاذهب بهذا الايمان

وتأكد مرسيوس ايضاً ان كابيتو الذي البسه الجبة البيضاء لأول مرة في حياته لا بد له من مساعدته في امره لا يحط من مقامه في مسألة انتقام الامير منه . ولقد كان مرتاحاً لهذا الامر فسار على جواده وديميتريوس يتبعه حتي وصلا الى الشارع الذي يؤدي الى حيث يقيم رئيس الحرس فرأياه مزدحماً جداً بالجند والضباط والحرس البريتوري . فترجلا عن جواديهما وبكل عناء استطاعا تفريق الجماهير للوصول الى مكانهما المقصود

ولما دخل الى مكتب كابيتو ولم يجده فيه بادره الكاتب وقال له قد اوصاني الرئيس ان اسلمك هذه الرسالة فتناولها مرسيوس منه وسار نحو ديميتريوس خادمه الذي لما رأى سيده مقبلاً قدّم له عنان جواده وركب هو فرسه وعادا كلاهما الى البيت دون ان يفرض مرسيوس ذلك الدرج الرسمي الكبير او يقرأ شيئاً مما انطوى عليه

* * * *

ولما وصل الى البيت رأى والده في مكتبه على احر من النار ينتظر عودته وقد بدت على وجهه علامات القلق والاضطراب . ثم التفت نحو ابنه بعد ان قرأ الرسالة وقال له ان وظيفتك توغز اليك ان تذهب الى منوع وتكون قائد الحامية فيها فساله مرسيوس ما هي منوع واين موقعها الجغرافي يا سيدي ؟

- ان منوع مدينة وسخة واقعة في شمالي فلسطين

- انا اعلم ان هنالك قوة عسكرية في قيصرية ويافا فقط وليس في منوع

- انها قرب البحر الميت الذي نستخرج منه الملح ومن واجبات حاميتنا ان

تؤمن الطريق للقوافل التي تذهب جلبه من هناك
 - ظننت ان الوظيفة اشدّ خطراً مما وصفتها ؟
 - انها خطيرة جداً لان البدو يفاجئون القافلة التي تحمل المؤونة والدراهم
 للعمال الذين يستخرجون الملح . وقد يتفق احياناً ان القافلة تهلك على بكرة ايها
 وحاميتنا تقف مكتوفة الايدي لانها مؤلفة من رجال غير مخلصين لا يهمهم امرها
 سواء هلكت ام بقيت في قيد الحياة
 - كنت ارجح ان الأمن مستتب في الاماكن التي يحكمها الجيش الروماني
 - معاذ الله بل بالعكس لسوء الحظ
 - اتعرف شيئاً اكثر عن منوع يا والدي ؟
 - نعم يا ابني اني اعرف الشيء الكثير عنها فقد كانت واجباتي مع اربعة من
 زملائي لعدة سنين خلت حراسة تلك القلعة . ثم انتصب واقفاً وتهدّد بقبضة يده
 قائلاً : الان علمت لماذا غايوس يريد ان يرسل ابني الى منوع لانه يعلم اني اقدر
 الاخطار التي سيواجهها هناك حق قدرها
 ثم رفع يديه وصرخ قائلاً ليتني دين لاسترحم من الالهة ان تهلك نفسه

* * * *

كورنيليا قبسانيا غاليو التي هي حفيدة لزوج الامبراطور طيباريوس المطلقة
 لو انما اجهدت نفسها قليلاً لكان لها مركز سام في الهيئة الاجتماعية . وكذلك لو
 اقنعت زوجها ليستميل اليه صاحب التاج لكان مرقس لوقا غاليو قد اصبح من
 الاخصاء المقربين للعرش وكان له ولعائلته ما شاء من الاشياء التي يرونها
 وكذلك لو ان كورنيليا تملت الامبراطورة جوليا لكانت عائلة غاليو قد
 ارتقت الى اعلى درجات السعادة ولكنه كان ينقصها الجهاد الضروري ومع انها
 كانت لطيفة مع ضيوفها ومحبة لزوجها واولادها فقد كانت مع هذا اكسل امرأة

في المملكة كلها . ولقد كانت أيضاً محبوبة من عبيدها وخدمها لانها لم تشأ ان تصدر اوامرها الا لما فيه راحتها او طمأنينة بالها فقط واذا كانت تفاجأ بنجر ما فانها كانت تلجأ الى البكاء .

وقد حدث يوماً ان جاءت يولا والدة ديانا تخبرها بصدد الخطاب الذي لقيها زوجها في مجلس الاعيان وانتقد فيه الحكومة وندد بسوء ادارة غايوس . فكان منها ان اتزعجت شديد الانزعاج الا انها كانت مع يولا تسعيان جهدهما لكي تمكنا رباط الصداقة بين لوسيا وديانا وتوثقا عرى المحبة بين مرسيليوس والاخيرة . اما وقد انتقد غاليو سياسة غايوس فان عولوس والد ديانا سيمنها من المحبي اليهم وقد كان احد احلام كورنيليا ان ترى ابنها الشجاع متمطياً جواداً ايضاً يقود جيشاً مظفراً في الاسواق ويباهي بالالوف المؤلفة المرحبة به والداعية له بدوام العز والسؤدد . وهي تعلم حق العلم ان الذي يحصل له مثل هذا العرض والشرف لا بد من ان يعرض نفسه للحروب والاعطال

* * * *

واتفق ذات يوم انه بينما كانت كورنيليا في غرفتها المملأى بالوايش الثمين الفاخر اذ دخل زوجها وجلس في احد الكراسي وهو عابس الوجه مقطب الجبين فقالت له ما بالك فان هيتك تدل على التعب

اجابها ان مرسيوس مدعوا الى الخدمة

- هذا الذي كنا ننتظره فاني اسر بمثل هذا الخبر . وهل المكان بعيد ؟
- نعم انه بعيد ووظيفته توجب عليه ان يرأس الحامية الرومانية في منوع فليس اذاً من سرور ولا افتخار لاننا في اغلب الاحيان نرسل الى هنالك الاشخاص الذين نريد ان نتخلص منهم . وقد تلقى مرسيوس الامر هذه المرة مباشرة من غايوس وليس من لجنة الشيوخ في منوع التي كانت تستشار اولاً في الامر

ولما سمعت كورنيليا منه هذا الشرح اخذت تشفق وتبكي كالطفل مع انها كانت قد تجاوزت سن الاربعين وطفقت تلوم زوجها على انتقاداته اعتقاداً منها بانه هو السبب في ابعاد ابنها لتقليده هذه الوظيفة . على ان زوجها لم يرد ان يُفضي اليها بالحقيقة لكي لا يزيد تعس ابنه في توبيخ امه له . ثم مسحت دموعها وصاحت قائلة :

اين هو الان اريد ان اراه حالاً
- انه الان يُعدّ حاجاته اللازمة لانه مسافر هو وديتريوس في هذه الليلة حسب الامر المعطى له

- ولكن لماذا يسافر في احد الزوارق ولا يشتري مركباً لسفره يكون لائقاً بقدره ومقامه . ثم عادت كورنيليا الى البكاء . فقال لها زوجها خلي عنك الان وامسحي دموعك لانه سيعود عن قريب وقد ارسلني لاهينك لمقابلته . ولكن اياك ان تظهرى امامه الضعف فانك تريدن في تعسه . اما اذا راك تودعينه بشجاعة فانه يقتخر بك ولا يياس . فقالت كورنيليا سأحاول جهدي والتصقت بزوجها لتعزية نفسها

* * * *

جاء مرسيلوس لوداع والدته وقد لبث بازائها نصف ساعة . ومع انها بكت عند وداعه إلا انها اظهرت شجاعة غير منتظرة . وقبل ان يذهب لودع اخته التي كان والدها قد انبأها بسفره ، مرّ بغرفته فلم ير ديتريوس هناك فسأل عنه فقبل له انهم رأوه ممتطياً جواده وهو ينهب به الارض . فلم يقل مرسيلوس شيئاً بل ذهب الى حيث كانت اخته تراقب المراكب والسفن في نهر التيبر فلقت نظرها سفينة سوداء ضخمة فاقترب اخوها منها وطوّقها بذراعيه وهي بدورها طوّقت عنقه ثم سأله دون ان تنظر الى وجهه أي كمن ان تكون هذه السفينة سفينتك ؟
- نعم انها بعينها

- انني مسرورة لاخذك ديتريوس معك

- هو الذي اراد ان يذهب معي

- هل كل شيء جاز . لقد سألته هذا السؤال وهي تحاول ان تخفي تأثرها .

انك لست تعلم متى تعود

- لا ليس لي هذا العلم الآن

تهدت لوسيا فجأة ثم طوقت عنق اخيها ثانية وهبت تبكي وتنتحب

فهمس في اذنها قائلاً لا تبكي يا أختاه علينا ان نتصرف كرومانيين

فرفعت لوسيا رأسها ونظرت اليه بعينين متوهجتين من الغضب واجابت مستهزئة بقوله كرومانيين ! أية فائدة يستفيدها الروماني اذا كان شجاعاً مدعياً ان كل ما يقوم به حسن وشريف وانه يضحى بكل شيء ويتألم ويموت لاجل رومية . انني ابغض رومية ! انظر ماذا فعلت رومية بنا وبك ؟ لماذا لا تقدر ان تعيش بسلام ؟ ان المملكة الرومانية تعج بالعبيد . واست اعني العبيد الذين مثل ديتريوس وتروثيا بل مثلك ومثلي . لقد امضينا معظم حياتنا ونحن نحني رؤوسنا ونجامل ونداهن وجيوشنا تقتل وتغزو . ولم هذا كله ؟ لتصبح رومية رئيسة العالم يحكمها رجل تحتل كطيباريوس وسكيور كغايوس . انني اكره رومية وامقتها

رأى مرسيلوس ان لا يقاطع شقيقته في ابأان غضبها . ولما هدأت قليلاً قال لها اتشعرين احسن الآن . فكان منها ان القت رأسها على كتفه وهي لا تزال متأثرة . وهو اذ كان يتطلع الى هنا وهناك رأى ديتريوس واقفاً بعيداً عنهما قليلاً فقال لها ساتر كك الآن لارى ماذا يريد ديتريوس الذي اقترب منه وقال يا سيدي ان ابنة السفير عولوس هنا . فقالت لوسيا لاني انا ذاهبة الى الحديقة لانني لا استطيع ان اقبلها في هذه الحالة . ثم التقت الى ديتريوس وقالت له ادع ديانا الى هنا . وقبل ان يتوجه ليدعوها سأله مرسيلوس اتظن ان ديانا عالمة بسفرنا ؟

- نعم يا سيدي

- كيف عرفت ذلك

- لانني رأيت الدموع في عينيها

وبعد ان ذهب ديتريوس اخذ يراقب حركات اخته وقامت بها المنحنية فاخذته الشفقة عليها . ثم تقدّم من ديانا فدهش لما رأى من غو عضلاتها وبراعة جمالها وخفق قلبه لها . فحسّه بكتلتا يديها ثم نظرت اليه وهي تحاول رد الدموع عن مقلتيها وهو بدوره اخذ يتمعن في اسارير وجهها الجميلة ثم قال لها يسرني انك جئت لتودعيني يا ديانا

- احقاً انك مسافر هذه الليلة ؟

- كيف عرفت ذلك

- عرفت منذ ثلاث ساعات فقط وقد فهمت ان وقتك لا يسمح لك بالمجيء

لتودعني

- انك اوليتني منة عظيمة بمجيئك يا ديانا . واذا قال هذا ضحّا اليه

- هل يمكنك ان تكتب لي الليلة من على ظهر الباخرة ؟

- اكون مسروراً للغاية وارجو ان تكتبي لي انت ايضاً . اتعديني بذلك ؟

- نعم اعدك . وبعد ان قالت هذا ودعته وانصرفت الى الحديقة حيث كانت

لوسيا بانتظارها فسارتا معاً ومرسيلوس يراقبهما . ثم رأى ديتريوس مقبلاً وعلامات الانشراح والارتياح بادية على وجهه ففهم انه هو الذي اخبر ديانا بسفره

فسأله ديتريوس ، هل يريد سيدي ان يتناول غداءه في البيت

- لا يا ديتريوس لانني ودعت بيت والدي مرة . ولا اريد ان ازيد في عذابيما

وعذابي في توديعهما ثانية . ساتناول غدائي في الباخرة

ثم اخذ مرسيلوس يناجي نفسه قائلاً : لو كنت أمهلتُ نهاراً آخر لكنت

قمت باعمال كثيرة ضرورية وأمهما ان اكتب الى طولوس

* * * *

ولما التقت ديانا بلوسيا تحت مظلة الحديقة بكتما معاً بكاءً شديداً . ثم اخذتا
تتحدثان بشأن مرسيليوس اذا كان بإمكانه ان يعود على جناح السلامة . فقالت
ديانا كم يكون سرورنا عظيماً لو استطاع احد ان يضغط على افكار غايوس ليعدل
عن الانتقام منه . نعم ربما كان والذي يستطيع ان يؤثر عليه لو لم يكن في الآونة
الحاضرة متغيباً في مرسيليا

ثم سألت لوسيا ديانا : هل ودّعت مرسيليوس ؟ فحنت ديانا رأسها وضغطت
على يد لوسيا واحمرت وجنتاها ولم تجب
ثم سألت لوسيا ايضاً كيف استطاع ديتريوس يا ترى ان يصل الى هنا بمثل
هذه السرعة الشديدة

اجابت ديانا انه ذهب ليخبرني بسفر سيده وانه يرغب في ان يراني . وكان هنا
منذ قليل هل اتى ليودّعك كانه مساوٍ لك في المقام

- من الغريب ان ديتريوس لم يكن يكلمني قط في حياته الا عند قيامه بوظيفة
تتعلق بي . لقد جاء اليّ وقال انني ذاهب اليوم مع شقيقك وربما لا ينسني لي
الرجوع البتة لذلك اتيت لاودع شقيقة سيدي واشكر لها حنوها نحو خادم اخيها
ولن انسى ابداً لطفها . ثم اخرج خائفاً من جيبه وقال اودّ ان اترك هذا الخاتم معك
فاذا عدت الى هنا سالماً فعندئذ يمكنك ان ترديه لي وان لم اعد فسيكون لك . ان
والدي اهداه لوالدتي وهذا هو الشيء الوحيد الذي تمكنت من جلبه

- ماذا قلت له ؟

- ماذا تريد ان اقول له وهو ذاهب واخي مخاطراً بحياته . ومع هذا كله
فانه بشر مثلنا أليس كذلك ؟

- نعم هو بشر . ولكن اعلميني ما قلت له ؟

لقد شكرته واعلمته انني اقدر ثقته وكذلك وعدته بانني اهتم بوديعة التي
استودعني اياها وتمنيت له العودة سالماً معافاً

- هذا حسن وبعد ذلك ؟

- وبعد ذلك مددت اليه يدي

- مددت يدك لبعدي جاء ليودعك ؟

قالت لوسيا لقد جرى اعظم من هذا فانه وضع الخاتم بخصري ثم قبل يدي

- وهل تقررين ابقاء الخاتم في خنصرك ؟

- لا لماذا البسه ربنا افقده .

- هل خطر على بالك ان ديتريوس خطر له ايضاً ان يجبك سرّاً ؟

اجابتها : لم لاحظ هذا الامر . نعم يا ديانا ان ديتريوس خادم وذلك من سوء حظه فانه وُلد في بيت راقٍ وتربى تربية عالية والذين كبلوه بالسلاسل هم اناس انذال لا يستحقون ان يربطوا سيور خدائهم . ولم ذلك ؟ لانهم رومانيون . انت يا ديانا تسمعين بالقتل وسفك الدماء ولكنك لا تعلمين ان كل ما هو عظيم ويستحق الذكر في المملكة الرومانية قد نهب من مملكة اليونان . اصدقيني الخبر لماذا نحن نتكلم باللسان اليوناني ونفضله على اللاتيني . اليس لان اليونان تفوقوا علينا بجميع العلوم والفنون وادارة الحكومات وهلم جراً

فاسرّت ديانا الى لوسيا بما يأتي : انك تجازفين في كلامك هذا حتى ولو اسررتني اليّ انا . ألا تكني المصائب والاعتاب التي اصابنا عائلتكم . تريدان ان تُنفى لئلا نسي جميعنا في السجن ؟

* * * *

وقف مرسيلوس وحده على « درايزون » ظهر المركب ولم يلاحظ انهما تولا في النهر لانهما كاه وقتل في تدبير شؤونهما الخاصة . وكانت اصوات سكان المدينة قد خفتت واختفى كل شيء . من نظره ما عدا لهيب شعلتين صغيرتين بدا له على عامودي رخام منزله وتيقن له ان والده واقف على الشرفة

ولما اختفى النور بعد قليل شعر بان كل شيء أصبح جديداً عنده سواء كان من جهة الحياة ام الحب ام المنزل كأني به في غيبوبة ومالبت ان ثاب اليه وعيه قوياً لو انه يعود ليرى عائلته مرة أخرى وديانا ايضاً على انه سرّاً ان يرى عبده المخلص على بضعة عشر خطوات منه فأومأ اليه بالاقتراب واصكبي يشغله بالحديث سأله : هل تؤمن يا ديمتريوس بالالهة ؟ قال هذا وأشار الى الفلك

- اذا كان سيدي يؤمن فانا كذلك

- دعنا من هذا . اصدقني الحقيقة ما هو اعتقادك بها . هل تصلي وتستمد منها المعونة والنجاح ؟

- لما كنت انا واخوتي صغيري السن علمتنا والدتنا واوصتنا ان نستغيث بالالهة لما لها من قوة الدين واليقين . وكان في حديثتنا نعال للالهة . پريوس فكانت والدي تحمل بيدها الواحدة نباتاً وبالاخرى معولاً وتسجد عند قاعدة التمثال بحيث كانت تؤمن بانه اله الزرع . ولا تنقطع عن الصلاة ايضاً للالهة (اثن) حينما كنت واخوتي نسير وراء المعلمة الى غرفة الدراسة اما والدي فلم يمسك يدي والدي كان يقدم هدايا للالهة في ايام الاعياد

- حسن كلامك بشأن والدتك . على اني اسألك ثانية هل تؤمن بالالهة ايماناً حقيقياً ؟

- كلا يا سيدي

- أتعني بلفظة كلا انها لا تستطيع ان تخدم الناس . او هل تشك بوجودها ؟ اظن ان الاقرب الى العقل يا سيدي ان تؤمن بعدم وجودها لانني لما صليت وسجدت في آخر مرة كان والدي يساق الى الاعدام مكبلاً بالقيود الثقيلة . ولم تتأخر انا والدي عن الصلاة للالهة زيوس اله الالهة والناس لكي يحفظ حياته . فاما انه لم يسمع دعائنا او انه سمع وليس له من قدرة واستطاعة على مساعدتنا او انه كان في مقدرته مساعدتنا فرفض ذلك ولم يفعل . وفي اليوم عينه لم يبق لوالدي

قوة على احتمال الحزن فكان من شدة يأسها ان انتحرت وقد بقيت من ذلك الحين بعيداً عن الادعية والتضرعات الى الالهة بل انني ما ازال الى الان اقدفها بالسباب واللعنات .

ثم وجه اليه سؤالاً آخر وهو متفرس في الفضاء . هل تعتقد انه توجد قوة فوق الطبيعة تسيطر على هذا الكون ؟

- ليس عندي فكر صريح بهذا الشأن الخطير يا سيدي غير ان الانسان اذا نظر في نظام هذا الكون العجيب وتأمل ما فيه من اسرار تحير الافكار فلا بد من ان يشعر بوجود خالق عظيم له . وما كنت لاعتقد قط ان الناس يستمدون المعونة من تماثيل اشخاص فوق الطبيعة فيجدر بنا والحالة هذه ان نؤمن بان هؤلاء الناس ابتدعوا من عند انفسهم افعالهم البرية بدون مساعدة الالهة - انني اوافقك يا ديمتريوس فلو ان هناك قوة فائقة يستطيع الانسان ان يلتجئ اليها عند الحاجة لكان سعيداً جداً

- نعم يا سيدي ان النجوم تتبع نظاماً محدوداً متقناً وهي امينة وثابتة . انني اؤمن بنهر التيبر وبالجيال والغنم والمواشي والخيول فاذا كان هناك من اله يديرها فهو امين وثابت ولكن اذا كان ذلك الاله على جبال اولمپوس يدير اعمال البشرية فانه بلا ريب اثم ومعتوه

قال مرسيلوس ربما يخيل لك ان البشرية باجمعها معتوهة

- لست ادري يا مولاي

عاد ديمتريوس الى حيث كان اولاً واما مرسيلوس فاخذ يقول بنفسه ان عبده محق بفكره لان ما الذي اوصل الامبراطورية الرومانية الى هذه الحالة المؤلمة ليس اختلالها ؟ وهذا ما يؤلم العالم كله ، فاذا وجدت قدرة فائقة تحكم هذا الكون فهي مختلفة ايضاً . ان النجوم امينة وثابتة ؟ اما البشرية فانها مختلفة

الفصل الثالث

بعد ان قطعت السفينة الصغيرة جزر اللابارى في اردن طقس في السنة وجئت الى بوغاز مسينا الخطر قابلت بحراً هادئاً ونسيماً عليلاً منعشاً هداً اصاب ربانها مانيوس فلذ له الحديث . وبعد ان تكلم وقتاً طويلاً عن سفرائه العديدة سأله مرسيلوس الافادة عما يعرف عن منوع

اجابه الربان قائلاً : انه لا يوجد مكان يسمى بهذا الاسم ولما نظر اليه مرسيلوس بدهشة اعطاه الربان درساً في التاريخ كان يعرفه قبلاً واستطرد قائلاً : منذ خمسين سنة حاصرت جيوش اوغسطس مدينة غزة القديمة واخضعها بعد حصار طويل شاق كلهم اكثر مما يستحق الاستيلاء عليها . ولو انهم دفعوا الضريبة الباهظة التي فرضت عليهم للوصول الى الملح لكانت اقل بكثير ثم تابع مرسيلوس سؤاله قائلاً ما الذي تعلمه عن البدو ؟

- كان باستطاعة الامبراطور ان يشتري البدو باقل كثيراً مما كلفته نفقت الحرب لان خسارتنا بغزو غزة كانت ثلاثة وعشرين الف رجل وكانت حاميتها خائطاً من المصريين والسوريين واليهود الذين لم يوعبهم رؤية الدم ولم يخذلوا اسرى لانهم لم يكونوا بحاجة الى من يخدمهم بل كانوا مشتهرين بانواع التعذيب . وحسبما تبين للامبراطور ان موقفهم المستمر في احتقار المملكة يتطلب تطهير غزة القديمة لذلك صرح قائلاً : من هذا اليوم فصاعداً اصبحت غزة مدينة رومانية واصبح اسمها (منوع) وكان يوجد ان السكان يسرون جداً بالفوائد التي يحصلون عليها من دولة متمدنة ولا يذكرون فيما بعد انها كانت قبلاً مدينة مهملة . وبما انها كانت تدعى غزة منذ قرون عديدة فان اوغسطس سيحتاج الى مرسوم ليعير اسمها وعاداتها

واضاف مانيوس قائلاً : انت تعلم ياسيدي ان شاطئ بحر الميت الجامد الابيض هو قبضة ملح بالقياس الى بقعة مياه في غابة يجتمع اليها حيوانات شتى ويتقاتلون لاجلها . فكان احياناً يظهر حيوان اقوى من غيره فيطرد سائر الحيوانات ويستولي وحده عليها ومراراً كثيرة كانت الحيوانات الصغيرة تتغلب على الحيوان الكبير وتطرده . هذه هي حالة مدينة غزة

قال مرسيلوس ولكن قبضة الملح ليست في غزة بل في البحر الميت اجابه الربان نعم ان الحق بجانبك . ولكنك لا تستطيع الوصول الى البحر الميت ما لم تسمح لك غزة به . ومن مدة طويلة طرد يهوذا بقية الحيوانات بعد ان اتى العرب في قلب الضبع الفلسطيني . ثم طردت مصر الفيلة الكبيرة الاسد واخيراً تمّ للاسكندر النمر التغلب على الفيلة . وبعد معارك كهذه كان الصغار يرتدون الى الورا . وياخذ الواحد منهم بيد الآخر اما الكبار فانهم كانوا يلحسون جروحاتهم

فسأله مرسيلوس مع علمه بالجواب عن سؤاله : ترى أي حيوان جاء بعد النمر ؟ - جاء النمر الروماني بل اسراب من النسر الرومانية وافت لتجميع العظام ولكن الذين سبقوا لم يكونوا على استعداد ليجعلوا الرومانيين يجمعون عظامهم . ولهذا السبب خسرنا عدداً وافراً من الرجال لنحصل على قبضة ملح من البحر الميت قال مرسيلوس يا لها من رواية لذيدة

- نعم انها لرواية لذيدة ولكن الامر المهم هو النتيجة التي احدثتها هذه الحروب الطويلة على غزة . لانه بعد كل غزوة كان يبقى فيها بقية من الجنود القرباء ومن الرجال المشرّعين الذين لم يستطيعوا العودة الى بلادهم . لذلك كانت الحرب سجالاً بين رودس والاسكندرية حيث كان السكان مزيجاً من كل امة ولسان

فلو ان القيصر اخذ كل من لديه من جنود وحدث مجزرة بشرية لم يسمع

بمثلها انسان فلا يستطيع البتة ان يحرز النصر النهائي . لان الشرقي لا يُغلب
ولما كان مرسيلوس يحاول ان يستنهم اكثر من ذلك عن وظيفته وجه اليه
السؤال التالي ايضاً . ألا تستطيع حاميتنا في غرة ان تحافظ على النظام ؟

- كلاً . اذ ليس من اختصاصها الاهتمام بشؤون المدينة فان مركزها في
خارجها بناحية الشرق حيث الارض صخرية قاحلة لا ينبت فيها شيء من النباتات
التي تصلح للاكل . وهناك يوجد خمسمئة من الضباط والجنود لكي يحعلوا البدو
على حذر منهم فقد اتفق في احيان كثيرة ان القافلة التي تتوجه جلب الملح تفنى على
بكرة ايها

- ألا تنتقم الحامية من اوائك القتل ؟

- ان الحامية لا يهمها من الامر شيء . لان رجالها غير مدربين ورئيسهم ضعيف
خامل . وغالباً يشيرون بعضهم على بعض فيقتل منهم من يقتل . فماذا ينتظر من
حامية تُهرق دماؤها في ساحة ارضها ولا يهم رئيسها شيء ما

على ان مرسيلوس افضى في تلك الليلة نفسها الى ديمتريوس بالخبر نفسه الذي
سمعه من الربان فاصغى اليه الاخير بدون ان ينبس ببنت شفة ولما اتم حديثه قال له
يجب على سيدي ان يتولى بنفسه قيادة القلعة حالاً . ربما هؤلاء الجنود الكسالى
يؤذون الطاعة لقائد محبوب وشجاع كسيدي فان كل انسان تقريباً يعتبر العدل
والشجاعة وانت يا سيدي عادل وجريء .

قال مرسيلوس هي الجرأة نفسها التي اوصلت سيدك الى هذه الحالة . ثم قال
مخاطباً نفسه ، الحق بجانب ديمتريوس يجب ان اتولى انا قيادة القلعة عند اول دقيقة
من وصولي

وفي اليوم الثامن من شهر اذار رست السفينة في ميناء مدينة غزة فودّع الربان مرسيلوس الذي وقف يراقب حركات الناس . اما ديتريوس فانه نزل الى البر واحضر معه خمسة رجال وطنيين واوعز اليهم ان يحملوا الامتعة ويتزولوا بها الى البر وان يأتوا بحمير لنقلها الى القلعة فاستغرق عملهم هذا ساعة من الزمن ومرسيلوس منتظر

ثم احضروا له جملاً عليه مظلة لركوبه وبما ان الحامية لم تقف على نبال خطرها بجيشه لذلك لم يحضر احد لاستقباله . فسار الموكب وفي مقدمته مرسيلوس الى ان وصل الى القلعة وهناك فتح له الحارس الخاص بابها الكبير دون ان يعترض او ينازع . ولما تقدموا الى عرصة الدار اقبل خفير آخر وانتظر . اما ديتريوس الذي كان في مؤخرة الموكب فتزل عن حماله وتقدم ووقف خلف سيده . ولما رأى الخفير الوسام الذهبي المزين صدر القاضي حيّاه بسيفه

قال مرسيلوس بصوت عالٍ . انا القاضي مرسيلوس غاليو وقد أمرت بالحضور الى هنا لاتولى قيادة حامية القلعة فها هو بي الى الضابط الذي بيده زمام القيادة لجا به الخفير ان الضابط بولس ليس هنا

— اين هو ؟

— في المدينة

— من يقوم مقامه في غيابه ؟

— الضابط سكستوس ياسيدي ولكنه نائم الان وقد اصدر امره بعدم ايقاظه

وتعاجله

فتقدم منه مرسيلوس وتفرّس في وجهه وقال له انني لم اعتد انتظار احد حتى يستيق من نومه فاذهب حالاً وايقظه ولكن اغسل وجهك جيداً ولا تدعني اراه مرة ثانية على هذه الصورة اهذه قلعة رومانية . ام زريبة خنازير ؟

ولكن الخفير ذهب ولم يعد ولما نفذ صبر مرسيلوس من كثرة الانتظار صعد الدرج الى ان وصل الى الدار الداخلية المظلمة فانتصب امامه خفير آخر

فصاح به مرسيلوس سرّني حالاً الى الضابط سكستوس
باذن من ؟

- باذن القاضي مرسيلوس غاليو الذي جاء ليستلم قيادة الحامية وفي الدقيقة
نفسها فُتِح الباب وظهر منه رجل بلباس رسمي قذر وقد حيكت على كم يده
اليمنى صورة نسر اسود
فسأله مرسيلوس أأنت هو سكستوس ؟

اجابه نعم يا سيدي
فقال مرسيلوس قد امرني الامير غايوس قيادة الحامية هنا . مرّ رجالك ان
ياتوا بامتعتي

- ارني الامر الذي تحمله اذا شئت
- اقترح ان نأخذه الى السفارة وهناك يصير الفحص . كم لقائد المئة بولس
من المدة هنا ؟

اجابه : منذ كانون الاول فقد تولّى الادارة عقيب وفاة فيتلوس
- ما سبب وفاته ؟
- قضى اثر نوبة حمّى فاجأته
- لقد اخذني العجب من انكم لا تزالون احياء وانتم بهذه القذارة
- اننا هنا لا يهمننا امر النظافة كثيراً ثم قال سأريك الغرفة التي تشغلها الى ان
يجي بولس

اما الغرفة فكانت خاوية من الاثاث الا من خوان وكريسين وسريز وكانت
تشابه غرف السجون

- مرّ رجالك ان يحضروا سريراً آخر الى ديمتريوس
اجاب سكستوس : ولكن الخادم لا ينام بقرب سيده
- اما خادمي فانه ينام بالقرب من سريري

- هذا ضد الاوامر يا سيدي
قال مرسيوس ليس احد يصدر الاوامر الا انا

* * * *

كانت تلك العشية بمثابة تذكار دائم في تلك القلعة لان هذه السالفة اُعيدت
مراراً عديدة حتى اصبحت حديث خرافة

دخل مرسيوس الى غرفة المائدة مصحوباً بالضابط الذي قاده اليها فوجد صفوف
الضباط جالسين غير انهم لم يلقوا له عند دخوله بل تفرسوا فيه عندما تقدم الى
منتصف الغرفة وجلس بقرب المائدة . فنظر نظرة عمومية الى بقية الموائد فوجد
نفسه الاصغر بين الحاضرين . اما ديمتريوس فانه سار مسرعاً الى المطبخ ليأمر
خدمة سيده وبعد ثوانٍ قليلة وصل القائد بولس يصحبه سكستوس الذي اتخذه
قليلاً في الخارج ليخبره بالحوادث التي جرت في غيابه . ثم دخلا العرفة واتجها نحو
المائدة التي كان يشغلها مرسيوس فاجرى سكستوس التعارف بينهما . وكان بولس
متأثراً من الشراب الذي كان يتناوله وعلامات الضعف بادية على وجهه الضعيف
الشديد الاحمرار وكانت يده قد ذرتين ترتجفان وبالرغم من هيئته الخارجية فقد
كانت تبدو عليه امارات النبالة . وبعد ان تناولا الغداء اخذ بولس يفحص
مرسيوس فحماً مدققاً ثم قال بلهجة الهازي . غاليو . غاليو هذا اسم مهم . هل
من قرابة بينك وبين الشيخ غاليو

- نعم انه والدي

- اذا انت قاض . واذا قال هذا نظر الى بقية الضباط فرأهم واجمين كأن على
رؤوسهم الطير . ثم تابع كلامه قائلاً : كان الاجدر بالامير غايوس ان يختار
منصباً سامياً يليق بابن الشيخ غاليو . ثم تكلم بصوت مرتفع وربت على كتف
سكستوس وقال له الان عرفت لماذا بعثك غايوس الى هنا . ثم التفت الى

مرسيلوس وقال له بهزء . اني اراهن بان هذه اول وظيفة أنتدبت اليها
فوقف مرسيلوس وهو يعلم ان كل العيون شاخصة اليه وتكلم برزانة قائلاً :
سأعطي اوامري الان لاول مرة . ايها القائد بولس قف واعتذر عن سوء تصرفك
كضابط

اجابه بولس قد اصدرت امراً في غير محله . ولكنه لما رأى مرسيلوس يخرج
سيفه من غمده اخرج هو سيفه ايضاً وقال له الاجدر بك ان ترد سيفك الى غمده
ايها الغلام

اما مرسيلوس فانه أمر حالاً بان تُهيأ الغرفة للبراز فتبارز الاثنان وكان صف
الضباط شهوداً لذلك البراز غير المنتظر . ففي اول الامر ظهرت الغلبة لبولس لان
مرسيلوس اخذ يرجع القهقري حتى صار بلبق الحائط وبالرغم من الجهد الذي بذله
بولس في المباراة ظهر عليه الاعياء . فتنشط عندئذ مرسيلوس وضرب بسيفه سيف
بولس فالتقاء الى الارض . وبعد ان استظهر عليه قال له بلمجة قاسية اعتذر الان
عن سوء تصرفك كضابط

فانتصب بولس واقفاً ونظر الى مرسيلوس نظرة استهزاء . فا كان من مرسيلوس
الا انه سلّ خنجره من منطقتة وناداه قائلاً : ايها القائد بولس دافع عن نفسك
بخنجرك واذا لم تطع اوامري فاني قاتلك لا محالة

لم يكن الاعتذار امراً سهلاً على بولس غير انه اعتذر بعبارة . موجزة . ثم
قال له مرسيلوس اظن ان الوقت قد حان لكي تعرفني الى الضباط رفقاتك

فقال بولس ملتفتاً الى الضباط . ان القاضي مرسيلوس غاليو قد اصبحت منذ
اليوم سفيراً لهذه الكتبية وقائداً للحامية . فرفع الضباط سيوفهم حالاً وحيوه تحية
الشرف والاحترام . فقال مرسيلوس في الساعة الخامسة صباحاً تتناولون طعام
القطور وبعد ذلك يجري عرض تفتيش في المكان المخصص لذلك برئاسة الضابط
بولس

ثم التفت الى سكستوس وقال له احضر لي سيفي ولما مضى متثاقلاً ليحضره
امره باحضار سيف الضابط . فتسلم مرسيلوس كلا السيفين ثم سلم يولس سيفه
وانتظر الى ان حياه سكستوس بدون تأخير وكذلك فعل يولس ايضاً

ثم امر مرسيلوس سكستوس ان يشرف على تهيئة الغرف التي كان يشغلها
الضابط يولس . وعند مروره بالغرفة التي شغلها حين وصوله رأى عدداً لا يُستهان به
من الخدم يهيئون له غرفة برعاية سكستوس . وبعد وصوله جلس وراء مكتبه
وسأل ديتريوس عما لديه من امر جديد فرفع هذا سيفه الى جبهته وحيا سيده قائلاً:
لي الشرف يا مولاي ان اكون عبداً لقائد حامية ممنوع.

اجابه مرسيلوس اشكرك يا ديتريوس ولكننا لسنا على تمام الثقة بحسن النتيجة
اما يولس فانه بلا شك خسر خسارة جسيمة بزوال سلطته ونفوذه ومع هذا
فانه كان يصعد باوامر مرسيلوس ولكن لم يكن احد ليعلم ما في ضميره من حب
الانتقام لذلك كان ديتريوس ينام عند باب سيده وخنجره في يده

وبعد اسبوع تعودت رجال الحامية الاصغاء الى اوامر مرسيلوس الجازمة والعمل
بها فرأى ان لا يعاملهم بالمحابة حرصاً على مركزه الرسمي ولا ان يجازف بحديثه مع
الضباط رفقاؤه فكان عادلاً رصيناً وحازماً معاً وقد شعرت المؤسسة هناك بنظام
ضيق ولكنها لم تتذمر . فتغيرت حركات الرجال واصبحوا خورين بحفظ معداتهم
بانتظام وتحسنت ظواهر الضباط تحسناً محسوساً

كان يولس الذي كان الثاني في القيادة يجيئ الفينة بعد الفينة ليتلقى التعليمات
من مرسيلوس بدون ان يلتفت الى الحالة الماضية فكان حديثهما موجزاً وجافاً معاً .
واراد مرسيلوس ان تتغير الحالة بينه وبين يولس لانه شعر ورأى من الصواب
مصادقته بحيث يكون له رفيقاً ممتازاً . فودَّ ان يحدث ما يقربهما الواحد من
الاخر ويصلحهما اما سكستوس فانه كان يتلقى الاوامر من يولس لذلك لم يهجم
امره كثيراً

على انه حدث بعد عشرة ايام من تلك المبارزة ان مرسيلوس لاحظ ان مكان سكستوس على المائدة كان فارغاً فسأل بولس عنه فاجابه انه قد كسر خذته - متى وكيف ؟

- في هذا النهار يا سيدي وذلك بسقوط باب المؤونة عليه فلما سمع مرسيلوس هذا الكلام نهض حالاً وترك المائدة وتبعه بولس الى غرفة سكستوس فشاهده مستلقياً على فراشه والعرق البارد يتصبب من وجهه . فلما وقع نظره عليهما حيّاًهما . فسأله مرسيلوس امتألم كثيراً ؟ اجابه لا يا سيدي . قال انها كذبة رومانية لا تقرّ انك متألم ولو قطعت ارباً ارباً . واظن انك غير مرتاح بالضطجاعك في هذا السرير . سادّبر لك غيره . وسأعودك بذاتي فكن بطمانينة وفي اليوم الثاني انتشر الخبر بين الحيام ان القائد الجديد الذي كان يعرضهم امامه بيهنته الرسمية قد ذهب بنفسه الى المطبخ وهياً طعاماً خفيفاً للشيخ سكستوس ونقله الى غرفة حسنة واشرف على تدبير سريره . وفي الليلة نفسها اصبح مرسيلوس وحده قائد الحامية ولم يبق ديمتريوس مضطراً ان ينام على باب سيده ويقوم بحراسته

* * * *

وفي صباح اليوم الثاني دخل بولس الى غرفة القائد بدون كلفة فاوغز اليه مرسيلوس ان ياخذ كرسيّاً ويجلس عليه ثم قال : ان الطقس حار . اجابه بولس نعم انه حار ولكنه يلائم حالة السكان سواء كان حاراً ام بارداً . ثم اخبره قائلاً ان لليهود يا سيدي عيداً سنوياً مهماً يارسون طقوسهم فيه اسبوعاً كاملاً وذلك في شهر نيسان حينما يكون القمر بدرّاً . اظن انك سمعت به ؟

- كلا لم اسمع شيئاً من ذلك هل لنا علاقة به

- هو اسبوع فصحههم السنوي يحتفلون به تذكاراً لهرهم من مصر

- وماذا كانوا يعملون في مصر ؟

- لا شيء. انما ذلك حدث منذ خمسة عشر قرناً

سأل مرسيلوس قائلاً : ألا يزالون يتذكرونه ؟

- ان اليهود لا ينسون شيئاً يا سيدي . فتدري كل واحد منهم يودّ من صميم قلبه ان يزور اورشليم اللهم اذا كان قادراً « ليأكل الفصح » حسبما يقولون غير ان اكثرهم يذهب للترهة والمتاجرة وما شاكل ذلك فتأتي قوافل عديدة من اماكن بعيدة ليعرضوا بضائعهم حتى تضيق بهم المدينة على رحبها وبالحقيقة انه لعرض عظيم ياخذ بالالباب ويشدد الغزائم ويحقق آمال الزوّار التجار بالارباح والغنائم
- يظهر انك ذهبت الى هناك ؟

- اجل بدون شك لانني لا ازال منذ احدى عشرة سنة اي من حين مجيئي الى هذه القلعة اتوجّه كل سنة الى هناك . لان الوالي الذي في اورشليم والذي مركزه يفوق كل المراكز الفلسطينية ينتظر دائماً ان تأتيه قوآت كافية من كفرناحوم وقيصرية ويافا ومنوع ليحافظوا على النظام في اثناء العيد
- الظاهر انه يحدث في ذلك الوقت معارك هائلة يُخشي من امتدادها

- لا لا شيء من ذلك تماماً غير ان اليهود حينما يجتمعون هناك يأخذون بالنذب والبكاء على فقدان ملكهم وهذا يؤدي الى شيء خاص بل الى بعض منازعات في الاسواق . والوالي يؤكد ان وجود قوة من الجيش الروماني بلباسهم الرسمي يمنع الشعب من الشغب والقتل

- كم يجب اذا ان نبعث من الرجال للمحافظة على الامن ومتى يكون سفرهم؟
اجابه بولس يجب ان نبعث كتيبة من مئة جندي وعلينا ان نسير بعد الغد لان اورشليم على مسيرة ثلاثة ايام من هنا

- تدبّر الامر انت يا بولس وترأس القوة الا اذا كنت تفضل البقاء

- انني افضل الذهاب لانه الشيء السنوي الوحيد المبهج الذي تتجدد فيه الحياة ولا تكون على وتيرة واحدة فاشير عليك ان تذهب

- اذا كان الامر كما ذكرت فاني سأذهب على مسؤوليتك . ماذا يجب ان
نجهز ونعد لهذه الرحلة

- نأخذ من الثياب بزاً ثناً الرسمية ونزود من الاطعمة مؤونة الطريق ونحمل
ما يلزم لاجل نصب خيامنا وستكون انت فخراً بقيادتك هذه الكتيبة . وحين
نصل الى اورشليم يهيشون لنا ثكنات وطعاماً جيداً يقدمه اغنياء المدينة

- ألا يستأوون من حكم الرومان في اورشليم ؟

- ان هؤلاء الاغنياء لا يستأوون من حكم الرومان لانهم هم انفسهم يجيئون
الجزية الى طياريوس ويبقون ربعها لهم . لكننا الفقراء يشعرون بثقل نيرهم
يسيطرتهم عليهم . ثم ان هؤلاء الاغنياء يتظاهرون بالنوح والبكاء على ملكهم
المفقود وجماعة التجار والمرابين يترعجون اذا حدثت ثورة حقيقية لان الوالي والشيخ
هم انفسهم من اكبر لصوص المدينة

قال مرسيلوس هذا امر غريب جداً فقد كنت اعتقد دائماً ان اليهود وطنيون
مخلصون لكنهم يبغضون المملكة الرومانية بغضاً شديداً

- هذا يقال عن الشعب الساذج لانهم يأملون انهم سيحصلون على استقلالهم
القديم . من المرجح عندي انك سمعت باعتقادهم بمجيي المسيح الذي يُقال له المسيح

- لا لم اسمع شيئاً من ذلك . من هو المسيح ؟

اجابه بولس : المسيح هو مخلصهم وحسب نبؤات انبيائهم انه سيظهر يوماً من
الايام ويدبرهم ويساعدهم للوصول الى سبيل حريتهم

- لم اسمع به قط وليس لي من رغبة في الوقوف على التقاليد الدينية

- ولا انا ايضاً . ولكن في اسبوع الفصح يسمع الناس كثيراً من هذه
الاحاديث الطريقة عنه . وانك لتراهم لابسين ثياباً سوداء من قمة رؤوسهم حتى
اقدامهم وسائرين في الاسواق يقرعون صدورهم ويعولون لاجل مسيحهم بل هؤلاء

لا يبتغون مملكة من وراء ذلك سوى ما يملأ بطونهم واذا شعروا بادنى ثورة فانهم يسعون جهلهم لقمعها حالاً

وبعد ان فكر مرسيلوس هنيهة قال انا اعرف ان العالم لا يخلو من الناس الادنيا . ولكن ربا . هؤلاء لم يدع زيادة لمستريد

- ان الذي يسؤوني بالاكثر هو ان ارى بعض هؤلاء الاغنياء سائراً على هذا الشكل بينا الفقراء والعبي والعرج سائرون خلفه لانهم يعتقدون ان بايديهم زمام مسألتهم المقدسة . قال هذا ونظر الى جهة الباب فرأى ديتريوس واقفاً خارجاً فقال له مرسيلوس لا تخف منه يا بولس انه رجل امين

ثم اتم بولس حديثه قائلاً لولا وجود الاغنياء في الولايات الخاضعة لنا لكانت المملكة الرومانية قد سقطت من زمن طويل

- لا تقل هذا يا بولس ربما قادك هذا الى اتعاب

- نعم قد قادني ذلك الى اتعاب لانني كنت جوبياً واميناً امام جرمانيكوس ولذا تراني ضابطاً في منوع . ان المملكة الرومانية مدعومة بنجاة الولايات الغنية لانهم مستعدون ان يبيعوا شعبهم ووطنهم ببيع السلع . اما هذه الخيانة فلم تكن متصلة فينا بل ان رومية ورثتها من الاسكندر وهو بدوره ورثها من الفرس وهؤلاء تملكوها من المصريين . ثم انه حدث نظره في مرسيلوس وقال : بسالة رومية ! ثباً لها من بسالة . بسالة الخيانة . بسالة خزن الذهب التي تجعل المتحولين منهم يققون في الزاوية يتفرجون على الفقراء وهم يتقاتلون دون ان يصلحوا بينهم او يدعوا لهم يد المساعدة هذه هي حالة المملكة الرومانية المتعجرفة

قال له مرسيلوس ارجو ان لا تقول هذا القول امام احد لانك تستهدف للهلاك

- انني اصرح بهذا الكلام امامك لانني اعلم انك تقدر البسالة قدرها

ليس الا

- انه ليأخذني العجب يا بواس من عدم اكثراث كبار الموظفين لمثل هذه الامور والنظر فيها

- ماذا يستطيعون ان يفعلوا وهم كغنم بدون راع . خذ لك مثلاً ينطبق على هؤلاء اليهود تمام الانطباق فانك تراهم اذا ما تحمس احدٌ منهم وحاول ان ينتقد الحكومة وسؤ ادارتها فانهم يتخلصون منه باسرع ما يمكن من الطرق
سأل مرسيلوس : من يقتله ؟ الاغنياء ؟ أليس هذا هو الصحيح ؟
- ليس تماماً علينا نحن ان نقوم بواجب القتل . لان رومية لا تقدر ان تسمح بشورات كهذه



الفصل الرابع

كان اليوم الاول من سفرهم الى اسقلون متعباً للغاية لان الطريق كان وعراً
يمج بالقوافل القادمة اليها ويتصاعد منه الغبار القذر . فقال ميلاس خادم بولس
غداً تمحسن حالة السفر لاننا سنترك الطريق العامة ونعرج على طريق اقل طولاً
ووعورة وذلك في التلال . اما القوافل فانها لا تحاطر باجتيازها هذه الطريق خشية
من قبائل البدو

- ولماذا نحن لا نخشى البدو

- لاننا اكثر عدداً منهم . ثم اخذ ميلاس يبين له صفات الجمال وطبائعها التي
كان يشغلها القواد رؤساؤهم فقال انها لا تثير الغبار في مشيها بل ذلك من طبيعة
الحجير على انه يمكنك ان تجاور الجمال سنين طويلاً ولكنك لا تستطيع ان تأمن
واحداً منها

فقد حدث ان اشترى سيدي جملاً من غلاطية منذ اثني عشر عاماً وكان الذباب
والبراغيث حائمة عليه فقضيت يومين كاملين وانا انظفه بالزيت الحلو ولما انجزت عملي
قابلني برفسة قوية . واما بقية الحيوانات فليست عقوبة مثله ونحن الخدم نقوم
بخدمة سادتنا كالجمال والحجير . فقال له ديتريوس اذا كان من الواجب على الانسان
ان يخدم اخاه في الانسانية فليخدمه جيداً فاجاب ميلاس ببساطة نعم . ولكن اذا
اراد العبد ان يصبح حراً فليهرب الى دمشق الملاي بالعبيد لانها مدينة سورية
وسكانها يكرهون الرومان كرهاً شديداً

وبعد ان حطوا رحالهم تلك الليلة نهضوا باكراً وعرجوا على طريق التلال المقفرة
وساروا فوق الاودية على خطر واحد وكانت ايضاً القرى التي مروا فيها فقرة
اما ديمتيوس فكان طرباً مسروراً بهذه الرحلة لانها جعلته يستنشق روح الحرية
ويكون بعيداً عن ميلاس الذي رأى منه روح الاستبداد برأيه ففضل ان يتجنبه
بقدر استطاعته كي لا يتحد وياه في مؤامرة ما

وفي ذلك المساء دعاه سيده لخدمته فسر ديمتيوس كل السرور لانه كان قد
سئم الوحدة . وكانوا قد اعدوا للقائد خيمة كبيرة ذات رونق جذاب . وبعد
الخدمة التي قام بها ديمتيوس نحو سيده استلقى على ظهره خارج الخيمة وانصت الى
الحديث الذي دار بين مرسياوس وبولس

قال الاخير ان جماعة اليهود من اشد الملل شذوذاً في العالم كله فهم يعتقدون
انهم تحت حماية الهية وان المهم (يهوه) الذي خلق العالم والذي ليس لهم سواء يهتم
بشؤونهم الخاصة دون سواهم . ولكنهم لا يوافقون على القول انه اله محلي
فقال مرسيلوس ألا يعمل جوبيتر الشئ نفسه . أليس هو مدير الكون وله
سلطة مطلقة غير محدودة

— لم يقل جوبيتر انه للرومانين فقط

— هل قال يهوه انه لليهود ؟

— نعم بدون شك . فانه اوجدهم في جنة ومنعهم عن اكل ثمر احدى الاشجار
فعصوا امره واكلوا لذلك غضب عليهم واخرجهم الى الصحراء حيث اصبحوا عبيداً
ثم علمهم كيف يهربون من العبودية وبعدئذٍ وعدهم ان يمنحهم بلاداً ليعيشوا فيها
احراراً

قال مرسيلوس عجباً لها من بلاد ومن موعد

— نعم انها احط نقطة في العالم كله ولم يبق لليهود سلطة عليها ولكن ألا
تظن انه بعد خمسة عشر قرناً قضوها تحت نير العبودية انهم اي اولاد يهوه المحبوبين

يكونون احسن حالاً بدون هذه العناية الالهية ؟

- ربما تكون مسألة المسيا التي تكلمت عنها سابقاً هي التي تجعل فيهم الامل لانهم ينسوا من انتظارهم عناية يهوه بهم ويظنون ان المسيا حينما يجي . يحسن احوالهم ؟

- ولهذا السبب عينه صنعنا نحن اليونان الهة كثيرة بحيث اذا تعب الواحد منهم يقوم الاخر مقامه . ألم يترك زيوس مكانه مرة ليفسح المجال لابنه ابولو ؟
- ليس لمدة طويلة . فربما كان الطقس رديئاً وحاول ابولو تدبير الشمس ولم يستطع فتدخل زيوس اذ ذاك بهذا الامر فان آلهتنا تتصرف كما يزيد نحن لانها صنع ايدينا . وانا اؤمن بوجودها . ان البعض من آلهتنا يريد الحرب والبعض الآخر يريد السلام والبعض يمتنع النوم والراحة وغيرها يجعلك تحتل الشعور واكثر الآلهة تُسرّ اذ تراك خائفاً سطوتها . هذه هي تطورات الحياة . اما اليهود ولهم اله واحد عادل وصالح وحكيم ورحيم ابداً . واذا لم يجب سؤلهم بعض الاحيان فلانهم عنيدون متمردون وهو لا يستحسن اهواءهم لانهم لم يحسنوا استعمالها ربما يهوه يتشاءم منهم لانهم شعب متشائم

قال مرسيلوس ربما يرى (يهوه) انه من الضروري لابنائهم ان يهتموا المشقات لان ذلك يفيدهم - ظننت احياناً كثيرة انه ربما تتحسن احوال رومية اذا كنا نحن الوطنيين نضطر ان نسعى لاجل قوتنا اليومي ونخفف من سرقة جيراننا
- سيأتي وقت وهو قريب تزول فيه عظمة رومية لان الصولجان قد دار دورته الاخيرة ولان مصر تواجه اشعة الشمس المحرقة ودرايوس يهتز ويعتد مروءة كل انسان الى وقت ما والاسكندر ينوح مكتئباً لان ليس لديه من يخضع له . والقيصرية يتنحون من خمرة الظفر بالسلطة حتى انهم لا يريدون ان يسمحوا لليهود ان يملكوا ولو قطعة صغيرة من الارض ولكن سيأتي دور غيرهم عن قريب فسأله مرسيلوس : متى يكون ذلك يا ترى ؟

- ربما يحدث ذلك غداً أو في نهاية الاسبوع المقبل . اذا كانت العدالة تقتضي

من طيباريوس المعتوه وحفيده الجيث المفسد

ثم سألت مرسيلوس بولس قائلاً : أتؤمن انت بان الالهة هي من طبع البشر ؟ وهل حاولت ان تصنع واحداً منها ؟

اجاب بولس نعم اؤمن ولكنني لم اصنع بعد واذا شئت فاني اصنع لك الها .

- بدون شك . واضن انك عندما تنجز صنعه يصبح مشابهاً لك

- ليس مثلي تماماً لان الاله الذي سأخترعه سيكون حسناً وموضوع ثقة ليس

لناس رومانيين او يونانيين او غلاطيين فقط بل لانس ابناء واذكيا يعهد اليهم

ببعض اشغال مهمة . فانه يعلم احدهم كيف يشفي البرص والاخر كيف يرد البصر

الى اعين العميان والسمع الى الطرش . ويسر اليهم باسرار النور والنار وباستخدام

حرارة الصيف للشتاء ونور النهار لليل

- هذا جميل جداً . ولكن دع الهك الذي ستصنعه يرى مسألة نقل الانسان

من هذه الدنيا . ان الانسان كما لا يخفى عليك مجتهد الى ان يصل الى قمة

عالية من الشرف وليكون خيراً لامته وسنداً لها عند الحاجة وحينما يتقدم في السن

يمسي عالة على ذويه واخيراً ينضم الى آباءه بدون ان يترك له ذكراً خالداً فعلى الهك

ان يعمل شيئاً بهذا الخصوص

واضاف مرسيلوس قائلاً : انت تعلم ان الروماني متى بلغ درجة الشباب

والرجولة يحتفل به ذوه احتفالاً شائفاً رائعاً ولا شك انك تذكر كما اذكر انا انها

احدى الدقائق المهمة المعدودة في حياة الفرد ولا يغيب عن حافظتي ما خامر فؤادي

يومئذ من الحبور اذ اجتمع جميع الاهل والاقارب والاصحاب ووقف والذي بينهم

خطيباً مرحباً بي يدعوني الى العضوية الرومانية بحيث شعرت في تلك الساعة بحقيقة

الحياة ولا سيما بعد ان شرفني كورنيليوس كاييتو بما ذكر في خطبته التي القاها من

ان لرومية الحق والمباهاة باخلاصي وشجاعتي وقوتي . ثم اشار الي فاقتربت منه

فالبسني هو ووالدي الجبة البيضاء ومنذ ذلك الحين ابتدأت حياتي الحقيقية
والآن افكر انه يجب على الهك هذا ان يامر انه عندما ينهي الانسان عمله
على الارض ويصبح شيخاً ان تُقام له حفلة يدعو اليها كل معارفه ومقدراته . (ومن
منا لا يسعى جهده في شبابه ليقوم باعمال عظيمة حين يعلم ان احتفالاً كهذا ينتظره
في آخر حياته) وان الجمهور العظيم الموجود هناك يصرح باعماله العظيمة التي قام بها
في اثناء حياته . ثم يخلعون الجبة عنه ويطرحونها على غيره في احد الايام . ثم يبتدي
الجميع يرتلون ترنيمة روحية فيمرّ الرجل بينهم منتصباً ثم يخرج الى الخارج مواجهاً
الشمس وبعدئذٍ يجثني ولا يعود يظهر فيما بعد

وعند ما ساروا في اليوم الثاني الى البرية اخذ ديتريوس يتمعن في الكلام الذي
سمع سيده وبولس يتحدثان به . فقال مناجياً نفسه ان ما سمعته مهم ولكن يوجد
ما هو اهمّ منه ان هذه الالهة التي تكلم عنها مرسياوس وبولس يجب ان تقوم
بعمل ما تجاه ظلم الانسان لاخيه . وتذكر للحال والغضب اخذ منه كل مأخذ ذلك
المنظر المؤلم يوم دخل الرومان الاوغاد عنوة الى بيتهم ودفعوا بوالدته الجميلة الى ناحية
منه . ثم هرعوا الى حيث والده وراء مكتبه وكتبوه بالقيود وساروا به الى ساحة
الهلاك . فكان على هذا الاله الشريف ان يصرخ فيهم قائلاً : لا تقدر ان
تفعلوا هذا . لا تقدر ان تفعلوا هذا ؟

* * * *

ولما وصل الجميع الى اورشليم بعد ان ساروا نحو ساعة كاملة في تلك التلال
المقفرة رأوا من تلك المدينة العظمى مشهداً رائعاً جداً فان اشعة الشمس عند غيابها
كانت قد كست قبتها وبرجها حلة ذهبية من الانوار اخذت بجماع قلوبهم فقال
عندئذٍ مرسياوس لبولس ياله من منظر بديع لم ار نظيره في حياتي
ولما رأى قوافل اليهود قد حطت رحالها ولم تتحرك للسفر في ذلك النهار سأل

لماذا لا يواصل هؤلاء سفرهم ؟ اجابه لان هذا اليوم هو السبت المقدس عندهم لا يجوز في شريعتهم العمل فيه انما يحق لهم ان يسافروا فيه مسافة الف ذراع فقط - ان هذا امرٌ مزرعج تماماً

- نعم انه مزرعج للفقراء ولكن ليس للاغنياء الذين يفسرون شريعتهم كما يشاؤون

- ماذا يقولون عنا حين يروننا لا نحترم سبتهم المقدس ؟

- انهم لا ينتظرون منا ان نحترمه وفي اعتقادهم اننا اذا اعترفنا بيومهم هذا فاننا ننجسه . ولا يطلبون منا الاعتراف به ولا نلومهم على ذلك لان الانسان لا يقدر ان يحل الذي حرمه حرية

* * * *

وفي فجر اليوم الثاني استعد جند منوع لدخول المدينة فسرَّ ديمتريوس سروراً عظيماً لان تلك الليلة كانت الاولى التي نام فيها حراً مستريحاً منذ اصبح عبداً لمرسيلوس ولان اربعة من الضباط الكبار سافروا قبلهم الى اورشليم ولم ياخذوا خدمهم بل اخذوا قادة الجمال . فلما استفاق ديمتريوس صباحاً شاهد قوافل في طريقها الى المدينة مؤلفة من جمال وحمار ورجال ونساء واولاد وعبيد محملين احمالاً متنوعة

وقد سار العبيد والحمار يتقدمهم الجند ولما لم يكن ديمتريوس خبيراً بسفرة كهذه فانه سلم قيادة الحمار كلها الى ميلاس الذي قبلها مفتخراً

اما القوافل اليهودية فلما اقتربت من المدينة المقدسة ظهرت على وجوهها علامات اليأس والحزن الشديد واهتم كل فرد منهم بجزئه الشخصي بدون ان يعير اهتمامه الى جاره السائر بقربه . على ان ديمتريوس شعر بغتة بجزء جديدة لان الرجال الذين كانوا حوله والذين دلت هيبته على الغم تركوا عيالهم والقوا باحمالهم الثقيلة الى اولادهم الذين زادوهم ثقلاً على ثقل واسرعوا الخطى الى الامام . وعلى بعد

مسافة منهم كانت الهتافات تردد كلما اقتربوا من المدينة وهم يكررون عبارة واحدة لا غير جعلت الجمهور الغفير يزداد ضجيجاً

فانطلق ديمتريوس مع ذلك التيار الجارف الذي لم يقدر ان يتخطاه لكثرة الزحام . وكان بالقرب منه عبد من اثنين اكبر منه سنّاً فسأله ديمتريوس أنعلم ماذا جازم ؟

— انهم يقولون شيئاً عن ملك

— اتفهم لغتهم ؟

— افهمها قليلاً فاننا نأتي سنوياً بمحمل من الاطياب الى هنا

— اتظن انه يوجد بينهم من يريد ان يملك عليهم ؟

— اني ارجح ذلك . لانهم يكررون كلمة مسياً اظن ان هذا هو اسم الرجل

الذي يريدونه

ثم تابع ديمتريوس طريقه بين الحشد العظيم متبعاً بالعبد الاثيني وعلى طول الطريق كان الرجال يقطعون اغصاناً من اشجار النخل التي على جانبي الطريق ويحملونها مرفوعة وهاتفين : « اوصناً مبارك الآتي باسم الرب اوصناً في الاعالي » فركض اليونانيان الى ان وصلا الى امام الموكب .

وقف ديمتريوس بين الجماهير المحتشدة ليرى موضوع هذا الاهتمام العظيم فلمح رجلاً يهودياً لطيفاً ولون شعره يشبه الكستناء مكشوف الرأس راكباً على اتان ابيض وقد فسحوا له سبيلاً ليتسكن من المرور به . فادرك ديمتريوس للحال ان هذا الاحتفال كان بدون استعداد لان المحتفى به كان لابساً ثوباً بسيطاً رمادي اللون واقتباعه الذين كانوا يهدون امامه الطريق بتفريق الجماهير كانوا لابسين ايضاً ثياباً بسيطة عادية وكان هتاف الجموع السائرة وراءه يصم الاذان

وقد حاول ديمتريوس ان ينظر مرة اخرى الى ذلك الشخص الذي لقي كل هذا الاهتمام والاحترام فوجد من اغرب الامور واصعبها ان يصدق هو او غيره بان

انساناً وقوراً كهذا بسيط الهندام والزي يتوقع ان يثير شعور الشعب ويجرضه على
إجواء اعمال جريئة كهذه . وهو عوضاً عن قبوله هذا الهتاف وظهوره بمظهر الظافر
المتنصر او الاكتفاء به كانت هيئته حزينة للغاية تدل على انه غير راضٍ عن هذا
كله

وكان اصدقاؤه الاثنا عشر الذين اخذهم العجب من هذا الاحتفال غير المنتظر
يهتفون مع بقية الناس وتدل هيئتهم على الاهتمام الشديد ويودون من صديقهم
المحتفى به لو انه يقابل حماسة الناس بمثلها او اكثر

وقد ادرك ديمتريوس فوق هذا كله ان هذا الحدث لم يحصل اتفاقاً لان هيئة
هذا اليهودي الغامضة كانت تشف عن نفسية مثقلة بالهموم وكذلك رؤية عينيه
الخريبتين الذابلتين الشاخصتين الى اورشليم كانت تدل على رضاه بتحمل كارثة
عظيمة وقد يمكن ان يكون عليه مسؤوليات اعظم من هذا التوبيخ لذلك لم
يكن مصغياً الى الضجيج الذي حوله

وكان ديمتريوس غائصاً في لجة الدرس والتأمل بشخصية ذلك اليهودي حتى انه
اصبح لا يبالي بما يطرق سمعه من الصياح والضوضاء واخذ يقترب منه رويداً رويداً
الى ان اصبح على بضع خطوات منه

وبعد قليل وقف الجمع لان الرجل الذي كان راكباً الاتان الابيض استوى
قائماً وكأنه استيقظ من منام ثم تنهد وادار راسه ببطء وكان ديمتريوس يراقب
حركاته وسكناته بقلب واجف وغم مفتوح من شدة الدهشة وكانت عينا اليهودي
تحدقان في ذلك الجمع الهائج تحنوان وتشفقان على الفريسة المغدور بها

كان الجميع يهتفون ما عدا العبد الكورنثي لان حلقه كان جافاً لم يستطع الهتاف
معهم ولم يرد ان يفعل ذلك بل تمنى ان يلزم الجميع الصمت والهدوء لان اليهودي
لم يكن من تلك الفئة التي يقام الهتاف لها او عليها . وهذا الوقت كان يستدعي
السكون والسكينة غير ان عيني ذلك اليهودي كانتا ترنوان الى الجمع من كل جهة

الى ان استقرَّ بصرهما على حياً ديمتريوس المشدوه الذي افكر انه نظر اليه نظرة خاصة وذلك لعدم اشتراكه مع الناس بالهتاف له ولكن تلك النظرة الخاصة كانت تشف عن الارتياح الشديد الى مرأى ديمتريوس ارتياحاً يتعذر تفسيره ووصفه مما جعله يحمد في مكانه . ويمكن القول ان ما خصه بديمتريوس من القاء نظره عليه كان بمثابة رسالة حيوية ابلغه اياها لا رسالة شفقة وصداقة بل بالاحرى كانت نوعاً من القدرة الثابتة التي نسخت كل عبودية وفقر او اية حالة مؤلمة . وقد امتلأ قلب ديمتريوس جذلاً وحبوراً مقابل هذه الثقة بالتقرب من تلك الشخصية العظيمة وترقرقت الدموع في عينيه فخرج من بين الجمع لا يلوي على شيء .

فراة الاتيني وسأله هل رأيته ؟ فأوما اليه ديمتريوس بالايجاب

— هل هو معتوه ؟ اجابه لا

— هل هو ملك ؟

اجاب ديمتريوس برصانة لا ليس ملكاً

— فاذاً ما هو ؟

اجاب ديمتريوس بصوت مرتبك لست اعلم ولكنه اكثر اهمية من ملك



الفصل الخامس

ولما نُصبت الحُيام في ضاحية قرية بيت عنيا انحدر مرسيلوس ورفقاؤه من ناحية التلة الى المدينة بكل سهولة لان الاسواق لم تكن غاصّة بالتجار كالعادة ولا سيما في ذلك اليوم الذي كان سبتاً

ومع ان الضابط بولس لم يبالغ في كلامه حين وصف لقائد منوع الصغير ما يُعدّ لنواب المملكة الرومانية من اللوازم الخطيرة الشأن فان مرسيلوس لم يكن يتوقع ان يرى قصر الولاية في مثل هذه الفجامة الشائقة . فلما أُنيخت الجمال التعبه وحطت رحالها في ذلك الليل امام شرفة مركز رومية الربيقي اخذ العجب مرسيلوس من روعة ذلك المنظر الخلاب . لان الناظر الى المدينة يدرك لاول وهلة ان محيطها الوضع لا علاقة له البتة بذلك البناء الفخم الذي يدل دلالة صريحة على ان يداً اجنبية قد شيدته

ثم اوضح له بولس سبب هذا الاسراف في النفقة عليه قائلاً : ان نفقات بنائه كانت تؤخذ من جيوب اليهود وأذن لجماعة المهندسين والحفارين والبنائين ان ينفقوا قدر ما يحتاجون اليه من المال لجعل البناء فخماً للغاية . ولم يكن الامبراطور يُحشى الاسراف لانه لما اظهر هيروُدس الوالي الاول رغبته الشديدة في تجديد بناء المدينة قال له اوغسطس افعل ما يبدو لك فعله وقد فعل ما شاء كما ترى انت بنفسك .

ومع ان اورشليم لم تكن كلها مبنية بالرخام بل كان القسّم الاكبر منها حقيق المنظر وقدرّاً ومحتاجاً الى الاصلاح فان هيروُدس الكبير اعاد بناء الهيكل على طراز بديع ثم عاد فبنى هذا القصر الفخم في مكان مرتفع وبعيد عن الحدود المقدسة

كان هذا البناء بمثابة حصن منيع قائم في وسط اورشليم . وكان الصعود الى دار الولاية منه في درج من الرخام على كل قاعدة منه تمثال نصفي لبعض مشاهير الرومانيين . وقد امتدت على كل جانب من تلك الساحة الرخامية حديقة من الزهور البديعة تجري اليها ينابيع مياه كثيرة تتدفق من اجران رخامية ايضاً

فقال بولس لمسيلوس ان هذه الينابيع بنيت قنواتها منذ سبع سنوات فقط منذ تولى بيلاطس الحكم وحدث بسببها شغب بين الشعب ولكن الجيش المنظم ساند بيلاطس فهدأ الشغب حالاً . اما مسألة هذه الينابيع المشار اليها فيعود اصلها الى امرأة بيلاطس الذي كان والياً في كريت طوال سنين عديدة حيث كانت المزروعات كثيرة . فلما قدمت امرأته معه الى اليهودية تكدرت جداً من حالة تلك البلاد المقفرة وطلبت ان تُقام فيها حدائق تجرّ المياه اليها بواسطة قنوات مكيّنة ولما كانت هذه القنوات تتطلب نفقات كبيرة لانشائها ولم يكن لدى الوالي آنذ مال كافٍ للقيام بهذا المشروع اضطر لاختد المال من خزانة الهيكل وعلى إثر ذلك قامت قيامة الشعب عليه مدة سبعة اشهر تماماً وقد قتل في اثنائها ألفا يهودي وألف روماني

ولو ان طيباريوس قيصر ولأه مركزاً غير هذا لأحسن صنعاً لان اليهود لا يجترئون بيلاطس مع انه يسعى جهده دائماً لرضائهم واذا ما حدث شغب آخر فانه بلا شك يجسر منصبه ابداً

فسأل مرسيلوس ولم لا تتفق كلمتهم على الشكوى عليه ليجري نقله او عزله؟
- لان اليهود الاغنياء الذين يجمعون الضريبة ومن اف لفهم من التجار والصيارفة لهم سلطة عظيمة ولا يرغبون في نقله لانه يعاملهم معاملة حسنة . واذا حاول الامبراطور ان يعين بدله والياً آخر فلا يلبث المجلس الاعلى اليهودي ان يعارضه
- ما هو المجلس الاعلى ؟

- هو الهيئة التشريعية فاذا شئت المعارضة فان بيلاطس يصفي اليها فقط

ولكنه لا يقدر ان يأتي بعمل ما . لذلك تراه في حالة سيئة وتعسة وبالحقيقة انه رجل قدير يستحق ولاية افضل من هذه
 اما حملة منوع فقد تقدمت الى المكان المعد لها وكانت دار العرض ملائ
 بالجنود المقبلين من الحصون الفلسطينية والاعلام تحفق في اعاليها فتزيد في بهائها
 ورونقها .

ولقد شعر مرسيلوس بطمأنينة زائدة عند ما دخل المكان المعد له لانه على
 مثال منزله وقد نام في تلك الليلة نوماً هادئاً لذيذاً وعدّها الليلة الاولى التي ارتاح
 فيها منذ ان غادر بيت والده . وبعد يسير من الوقت اقبل اليه بولس وقال له ان
 المركب فستريس سيصل الى يافا قريباً وسيعود منها الى رومية في نهاية هذا الاسبوع
 فاذا اراد القائد ان يكتب الى ذويه شيئاً فالفرصة سانحة له . فشكره مرسيلوس
 لاهتمامه بشأنه

* * * *

اما مرسيلوس فلم يكتب شيئاً الى ديانا منذ ان فارقتها سوى كتاب واحد
 موجز العبارة اظهر لها فيه أسفه على فرقتها غير المنتظر واوصاها بان لا يقلق بالها
 لغيابه وعلاها بتحسين الاحوال والعودة اليها . ثم كتب الى عائلته كتاباً موجزاً
 ووعد ان يرسلها برسالة مسهمة فيما بعد . اما في هذه الليلة فسيكتب الى ديانا
 ويخبرها بالجاز عن شؤون حياته في منوع وبسفره الى اورشليم وكيف انهم اعدوا
 له مكاناً لائقاً بوظيفته وبلقبه الشريف . وقال على الرغم من ان القصاص في
 ارساله الى منوع اسقط شيئاً من كرامته فانه قد استردّه الان وهو يفتخر بكونه
 من الرعية الرومانية . وقال عن صديقه العزيز بولس انه لولاه ما استطاع احتمال
 معيشة الوحدة مع ما كان بينهما من الاختلاف والمعاكسة حين وصوله الى منوع .
 ثم ختم كتابه بقوله : انت تعرفين يا ديانا كم من الاشياء كنت احب ان اطلعك

عليها لو كنا معاً . اما الان فاكتفي مع ما بيننا من بعد المسافة بان اعلمك ان
سعادتك هي سعادتي والذي يؤمك يا عزيزتي يؤمني . ولي ملء الامل ان ارى عند
رجوعي الى غزة رسالة مسهمة تتضمن الايضاح عن امورك كافة وها اني ابعث بهذا
الكتاب مع ديتريوس الى ربان السفينة ولكم كنت اتقئ لو يتاح لي السفر فيها
اليك لالتمتع بانس مشاهدتك

* * * *

شعر ديتريوس فجأة بكآبة لم يعلم مصدرها . اخيراً تبين له انها آتية من
مصادر مختلفة . أولاً لكونه عبداً وليس له مستقبل وثانياً لكون حريته مختصة
بسيده غير انه لما قابل بينه وبين ابنا جلدته وجد نفسه اقل تعساً منهم لانه عومل
في بيت غاليلو معاملة حسنة . وكان اتبع لمسيلوس من ظله لذلك كان رفيقه الدائم
حتى ولو اطلقت له الحرية تماماً اصعبت عليه مفارقتها .

اما حبه الشديد للوسيا فانه ضرب عنه صفحاً حتى كأنه لو لم يكن خادماً لم
تكن لوسيا لترضى به رفيقاً لها . ثم اخذ يراجع ذاكرته لعله يرى السبب الموجب
لكآبته فوجد أولاً انه بعيد عن سيده لان الخدم هنا في اورشليم بعد قيامهم
بواجباتهم نحو اسيادهم ينصرفون لممارسة شؤونهم الخاصة وهذا لم يعتده سابقاً وقد
شعر هنا بعبوديته اكثر من ذي قبل

وكان هناك ايضاً سبب آخر مهم اثار نفسيته وهو ان عيون تلك الشخصية
الرائعة التي حدقت ببصرها اليه على قارعة الطريق انطبع مثالها في مخيلته وبلبلت
باله . وبعد الدرس والتمعن العميق اتضح له ان السر في جمود نظرها وذبوله كان
لشدة الكآبة والوحدة . وقد تبين ان اتباعه الذين حاولوا ابعاد الجماهير الفقيرة عنه
كانوا يائسين لان الجمع انتظر ان يصدر منه عمل ما ولكنه لم تكن له رغبة في
ذلك . ومع انهم رجوا منه كثيراً ان يسير امامهم ويكون لهم قائداً فلم يفعل
بل كان رجلاً وحيداً وكانت عيناه متعطشتين الى رؤية صديق يفهمه . ووحده

شبيهة بوحدة ديتريوس . وكأنه كان يخاطب الجمع قائلاً انكم تستطيعون ان تعملوا شيئاً لهذا العالم التمس ولكنكم لا تعملون .

مرَّ على بقائهم في أورشليم ثلاثة ايام وهم سائرون على خطة واحدة وكان الجنود بعد تناول فطور الصباح يجري عرضهم وعقيب ذلك يعودون الى ثكناتهم وبعدئذ يأتي اربعة عساكر بزياتهم الرسمية ويقفون كالاصنام بينما تسير الفرق الى دار الولاية ومنها الى الهيكل ثم يرون امام دار قيافا رئيس الكهنة الرخامية . وفي هذا العرض مشى ديتريوس في مؤخر الحفل مصحوباً بميلاس وراى بوناً شاسعاً بين الاحتفالات التي تُقام في رومية والتي تُقام هنا . فهناك المئات والالوف تسير وراء الاحتفالات اما هنا فالشعب لا يهجه من الامر شي .

والذي اثار دهشة ديتريوس بنوع خاص هو ما شاهده من شدة فقرهم ولباسهم والخرق البالية المغطاة بها اجسادهم . نعم انه يوجد فقر وشقاء في كورنثوس وطنه ولكن ليس الى هذا الحد وكذلك يوجد في اثينا كثير من الفقراء ولكن شتان بينها وبين اورشليم التي تُدعى المدينة المقدسة واسواقها ملاءى بالامراض والعاهات لذلك لا عجب اذا كان الرجل الراكب على الاتان الابيض حزيناً كئيب النفس انهم كانوا يقضون ذلك الاسبوع في اورشليم بعرض الجند ونحية الولاية والقناصل ومشاهدة الالعاب الرياضية واستماع شعوذة السحرة والمنجمين والأتين من الهند وافريقيا وسورية ويتمتعون بكل انواع الملاهي ثم يعودون الى ثكناتهم ليحتسوا كؤوس المدامة حتى الثمالة ويقامروا او يضطجعوا كسالى الى ان ينقضي النهار والليل لذلك ودَّ ديتريوس العودة الى منوع التي هي اهدأ حالاً وانعم بالاً ودَّ ديتريوس ان يعرف ماذا حدث للرجل الذي لم يرد ان يصبح ملكاً على هذه البلاد فسأل ميلاس عنه فاجابه ربنا ألقوه في السجن وخير له ان يُزج في غيابة السجن ولا سيما في هذا الاسبوع من ان يجمع حوله جمهوراً من الناس - اتعرف ابن هو السجن ؟

- لا لست اعلم مكانه ولا اريد ان اعلم لان الذي يزور احداً فيه لا يلبث ان يودع معه . وحسبي ما قاسيت من مرارة في السجون
في اليوم الرابع من دخولهم اورشليم خرج ديتريوس يتمشى الى ان وصل الى الطريق التي رأى فيها الرجل الحزين وهناك جلس ساعة من الزمن في ظل احدى اشجار الزيتون ينعم النظر في المدينة . ثم اخذ يناجي نفسه قائلاً : اورشليم التي مضى عليها خمسة وثلاثون قرناً تريد اليوم ان تستعيد حريتها . ماذا تستطيع ان تعمل اذا أتيحت لها الحصول عليها يا ترى ؟ وما هي العبودية التي تزرع اورشليم تحتها ؟ بل ماذا يستطيعون ان يفعلوا اذا تمكنوا من ايجاد قائد يخلصهم من نير عبودية رومية ؟ هل يساعد الاغنياء الفقراء وتمتصن الحالة ؟ ان اليهود يرغبون في ان يجعلوا هذا الشاب ملكاً عليهم وهو لا يريد . فهل تغيير القواد يساعد على تغيير حالة المدينة ؟ قال ديتريوس هذا ثم نزل من التل وواصل السير الى ان بلغ داخل المدينة فرأى الاسواق مقلقة الا القليل منها فاعتراه العجب مما رأى ثم شاهد هناك تاجر سجاد اثيني مثله فسأله عن السبب الذي أوجب افقائها . اجابه التاجر ألا تعلم ان هذه ليلة عيد الفصح فكل يهودي يأكل الفصح ويلتزم منزله . وفي الصباح يبكرون الى اسغالهم كالعادة

فسأله الاثيني اين كنت قبلاً حتى تجهل هذه الامور الآن ؟
- انني كنت في ناحية التلة منذ ساعتين حيث تقع غابة من شجر الزيتون
- انني اعرف ذلك المكان وهو يدعى بستان جشيماني
- هل لك ان تعلمني اين اجد قافلة من اثينا تتعامل ببيع الاطياب ؟
- نعم . أتعني پوييكوس ؟ هو هناك بناحية القلعة القديمة
فقال ديتريوس وهو ذاهب الى پوييكوس الاثيني ان العالم محتاج الى من يصلحه ولست اظن ان الملك الجديد الذي ينصبونه يستطيع ان يفعل شيئاً

وفي صباح اليوم الثاني خرج ديتريوس بعد ان أعدَّ فطور سيدم فرأى الاسواق غاصة بالجمهير الغفيرة التي جاءت لحضور حفلة العيد وشراء حاجاتها من التجار الذين كانوا قد عرضوا بضائعهم لانظار المارة . ولا بُدَّ للانسان في مثل هذا الزحام الا ان يمشي مشياً وثيداً حتى لا يتعرّض لدوس احد الباعة القاعدين القرفصاء ولا سيما اصحاب البضائع الخرفية المصفوفة على الارض . هناك الالوف المؤلفة من كل امة ولسان يعجون ويضجون جميعاً وجماعة الفقراء يجولون بينهم بجروق بالية ويمدون ايديهم القذرة للاستعطاء .

بعد ان ترك ديتريوس الاسواق المزدحمة وسار قليلاً الى ناحية القلعة سمع زيوس الاثيني الصغير يناديه . فسر ديتريوس وتقدم نحوه لانه وجد من يهتم بامرّه . فقال له الاثيني لو كنت هنا امس لرأيت كيف انهم ألقوا القبض على الناصري الذي وجدوه هناك في البستان . فسأله ديتريوس من هذا الناصري وماذا عمل ؟

- هو الرجل الذي رأيناه راكباً على الاتان الابيض فلما سمع ديتريوس منه ذلك اهتم بالامر غاية الاهتمام وطفق يسأله اسئلة متعددة فأجابه الاثيني قائلاً منذ الاحد الماضي والجنود يفتشون عنه الى ان صادفوه ليلة امس فقبضوا عليه واتوا به وبأتباعه الى المدينة

فسأله ديتريوس متحمساً وماذا عمل يا ترى حتى قبضوا عليه ؟
- لانه هيج الشعب واراد ان يكون ملكاً عليهم وپوپيسكوس يقول اذا اتهموه بالخيانة فستكون العاقبة وخيمة عليه .

- بالخيانة ؟ ان هذا الرجل لا يريد ان يقلق راحة الحكومة ولا يطلب ان يكون ملكاً . هذا عمل جنوني

- هذا ليس جنوناً . ان الكهنة الذين يديرون الهيكل يرغبون في ان يتخلصوا منه لانهم يخشون من ان يقضي على اعمالهم برمتها . ألم تسمع بما فعل في اليوم ذاته الذي رايناه فيه ؟

- لا لم اسمع شيئاً من ذلك . قل لي ماذا حدث ؟

- ان الهيكل هو المكان الوحيد الذي يقدم فيه اليهود ذبائحهم . فانهم يبتاعون الحيوانات ويحرقونها . ويأتون بالبقر والغنم والحمام الى دار الهيكل الرخامية المغطاة جدرانها وسقوفها باجل النقوش ويعرضونها للبيع

ولما جاء يسوع من الجليل ودخل الى الهيكل ولم يرقه هذا العمل لم يلبث ان قال هذا المكان ليس لبيع وشراء الحيوانات ويظهر انه شعر بسرقتهم ايضاً لانه قلب موائد الصيارفة فهب الغرباء الذين جاؤا من اماكن بعيدة يلتقطون ما سقط من الدراهم الى الارض . ثم اخرج باعة الحمام فخرج معهم الكهنة والعجول والغنم والصيارفة وكل من كان في دار الهيكل

وبينما كان الاثيني يقص على ديتريوس ما جرى خرج من الحيمة المجاورة رجل عجوز ذو حمية بيضاء وحول عنقه سلسلة من الفضة وفي اصابه خواتم الى ما هنالك من الزينة فقال زيوس الاثيني هذا هو پوييكوس الاثيني وهو يعرف حق المعرفة هذه الحادثة ولكن الكتابة بادية عليه لان الكثرين من عملائه منهمكون اليوم بمرافقة يسوع

فلما رأى پوييكوس ديتريوس سألته لماذا انت لابس اللباس الروماني ؟ اجاب ديتريوس باحترام لان سيدي هو قائد القلعة في منوع

فقال پوييكوس لو ان الجند الروماني يتركون اليهود يديرون شؤونهم الخاصة بانفسهم لكانت مشاكلهم تنتهي في مدة وجيزة ولكن تدخلهم في مسألة يسوع الناصري يستغرق النهار بكامله وغداً يوم السبت المقدس عندهم وهم لا يتعاطون فيه البيع والشراء فتكسد بضائعنا

واستطرد قائلاً منذ ثلاث وعشرين سنة وانا اجيء الى اورشليم ولم يحدث قط شغب كهذا اذ كان الناس يجيئون لحضور الاحتفال بعيد الفصح وبالوقت نفسه يبتاعون حاجياتهم فكان الرجل الفقير يأتي بمجامة في قفص والرجل الغني

مخروف او عجل ويسلمه الى الكاهن الذي كان يحرقه في دار الهيكل ولكن على
توالي السنين اصبحت هذه العادة مسألة تجارية فكان الكاهن يفحص الحروف فاذا
وجد فيه عيباً لا يُذكر يستبدله من آخر ويوجب على صاحبه ان يدفع قيمة الفرق .
ثم يأتي غيره فيبيعه الحروف نفسه

فقال ديمتريوس هذه تجارة زائفة ولا عجب اذا عارضها هذا الناصري

- ولكن هذه المعارضة لن تفيده

- هل يلقونه في السجن

- فهمت انهم اخذوه الليلة الماضية الى دار قيافا ورئيس الكهنة وشكوه
لتهميجه الشعب الذي كان في الهيكل وقالوا ايضاً انه نجس الهيكل كأن الهيكل
لم يكن نجساً فقد حوّلوه الى اسطبل

وكان المشتكون عليه كثيرين فاندفعوا جميعهم بنفس واحد الى دار الولاية
واخرجوا بيلاطس من فراشه ليصغي الى دعواهم . فقال لهم اذا كان ما تشتكون
به عليه حسب ناموسكم فاحكموا انتم . ولكن الاغنياء لم يرقهم ما سمعوه فقالوا
ان الشكوى لا تختص بالناموس فحسب بل يسوع هذا حاول ان يجعل نفسه ملكاً .
فلم يبال بيلاطس كثيراً بكلامهم بل قال لهم على كل خذوه واجلدوه
فسأل ديمتريوس باهتمام هل جلدوه ؟

- نعم وليس كما يجلدون بقية المجرمين بل اسالوا دمه . عندئذ صاح احدهم
من بين الجمع قائلاً : اقتلوا هذا الجليلي . فلما سمع بيلاطس انه جليلي قال لهم
خذوه اذا الى هيرودس لانه هو الذي ينظر في الدعاوي المختصة بالجليليين
- وهل اخذوه الى هناك ؟

فاوماً بوبيكوس بالايجاب وقال ان هيرودس لكي يرضي اغنياء اليهود
والصيارفة عذبه كثيراً بحيث امر العسكر ان يجلدوه ثانية ثم البسه ثوباً قرمزيّاً عتيقاً
وادعى انه يقدم له الخُضوع . والبعض من العسكر السكارى ضفروا اكليلاً من

الشوك ووضعوه على رأسه . اما اصحاب الاموال فانهم لم يكتفوا بهذا بل طلبوا
اماتته . عند ذلك صرخ ديمتريوس قائلاً :
إلى الموت !

- نعم . وقد عرفوا انه ليس من احد يصدر مثل هذا الامر الا بيلاطس
فعادوا به الى دار الولاية

- وماذا حصل بعدئذ ؟

- لست اعلم اكثر مما ذكرت لك . واطن ان محاكمته لا تزال آخذة مجراها
- سأذهب الى هناك

- الاجدر بك ان تجنب التدخل في حوادث كهذه
- ولكنني ذاهب الى سيدي . ثم تركهما وانصرف

* * * *

اسرع ديمتريوس في المشي حتى وصل الى المدخل الپريتوري فشهد جماهير من
الشعب واقفين هناك . ثم صعد السلم ولبث في مكان مزدحم باغنياء اليهود وكان
الوالي واقفاً داخل اعمدة الرواق ومحاطاً بحرس القصر . واصطف كالاصنام في
مرتفع عالٍ اربعة فرق من الجند ينتظرون الاوامر . والاسير مائل وحده امامهم .
فشرع الوالي يسأله اسئلة لم يفهما ديمتريوس لانه كان يجهل اللغة الارامية الجارية
على ألسنة الشعب في ذلك الحين

ثم اقترب ديمتريوس من مكان يستطيع فيه ان يرى وجه المحكوم عليه فشهد
على رأسه اكليل شوك الذي قال عنه پوپييكوس وكان الدم سائلاً على وجهه
ويده مربوطتان واثار الضرب باقية على كتفيه العاريتين الداميتين غير ان هيئته
تدل على عدم مبالاته بكل ما عومل به . وكانت اسئلة الوالي تتوجه بهدوء الى
الاسير وهو عالي الجبين يحيب عليها بهدوء ايضاً . وكان الجمع واقفاً يصغي الى

الشهادة اصفاء تماماً اما ديمتريوس فكان يراقب وجه الضحية باهتمام كلي حتى انه لم ينظر الى ما حوله ليعلم هل كان سيده بين الحضور او لا . ثم التفت فرأى ضباطاً في الصف الاول يثولون مراكرهم المتعددة وكان بولس بينهم وقد وقف حوله صف واحد من جنود منوع ولكن مرسيالوس لم يكن هناك . ثم تكلم الوالي بصوت عالٍ احدث ضجة عظيمة بين الشعب . فاقترب ديمتريوس الى ان وقف في مكان يستطيع منه ان يرى القاضي فابصر مرسيالوس واقفاً بين صف من القواد من عن يسار الوالي وكانت هيئته تدل على انه لم يفهم شيئاً من تلك الاحاديث بسبب جهله لغة الشعب وقد ودَّ لو كان في مكان آخر

اما الوالي فقد ظهر عليه الارتباك لان الذين حوله اكلثوا من الجلبة واللفظ فتحنى عن موضعه قليلاً وامر احد الحرس . فما عثم هذا ان عاد سريعاً ويده طست فضي فغطس بيلاطس يديه فيه ثم رش منه الماء . فصاحت الجماهير ثانية مما دلَّ على انهم هذه المرة قرروا شيئاً وهذا القرار ارضى المستمعين

وقد ادرك ديمتريوس الغاية من طست الماء وهي ان بيلاطس قد غسل يديه متبرئاً من هذه القضية وترك للشعب حريته بحيث تقع مسؤولية الحكم عليهم لا عليه لانه لم يرد ان يجعل سفك دم ذلك السجين على يديه . وشعر ديمتريوس ان سيده قد فهم مثله ان بيلاطس لا يريد تحمل المسؤولية

اقترب مرسيالوس من بيلاطس حمية فبعد ان ردَّ له التحية كلمه بهمس كلاماً موجزاً خُنا مرسيالوس راسه وتزل من السلم وتوجه نحو بولس وافهمه التعليقات اللازمة . ثم اصدر بولس الأمر الى حامية منوع فتقدمت ومشى كل اثنين معاً وسار بولس في مؤخرتها ومرسيالوس في مقدمتها ففسح الجمع لها الطريق . ثم جذب احد الجنود الجبل الذي كانت يدا الاسير مربوطتين به فازعجه

لم يتبع ذاك الموكب اناس كثيرون انما كان معظمهم قابضين على لحاهم يهزونها استحياساً ورضى . وفهم ديمتريوس ان بيلاطس حكم عليه ليسكن ثورة الشعب

غير انه لم يفهم ما هو نوع العقاب . . وكان واقفاً على الجانب الآخر من الشارع
اصدقاء يسوع جماعة بسطاء وصفر الوجوه يتشاورون فيما بينهم فيما اذا كانوا يتبعونه
واخيراً اتفقت كلمة البعض منهم على اتباعه على انه كان الاجدر بهم ان يظهر
منتهى الشجاعة لان الرجل استحق اصدقاء مخلصين

واذ كان ديمتريوس حائراً فيما عساه ان يفعل اقترب منه ميلاس . فسأله
ديمتريوس ما هو نوع الحكم الذي حكموا به عليه اجابه انهم سيصلبونه

- لم يعمل عملاً يوجب صلبه وموته

- المرجح ما تقوله ولكن هذا ما حكموا به وعلى ما سمعت وفهمت ان
بيلاطس لم يشأ ان يحكم عليه بالصلب ولكنه خاف الشعب لذلك أوعز الى حامية
منوع ان تقوم بهذا العمل لانها بعيدة

- اذهب انت الى هناك ؟

لا . ليس علي واجبات اقوم بها هناك والمشهد . ولم جداً بحيث اذكر انهم
صلبوا جندياً في غلاطية لانه طعن قائد مئة بحربة فبقي نهاراً كاملاً يصيح من
الالم ثم وقعت الطيور السوداء عليه قبل ان يلفظ روحه .

ثم سار ديمتريوس نحو المكان الذي كان يشغله سيده فوجده فارغاً يخيم عليه
السكون وبعد ان استراح قليلاً لتهدئة اعصابه النائرة وقلبه الذي يكاد يتفطر
من الالم نهض وشرب قدحاً من الماء ومع انه لم يرغب في الذهاب الى مكان
الصلب فانه ملأ قدحاً آخر واخذه الى سيده

منذ ان وقع نظر ديمتريوس على وجه يسوع الكئيب تبين له ان الرجل لا
مثيل له في هذا العالم وما من احد يدرك كنهه حتى ولا اصدقاؤه المقربون منه .
وانه اليوم بالحق وحيد فريد

الفصل السادس

في صباح الغد لما سمع مرسيلوس بان جوليان قائد حامية كفرناحوم يعلن انه لا يجري اليوم عرض الجنود بل يجب على كل فرقة ان تعود الى ثكنتها تعجب جداً . وبعد عودته الى غرفته ارسل ودعا بولس ليستفهم منه عن السبب . فوصل اليه القائد المذكور وهو يترنج من كثرة الشراب الذي كان يتعاطاه في اثناء الليل . فنظر اليه مرسيلوس مشمئزاً و اشار اليه بالجلوس ثم سأله عما حدث ؟

اجابه ان الوالي قضى ايلته بقلق وارتعاج

- وانت كذلك يا بولس واذا لم يكن في الامر من سر فاخبرني بكل ما

وقفت عليه

- ان بيلاطس مستاء من كل انسان حتى من جوليان الشيخ الصالح الذي قال

اذا كان الرجل جليلاً كان على قائد كفرناحوم ان يدقق بمحاكمته بدار هيرودس

- ارجو منك ان تقص علي رواية هذا الجليلي من بدائتها واعتقد انت كأثني

لم اسمعها قبلاً

فابتدأ بولس يسردها له قائلاً : حوكم نجار غبي من الجليل لانه ازعج راحة

الشعب واستفزه الى العصيان ومنذ ايام دخل الى الهيكل وامارات الغضب على

وجهه واخرج الحيوانات التي يقدمها اليهود ذبائح لالههم وقلب مواثد الصيارفة

وصرخ بصوت عال انكم قد جعلتم هذا المكان المقدس مغارة لصوص وهذه هي

الحقيقة بعينها

- اذا لا بُد ان يكون هذا الشاب مختلّ الشهور

فهرّ بولس رأسه وقال انه شاب غير عادي . وكان منهم ان قبضوا عليه الليلة

الماضية وجاءوا به الى حنايا الذي كان سابقاً رئيس كهنة ثم الى قيافا رئيس الكهنة الحالي وبعده الى بيلاطس فيرودس . حضرنا المحاكمة ولم نكن في حالة تؤهلنا لفهم كل شيء . لانهم كانوا يتكلمون باللغة الارامية ومن الواضح ان الكهنة والكتبة ارادوا اعدامه الحياة

- ألانه تصرف هكذا في الهيكل ؟

- نعم لاجل هذا ولانه كان يدور في القرى ويجمع حوله جماهير الناس التي كانت تصغي بكلمتها الى سماع اقواله

سأل مرسياوس : عمّ كان يتكلم

- عن ديانة جديدة لان احد الجنود الذي كان يعرف الارامية اخبرني ان يسوع هذا كان يعلم الناس ديانة جديدة لا تتفق مع تعليم الكهنة وقد شهد عليه بعض الناس ولكن لم تتفق شهادتهم على ان شاهداً واحداً قال بعد ان اقسام امام بيلاطس انه سمع هذا الجليلي يقول انني اهدم هذا الهيكل وبعد ثلاثة ايام اقيمه . وهنا يقبلون باية شهادة

- الى اين وصلوا بالتحقيق ؟

- هذا الذي جرى في محكمة هيروودس وسيجا كونه امام بيلاطس بعد الفطور تماماً والمرجح ان بيلاطس سينيلهم بصلبه واعدامه الحياة وفيما كانا يتحدثان اقبل رسول من قبل بيلاطس وبعد ان ادى التحية قال ان الوالي يحبسكم ويامر ان يحضر حالاً الى دار الولاية صف من الضباط وفرقة مؤلفة من عشرين جندياً من منوع ثم حياً ثانية وعاد من حيث اتى . فالتفت مرسياوس الى بولس وقال ما الذي يريد بيلاطس . منا يا ترى ؟

- اظن انه يريد ان نقوم نحن بعمل خطر لانه يأبى ان تندمج فيه فرقة المحلية . وبما ان حامية منوع تسافر غداً فاذا حدث امر ما فانهم لا يستطيعون الوصول اليينا

ثم خرج بولس وبعد قليل من الوقت تبعه مرسيلوس الى غرفته فرآه يرتشف كأساً من الخمر فقال له لو كنت انا مكانك لكنت اكنيتي بما شربته قبلاً فاقترب منه بولس وحدجه بنظره وقال أتعلم انك ستصلب رجلاً هل رأيت احداً يعمل عملاً كهذا ؟ اجابه مرسيلوس لا كيف يكون ذلك ؟ فلأ بولس الكاس طافحة وقدمها له قائلاً يمكنك ان تشربها حتى الثالثة واذا لم تفعل كما اشير عليك فسنندم غاية الندم لان العمل الذي ستقوم به لا يقدر ان يعمله رجل صاح . فتناول مرسيلوس الكاس من يده وشربها

ثم قال له بولس ان العمل قاس للغاية ايها القائد . ولو امكنتي التنصل منه لفعلت لانه يوجد شيء غريب في هذا الرجل وليس هو كسائر الرجال وقد قال الشهود عنه انه تصرف في الهيكل تصرف المالك في ملكه وكذلك في بيت حنانيا ابدى مثل هذا كأن البيت مختص به . وان جميع المحاكمات تجري في قصر قيافا ولكن يسوع كان الشخص الوحيد الهادي في القصر حيث ظهر الجميع حتى لبيلاطس ايضاً ان القصر كان هو القيم عليه لا غيره وقد شهد احدثهم ان يسوع هذا اعترف بانه ملك . فاقترب منه بيلاطس وسأله هل انت ملك ولم يسأله (هل قلت انك ملك) فبعد ان شرب مرسيلوس كأسين آخرين سأله وماذا كان جواب الجليلي ؟ اجاب ان مملكته ليست من هذا العالم

قال مرسيلوس قد اكثرت الشراب يا بولس حتى تكاد تفقد عقلك سأذهب وحدي وانبشهم انك مريض
اجاب بولس لن اتركك تذهب وحدك سأمر الفرقة ان تستعد للذهاب بقيادتي وهناك اجتمع بك

* * * *

كان مكان الصلب في بستان تحرق فيه عادة نفاية المدينة ولما كان ديمتريوس

لا يعرف جيداً طريق ذلك البستان فإنه قطع امله بالوصول في الوقت المعين لمشاهدة الصلب . وعلاوة على هذا فقد كان سيره الى ذلك المكان بطيئاً بالقياس الى شعوره بروحه الحزينة المنكسرة التي لم يشعر بمثلها منذ اصبح عبداً لانه ظهر له حينذاك ان العالم كله شرير والمحاكم ساقطة فاسدة والعدل اسم بلا معنى بحيث كان الحكام يُباعون ويُشرون والكهنة يغشون الشعب ولماذا يسلم رجل عاقل نفسه للموت لكي يخلص العالم الذي لن يرجي اصلاحه . بل كيف يقف وحده هذا الجليلي المتهور الغاضب على تنجيس الهيكل المقدس امام رؤساء الكهنة الملتوين والمحكمة الحرقاء ؟

واذ اقترب ديمتريوس من ذلك البستان صادف اناساً كثيرين قادمين الى المدينة واكثرهم من الاغنياء وعلم علم اليقين ان هؤلاء هم المسؤولون وحدهم عن جريمة ذلك النهار وانهم انتهوا عملية الصلب حسب مطالبهم وعادوا الان الى معاطاة تجارتهم كأنهم لم يأتوا امراً غريباً . وربما ذهب بعضهم الى الهيكل ليتلوا صلاتهم جداً ديمتريوس في سيره الى ان وصل الى زقاق يؤدي الى رابية صغيرة غير انه نظيف خلافاً لبقية الازقة القذرة وكان على تلك الرابية ثلاثة صلبان طويلة في صف واحد . فلما تقدم الى الامام رأى ان يسوع كان في الوسط مستقيماً على صليبه كتمثال ورأسه مرتفع بينما كان الرجلان المصلوبان من عن يمينه ويساره ملتويي الاعناق . فهبت لهذا المنظر المشؤوم واخذ يتأمل برهة . وقد انطفأت جذوة غضبه لانه رأى الرجل الحزين قد ضحي بحياته لاصلاح حالة الناس ولكنه قال ان الكهنة والكهنة سيستمرون في غشهم وخداعهم وان قيافا يحاكم الارباء وبيلاطس يحكم بظلم ويفسل يديه القدرتين في طست من الفضة . اما هذا الرجل الوحيد فقد دفع ثناً غالياً للحرب العقيمة التي شورها لازالة الشر وطالما كرز وانذر . ولكن غداً ينسى العالم انه جازف بحياته في سبيل الامانة . وقال مناجياً نفسه اظن الاوفى لانسان مثله ان يموت من ان يعيش في عالم تجري فيه حادثة فظيعة كهذه .

لم يكن الجمع هناك غفيراً كما اعتقد ديمتريوس بل لم يحدث شغب في الشعب لان وقوف الجنود مسندين الى رماحهم كان الدليل على هدوء الشعب وسكينته . فلما اقترب الى حيث المتفرجون لم يجد بينهم احداً من الذين كانوا في مكان المحاكمة . بل رأى فقراء ييكون وعدداً من النساء مجتمعات وعلى وجوههن امارات الحزن الشديد . وكانت الساحة الواسعة المنصوبة فيها الصلبان الثلاثة خالية من الناس

فسأل ديمتريوس احد الشرطة عن سيده فاجابه انه وعدداً من الضباط في الجانب الآخر من الاربعة خلف الصلبان

- قد اتيت بما لسيدي ليشرّب

- حسناً فانه يغسل يديه فيها لانهم اليوم لا يشربون ماء

سأل ديمتريوس قائلاً : هل مات الرجل

- لا بل قال شيئاً منذ بضعة دقائق

- ماذا قال وهل سمعته

- قال انا عطشان

- هل اعطوه ليشرّب

- كلاً لكنهم ملأوا اسفنجة خلاً ممزوجاً بشيء مخدر ورفعوها الى فمه

ولكنه لم يشرب . لم افهم لحد الآن السبب الذي لاجله صلب هذا الانسان .

فانه ليس جباناً . ثم اشار الجندي الى ذلك الفلك الحالك السواد وقال انه ستهب

عاصفة ثم تغفل بين الجمع

اما ديمتريوس فانه لم يبقَ ناظراً الى الرجل الفريد بل ادار نظره الى الجهة

الثانية من التلة فرأى مرسيلوس وبولس وخمسة غيرهم من الضباط قاعدين القرفصاء

على الارض وهم يلعبون بالنرد (لعبة الطاولة) اما ديمتريوس فقد اخذه العجب من

سيده لانه لم يعهده عادم الشعور الى هذا الحد وان الوقت لم يكن وقت لهو وتسلية

ولما لمح سيدة اشار اليه ان يقترب منه وسأله عما اذا كان لديه ما يقوله له اجابه
قد اتيتك بماء لكي تشرب . قال له ضع الاناء هنا واذهب واثنتي بذاك الثوب
الذي تحت الصليب . فلما وقع نظر يولس عليه اخذ يتمعن فيه ثم قال انه ثوب
حسن منسوج في احدى القرى ومصبوغ بعصير الجوز وسأستولي عليه لان صاحبه
لم يبق له من حاجة اليه

قال مرسيلوس لم يكون لك ؟ اذا كان ذا قيمة فلنقتريه كلانا عليه . وبعد
اتفاق رأيهما على الاقتراع عليه كان من نصيب سيدة مرسيلوس . فقال لديتريوس
احفظ هذا الثوب واعتن به فاخذه . ثم سأل سيدة اذا كان يريد منه شيئاً فاجابه
بقوله اذهب الى غرفتي واعد امتعتي لاننا نعود غداً الى منوع

وقف ديتريوس وقال اني ارى حالة الجو سيئة متلبدة بالغيوم ولا يمر وقت
يسير حتى تهب عاصفة هوجاء . عندئذ عرف ديتريوس سبب تعاطي سيدة كووس
الخمر لانه لم يستطع احتمال هذا العمل الفظيع المخجل وهو في تمام عقله . ثم حدث
رعد قوي يصم الاذان اهتزت له الارض . ولما شعر مرسيلوس بانه سيقع من
الاضطراب وضع يده على الصليب الذي في الوسط فتلطخت بالدم فمسحها ببذيل
ردائه

وخرج من بين الجمع رجل بلباس اسود غالي الثمن وقال لمرسيلوس انتهر الناس
فانهم يزعمون ان هذه العاصفة عبارة عن دينونة علينا . واذا رعدت السماء ثانية قال
له مرسيلوس ربما كان الامر كما يزعمون

- ولكن واجباتك تقضي عليك بالمحافظة على النظام

- أتروم مني ان اهدي العاصفة واخفت هزيم الرعد

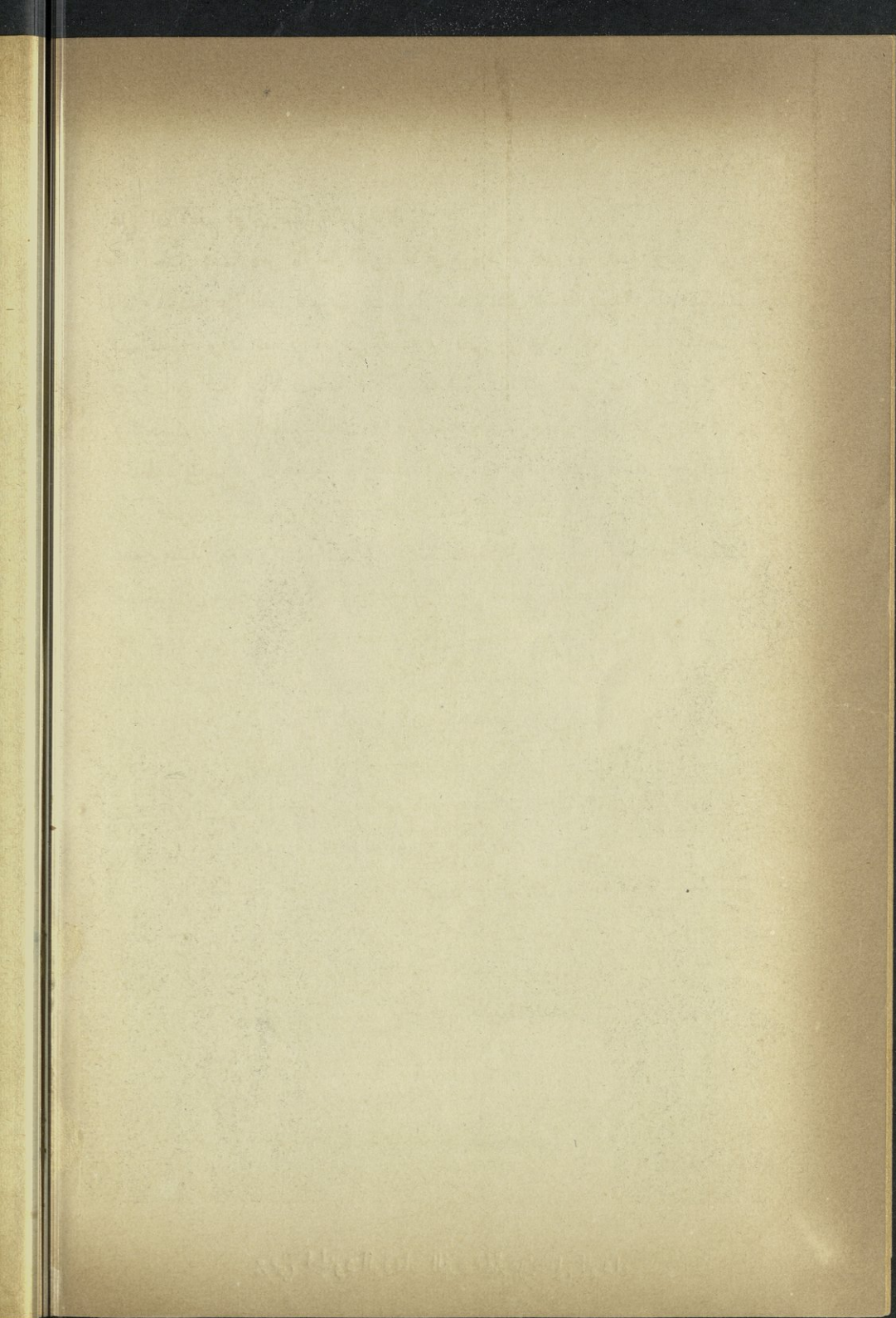
- هديء التجديف الذي يخرج من افواه الناس وهم يصرخون ان هذا الجليلي

هو ابن الله

- ربما هو كذلك وانت لا تدري . فخرج الرجل السمين وصاح قائلاً : يجب



يرمي الجنود الرومان النرد مقتربين على الرداء



عليّ أن أعلم الولي بهذا الامر حالاً

حدّق ديمتريوس بالرجل الفريد لآخر مرة فرآه قد رفع راسه ونظر الى الجوّ القائم فنادى على الفور بصوت عالٍ كأنه ينادي صديقاً بعيداً عنه يستمدّ منه المساعدة . وقد سمعه واحد من اتباعه فركض من بين الجمع باكياً منتحباً فحذبه ديمتريوس اليه وسأله بلجاجة عما تفوّ به فلم يجبه بل تملص منه وزاد في البكاء والنحيب . واما الجليلي المائت فان شقيقه تحرّكنا ونظر الى الجموع الواقفين تحت كنظره اليهم حين احتفلوا به كملك عليهم . ثم تجدد هزيم الرعد وخيم الظلام

فطوى ديمتريوس الثوب وحمله تحت جبينه . لانه حين لمسه شعر بارتياح ازال عنه وحشة البعاد والانفراد وقال مخاطباً نفسه اذا سمح لي مرسيلوس بهذا الثوب فيكون لي منه ميراث ثمين لا يُحْد من الرجل العظيم الشجاع الذي كان يلبسه . هذا وقد تَمَّتْ معرفته كثيراً والحصول على صداقته . ولما كانت الفرصة لم تسمح له فقد اكتفى بهذا الثوب الذي سيكون له بمثابة تعزية ابدية وتذكّار عظيم

ولما وصل الى اسواق المدينة كان الظلام قد ارخى سدوله على اورشليم مع ان الوقت لم يكن ليلاً بل كان بُعيد الظهر فذعر الناس لهذا الحدث المفاجيء وتعجبوا من هذه الظلمة غير العادية . اما هو فان وجود الثوب معه ابعد عنه كل خوف وشعر كأن فيه الدواء الشافي لجميع الآلام

ولما وصل الى السكنة كان ميلاس واقفاً في الرواق امام غرفة سيده يواس فلما رأى ديمتريوس مقبلاً سأله هل كنت هناك ؟ ولما لم ياخذ جواباً منه سأله ثانية أنظن ان هذه الظلمة الخالكة ناتجة عن كسوف الشمس

- كلاً لم اسمع بكسوف يدوم مدة طويلة كهذه

- أنظن ان ليسوع علاقة بهذه الظلمة ؟

- لا اظن ذلك

- هل راجعت فكرك بشأن الهرب الى دمشق ؟ سأتوجه في هذه الليلة بعد

ان اقوم بتمام الخدمة لسيدي وانها لفرصة نادرة فلا تدعها تفوتك واسمع لقولي
بدون ان تفشي سري او تطلع عليه احداً
- كن مطمئن البال باني لا اقول شيئاً عنك البتة
ولما ودّع ميلاس ديمتريوس واتجه نحو الباب اخرج الثوب من تحت جيبه فعاد
ميلاس ادراجه وسأله ما هذا ؟

- هذا ثوبه

- كيف وصل اليك

- اقترع الضباط عليه فرجحه سيدي

- اظنّه يجلب النحس

- لا بالعكس فانه كان يخلص رجلاً شجاعاً

* * * *

لما ولج مرسيلوس غرفته كانت سورة الحرة والاعياء قد اخذوا منه كل مأخذ
فجلس على كرسي وامر خادمه ان يحضر له كأساً من الخمر ايضاً فاجاب سؤاله حالاً .
ثم قال له اذا اغتسلت بالماء البارد يا سيدي فلا بُدَّ انك تشعر بتحسن فتفرّس فيه
مرسيلوس بعينين واسعتين وسأله أكنت هناك ؟ ثم استطرد قائلاً لا شك في ذلك
فقد اتيتني بالماء . قال ديمتريوس نعم واثبت بالثوب ايضاً . ثم لمس مرسيلوس
جيبه متبغياً ازالة ذكر ما اجراه في ذلك النهار . فدكّر خادمه بالمأذبة التي سيقسمها
بيلاطس عشية ذلك اليوم وبان يكون مستعداً لحضورها . فاجابه مرسيلوس الحق
معك فاذني اشعر انني قدّر خارجاً ، قدّر ومخجول معاً في الداخل

- نعم واكنك كنت تطيع الاوامر

سأله ثانية هل كنت هناك ؟

نعم يا سيدي ان العمل محزن للغاية

فسأله ايضاً : ما هو رأيك فيه يا ديميتريوس ؟
 اجاب : رأيي انه شجاع للغاية . لقد كان من سوء حظك أن عَهدت اليك
 هذه العملية
 - ان اقدم على عمل كهذا ما دمت حياً . هل كنت هناك لما طلب من الهه
 ان يغفر لنا ؟

- لو كنت هناك لما فهمت
 - ولا كنت انا فهمت وايكنهم قالوا لي ذلك . فصوّب نظره اليّ بعد ان
 طلب ما طلب . وهيمأت ان انسى تلك النظرة . وكانت هي المرة الاولى التي رأى
 فيها ديميتريوس الدموع في عيني سيده

* * * *

ان القصر الذي أُقيمت فيه المأدبة كان مزداناً بكل انواع الزينة كالاعلام
 والالوية والازهار على اختلاف اشكالها والوانها . وكانت الموسيقى تعزف انغاماً
 عسكرية والقناديل الحجرية الكبيرة تضيء القاعة الواسعة وجلس بيلاطس على
 رأس المائدة وعلى جانبيه مرسيلوس وجولييان ثم قواد قيصرية ويافا وغيرهم من
 الضباط . وكان بيلاطس مغموماً وحائزاً

استعد خدم بيلاطس لتأدية الخدمة المطلوبة وكذلك خدم القواد لان هذه
 المأدبة أُقيمت خصيصاً لتناول المشروبات الروحية . وكانت حامية ممنوع متهيجة
 الاعصاب لما قامت به من العمل الفظيع ذلك النهار والضابط بولس متذكراً
 ومغموماً الا انه عقيب احتسائه كؤوس الراح بكثرة اصبح مثلاً فرحاً .

اما مرسيلوس فلم تكن له قابلية الاكل فكان يتلهى بعشائه فادار بيلاطس
 وجهه اليه وسأله عما اذا كان يريد شيئاً آخر . ثم خاطبه بقوله ان ما قمت به اليوم

ازعجك وازال قابليتك لا شك ان العمل كان مؤلماً فاذني اضطرت ان احكم فيه

فتفرّس فيه مرسيلوس بجراً ووقاحة وقال له ان هذا الرجل لم يكن مذنباً كما اقرّ الوالي

فنظر اليه بيلاطس بغضب . وقال له : هل ينتقد قائد منوع قرار المحكمة العادل ؟

— لا شك بذلك . العادل ! هيه . لا احد يعرف العدالة اكثر من الوالي ان هذا الجليلي عومل بظلم

— لم يعتد القواد ان ينتقدوا رؤساءهم كما فعلت انت اليوم

— نعم ولكن سموك ابتدأت في الحديث واذا كان هذا الموضوع لا يروقك فلنختار موضوعاً آخر

أبرقت اسرة وجه بيلاطس وقال . لك رأيك في الموضوع . ولكن لم يسبق لمرووس ما ان ينتقد رئيسه بهذه الصراحة كما فعلت انت

— انا اعلم ذلك يا سيدي ثم حذق بصره فيه وقال : ولكن هذه قضية غريبة في بابها ومحكمة فوق العادة وعقاب غير عادي كما ان المحكوم عليه رجل غير عادي

— نعم انه رجل غريب . ثم سأل بصوت منخفض ما رأيك فيه ؟

— لست اعلم يا سيدي

— كان متعصباً

— بدون شك كما كان ارستوقراط وافلاطون

— اتعني انه من اصحاب هذا المزاج

وقبل ان يجيب مرسيلوس على ذلك وقف بولس يمزح ويمرح لانه كان مثلاً مما اغضب الوالي فاوماً اليه مرسيلوس ان يحترم الحضور لكنه لم يبال بل اقترب منه وهمس في اذنه كلاماً . فامر مرسيلوس ديمتريوس ان يجي بالشوب لاني بولس

يريد ان يراه

لم يطعم امر سيده بسرعة خذجه بيلاطس ببصره مدهوشاً فانتهره سيده وصاح به اذهب حالاً واحضره الى هنا • عندئذ ذهب مسرعاً الى غرفة سيده غير انه كان مضطرباً جداً فطوى الرداء الملوّث بالدم والممزق من الشوك ووضعه على ذراعه واتجه نحو القصر وشعر كانه خائف يوافق سواه من الاضداد على الاستهزاء بصديق محب • وقال مخاطباً نفسه ان يسوع هذا يستحق معاملة احسن من هذه من جنديّ مثل حتى بعد موته وخطر له ان يهرب بالثوب الى دمشق مع ميلاس ولكنه لم يفعل

ولما وصل به الى القاعة المقامة فيها المأذبة تأمل مرسياوس ذلك الثوب ولكنه لم يلمسه بل امر خادمه ان يعطيه الى الضابط يولس • فنهض يولس وامسك الثوب من ناحية الكتفين ومشى به الى ان دنا من رأس المائدة ووقف امام بيلاطس وقال له هذا تذكار النصر خذه ووضعه مع الاعلام • ولما رأى ان بيلاطس نظر اليه باشمئزاز اقترب من مرسياوس وقال له ان الولاية لا تريد الثوب لكنّ ممنوع تريده فانفض واللبسه واذهب به الى ممنوع فقال مرسياوس كفى يا يولس كفى غير ان يولس ظلّ يقول له اللبسه اللبسه ثم سلمه الى ديتريوس خادمه فلبسه اياه • فصاح واحد من الحاضرين اللبسه وهكذا صاح جميع الضباط الشملين • ولما رأى مرسياوس ان اوفق طريقة لتهدئة صياحهم هو لبس الثوب قال لخادمه هاتيه فتمسك به ديتريوس ولم يسلمه اياه فاحتدم سيده غيظاً واطمه وتلك اول لطمة من كف مرسياوس لخادمه • فاطرق ديتريوس راسه وسلمه الثوب ووقف صامتاً • فتناوله سيده ولبسه فوق جبينه عندئذ قهقه الجميع الا مرسياوس فانه لم يبتسم قط بل تغيرت سمته • عندئذ سكّ الجميع وقد امسى هو مشدوهاً او في حالم يحاول ان يلجّع ذلك الثوب عنه ولكنه لم يستطع لان يديه كانتا ترتجفان وبعد ان ساعده خادمه على تزعجه امره ان يأخذه ويحرقه

ولما خرج رأى ميلاس فقال له ستجدني الليلة عند « بوابة الغنم » فانتظري هناك قال هذا وامرعى الى البيت

* * * *

قال بيلاطس مخاطباً مرسيلوس اظنك لا تزال متأثراً من جوار الامور التي حدثت اليوم فاذا شئت ان تستقيل فاننا نعذرک فاجابه مرسيلوس ، اشكرک يا سيدي . واذا قام ليذهب شعر ان ركبتيه لا تزالان ضعيفتين ترجفان فعاد وقعد في مكانه . واخذ ينسب هذا الضعف الفجائي الى جملة اسباب منها افراطه في شرب الخمر ومنها ازدياد تهديدات اعصابه المتهبجة . ثم اقرّ أخيراً ان لا هذا ولا ذاك بل ذلك من الرداء المسحور حسبما اعتقد بيلاطس

واذ كان يحاول الوقوف مرة أخرى دخل احد الحرس وبعد ان حياً اخبر ان قبطان المركب قستريس قد وصل وانه يريد ان يسلم القائد مرسيلوس كتاباً من الامبراطور

فاصاح مرسيلوس بسمعه الى الوالي ليعلم ما يجيب فسمعه يقول دَعُهُ يَدْخُل فلما دخل حياً الوالي فأوعز اليه ان يسلم الكتاب الى مرسيلوس فاخرج هذا خنجره ووفض به الدرج ولكن بيدين مرتجفتين وبعد ان قرأه بتمامه التفت نحو القبطان وسأله متى يقلع المركب قستريس ؟

- غداً يا سيدي عندما نعود الى يافا

- حسناً فساكون مستعداً في الوقت المعين

- قد اعددت كل ما تحتاجه في سفرك الى الميناء وسيمر المركب على غزة

ويمكنك ان تنقل فيه كل ما تريد اخذه معك الى رومية

ثم التى التحية وخرج فالتفت ببيلاطس الى مرسيلوس وقال له انني اريد ان اكون في مقدمة المهنيين فقال له مرسيلوس اشكر لك عواطفك وتلفك . غير اني

الرجو ان تسمح لي بالذهاب الآن
- لا بُد من ذلك . ثم لما وجده انه لا يزال ضعيفاً سأله عما يحتاج اليه من
المساعدة او ان يبعث اليه خادمه ليقوم بخدمته

نهض مرسيلوس بصعوبة كلية ومشى بخطى بطيئة متقلباً على ارادته كي لا يقع
ويصيح سخريه امام الضباط . وعند وصوله الى نهاية الدار ارتاح هنيهة ثم تابع مشيه
الى الممر الرخامي فالبوابة التي تؤدي الى الخارج وهناك ابتدأ يتلمس طريقه كما
يفعل الشيخ العاجز ثم نزل في الدرج وعند وصوله الى الدرجة الاخيرة قعد عليها
واسند راسه وعوضاً من ان يفرح ويسر لا انتهاء مدة نفيه فانه لم يكثر ثشي
من هذا بل كان يخاطب نفسه قائلاً : انهض يا مرسيلوس لقد اصبحت حراً . انت
ذاهب الى بيتك . الى عائلتك . الى ديانا . انك مسافر غداً . ماذا ألم بك ؟

ما كاد يصحو من غيبوبته حتى شعر بحركة امامه فرأى ميلاس ملتصقاً بالجدار
ينسل منه على حذر . ولما وقع نظر هذا عليه ورآه جالساً هناك قفز كالغزال وغاب
عن الابصار . ثم سمع وقع خطوات على الممشى فادرك ان الوليمة قد انتهت امرها .
ثم شاء ان ينادي احداً لمساعدته لكنه ما امكنه قط ان يقرر شيئاً . الى ان اظلم
الليل فسار بخطى متثاقلة حتى وصل الى احد العواميد الرخامية ونام هناك

* * * *

صرف ديتريوس ساعة كاملة في اعداد امتهه سيده وبعض اشياء يحتاجها في
سفره الى منوع . ولقد عزّ عليه كثيراً ان يترك سيده لغير ما سبب على انه افكر
ان يتم خدمة سيده كالعادة ثم يهرب الى الشام البلاد الحرة . نعم ربما يصادف
اتعاباً ومصاعب كثيرة ولكن هذه ليست شيئاً في جانب نيل حريته واستقلاله .
وسيرى مرسيلوس ان تلك الاهانة التي اهانته بها امام القواد في دار الوليمة تشفع
بهربه . وبعد ان اتم عمله ذهب الى غرفته وجمع ما يخصه من الامته ووضعها في

كيس وطوى الرداء بعناية زائدة ووضعه فوق الملابس التي في الكيس وكان لمسه اياه كافياً وافياً ليولد فيه قوة الشعور بالراحة والطمأنينة

كان ديمتريوس قد سمع في حداثته رواية صغيرة عن خاتم منقوش عليه اسم امير وكان هذا الامير قد اهداه الى جندي خالصه من الموت . وبعد سنين طويلة كان اظهار الخاتم واسطة للتشرف بنيل رضى الامير وصادقته . وكان لهذا الرداء العامل الطبيعي نفسه الذي لخاتم الامير اعني به قوة الحماية والتأمين

وكانت الطريق الى « بوابة الغنم » بعيدة ولكن ديمتريوس كان قد اجتازها سابقاً في رحلاته الماضية وحده . وكان ميلاس قد اكد له انها خالية من الناس الا من الذين يؤمنون العاصمة من القرى الشمالية وقد رغب اليوم في قطعها ليس لانه ينوي الهرب عليها بل لانه احب ان يمتحن اجتياز طريق الحرية

كانت البوابة الآنفه الذكر خالية من الحراس ولم يكن ميلاس قد وصل بعد فاضطجع ديمتريوس على العشب بجانب الطريق وانتظره الى ان جاء فسأله ميلاس هل رآك احد ؟

- لا فكل شيء كان هادئاً

- وانت من رآك

- رأيت القائد مرسيلوس وخوفني لانني كنت ملتصقاً بالجدار انسل منه على

هذر

- ماذا كان يعمل هناك ؟

- كان جالساً وحده عند مدخل الباب

- هل عرفك ؟

- نعم عرفني ولكنه لم يتكلم . دعنا نسير لنعرف كم من الاميال نقطع

قبل شروق الشمس

- هل ظهر على القائد ما يدل على انه مسكران ؟

- لم يظهر عليه شيء من هذا تماماً لأنه غادر الدار قبل مغادرة غيره لها إلا أنه كان قلق البال على غير هدى من أمره . ربما لم يكن يعلم أين كان فتنهل ديمتريوس في سيرة ثم قال انا متأسف يا ميلاس وان فكري يدفعني الى الرجوع اليه

- تبتاً لك من جبان الخشي الهرب من رجل يلطمك امام جمهور من الضباط اذهب واخدمه كل حياتك فانه فقد عقله فادار ديمتريوس وجهه وقفل راجعاً

فصاح به ميلاس قائلاً الاوفق لك ان تتخلص من ذلك الرداء فهو الذي افقدك حرسيلوس عقله لانه حين لبسه تغيرت وساءت احواله . انه لرداء ملعون وقد انتقم الجليلي من خصومه

وكان ديمتريوس يعثر في طريقه وهو سائر في الظلام وصوت ميلاس يرن في اذنيه قائلاً ملعون ملعون



الفصل السابع

كان فصل الشتاء في جزيرة كاييري قصير الاجل غير انه في نظر واعتقاد الامبراطور طيباريوس كان اطول فصول السنة لانه كان يكرهه كرهاً شديداً لما يعانيه من شدة الآلام العصبية التي كانت تنتابه في اثنايه من رطوبة جو تلك الجزيرة والاستقاء من مشهد تلبد غيومه الخالكة السواد .

ولم يكن شغله الشاغل بعد ان سلم زمام الحكم الى الامير غايوس سوى الاهتمام ببناء دارات (فيلا) للمصيف في الجزيرة المذكورة على انه لم يكن ثمة من ضرورة تقضي ببناء ذلك . فكان يقضي سحابة النهار في حر الشمس في الربيع والصيف والخريف يراقب جماعة البنائين الذين كانوا يقدرّون هندسته النظرية والعملية حق قدرها لانه كان مهندساً بارعاً يرسم كل شكل باتقان تام حتى ان اغطية آبار الماء في راس الجبل كانت مصنوعة بطريقة هندسية انيقة ومغشاة بنقوش بديعة

وكانت الدارات (الفيلا) التي بناها تسعاً وكلها مشيدة في رابية عالية على نسق واحد ومحيط بكل واحد منها حديقة انيقة غناء . اما ما انفق على بنائها فن جيبه الخاص وقد اتخذ منها لسكناه القصر جوفيس الذي امتاز بدقة صنعه وبديع نقوشه .

كان الامبراطور يكره الشتاء كما ذكرنا آنفاً لانه لا يتأتى له التمتع بجمرة الشمس التي تحجبها الغيوم الكثيفة . ولما كان موقناً ان ايامه امست معدودة لذلك حاول ان يأتي بكل فن جديد تراتح اليه نفسه وتقرّ به عيناه . وكان كلما تساقطت الامطار وهبت الرياح يتزوي في الغرفة الخامسة والخمسين من منزله ولا

يسمح لاحد ان يزوره من الاقرباء والوزراء والنواب سوى القائمين على خدمته الشخصية والاطباء الكثيرون الذين يفسلون جسده بالخل المعطر ويصغون صاغرين الى شتائه البذينة

اما الامير غايوس فقد كان يرتاح لهذا الطقس جداً ويستطيع ان يكون له نفوذ في جميع المهام الخطيرة التي عهدت اليه .

ومن غريب امر الامبراطور ايضاً انه عند شروق الشمس تبدل حالته كانه شخص آخر فيستغي عن الاطباء وادويتهم ويطلب جيبته وحذاه وعصاه ثم يخرج الى الزوايا المشرفة على الحديقة فيصدر اوامره طالباً انجازها بسرعة فائقة لانه لم يُخلق ليكون حليماً صبوراً ولا يُنتظر منه ان يصبح هكذا وقد بلغ السنة الثانية والثلاثين . وبناءً على ذلك ظهرت الحركة فجأة في اوائل الربيع وقد خرج الموسيقيون المكردونيون والمنجمون المهنود والفلكيون الذين من جزيرة رودس والراقصات المصريات مع آلات العزف من مخبأهم السنوي الهادي ليمثلوا امام العاهل الروماني طيباريوس

وكان يوفد الى القصر دايونيسس ليسأل عن صحة الامبراطورة ليس من قبيل الاهتمام بامرها بل على سبيل المجاملة لانه سبق له ان تأمر مرة على قتلها ولكن تلك المؤامرة كان نصيبها الفشل

واقبل الربيع هذه السنة باكراً قبل اوانه . وامتلأ قلب طيباريوس جلاً وحبوراً واراد ان يدعو ديانا الصغيرة لكي تقاسمه افراحه بالتمتع بجمال الطبيعة فاوفد رسولا الى نياپوليس في النهار نفسه واتبعه بعد ساعة باخف عرابته الملوكية المزدانة بالوسائد المشوة بريش النعام وكتب بطاقة الى پولا غولوس يقول فيها ان العربنة منطلقة في طريقها لتحضرها وابنتها ديانا الى جزيرة كاپري . وقد فعل ذلك بدون ان يستشيرها اذا كان يوافقها الحضور او لا

وعند مساء اليوم الثالث وصلت پولا وابنتها ديانا الى جزيرة كاپري وحملتا في

سريّر نخم الى « الفيللا » جوفيس حيث كان الامبراطور الشيخ في انتظارهما على
 اخر من الحجر . وحين وقع نظره عليهما رغب اليهما في ان تستحما وترتاحا في
 سريريهما من عناء سفرهما الطويل . فسرت يولا جداً بهذه الرغبة وذهبت الى
 غرفتها شاكرة للامبراطور لطفه . اما ديانا التي كانت في عنفوان الصبا فلم يؤثر فيها
 العناء كثيراً كوالدتها بل بقيت لديه طربة مرحة الامر الذي سرّه جداً فتأبط
 ذارعها وسار بها الى مخدعه الخاص وهناك استلقى على سريّر كبير . اما هي فانها
 اتت بكرسي صغير ووضعتة عند اقدامه وجلست عليه ورفعت نظرها اليه
 فقال لها سايشي . اجمل دارة (فيلا) لديانا الجميلة المحبوبة فاشرق وجه ديانا اذ
 سمعت هذا الخبر السار وقالت له على الفور انك احب جدّ عرفه العالم

— وستساعديني انت في انشاءها ايتمها الابنة العزيزة

— ألهذا الامر اتيت بي الى هنا ؟

فاوما لها برأسه مرتين او ثلاث جواباً على سؤالها ثم قال لها سنتكلم غداً بهذا

الصدد

— اذاً يجب ان اذهب الى سريري وارتاح . وللحال نهضت عن كرسيها

وخاطبته قائلة التسمح لي يا جدي الحبيب ان اتناول الفطور معك غداً ؟

— انني افطر باكراً يا بنيتي ولا اريد ان تستيقظي لاجلي في مثل هذا الوقت

— لا بأس عليّ اذا استيقظت باكراً وفطرت معك . ثم استطردت قائلة اسعد

الله مساك يا جلالة الامبراطور واطرقت برأسها واسرعت الى غرفة نومها فانبسطت

لسادير وجهه واستعد هو للنوم

* * * *

ولما نهض طيباريوس من سريره في صبيحة اليوم الثاني شعر بهزة طرب لم يشعر

بمثلها من قبل بتاتاً . فان وجود ديانا في حضرته تلك الفتاة النشيطة جدّ حبه

للحياة . لانه كان يحبها حباً شديداً حتى انها لو طلبت منه جزيرة كاپري باسرها لما
 ضنَّ بها عليها . وبعد ان تناولا الفطور تمشياً معاً الى ان وصلا الى مكان بعيد
 يُشرف على الجهة الشرقية . وكانت ديانا مبهجة كثيراً . والامبراطور يسير بجانبها
 بخطى متساكلة وهو يلهث من التعب ثم التفت اليها وقال هنا يا ديانا نقوم بانشاء دارة
 (فيلا) جميلة فريدة في بابها لا يحجب منظرها شيء ما . ثم اشار بعصاه وقال
 من هناك ترين قسيفوس في الصباح وتشاهدين من على شرفات يوبي وهركيونينيوم
 شروق الشمس وعندما تجلسين بالقرب من نافذتك تبصرين كل ما هو جارٍ في
 سورتيتوم الهادئة

ولما رأت ديانا ان الامبراطور قد اخذ منه التعب كل مأخذ وان رجليه لا
 تقويان على حمل جسمه لمواصلة المشي اكثر من ذلك اشارت اليه بالجلوس حيث كانا
 واقفين جُلس طيباريوس هناك واخذت ديانا تلاحظ ما هو عليه من الهزال الشديد
 دون ان تنبس ببنت شفة اخيراً قال لها بصوت ضعيف لقد اصبحت عادة غيذاء
 يا ديانا وستتزوجين في احد الايام

فتنهدت ديانا تنهداً عميقاً واطرقت حياءً

- مالك يا ديانا التحبين من ليس اهلاً بكِ وجديراً بحبكِ ؟

- انني احب مرسيلوس يا جدي

- لا مانع فانه نعم الزوج ولكن ما معنى تنهيدك هذا ؟ حقاً لا رجل

اشرف منه في جميع المملكة ثم انك انت تحبين لوسيا كثيراً فاذا يمنعك عن
 الاقتراح باخيها ؟

فتمتمت ديانا قائلة : ان مرسيلوس قد أرسل الى مكان سحيق وليس
 بالامكان ان يعود الان بحيث ان قيادة حملة منوع صارت في عهده

فانبرى طيباريوس وصاح منوع ! تلك الناحية التي تعشش فيها جرائم الامراض
 يهمني ان اعرف من ارسله اليها

اجابت ديانا وهي متأثرة بعامل الغضب . ان الامير غايوس بعثه الى هناك
 - من يكون غايوس ذلك السكير الاحمق العاتي . وما الذي حمله على ان
 يتصرف هذا التصرف مع ابن مرقس لوقا غاليو ؟ ثم تابط ذراع ديانا وقال لنعد
 الآن الى القصر حيث اكتب اليه حين وصولي . وفيما هما سائران اخذ يشتم ويتهدد
 بعبارات بذئنة وكانت ديانا قد بلغها انه حينما يغضب يخرج عن حد التعقل لانها
 لم تره سابقاً في مثل هذه الحالة لذلك رجت منه ان يرتاح قليلاً قبل ان يكتب الى
 غايوس فلم يأبه لرجائها بل زاد صياحاً وهياجاً حتى اجتمع حوله اثنا عشر خادماً من
 المقربين اليه وعند وصوله الى الدار استقبله رئيس غرفته وسارت هي مسرعة الى
 غرفة والدتها التي كانت لا تزال نائمة . وبعد ان ايقظتها زقت اليها البشري بعزم
 الامبراطور على الاتيان بمرسيوس من منوع الى البيت

- أليس هو الغرض الوحيد الذي قررت ان تحمله على القيام به اللهم اذا لم
 ينس ذلك

- اظن انه لا ينسى هذه المرة فان غضبه على غايوس اخذ منه كل مأخذ .
 ولقد كنت اود لو رأيت حالته

- لقد رأيت كل هذه الافعال منه رأى العين .

- لا ريب في ان غايوس سيرى النور ظلاماً حينما يعلم ان امره لم ينفذ وليس
 باستطاعته ان يفعل شيئاً

قالت پولاً : ليس هذا الشيء . مؤكداً الان يا ولدي ولا يخفى عليك ان
 طيباريوس امسى مسناً واجله صار قريباً

- هل يخلفه غايوس في ادارة المملكة ؟

- من يعلم ؟

- ان الامبراطورة جوليانا ستختار الامبراطور الجديد . ربما لا يكون غايوس

- ان الامبراطور يجب والدي ولربما يعينه خلفاً له بالنظر لقدرة الرفيع

- انهم لا يعينون الرجال العظام قياصرة وليس لوالدك حق في ترشيح نفسه ولا سيما انه لا يجب الخداع
ثم قالت ديانا سافضي اليك بسرّ وهو ان الامبراطور سيبنى لي قصراً في هذه
الناحية ويريد ان اسكن فيه مع مرسيلوس
- ولكن مرسيلوس لا يستطيع ان يعيش في محيط كهذا فانه ان يعيش هنا
طويلاً . توجهي يا ابنتي واستفهمي هل يكتب اليه اليوم

* * * *

اوحى الى لوسيا قلبها ان اخاها مرسيلوس قادم في المركب قستريس الذي لحقه
في صباح ذلك النهار وقد تأخر المركب المذكور عن ميعاد وصوله . لانه حينما يزايل
يافا يستغرق من الوقت ثلاثة ايام لكي يصل الى رومية . وقد كان جميع الذين في
البيت ينتظرون مجيء مرسيلوس على اخر من الجمر . والوالد يحضهم على الاعتصام
بجبل الصبر ولكن كان هو بذاته جزوعاً يسألي نفسه بمسائل لا اهمية لها
وكان مرسيلبور يتعهد المنزل غرفة غرفة بحيث جعله في غاية الاتقان والترتيب
والوالدة اوصت بشراء سجاد جديد لتزيد في تزيين غرفته الخاصة وقد استطاعت
هذه الأم الرؤوم ان تحكم على ارادتها ولو انها بكّت من الفرح عندما جاءت
ديانا وانبأتها ببشرى قدومه

اما لوسيا فقد نفذ صبرها وهي تتوقع قدومه يوماً فيوماً بوقوفها في شرفة القصر
تراقب جميع المراكب التي تمخر عباب الماء . وما ان وقع نظرها على السفينة قستريس
تقارب من الشاطئ . حتى غمر فؤادها الجبور ولا سيما حين ايقنت ان اخاها في عداد
الركاب . اما والدها الذي لم يكن منتظراً مجيئه في ذلك النهار فقد توجه الى سوق
الحيل لابتاع جواذاً كريماً ويقدمه هدية له حين وصوله
والكن ديانا فقد اضطرت ان تطيع اوامر القيصر وتعود الى جزيرة كابري .

قالت لوسيا في نفسها ارجو ان لا يزجها القيصر فيما بعد . ولكن عليها ان تلاحظه
لانه عندما يغضب لا يهجم احد

مذ ان اقتربت السفينة فستريس من الشاطئ . شعرت لوسيا انها لا تستطيع
البقاء في البيت فتوجهت وحدها الى البوابة الكبيرة لتستقبل اخاها وما كانت لتبالي
بدهش الخدم من رؤيتهم اياها هناك لان هذا اليوم في نظرها غير عادي . ولما
وصلت جلست على احد المقاعد ولم تلبث هنيهة حتى وصلت عربية عتيقة يجرها جوادان
نسيطان فلما رآها ديتريوس خرج حالاً من العربية لملاقاتها وهي ايضاً اسرعت للملاقاة
وبعد ان تصافحا سأله عن اخيها فقال لها : ليس هناك من عربية تليق بمقامه . لذلك
اتيت الى هنا لاجث عن واحدة جديدة لائقة

- قل لي الحقيقة كيف حال اخي ؟

- ان السفر لم يوافق صحة سيدي اخيك

- أكان مريضاً كل مدة السفر ؟

ولما رآته مرتبكاً بكلامه ولم يجيبها جواباً شافياً ألحت عليه ان ينبئها الحقيقة
- قد حدث امرٌ للقاضي شقيقك ساخبرك عنه فيما بعد اذا شئت وهو الآن

ينتظر عودتي اليه

سألت لوسيا : أكان الطقس رديئاً في مدة سفره ؟

- لا . ولكن لم تكن لسيدي قابلية للاكل قط ولم يذق جفنه طعام المنام

واراد ان يشعر بضعف وانحطاط في قواه

- يلوح لي انك تكتم عني معرفة حالته فأؤمل منك ان تطلعي على الحقيقة

بدون تمويه

- ان اخاك مشرد الحواس قليل التكلم ولا يريد ان يترك وحده

- ألا يهجمه المحي . الى منزله

- لا يهجمه شيء من الاشياء

ثم مشى ديتريوس فشت بجانبه واذا ذاك اخذ يتراجع ثم التفت اليها وقال ارجو منك ان تتقدمي امامي لانه لا يحق لي الا ان امشي وراءك فاجابته على الفور : انني اكره مسألة العبيد والعبودية . ثم رجعت منه ثانية ان يطلعها على السبب الذي شرده حواس اخيها . فأدلى اليها بما يأتي :

لقد اصاب مرسيلوس امرٌ رعبه وعسى ان يزول قاتل ذلك بالقرب العاجل وتتحسن صحته هنا وقد تعهد لي بانه سيدبل جهده ليظهر لكم سروره بمشاهدتكم . واذا ما رأيتموه يتلجلج في كلامه ثم يسكت صامتاً فلا تتعجبوا من ذلك وان قال لكم بعدئذٍ هل كنتم هناك ؟ فلا تجيبوه : اين ؟ بل قولوا : كلاً . . وهذا ما حصل له يوم كنا في السفينة فانه كان احياناً يتكلم بسهولة مع القبطان كانه صحيح سليم ثم ينقطع فجأة عن الكلام ثم يسأل القبطان : هل كنت هناك ؟ فيجيبه هذا بالنفي . اخيراً يقول له : خيرٌ لك حيث لم تكن في ذلك المكان

— هل عرف القبطان السبب الذي جعل مرسيلوس يتكلم هكذا ؟
 — نعم عرف السبب وهو مسبب عن حادثة طويلة سأوردها لك بعدئذٍ بمذاخيرها ثم اقتربت منه وسألته بصوت منخفض أكنت انت هناك ؟
 اجابها نعم : ثم قال لها ارجو ألا تسأليه شيئاً يا لوسيا بل عامليه كما كنت تعاملينه من قبل ولا تاتي امامه على ذكر اورشليم حتى لا تنكثي جرح حساساته لانه عميق ومؤلم

وما انهي حديثه حتى توردت وجنتا لوسيا لان ديتريوس ناداها باسمها بصراحة كلية دون مجاملة ثم ناجت نفسها قائلة : لا بأس اننا جميعنا مديونون لاخلاص هذا الخادم الامين . ثم التفتت اليه وظهرت له شكرها لانه اخبرها كيف ينبغي ان تتصرف مع اخيها . فرفع رمحه الى رأسه بعد ان انتصب كالجندي وحيأها . فوقفت تنظر اليه الى ان توارى عن العيان .

بعد وصول مرسيلوس بساعة كاملة لم يظهر عليه شيء مما ذكر عنه ديتريوس
للوسيا التي بعد ان تركت ديتريوس اسرعت الى البيت وانبات والدتها بهذا الخبر
المؤلم الرائع ثم اقبل والدها وفهم الحالة كما هي فذعروا كلهم كأنهم سمعوا خبر موته
فلبثوا صامتين كأنهم ينتظرون رؤية جنازته . فلما جاءهم وحياتهم تحية الحب الحنون
المشتاق اخذهم العجب وانقلب ذعرهم وحزنهم الى فرح وطرب ولولا امارات الضعف
البادية على محياه لكان ابتهاجهم ببقاه كاملاً

ثم قال والده : ارى من الضروري تقوية جسمه بالطعمة المغذية الكافية واتخاذ
اسباب الراحة له لكي يستعيد المناعة التي كانت له من قبل . اما ما ذكره
ديتريوس بشأن حالته العقلية فبعيد . ولقد عجبوا من تخويفه اياهم بقوله لهم ان
مرسيلوس كان يائساً مشرد الحواس . والحق ان مرسيلوس كان ساعتئذ بعكس
ذلك فرحاً مسروراً

فانه اخذ يقص عليهم ما شاهده في اثناء سفره من المواقف التي رست فيها
السفينة وما تحققه من حقلة وحالة منوع السينة وحياة سكانها الذميمة . على ان
اسرعه الزائد في سرد ما قصه عليهم ليدل دلالة واضحة على تأثر شعوره بحيث انه
لم يعتقد التكلّم بسرعة كهذه وقد نسبوا ذلك منه الى عظم سروره بشاهدة أسرته .
غير انه ما لبث ان كف عن الكلام . فقالت له امه انت تعب يا ولدي فاجلس
هنا وخذ لنفسك قسطاً من الراحة

فجلس مرسيلوس وكان قبل ذلك يروي لهم حادثة لصوص هجموا على قافلة ثم
اخذ صوته ينخفض قليلاً قليلاً حتى نسي ما كان يتكلم عنه او كأنه سمع صوتاً
يناديه فجحظت عيناه وتغيرت سحنه وكان الجميع يلاحظون ذلك وهم صامتون كأن
على رؤوسهم الطير

فسألته والدته : هل تريد كاساً من الماء ؟ فلم يجب بل حاول ان يتيم لكنه
لم يستطع فطلب اليه والده ان يذهب الى سريره فلم يجبه ايضاً كأن اذنيه لم تسمعاً

شيئاً . وعندئذ ضاقت انفسه وتصلبت اعصاب يديه . ولما هددت ثورة نفسه أمره
 يده على جيبته ثم ادار وجهه نحو والده وسأله : هل كنت انت هناك يا سيدي ؟
 اجابه والده الشيخ لا يا بني . فقال مرسيوس ما اجهلني لدى هذا السؤال فانك
 كنت هنا ولم تغادر رومية . وبعد ان قال هذا التفت اليهم محاولاً الابتسام ليرى
 كيف كان تأثير هذا العارض عليهم فرأى والدته تبكي وتفتجب فتأوه . ثم
 استأذن وانصرف الى مخدعه فشهد ديمتريوس منتظراً في الرواق فاتكأ على عضده
 ليتمكن من الوصول الى سريره

* * * *

كان من شيمة مرقس لوقا غاليو ان يعامل جميع الناس بالعدل والانصاف سواء
 كانوا احراراً ام عبيداً وقد شاء ان يكون كل انسان عارفاً وظيفته في منزله . ولما
 اراد ان يكلم ديمتريوس بشأن ولده كما لو كان مساوياً له في الرتبة عين وقتاً كافياً
 لتقرير ذلك

ولقد كان غاليو يحترم ديمتريوس الكورنثي المخلص الجميل الخلق والخلق ويأمنه
 على كل شيء في جميع شؤونه . بيد انه كان يحافظ على ذلك الحاجز الذي بين
 السيد والمسود وقد اضطر اليوم بحكم الضرورة ان يزيح هذا الحاجز لانه كيف
 يتمكن من سؤاله عن الاسباب التي شردت عقل ابنه ان لم يفعل ذلك . هذا وقد
 مضى على مرسيوس نحو يومين وهو ملازم غرفته وتفقد والده في اثناهما عدة مرار
 فكان يبذل على حيائه علام الحجل منه ولم يأل جهداً في اظهار حنوه ومحبة والدية
 له واستعلامه عن سبب تجنبه الناس غير انه خشي سوء العاقبة

ولما كان مفتاح سر هذه المسألة بيد ديمتريوس فقد استدعاه للعمال الى مكتبه
 وقال له اريد ان اقف منك على تفصيل مسألة ولدي مرسيوس لانك لا تقدر ان
 تصور شدة غمي وهيتي من الحالة التي وصل اليها وبذلك تكون خدمتي خدمة

عظيمة وصيرتني ممتناً لك غاية الامتنان . ثم اشار اليه بالجلوس امامه وقال له :
اجلس اذا شئت فان الكلام سهل عليك متى كنت قاعداً مرتاحاً
فاجاب ديمتريوس بتأدب انني اكون مرتاحاً يا مولاي اذا كنت واقفاً لانني لم اعتد
الجلوس امام السادة

- قلت لك اجلس لانني لا ارتاح الى رؤيتك واقفاً . ان مسألة ولدي لمسألة
موت او حياة فاريد منك ان تطلعي عليها ولا تحفِ علي شيئاً منها . فجلس
ديمتريوس كما امره سيده وقال : ان الوالي في غضون عيد اليهود كان يأمر نواب
القلاع الفلسطينية بالحضور الى قصر الولاية للمحافظة على الامن لان اورشليم كانت
تعج بالجمهير الغفيرة القادمة من البلدان المختلفة لتحضر حفلة العيد - وكذلك أمر
سيدي بان يأتي ايضاً بكتيبة من جنود منوع اليها

- اليس بيلاطس هو الوالي في اورشليم

- بلى يا مولاي وهناك ايضاً حاكم مقاطعة مقيم في اورشليم

- انني لن انسى ذلك الثعلب هيرودس الذي فهمت انه يحسد بيلاطس

- يجب الا يحسد احد بيلاطس لانه اداة في ايدي رؤساء الكهنة فهم الذين
يحكمون في الدعاوي حسب اهوائهم كما حكموا في القضية التي انا آت على بيانها

- اهي القضية التي تتعلق بابني ؟

- اسمح لي قبل الجواب ان اسألك هل سمعت شيئاً عن المسيا ؟

- كلا من هو المسيا ؟

- هو البطل العظيم الذي يتوقع اليهود مجيئه الى العالم منذ اربعمئة سنة لكي
يعتقهم من العبودية لانه مخلصهم الذي وعدوا به . ويظن المتطرفون منهم ان
ظهوره سيكون في احد اسابيع عيدهم الآنف الذكر حتى خيل اليهم مراراً انهم
وجدوا الرجل الحقيقي الذي ينتظرونه ولكن لم يحدث شيء من هذا . اما هذه
المرة فانهم وجدوا رجلاً يهودياً . ومع كونه شخصاً فائق الطبيعة فان هيئته تدل

على انه كان مستقلاً

- العلك انت رأيته ؟

- لقد حاول جمهور كبير من الناس ان يقنعوه انه هو المسيح ملكهم وقد رأيتهم رأي العين حين وصولنا . ولكنه الى ان يحقق رغائبهم يا سيدي . والظاهر انه كان يبشر جماهير غفيرة في مقاطعة الجليل ويدعوهم الى الامانة والحنو والمحبة ولم تهمة سطوة الحكومة

- ربما صرّح لهم بان الحكومة غير عادلة في احكامها

- لست اعلم يا سيدي . ولقد كان بالامكان ان يفعل ذلك بدون مخالفته للحق

عندئذ جحظت عينايوا وقال له اظنك تقول ان الحكومة غير عادلة ،

اجل وهكذا سائر حكومات العالم

- انه لامرٌ مخزن جداً

- اذاً رفض هذا الجليلي الملك ولهذا السبب غضب عليه المعجبون به

اجاب ديتريوس وكذلك الحكومة لان اليهود الاغنياء خوفاً من امتداد سطوته

في جميع اورشليم طلبوا ادانته كخائن . وحيث ان بيلاطس علم حق العلم انه لم

يفعل ما يُعاقب عليه حاول ان يطلقه ولكنهم اصرؤا على محاكمته فاضطر اخيراً

ان يصدر الحكم عليه بالموت صلباً وامر قائد حامية ممنوع بان يقوم بعملية الصلب

- من مرسيلوس ؟ هذا امرٌ فظيع جداً

- نعم يا سيدي ولكن لحسن حظه كان فاقد الوعي من شدة سكره حين

قام بذلك العمل السيئ . فضلاً عن انه رغب الى ضابط ممنوع ان يتولى الاشراف

على العمل المذكور . ومنذ ذلك الحين تمثل هذا الشيء في مخيلته ولا يستطيع نسيانه

فتراه يذكر كل شيء . ويراها واضحاً امامه فيشعر عقيب ذلك بالمر شديد . وحيث انه

امرٌ حقيقي فيخيل اليه ان جميع الناس يعرفون شيئاً عنه . لذلك يسأل كل واحد

منهم : هل كنت انت هناك ؟

ولما اتضحت المسألة لغاليلو عاد فسأل ديمتريوس اكننت انت هناك ؟

- نعم يا سيدي ولكن هذا بعض الشيء . ثم نظر الى الشيخ وخاطبه بقوله ، قبل ان اقم حديثي : انني لست من الذين يؤمنون بالعجائب او الخزعبلات وبما انك انت لا تؤمن مثلي فيصعب عليك تصديق ما اروي به لك

- قل يا ديمتريوس وتابع حديثك

- ان يسوع الجليلي هذا كان يلبس وهو ذاهب الى مكان الصلب رداءً رمادياً بسيطاً محو كاً حياكة يديوية . خلعوه عنه ورموا به الى الارض . ولما كان معلقاً على خشبة الصليب وهو يلفظ الروح كان ولدك مع بعض الضباط يلعبون بالترد . ثم امسك احدهم ذلك الرداء والتي قرعة عليه فكان من نصيب سيدي مرسيلوس وفي مساء ذلك النهار اولى الوالي لجميع القواد والضباط وليمة فاخرة شربوا في اثناؤها الخمر المتنوعة حتى ثلثوا جميعهم . ثم طلب احد الضباط من سيدي ان يلبس ذلك الرداء

- يا له من طلب مزعج . هل لبسه ؟

نعم اضطر ان يلبسه . على انه كان هادىء البال في حالة طبيعية . ولو لم يفعل ذلك لكانت مسألة الصلب الرهيبة غابت عن فكره لكنه حين ارتدى ذلك الرداء تغيرت حالته تغيراً محسوساً

سأل غاليلو . في اعتقادك انت ان الرداء كان مسحوراً

- اظن ان سيدي حدث له حادث ما حين لبسه . لذلك تزعجه عنه حالاً واعرز

الي ان اطرحه في النار على اني ابقيته معي

- اذا قد خالفت امره

- نعم لانه لما امرني ان احرقه لم يكن هو شخص سيدي نفسه . وكم من

مرة كنت اخالف امره عندما يتبين لي ان من وراء طاعتي ما يضره . وانا الآن

مطمئن البال بحيث انني لم احرقه . ولربما يكون عدم حرقه واسطة لشفائه

- كيف ؟ أظن ان الرداء يكون واسطة لرد عقل ابني اليه ؟
 - لا اعلم تماماً يا مولاي وحاولت ان افكر في طريقة اتوصل بها الى ابرائه
 مما به والى الان لم اتوفق اليها . ثم انتصب واقفاً امام سيده وقال ان فكري يداني
 يا مولاي على ان السفر الى خارج رومية يكون من ورائه فائدة مزدوجة لصحة
 جسمه وعقله حيث اكون وايه بعيدين عن غوغاء الاهل والاصدقاء وهذا ما يسهل
 له البرء العاجل لانني اراه مرتبكاً ومخجولاً من حالته الحاضرة والذي يزيد ارتباكاً
 هو الخوف من محبي ديانا ومشاهديها اياه في تلك الحالة السيئة التي تجرح عواطفها
 - انني افهم ذلك يا ديمتريوس ووافق على فكرك بسفرك وايه الى خارج
 رومية . ولكن الى اية ناحية من النواحي يجب السفر للوصول الى ضاللتنا
 المنشودة

- ان العادة في رومية لرجل مثقف مثله ان يتوجه الى اثينا ليحضر الخطب
 والمحاضرات التي تُلقى هناك . ويتمرس بالفنون اليونانية فاذا ذهب سيدي الى هناك
 وهو مولع بفن الحفر فلا احد يسأله عن شيء خاص فضلاً عن ان هوائها الطلق
 يساعده على تحسين حالته ولا يُشاع عنه ما لا يوافقه او لا يوافق عائلته . وبناء على
 ذلك اذا شئت يا سيدي فانا اقنعه بالسفر الى اثينا حالاً لان حالته تعسة واخشى اذا
 اتت ديانا الا تجده حياً

- لهذا الحد بلغ منه اليأس ؟ اتعني انه يفضل الانتحار على رؤيتها اياه بهذه
 الحالة التي وصفتها

وقبل ان يتم غاليو كلامه اخرج خنجراً من منطقتة وناول له اياه وما وقع نظره
 عليه حتى علم انه ينحس ابنه فسأله : كيف وصل اليك ؟
 - كان يحاول ان ينتحر به ولكنني اختطفته منه وخباته وقد ظن بعدئذ انه
 اضاعه في السفينة .

فما كان من غاليو عند سماعه هذا الكلام الا ان مضى الى مكتبته واخرج منه

طاحية من الورق وكتب عليها ما كتب باحرف كبيرة وختمه بخاتمه ثم عاد الى ديتريوس وقال له . توجه مع ولدي الى اثينا ومهد له كل الطرق الصحية التي تؤدي الى شفاؤه . ولما كان من المعلوم شرعاً ان العبد لا يُعهد اليه القيام بمهمة خطيرة كهذه لذلك اسلمك هذا الصك الذي يصرح باعتاقي اياك من الرق والعبودية فانت حرٌ منذ الآن

فتفرد ديتريوس في مضمونه ولم يصدق انه اصبح كسيده حراً . يستطيع من الان فصاعداً ان يكلم لوسيا بكل حرية ومع هذا فانه اعاد الصك الى غاليو وقال له : انني اقدر كرمك حق قدره يا سيدي وكنت اقبله منك بفرح . لو كنت قدمته لي في غير هذه الظروف لان الحرية تعني منح اشياء كثيرة عظيمة لاي شخص كان . ولكنني اظن اننا نخطي . اذا غيرنا الصلة التي بين سيدي وخدمه - اتنبذ رغبتني في فرصة كهذه لمساعدة ابني ؟

- ان حريتي ستكون ناقصة وغير مفيدة لي اذا لم يشف مرسيلوس شفاء كاملاً فاجابه غاليو حقاً انك لشابٌ شجاع . ثم مشى الى مكتبه ووضع في صندوقه الحديدي الصك المذكور وبعد هنيهة عاد الى ديتريوس وقال له : لقد وضعت في الصندوق امانة لك فيمكنك والحالة هذه ان تطلبه متى شئت . ثم مد له يده ليصافه فكان من ديتريوس ان تجاهل ذلك ورفع للحال رحمه الى راسه كمعادته محبباً ثم استأذن بالانصراف من الغرفة فالتحق امامه غاليو كما ينحني الى رقيق مساوٍ له

* * * *

اما مرسيدور ذلك الخادم الكورنثي الامين فقد ظل مضطرب البال كثيراً من جهة مرسيلوس ولم يسنح له الوقت ليفهم من ديتريوس ما كان جارياً فلما راه خارجاً من غرفة مكتبة سيده اقترب منه وحيّاه ثم قال له : انبثني ما هو الحادث الذي

اصاب سيدك ؟

اجابه ان لهذا الحادث شرحاً طويلاً سابلغك اياه في هذه الليلة فتعال الى غرفتي
عند منتصف الليل فتسمع كل ما تريد معرفته

بعد ان استغرق سكان (القلأ) جميعهم في سبات عميق ولا سيما مرسيلوس
خرج ديمتريوس الى غرفته المجاورة حيث لقي مرسيلور في الاجل المضروب وقصّ
عليه ما جرى لسيدة اولاً وآخرأ
فقال له مرسيلور ارني الرداء

فلما رآه وامسكه بيديه سأله اتظن ان في هذا الرداء قوة سحرية خاصة ؟
- لست اعلم لانني اذا اجبتك بالايجاب تقول عني اني مختل الشعور والمختل لا
يقدر ان يخدم مختلاً آخر . فالأوفق ان اقول انه لا يوجد فيه شيء الا ما يتوهمه
الانسان . انني رأيت الرجل رأي العين فاذا هو شخص غير عادي وفي يقيني انه
روحاني

- لم اكن انتظر ان اسمع منك ذلك يا ديمتريوس اتسمح لي ان البسه
- لا اظن ان صاحبه يهجه الامر اذا لبسته لانه لم يمانع من اخذي له وانت
امين مثلي

- ما هذا الهذيان كيف عرفت انه لم يمانع ؟
ان هذا الرداء كما ذكرت لك له قوة سحرية غريبة لانني حينما لبسته فقط تنغير
احوالي فاذا كنت تعباً غدوت مرتاحاً وان كنت محتقراً فانه يقويني ويعزز شائي
واذا ما تحررت من عبوديتي . فانه يساعدني على احتلالها . والسبب في ذلك كله هو
انني حينما امسه بيدي اذكر قوته وشجاعته . فحُرب والبسه يا مرسيلور اذا شئت .
وتناول مرسيلور من يده ولبسه وما لبث ان قال يا للغرابة كم هو دافئ .
ثم عاد فقال ربما التخيل هذا الدفء . ثم استطرد قائلاً قد اخبرتني انه كان يهجه خير
الناس ولا شك ان ثوبه . . . ثم أرتج عليه . اخيراً حدّق في وجه ديمتريوس وابتم

فقال له ديتريوس انني لست محتلاً كما اظهر لك الان ؟

ثم وجه مرسليور اليه السؤال الآتي بصوت اجش : ما هذا الذي اشعر به ؟

- ان ما تشعر به هو هناك

فقال مرسليور أجل هو السلام وعقب ديتريوس على كلامه فقال : والثقة

ايضاً فعلى الانسان ان لا يهتم لان كل شيء ينتهي حسناً



الفصل الثامن

عند غروب الشمس في اليوم الاخير من شهر (يوليو) الذي سماه يوليوس قيصر باسمه اجر مرسيلوس مصحوباً بجادمه ديمتريوس الى اثينا في السفينة « كليتا » التي لم تكن تقلّ الناس فقط بل عدداً كبيراً من الحيوانات كالغنم والعجول والطيور على اشكالها علاوة على انواع المأكّل والامّعة . وكان ركبها يبتاعون منها ما يحتاجونه من المأكّل لاعداد طعامهم بانفسهم وكان يقيم في كل غرفة منها نحو تسعة اشخاص . فاضطر غاليو بحكم الضرورة ان يرسل ابنه فيها لكونه لم يجد غيرها وقتئذٍ في مرسى السفن فضلاً عن انها كانت على اهبّة السفر في تلك الليلة . فلو ان مرسيلوس كان ذا عقلية كاملة لتذمّر جدّ التذمر من حالة تلك السفينة وسيورها البطي . اما ديمتريوس فلما شاهد قبة المتحف الاثيني تحرّكت فيه عاطفة الحنين الى وطنه

على انه من حسنات هذه السفينة القليلة انها كانت تقف في كل ميناء من المواني التي تمرّ عليها نحواً من ثلاثة ايام تفرغ في اثنا عشر حمولتها وتحمل غيرها فيرتاح اذ ذاك الركاب ويتفرجون على تلك النواحي . وكان غاليو قد ارسل مع ديمتريوس كتباً عديدة ليتسلى ولله بقراءتها في غضون السفر ولكنه لم يقرأ منها شيئاً لانه فقد لذة الحياة وقد خشي ديمتريوس عاقبة ذلك الجلود الذي كان مستجوذاً عليه وهو يزداد يوماً فيوماً الا ان مرسيلوس كان حين يصفو الجو من الغيوم وتنتشر اشعة الشمس . يبادر الى سطح السفينة حيث يسرح انظاره في مياه البحر المتلألئة ثم يجلس واضعاً مرفقيه على ركبتيه ومسنداً ذقنه بيديه يتأمل ويفكر من دون ان

ينطق بكلمة ويجلس ديتريوس بالقرب منه يقرأ بصوت عالٍ لعله يتمكن من تسليّة افكار سيده ولو قليلاً فكان مرسياوس يسمع بدون ان يبدو عليه شيء من ادلة الادراك على ان ديتريوس كان يستفيد من تلك القراءة

وقد اتفق ذات مرة ان قرأ عن لوكريتوس وأعجب بحكمته وآرائه فسأل سيده : هل قرأت يا مولاي شيئاً عن الحكيم لوكريتوس ؟ اجابه نعم ولكن لم اعبأ به . فقال له ديتريوس ان لوكريتوس يقول : ان الذي يجعل الانسان تعساً في هذه الحياة الدنيا هو الخوف من الموت وانه هو بنفسه يسعى ويستغل لاجل ازالة هذا الخوف

- كيف يعمل لازالته ؟

- افترضه انه لا توجد حياة في المستقبل

- ان وطأة الخوف من الموت تخف عند بعض البشر علماً منهم انه لن يصليهم اكثر مما اصابهم في اثناء حياتهم . ولكن البعض الآخر منهم يطلبون الموت لانفسهم ولا يخشونه . اما انا فلا اهابه مطلقاً . فهل للوكريتوس ما يقوله لمن يخشى الحياة ؟

فاشأز ديتريوس من فتح باب هذا الموضوع . وحاول ان يجتنبه ولكن انى له ذلك الان . فقال ان لوكريتوس يصرّح بقوله : ان الحياة صعبة غير ان انتقال الانسان من حضيض الهمجية الى ذروة المدنية يخفف من صعوبتها وتكاليفها

- هل انتقل لوكريتوس من الهمجية الى المدنية ؟ او هل انتقلنا نحن كذلك فانك تعلم ما اذا كان هذا حقيقياً لانك كنت انت هناك

- نعم وكان الامر محزناً للغاية وانت تضع اللوم في ذلك على نفسك

- نعم لانه كان باستطاعتي ان اطلق حرية ذلك الجليلي لانني كان لديّ عدد كافٍ من جنود منوع ليستعمل قوّته ويفرق تلك الجموع

فقال ديتريوس : ربما كان ييلاطس يسوقك الى المجلس التأديبي حيث تخسر نفسك

- قد كلفني ذلك ما لا تتحمله نفسي . فكان الاجدر بي ان اخبرها بشرف
- يجب ان تحاول نسيان ذلك الان وتشغل افكارك بالعمل في اثينا الا تنتظر
بفرح الوقت الذي فيه تعود الى دروسك ؟

فلم يجب قط بل ادار ظهره واخذ يتفرس في البحر ثانية
وفي وقت آخر اذ اراد ديتريوس ان يشغل سيده بالحديث قال له : ان
لوكريتوس يصرح ايضاً بقوله ان سبب تعاسة الجنس البشري ناتج عن اعتقاده ان
الاشغال البشرية تختص بالالهة

- ولكن لوكريتوس احق بلا شك ما دام يعتقد بوجود آله فانه اخذ يفكر
بذلك ملياً حتى فقد عقله وها انا افعل الشيء نفسه

* * * *

لو لم يكن عقل مرسيالوس مضطرباً لكان سرّاً كثيراً بالخفاوة العظيمة التي
استقبله بها مضيفه الاثيني وكان ذلك منتظراً لان مرقس لوقا غاليو لما جاء اثينا
وهو في سن العشرين لمتابع دروسه تول ضيفاً في تول بولس الخالص الذي كان لخمسة
اجيال خلت يستقبل الضيوف ويعاملهم احسن .عاملة ولا سيما عندما يعلم هويتهم
فانه يبذل جهده لمرضايتهم . لقد كان يؤم اثينا كثير من الطلبة وجماعة الغرباء .
وكان فيها اكثر من مئة تول غير ان ستة منها كانت مشهورة بحسن المعاملة
وتزول الطبقة الراقية فيها . واما الباقية فكانت فنادق لا يوا جميع الطبقات من
اشقياء واصوص وما شاكل

والظاهر ان غاليو الصغير والد مرسيالوس كان قد ترك اثراً حسناً في نفس جرجس
ميوبولس لانه بعد ان غادر المنزل اخذ قطعة من النقود وكسرها نصفين فاعطى

مرقس النصف الواحد اما النصف الآخر فقد علق به تذكرة ووضعه في مكان امين واوصى البواب قائلاً : كل من يقدم لك نصف الدرهم الآخر فأهل به تأهيلاً حسناً ولكن حذار من تضيقه

فلما جاء مرسيولوس وناول البواب نصف الدرهم المعلقة به التذكرة تبدلت حالة معاملته فرحب به ترحيباً حسناً وانحنى امامه احتراماً وتوجه الى سيده واخبره بشأنه فاسرع اليه وحيأه اجمال تحية . عندئذ عرفه مرسيولوس بذاته انه ابن مرقس غاليو فسأله صاحب التزل كيف تريد ان ادعوك ؟

- انني قاضٍ واسمي مرسيولوس

- ان والدك ترك لدينا ذكرى حسنة ارجو ان يكون معافاً

- اشكرك فان صحته جيدة وهو يبعث بتحياته الى اهل بيتك ومع ان المدة

التي ترك فيها اثينا مديدة فانه يهدي لوالدك تحياته ايضاً

فقال دايون : ليت والدي باقٍ في قيد الحياة . فقد توفي منذ عشر سنوات . على اني ارحب بك باسمه وانا ادعى دايون . ان نزلي لك قتلطف وادخل الى البيت . يبدو لي انك تعب . ثم التفت الى ديتريوس وقال له سيساعدك الخادم بنقل الامتعة ويريك غرفتك

فقال مرسيولوس : ان خادمي سيقم في الغرفة التي اقيم فيها انا

- ولكن هذا بخلاف العادة المرعية عندنا

- ولكنها مرعية عندي لانني صادفت مؤخراً اخطاراً ومصاعب جمّة ولا ازال اشعر بسببها بتوعك زائد في صحي ولهذا لا اريد ان اكون وحدي بل ارغب في ان يكون ديتريوس مقيماً معي

فبعد ان فكر دايون قليلاً اجابه : ليكون لك ما تشاء ثم دعاه الى البيت وبينما كانا صاعدين السّام قال له انك وحدك المسؤول عن سلوك خادمك

- لو كان هذا العبد الكورنثي مطلق الحرية لتمكن من معاشره ارقى الناس

لانه على غاية من الثقيف والتعذيب والشجاعة الكافية
- سأذهب الان وآتيك بافراد عائلتي لكي يصير التعارف بينكم وبينهم
اما الان فيمكنك ان تأخذ قسطاً من الراحة لان التعب باذر على هينتك . كم
تود البقاء هنا ؟

- ربما ابقى ثلاثة او اربعة اشهر لانني محتاج الى الهدؤ والراحة ويكفي
غرفتان للنمامة ودار وغرفة للدرس والمطالعة والتلهي بفن النقش
- مرحباً بك سأعد لك ما طلبت وانه ليتمكنك ان تسرح النظر في الحديقة
الملاى باجل الورد من غرفتك التي تطل عليها . فلما خرج دايون دخل ديتريوس
وسأله عما اذا كان يريد منه شيئاً فأوعز اليه ان يمتظر قليلاً . ثم اقبل دايون
وبصحبته امرأته فيب التي رجبت بالضيف الشريف احسن ترحيب وبعدئذ تم
التعارف بين اينو شقيقة دايون ومرسيلوس . التي قالت انها رأت من يشبهه شبهاً
عظيماً حينما كانت في رومية

اما ديتريوس فلم يهتم به احد الا اينو التي التفت نحوه وسأله أأنت يوناني ؟
اجابها باحترام نعم عند ظنك
- من اين ؟ - من كورنثوس
- هل اتيت الى اينا قبلًا ؟
- مرة واحدة فقط .
- هل تقرأ - احياناً

فابتسمت اينو ولكنها اذ رأت ان اخاها غير راض عن هذا الحديث كفت
عن الكلام . وفيما هم كذلك دخلت صبية طويلة القامة وجميلة الصورة معاً .
فعرفتها والدتها الى مرسيلوس بانه ابن مرقس غاليو الذي سمعت والدها يتكلم
بشأنه كثيراً فابتسمت له ثيودوسيا ثم نظرت الى ديتريوس وانتظرت ان يعرفها
احد به فقال مرسيلوس الذي لم يشأ ان يخفض من قدره هذا ديتريوس الامين

لكنه ندم أخيراً لأنه لم يعرفه كخادم له . فاقتربت منه تيودوسيا وابتسمت له وهو بدوره اطرق احتراماً امامها . أخيراً مدت له يدها لمصاحته فتجاهل رؤيتها فقال لها والدها انه خادم

نظرت تيودوسيا اليه فرأته مجدجها بطرفه معجباً بها . فقالت اتأسف بل يحزنني وجود مثل هذه التفريقات . وكانت مرتبكة بكلامها فقال لها ديمتريوس لا بأس بذلك فلا تهتمي

ثم قال دايون لمرسيوس ساريك الان الجناح الذي ستشغله خياً هذا السيدات وتبع مضيقة وسار ديمتريوس وراءهما . فنظرت اليه تيودوسيا وتأوهت فقالت لها عمتها : لا يمكنك ان تعرفيه خادماً البتة ليس بالنظر فقط الى مظهره الخارجي بل لان لباسه يختلف اختلافاً بيناً عن لباس سائر الخدم فضلاً عن ان العبيد لا يجلسون في مجلس السادة كما لا ينبغي

قالت فيب ليت هذا الامر لم يكن فعليك يا تيودوسيا ان تجانبه من الان فصاعداً . فنظرت اليها عمتها وابتسمت

* * * *

وبعد مضي اسبوع على اقامتها في اثينا استولى على ديمتريوس اليأس من عدم تحسن حالة سيده العقلية لانه ظن في اول الامر عقيب وصول مرسيولوس الى النزل واحتفاء آل يوپولس به وسروره بتلك الحفاوة والاکرام وشكره لهم بان تغيير المناخ قد افاده كثيراً وخصوصاً لوجوده في محيط راقٍ ممتاز واقامته في غرفة موجهة لنور الشمس في الطبقة السفلى تشرف على حديقة غناء.

وكانت غرفة المطالعة التي يارس فيها الحفر ملائمة له كل الملائمة ومع هذا كله غانه امسى في حالة لا تطاق من شدة وطأة السوداء على عقله ولما اشار عليه ديمتريوس بزيارة القاعات التي تعرض فيها الصور ابى ذلك حتى انه ابى ايضاً ان يزور آل

يؤانس الذين زاروه عدة مرات
في صبيحة اليوم الثامن عزم ديمتريوس ان ياتي امرأ جديداً وهو اجراء بعض
التجارب في الطين فالتمس من مرسيلوس ان يأذن له بذلك

- احضر الطين اذا شئت واكثني اعلم ان هذه التجارب ستزعجك في الوقت
نفسه وضع ديمتريوس مائدة الرسم في وسط الغرفة واجتهد في ان يصنع من ذلك
الطين تمثالاً صغيراً . وحين ذاك دخل مرسيلوس وجلس في زاوية من تلك الغرفة
واخذ يلاحظ عمل خادمه فاستبشر هذا خيراً . ولما اكمل نصف التمثال المشار اليه
اقترب منه مرسيلوس وقال له ساريك كيف تشتغل وتابع كلامه قائلاً : ان الطين
الذي بين يديك قدر فاحضر لي قليلاً من الماء ثم بدأ في العمل وخادمه يلاحظه .
وفي مساء ذلك النهار تناول سيده عشاءه بقابلية حسنة وذهب باكراً الى فراشه

وفي صباح اليوم الثاني تناول فطوره وتوجه للحال الى غرفة الدرس فسرَّ
ديمتريوس لما رآه منه وتركه وحده اثلاً يزعجه ولكنه شاهدته بعد هنيهة يعود الى
الرواق والعرق البارد يتصبب من جبينه ويدها ترتجفان فساءته حالته هذه وقد قرَّ
رايه ان يقوم بتجربة جديدة كان قد تردد مراراً في اجرائها

ولما ثاب الى مرسيلوس رشده فقل راجعاً الى غرفته . اما ديمتريوس فانه نزل
الى المطبخ حيث سأل الوكيل كليكون ما اذا كان يعرف حائكاً ماهراً لان لديه
رداءً لسيدة يريد رتقه . فدله الوكيل على رجل يدعى بنيامين يشغل محلاً بجوار
المسرح (التياترو) ثم قال له : سل عن محله من تراه في طريقك فيهديك اليه
- ان امم بنيامين يدل عليه ان يهودي

- نعم هو يهودي ولكنه رجل فاضل مجتهد في عمله . وما من رجل يهودي
لا يريد ان يكون غنياً . وقد سمعت بعضهم يقول : اذا كان ظاهر هيئتك لا
يوضيه ، فانه لا يعمل لك عملاً ابداً

- ربما يتجنب الكلام مع عبد
- هذا لانيهمه ألم يوسف ابناؤه ملته في سلاسل العبودية ؟

* * * *

جلس مرسيلوس في اليوم الثاني في كرسية واخذ يحدق بنظره الى الحديقة بدون ان يبدي حركة . وكان ديمتريوس على مقربة منه يشغل بالطين . وقد استعلم مراراً من سيده عن كيفية صنع القائل فلم يجبه . ولما رأى ان حالة سيده اصبحت سيئة للعاية حاول ان يقوم بأخر تجربة خطرت على باله ولكنه ما لبث ان أجّل ذلك الى اوقات متفاوتة اخيراً قرّر اجراءها فدخل الى غرفته بقلبه واجف ويدين مرتعشتين واخرج الرداء العزيز من الكيس الذي كان قد اودعه فيه . ولم تكن قد تيسرت له الفرصة لرؤيته منذ كان في رومية ولما لمسه ووضع على ركبتيه شعر بالراحة التي شعر بها في اورشليم وهي راحة خاصة للروح والجسد لا يمازجها كسل او تراخ . بل انها تضبط النفس وتزيدها قوة ومناعة . على ان ديمتريوس لم يكن من الذين يؤمنون بالالوهام والخرافات فكان يحقر كل من يعتقد ان للاشياء الجامدة قوة . وينعته بالاحق الابله الذي يجعل الوهم يسطو على عقله . ومع هذا فانه كان يعرف تمام المعرفة ان اعصابه تهدأ عند ما يضع يده على ذلك الرداء .

ومنذ اول تجربة اجراها رأى ان هذا العمل دقيق وقريب للعقل لان الرجل الذي لبس هذا الرداء كان مثلاً للشجاعة بل ان الشجاعة مجسمة فيه . وكان ديمتريوس قد رأى يسوع هادي الروح عند محاكمته وله ثقة تامة في نفسه بينما العالم بأسره كان مضاداً له والموت يواجهه وليس هناك من يدافع عنه . أليس من الطبيعي ان يصبح لباسه عنوان البأس والاقدام

كان ديمتريوس في إبان فراغه يحال الحدث الذي يصيبه عند ما يلمس ذلك الرداء فاتضح له اخيراً انه شارة لقوة ادبية كما كان خاتم امه علامة حبها وحنوها نحوه .

والان اذ هدأت ثورة اعصابه تحقق لديه انه مصيب في تحليله وأن هناك قدرة عظيمة لا تقاوم ملتصقة بالرداء المذكور فطواه وحمله على ذراعه ومشى بخطى مكينة الى حجرة مرسيلوس المفتوح بابها . فلما رآه سيده داخلاً جحظت عيناه رهبةً وبدت امارات الذعر على وجهه ورجع القهقري وهو يهتز في كرسيه مرتعاً من الشئ الذي سلبه راحته

فقال له ديتريوس قد سمعت برجل ماهر في الحياكة فهل تأذن لي ان اسلم الرداء اليه لكي يرتقه ؟

فصرخ مرسيلوس بصوت مرتفع : لقد امرتك ان تمزقه . فخذ حالاً من هنا واحرقه وادفن رماده . ثم انتصب قائماً وبالكاد حملته ركبته الى زاوية الرواق حيث تمسك باحد العواميد وعلا صراخه ثانية بقوله : كنت اظن انك تدرك اكثر من ذلك لا شك انك تعلم علم اليقين يا ديتريوس سلب مصيقتي فهل تريد ان تريد الطين بلة وتأتي فتذكرني بهذا الشئ . الساحر المزعج . لقد المتني كثيراً بعصيانك او امري مع انني عاملتك معاملة صديق لا معاملة خادم : ها انني سايعاك واخلص منك وكان الغضب قد اخذ منه كل مأخذ فصاح به ثالثة دعني وشأني لا اقدر احتمل اكثر مما احتملت : اغرب يا هذا من امام وجهي

فتسلل ديتريوس الى غرفته بهدوء ولم يفقه بكلمة لانه تيقن ان تجربته التي قام بها لم تسكن فورة غضبه ثم قال في سره لا ينبغي لي ان انفر منه لانه لا يقدم على عمل ما نطق به واعداد الرداء الى الكيس وتوجه الى السوق فلمح في الطريق ثيودوسيا في الارجوحة ولما وقع نظرها عليه اومأت اليه ان يقترب منها ففعل ثم سألته : لماذا يرضن علينا سيدك بمشاهدته ؟ احب ان افهم السبب ؟

اجاب ان صحة سيدي ليست على ما يرام في هذه الايام وايضاً عنده ما يشغله

عن الزيارات

قالت : اني اراك مهتماً كثيراً بشأنه

ولما رأى ديتريوس ان الابنة قوية الشكيمة ولن تتركه يتابع طريقه ما لم يخبرها بحقيقة الواقع . قال اني مهم اكثر مما تتصورين فتأثرت ثيودوسيا وقالت هل نستطيع مساعدته ؟

اجابها ديتريوس والياس ملء قلبه : لا
 قالت لقد ظهر لي في تلك الليلة ان مرسيلوس يحاول جهده لان يتهرّب منّا او
 لانه لا يرغب في محادثتنا . واطنك انت لاحظت ذلك منه ليس لانه لا يحبنا
 ولكنه اراد ان ينجو منا فعسى ألا يكون محتبباً من وجه العدالة لان هذا المكان
 ليس للتجسّبة

واذ اراد ديتريوس ان ينفي الشك عن فكر ثيودوسيا قرّر ان يخبرها الحقيقة
 بتمامها فقال لها انها أهدوثة طويلة ولكن لا يليق ادبياً ان تُرى ابنة يوبولس
 تتحدث خادماً . أما لاحظت ان والدك لا يزال مستاء بحيث تطففت وعاملتي
 بالحسنى

— لا اظن احداً يراقبنا الان وبعد ان التفتت الى جهة البيت اومأت اليه ان
 يسبقها الى حديقة ملاصقه لهيكل قديم حيث تستطيع ان تتحدثواياه بملء الحرية .
 فعند مسيره الى هناك لم يضطر الى انتظارها طويلاً لانها ما عثمت ان جاءت اليه .
 ثم حانت منها التفاتة فرأت احد الكهنة فادّعت بانها كانت على سابق موعد لمقابلة
 اخٍ لها . ولما غادر الكاهن المكان وخلا لها الجو قالت له اصدقني الخبر ولا
 تنكر علي شيئاً : ممن يا ترى سيدك القاضي خائف ؟

فرأى ان يبتدي بالقصة من آخرها فقال : ان مرسيلوس خائف من رداء رمادي
 محوّك حياكة يدوية وملوث بالدم كان يلبسه رجلٌ بريء وقد أمر هو بصلبه على
 خشبة مع علمه حق العلم انه بريء الساحة ثم شرع يسرد لها الرواية كلها مبتدئاً من
 منوع والسفر الى اورشليم وكانت ثيودوسيا تقاطعه مراراً باستئلتها . اخيراً وجهت
 اليه السؤال الآتي :

ما هي الأدلة التي اوضحت ان يسوع هذا كان رجلاً عظيماً مع انك انت قلت انه كان وحيداً ويائساً حين اراد الشعب ان يقيمه ملكاً عليهم؟ ترى ماذا فعل حتى دفع الكثيرين الى الاعجاب به؟

اجابها ديمتريوس حقاً لست اعلم . بل يصعب عليّ ان اقول شيئاً بهذا الصدد ؛
لما اذا أُتيح لك رؤيته فتشعرين انه كان حزيناً لاجل العالم قاطبةً لانهم كانوا
كاولاد لا ملجأ لهم يطلبون شيئاً ولكنهم لا يفهمون ما يطلبون . وكان هذا
الجليلي قد جاء من مكان سحيق حيث الناس امناء واصدقاء بعضهم لبعض وعائشين
في مجبوحة السلام واسواقهم نظيفة خالية من المتسولين والاصوص والمحتالين والفجار
وحيث لا محاكم ولا سجون ولا حروب ولا جنود ولا غني ولا فقير

- انت تعلم انه لا يوجد مكان كهذا

- لقد سألوه عند المحاكمة عما اذا كان ملكاً فاجابهم ان له مملكة ولكن
ليست من هذا العالم

فتفرست فيه تيودوسيا وقالت لا تذكر امام احد انك تصدق كلاماً كهذا

- انني لا اصدق ولكنني است اعلم ما استطيع تصديقه عن يسوع هذا

فانني لم ار طوال حياتي انساناً نظيره

- كفي كنت اخشى ان تقول لي انه احد الالهة

- يظهر لي انك لا تعتقدين بالالهة

- لا . ولكن قم روايتك

وبعد ان اتم ديمتريوس روايته قال : بكأنه يخاطب نفسه كم تأثرت حينما ارخى

الظلام سدوله على اورشليم في رائعة النهار فوجمت تيودوسيا وازدادت نبضات قلبها

وترقرقت الدموع في عيونها

ثم استطرد قائلاً ومع هذا فلم يدافع عن نفسه . وقد اقترعوا على رداثة

فكان من نصيب سيدي . ثم ادب الوالي مأدبة فخمة عشية ذلك النهار وقد أُجبر

على لسه .

وعند عودتهما معاً الى البيت قالت ثيودوسيا : لو لم تكن المسألة ذات اهمية
ما كانت اثرت كل هذا التأثير على عقله

- لقد بذلت جهدي في مساعدته ولكن يغلب على ظني انه لم يبق له ثقة بي
بتاتاً

- هو يؤكد ان الرداء مسجور وانت لا تظن كذلك

- انني سأقص عليك ما اذا سمعته تعبيرينه من سخييف الكلام ولكنه حقيقة
اشعر بها فاءهي انني لما كنت صغير السن كنت اذا عثرت بشيء وسقطت على
الارض وجرحت اركض نحو والدتي باكياً فكانت للحال تضميني الى صدرها بدون
ان تسألني شيئاً او تونجني على عدم انتباهي الى ان اكف عن البكاء ليس لعدم
شعوري حينئذ بألم السقوط بل لاحتمالي اياه بزيد الصبر لان والدتي قد شعرت معي
بذلك . وهكذا حالة العبيد فانهم يشعرون دائماً بألم الوحدة الا انهم حينئذ تتألم
نفوسهم يذهبون الى من يجدون لديهم تعزية لقلوبهم كما يجد الطفل تعزيته بين
ذراعي والدته الحنونة . وهذا الرداء ليس لي مسجوراً ولكنه ... على انها لم
تدعه يكمل عبارته بل قالت له : لقد فهمت ما تعني بكلامك

وعندئذ افترقا وذهب كل منهما في طريقه . اما ديمتريوس فقد تجددت
عواطفه حين اتى على قصة يسوع ووجد نفسه كأنه في غير هذا العالم غير ان ضجة
السوق نبهته من غفلته فعلم ان هذه الرواية أينما ذكرت تجعل من انسانين غريبين
صديقين مخلصين وتوثق عرى الصداقة بينهما كما جري بين ثيودوسيا وديمتريوس

* * *

واقدر تبين جلياً لمرسيلوس ان حالته الحاضرة على هذا المنوال لا تطاق ولم يأمل
كما أمل والده براه من علته العقلية بمجيئه الى اثينا ولزومه الهدوء والسكينة

واراحة باله من امر الضيوف ومقابلتهم لانه جاء بحمله الثقيل معه ولا يمكن مع طول الزمن ان يُشفى من هذه العلة الاليمه وذلك اذا تابع دروسه وشغل افكاره باسغال يدوية متنوعة ومسليه معاً . اما وقد طال مرضه وعيل صبره فانه صمم النية على الانتحار

لا ريب في ان عائلته ستحزن كثيراً عندما تتلقى اذاعة منعهاء ولكن الموت عنده خير من العار . ثم اخذ يراجع في ذهنه كيفية وداعه الاخير لعائلته المذكورة وكيف دخل غرفة مكتبة والده ورأى هناك في الحديقة لوسيا تقرأ ووالدته نائمة في غرفتها ولم يرد ايقاظها وكذلك شاهد ديانا التي ضحها الى صدره وقبلها قبلة الوداع ثم ابتداءً ينحني باللائمة على ديتريوس ويقول : لا شك ان ديتريوس قد خدعه باخفاء الخنجر الفضي الذي ابتاعه من كورفو والذي اساع وقتشه انه فقد في السفينة فستريس . وقد اوهمه انه صدق كلامه لذلك اضطر ان يشتري غيره من كورفو باقل قيمة . وادعى ايضاً باختفاء الخنجر الحديد على انه اخفى كليهما في كيسه ضمن غرفته دخل مرسيوس الى الغرفة ولما شاهد الكيس فوق سرير ديتريوس اخذت يدها ترتجفان رهبة من آلة الموت لانه رأى الرداء ملقى على ذلك الكيس كما وضعه ديتريوس فقال مخاطباً نفسه انه اخفى الخنجرين تحت الرداء لكي لا يتمكن من الوصول اليهما . ولكنني سأزيجهما بيدي ولا يهمني ما يحدث بعدها لي من الحوادث

ثم اقترب بعزم ثابت من ذلك السرير ومد يده المرتجفة وكان العرق البارد يتصبب من جبهته وتحاذت ركبتاه حتى استطاع بالكد الوقوف على قدميه وللحال قبض على الرداء كأنه يقبض على شيء حي . واذا ذاك وقف مرسيوس برهة مشدوها واصابعه غارقة في وسط الرداء الممقوت ثم جلس على السرير وجذبته نحوه وتفرس فيه بدون اعمال فكره فيه ثم عرضه لجهة النور واماله بتؤدة على ذراعه العربية ولم يستطع ان يعرب عن شعوره الخاص . عندئذ حدث له شيء غريب

فهدأت بعده اعصابه كأنه قد استفاق من حلم مزعج فخرج بالرداء الى الرواق حيث جلس على كرسي واخذ يلمسه وشعر اذ ذاك بسرور وارتياح لا مزيد عليهما وتساقت الدموع الحارة من عينيه ثم اعاد الرداء الى غرفة ديمتريوس ووضعها حيث كان اولاً . وقد كاد يطير فرحاً من تحسن حاله فنزل الى الحديقة . وهناك وجده ديمتريوس الذي كان يبحث عنه في غرفته الخاصة وفي غرفة الدرس والرواق حتى اوجس خيفة عليه . ولما رآه يتنزه في الحديقة قال له : انت احسن اليوم يا سيدي - اجاب مبتسماً لقد غبت عنك مدة طويلة يا ديمتريوس

- نعم يا سيدي ولكنك لا تقدر ان تقدر عظم سروري برجوعك . ماذا تريد مني ان اعمل ؟

- ألم تقل لي انه يوجد حائك بارع جداً يمكنه ان يرتق الرداء ؟

فابرت اسرة ديمتريوس وقال بلى يا سيدي

- اذاً يجب ان نبحث بعد العشاء لنجد ذلك الحائك واذا قال هذا تقدم نحو

الرواق وديمتريوس يتبعه بقلب يطفح حبوراً

- اسمح لي يا سيدي ان اسألك هل لمست

- اجاب نعم وابتسم

- هذا الذي تلمسه

- لماذا ؟ هل تشعر بشعور غريب عندما تلمسه - نعم يا سيدي

- اما انا فلا اقدر ان اعتبر عن ذلك الشعور الذي تولاني عند لمسه لان فيه

حرارة غريبة مختصة به . ألا ترى انه من الحاقة ان نقول هذا القول

- بلى يا سيدي فقد رأيته يموت وكان شجاعاً . وعندما انظر الى الرداء اريد

ان اتصرف تصرف الشجاع

- هذا وحده لا يفهم معناه لان فيه اكثر مما ذكرت وانت تعرف ذلك

- نعم يا سيدي

الفصل التاسع

ولما استيقظ مرسيلوس باكراً سرَّ سروراً عظيماً اذ وجد نفسه مرثاحاً من ذلك
الحمل الثقيل الذي لازمه مدة من الزمن وشعر بتحسّن مستمرّ في قواه الجسدية
والعقلية وقد فقه لأول مرة معنى الحرية التامة وتغنى لو يتاح له رؤية تلك الروح
العظيمة التي منحتها هذه النعمة ليشكر لها جودها واحسانها . ثم وقف قليلاً وانعم
النظر من خلال باب الغرفة المختصة بديتريوس فرآه لا يزال نائماً ففرح بذلك وقال
انه يستحق الراحة التامة والشكر والاعتذار منه ايضاً .

منذ كان مرسيلوس في الخامسة عشرة من عمره وشفي من الحمى التي آلت به
في ذلك الحين وسرَّ كثيراً حينئذٍ . شعر اليوم بعد شفائه من علته العقلية بغبطة
وسرور لا مزيد عليهما . وقد اصفى بكليته الى تغريد الطيور وخير المياه في
حديثه والى كل ما يقرُّ الناظر ويسرُّ الخاطر آنفئذٍ من فصل الشتاء الذي هبطت
امطاره بغزارة فروت الارض ونظفت ما كان عليها من اقدار فتنشق مرسيلوس
رائحة الزهور العطرة وشاهد المياه تتساقط كاللاكي . من اوراق الاشجار النظيفة وقال
مناجياً نفسه اظن ان استروفانس في صباح جميل مثل هذا انشد قصيدته الشهيرة في
طيور اثينا

لم يقدر مرسيلوس ان يعتبر ما حصل له بالامس من رد الفعل امرأ غامضاً كل
الغموض فأخذ يحلّ ذلك بقدر استطاعته فقال ان هذا الرداء قد دلّ أولاً على
العمل الفظيع المخزي الذي جرى في اورشليم لان صاحبه كان بريئاً من كل جرم وقد
حُوكم بدون سبب وحكم عليه بالصلب والموت زوراً وبهتاناً وقد احتمل آلامه
بصبر وشجاعة فائقين لانه عالم حق العالم ما سيواجهه ويلاقيه بعدئذٍ .

وبعد هذا كله فان مرسيلوس في تلك الليلة التي أقيمت فيها المأدبة كان في وعيه وقد تصرف ذلك التصرف الوحشي امام شجاعة يسوع معتبراً اياه رجلاً كسائر الرجال العاديين وعلاوة على هذا فانه لم يكفه انه ساعد في صلبه بل رضي ان يلبس الرداء لكي يرضي فريقاً من السكارى . فلا عجب اذا كانت ذكرى هذه الحادثة الفظيعة المؤلمة افقدته رشده وآلمته . ولما كان الرداء أداة لتعذيبه كان من الطبيعي ان يبغضه بغضاً جنونياً . ولكن حينما اضطرّ امس ان يلبسه في ساعة يأس شديدة فانه تعافى من علته العقلية وثاب اليه رشده . فهل كان ما اصابه عرضاً يا ترى ؟ ام كان في الرداء قوة سحرية ؟ فاذا اقرّ بالامر الاول فقد ذهب به الوهم كل مذهب . واذا كان الثاني وهو عدم اعتقاده بشيء من هذا فقد عُوقب كل هذه المدة بسبب الرداء المشار اليه الى ان جاء الوقت الذي نجا فيه من العقوبة عند لمسهِ ثانية لذلك سيقدره قدره ويحترمه

واذ كان يتأمل هذه التأملات اقبل ديتريوس واعتذر اليه عن تأخره في النوم فاجابه مرسيلوس اني سررت كثيراً لانك استطعت النوم بعد ان رأيت سوء حالي وما سمعتك اياه من قوارص الكلام في غصون تألمي وقد احتملت ذلك مني بصبر زائد ولهذا آسف لما بدر مني ولا سيما نهار امس من سوء معاملتي لك - ارجو منك يا سيدي ان لا تذكر هذا الشيء ابداً لانني مسرور جداً بشغائك - علينا ان نبذل جهدنا لمقابلة ذلك الحائك القدير لترى هل يستطيع رتق الرداء.

- نعم يا سيدي . هل أعد لك فطورك ؟
- انتظر دقيقة يا ديتريوس وأبد لي رأيك الخاص انتظن ان هذا الرداء مسجور ؟

- لا اعلم . انه شيء خفي . وقد ظننت انك تكون قد وقفت على سره .
فهل لك ان تجربني الى اين وصلت في اعمال فكرك لكشفه ؟ فتمهد مرسيلوس

وهز رأسه وقال كلما فكرت فيه زدت تحيراً
 - لا بأس يا مولاي ولكننا غير مضطرين ان ندرك كنهه لانه يوجد امور
 كثيرة يخفى علينا ادراكها وربما هذا من جملتها

* * * *

كان حانوت بنيامين الحائك اليهودي تجاه مدخل المسرح (دا يونيسوس) وقد
 نُقش اسمه على واجهة بابه ولكن هيئة الحانوت نفسه لا تدل على ان صاحبه من
 اقدم الحاكة وامهرهم في اثينا . اما العرفة التي كان يشغلها فيه فكانت ذات
 قسمين فالاول منها يحتوي على نولين فقط ودولاب للغزل واشياء اخرى من ادوات
 الحياكة وكذلك على سلل ملائنة من الشرائق ورزم كبيرة من القطن واكياس من
 الصوف . اما القسم الآخر فيتضمن مائدة واسعة للعمل وقد جالس بنيامين ازاءها
 يقوم بنسج دقيق جداً على كم ثوب من الحرير . على انه كان نجيل القامة منحني
 الظهر ورأسه اكبر من جسمه وصدره مغطى بلحمته البيضاء الطويلة . وكان وراءه
 رف عليه ادراج كان قد استعملها كثيراً

ولما اهتدى مرسيلوس وخدامه الى حانوت بنيامين الحائك الشهير وجداه مكباً
 على شغله لا يلتفت الى شيء آخر . وعند فراغه من عمله اقتربا منه فقال له مرسيلوس :
 ان هذا الرداء يحتاج الى رتق فهل تريد ان ترتقه لي ؟

- ان لدي من الملابس ما هو اهم من الفتق والرتق . فيمكنك والحالة هذه ان
 تتوجه الى غيري ليقوم باصلاحه

- ما كنت لاثقل عليك بشيء من هذا لو لم يكن هذا الرداء مهماً عندي .
 نعم ان ثمنه زهيد ولكنك تذكر نفيس واود ان اصلحه الاصلاح التام
 - اهذا تذكر ؟ سأله بنيامين بعد ان تناوله من يده ليفحصه ثم قال له وكيف
 أهدي لك وانت روماني وهذا لباس يهودي

- أجل اجاب مرسياوس بتأن وصبر انا روماني ولكن هذا الرداء يخص رجلاً
يهودياً

- أهو صديق لك؟

- لا ولكنه قريب من الصديق . وكان رجلاً شجاعاً وبما انني حصلت على
ردائه فاريده ان احترم هذا ايضاً . ثم دنا منه حتى كاد يلصق به فرآه يزيل لطخة
من الدم سوداء في ذلك الرداء

- هل مات وهو يجارب؟

- كلاً لم يكن يجارب ولكنه مات ميتة شنيعة فظيعة لقد كان رجل السلام
يجار عليه اعداؤه

- يظهر لي انك تعرف من امره كل شيء . ومع هذا فلا يهمني ان اعرف
كيف حصلت على ردائه ويتضح لي انه لم تكن لك يد في مصرعه وبناء على ذلك
سأرتقه لك ولا يكلفك شيئاً

- اشكرك غير انني اود ان ادفع لك اجرته . متى آتي لآخذه؟ فلم يجب
بنيامين بل اشار الى مرسياوس ليقرب منه وعرض امامه ذلك الرداء . وقال له
لاحظ كيف انه منسوج نسيجاً واحداً وهذا ما يحوكه الصنّاع في الجليل قرب
بحيرة جنيسارت . لقد مرّ عليّ سنون عديدة ولم يقع تحت نظري رداء منسوج
مثل هذا . فارجح انه من ضواحي كفرناحوم

- اتعرف تلك الاماكن؟

- نعم . نعم ان شعبي من السامرة في الجهة الجنوبية . وكانت العلاقات بين
السامريين والجليليين مفقودة فلم يحتج احدهم الى الآخر مطلقاً . لان الجليليين
كانوا رجال الكهنة العظام يصرفون معظم اوقاتهم في مجامعهم تاركين قطيعهم
يهتم بذاته بينما هم يقصدون الى اورشليم لاجل الاحتفالات وهم يفتقرون بهذه
السياحات والذبائح اما نحن السامريين فلا نتشبت بمثل هذه العادات

- لماذا ؟

اجابه بنيامين جواب من يريد ان يقدم خطاباً وقال له لا شك انك سمعت قصة ايليا واذا هز مرسيلوس راسه ونظر اليه بنيامين مشفقاً وجه اليه السؤال الآتي : هل كان ايليا احد آلهة السامرة ؟

- ما كنت اتوقع ان احداً من الرومان يجهل هذا الجهل . ثم استطرد قائلاً : ان لليهود الهاً واحداً سواء أكانوا جليليين ام سامريين ام من سكان اليهودية ام من المشتتين منهم في اقاصي المعمورة ، فان ايليا كان نبياً وكذلك اليسع الذي ورث رداءه كان نبياً ايضاً وقد سكن كلاهما في جبال السامرة مدة طويلة قبل مجيء الكهنة ورؤسائهم الكسالى ولذلك نحن نعبد الله في رؤوس الجبال والمغاور .

سأله بنيامين : ما هو اسمك ايها الشاب وكم هي المدة التي تقضيها في اثينا ؟
- اسمي مرسيلوس وربما اصرف عدة اسابيع فيها لانني اريد ان اشاهد اشياء كثيرة

وكم لك من الايام هنا ؟

عندئذٍ أوعز مرسيلوس الى ديمتريوس ليجاب عنه

- هل ذهبت الى تلة المريخ ؟

- لا لم اذهب بعد

- والى اكربولس ؟

- ولا الى ذاك المكان ايضاً

- ماذا كنت تفعل اذا ؟

- كنت اقضي الوقت مرتاحاً . وقد سافرت مؤخراً سفرتين طويلتين

- شاب نشيط نظيرك لا يحتاج الى الراحة . ولكن الى اين سافرت

- سافرت من رومية الى هنا ومن يافا الى رومية

- من يافا ؟ اذا كنت في اورشليم اثناء عيد الفصح حيث أنبتت انه حدثت

امور عجيبة غريبة ؟

- حقاً ان المدينة كانت غاصة بالجماهيم الغفيرة من كل الطبقات انني عائد الان الى محل اقامتي كي لا اعوقك عن شغلك

- اذاً تعال غداً ساعة غياب الشمس فيكون الرداء حاضراً . واذا شئت ان تقبل دعوتي فنشرب معاً كأسين من الخمر

- اجابه مرسيلوس هذا تلطف منك واذا لم اتمكن غداً من الحضور اليك بنفسي فيمكنك ان تعتمد على ديمتريوس لتسليم الرداء اليه

- يغلب على ظني انك لا ترمد الكلام بشأن هذا الرجل اليهودي

- انما لرواية مؤلمة

- كل الوايات عن اليهود مؤلمة . هل انتظرك غداً ؟

نعم . قال مرسيلوس

- اهلاً وسهلاً ثم رفع يده وقال السلام لك فاجابه مرسيلوس الوداع يا صديقي

ولما اصبحا بعيدين عن الحانوت سأل مرسيلوس ديمتريوس قائلاً : هل من الخطأ

ان اجي غداً ؟

- الالوفق الا تعود اليه لانه سيعود الى اسثله عن حادثة اورشليم

- اتعرف انت شيئاً عن عادات اليهود ؟

- اعرف قليلاً جداً يا سيدي

- كم من الامور يعرف هذا الشيخ عن الجليل ؟

- سينبتك هو بذلك غداً

- لن اذهب اليه لانني لا اريد ان يستأنف هذا الحديث امامي ابداً

- رأيك صائب يا مولاي

وقد تبين لهما ان ما عرّضا على عمله يجب ان يُنفذ لذلك غادرا مصرح دايونيسوس
ومشيا بين اشجار الزيزفون . وقد توقّف مرسيلوس قليلاً امام الحوانيت ليغازل
الفتيات ويتصدّق على اشقائهنّ من بنين وبنات بدنانيه نحاسية . ثمّ صعد الى تلة
المريخ وقضيا ساعة من الزمن في المغارة المقدّسة حيث اقام اليونان قنايل لعظماهم
اخيراً جلس مرسيلوس على مقعد رخامي في زاوية منفردة من ذلك المكان
ووقف ديمتريوس بعيداً عنه قليلاً وكانا يفكران في ما مرّ من الامور عليهما . وبعد
هنيهة اوما مرسيلوس الى صف القنايل القديمة قائلاً : أما لاحظت يا ديمتريوس انه
لا يوجد تمثال لمحارب واحد بين عظمائكم المقامة لهم القنايل - انكم معاشر
اليونانيين محاربون افذاذ عند ما تجبرون على ذلك لكن الابطال الحقيقيين الذين
يبقى ذكرهم ابداً هم رجال السلم . تذكر الندوة الكبرى في رومية حيث اقيمت
قنايل لمقرس انطونيوس ويوليوس قيصر وكلهم مدحجون بالفولاذ وسائر الاسلحة
بينما اقام اليونانيون على هذا التل قنايل لسقراط وابوقراط وهيرودتس وصولون
وارسطوالبس وكلهم من رجال العلم والفلسفة لا من ارباب الكرّ والفرّ في
الحروب غير انهم يظهرون كأنهم ذهبوا الى الحرب
قال ديمتريوس مستهزئاً نحن صنعنا ذلك . اجاب مرسيلوس بسخرية فان هذا
التشويه هو من صنع الجيوش الرومانية الباسلة وافرادها الاعميين . ثمّ جلس هنيهة
واستطرد حديثه بحماسة فائقة قائلاً : تبّاً للرجال الذين يشهرون الحرب على القنايل .
ان الزمن الحاضر يشهد للامبراطورية الرومانية بقوة الفتح ولكن الماضي لا يشهد
لهم به احد

ان الامة التي تحارب تاريخ امة اخرى هي ذات جن مغلوبة على امرها وايس
لها من كرامة اذا لم تحترم حكمة الفلاسفة ومواعظ الحكماء الذين منحوا العالم
جمال القول والعمل وحلية الفضل والفضيلة . واذا اخذ منه الغضب كل مأخذ وقف
تجاه افلاطون وقال هذا الرجل مثلاً ليس له وطن ولا اصل ولا تقدر مملكة

من الممالك ان تعدّه من رعاياها . ثم توقّف عن الكلام وتفرّس في وجه ديمتريوس قائلاً له : أتعلم ان هذا ما قاله الجليلي عن نفسه ؟
 - اني اذكر انه قال ان مملكته ليست من هذا العالم . ولم يعرف احد ماذا يقصد بقوله

- ربما يُقام له تمثال يوماً ما . لنذهب الان فقد قرّرنا ان نكون فرحين هذا النهار ومع ذلك فقد تكلّمنا كالفلاسفة القدماء . وبعد ساعة من غروب الشمس واقترابهما من التزل اعلن مرسيولوس غزوه على زيارة عائلة يوپولس قائلاً : كان يجب عليّ ان اقوم بهذه الزيارة قبل الان لانني لم ارَ احداً منهم منذ ليلة وصولي
 - ولا شك في انهم يكونون مسرورين برؤيتك لانهم سألوها عنك مراراً
 - اذا سأذهب لمشاهدتهم . اما انت فاسبقني الى التزل .

وقد ناجى ديمتريوس نفسه ودله تصوره ان تجدد العلاقة بعد هذه المدة الطويلة سيكون ولا ريب مدعاة الى سرور آل يوپولس ولا سيما ثيودوسيا . ثم تساءل عما يكون شعور ثيودوسيا من جهة . لان اهتمامه بحالة سيده جعله يطلعها على ما كابده من الامور الصعاب في سبيله والان يذهب مرسيولوس لمقابلتها كأنه لم يحدث له شيء ما في حياته . وهو الذي اظهر لها فيما مضى انه يائس من نيته الشفاء التام فهل يدور في خلدها انه أفق لها هذه الحكاية كلها لكن لا يمكنها تصديق ذلك مطلقاً لانه ليس بوسع اي كان ان يعمل مثل هذا العمل

وبعد هنيهة اتى احد العبيد معلناً ان القاضي يودّ ان يتناول العشاء مع العائلة فبدت ابتسامة على وجه ديمتريوس عندما اقتكر فيها يمكن ان يجري الحديث على المائدة لان الوقت ساعتئذ يتطلب الظرف واللباقة

استيقظ مرسيلوس باكراً فتردّى بردائه وتوجّه الى حجرة الدرس حيث شرع يشتغل في الطين الناعم كعلم ماهر . ولما رأى ديتريوس ان سيده غير محتاج اليه التمس منه الاذن بالخروج من البيت ترويحاً للنفس . وفي ذاك الوقت كانت ثيودوسيا تتمرّن في الحديقة على استعمال القوس والنشاب . فلما رآها ديتريوس اقترب منها واخذ العجب من خبرتها ومهارتها في اصابة الهدف فاثني عليها كل الثناء ومدح عملها الذي قال عنه انه لا يحتاج الى التمرين فشكرت عواطفه بدون ان تصوّب نظرها اليه وقالت له : أيمكننا الاجتماع معاً ؟

- اجابها انني اتمنى ذلك ولكن لا يتيسر لنا الاجتماع هنا
- اذا توجّه الى المكان المعين

فذهب ديتريوس الى حديقة الهيكل وكان الكهنة اذ ذاك منهمكين في اداء فروضهم الدينية فلم يكن احد في الحديقة . ولما رآها مقبلة خفق فؤاده لها وكان هذا برهاناً على اختباره الجديد لامر المساواة . وكان هو في احتياج الى صداقتها وليس في امكانه ان يفسر معنى الحرية التي منحتها اياها . أيعتبرها تشریفاً له ام خطأ بمقامها . اما ثيودوسيا فجلست بقربه بدون ان تحييه ونظرت اليه برزانة فسألها : ماذا جرى في حفلة العشاء ؟

اجابته : أليس من العجب العجيب ان يكون قد شفي تمام الشفاء

- خشيت ان تظني بانني لم اخبرك الحقيقة وما كنت لالومك لو ظننت ذلك

- صدقت كلامك كل التصديق واعتقد انه حدث امر هام

- لا ريب في ذلك . فانه وجد الرداء حين كنت غائباً ولما لمسه زال عنه

الخوف وقد نام ليلة امس نوماً هادئاً وعاد اليوم الى حالته الطبيعية . ولكنني لا اقدر على كشف هذا السر الغامض

قالت ثيودوسيا وانا ايضا اعملت فكري في هذا السر طيلة النهار فلم يتيسر لي كشفه . على انني اظن ان نظرتة الاولى الى الرداء التي آلتها هي على العكس

من نظرتة الاخيرة التي ابرأته . واني من اللواتي يحتفظن بتدوين ما يجري لهن يومياً فاراجعه متى شئت . فاذا قرأ احد يومياتي دون ان يعرفني شخصياً يرى على الصفحة الواحدة منها حين كنت اكتب وانا في حالة السرور ما يغير اعتقاده بي عندما يقرأ ما ادونه في الصفحة الثانية وانا يائسة حزينة . اذا فانت ومرسيلوس قد تحالفتا بشأن هذا الجليلي . لان افكارك من نحوه كانت حزينة فلم تؤلمك كثيراً اما تذكارات مرسيلوس فكان وقعها شديداً على نفسه فسببت له العذاب الاليم . لقد ذكرت لي ان يسوع هذا صفح عن الجميع فتأثر قلب مرسيلوس من هذا الحنان وربما عاد الى وجدانه هذا التأثير عندما لمس الرداء ثانية فشعر بقوة فائقة خلصته من تبكيت الضمير . ألا ترى رأيي في حل هذه المسألة ؟

- ولكن ألا تظنين يا ثيودوسيا ان مرسيلوس بعد ما حصل له من هذا الاختبار ان قلبه يتهلل فرحاً . نعم ان مدة تهله كانت قصيرة غير انه عاد الى حياته العادية كأنه لم يحدث له شيء

- اظن انه يخفي احساساته وهو يشعر بغبطة اكثر مما تقتكر

- ليس من سبب يوجب كتمان عني

- ربما يظن ان القضية خطيرة بحيث لا تستطيع انت ولا هو ادراك كنهها . لذلك عقد النية على عدم الخوض في هذا الموضوع . وقلت ايضاً انه تهلل مؤقتاً ثم انطفأت جذوة الفرح وهذا امر طبيعي

قالت لي عمي اينو مرة لما رأته في حالة اليأس ان الحياة كلها تشابه رحلة طويلة سهلة في السهول ، بيد انها صعبة ومزعجة في الاماكن الوعرة العميقة . اما المناظر الخلابة فانها في قمم الجبال الشاخمة . وعندما يصل الانسان اليها يشعر بالغبطة والسرور ويتمنى لو ان له اجنحة ليطير اليها غير انه لا يستطيع البقاء فيها بل عليه ان يتم رحلته التي ابتدأها فيهبط منها الى السفح ونظراً لكثرة اهتمامه بتمكين قدميه حذر السقوط فانه لا يلبث ان ينسى تلك المناظر البديعة

- انني آسف لانك شعرت بالوحدة والتعاسة يا ثيودوسيا . قال ذلك ووضع كفه على اذنه الشرماء .

- لم تُشرم آذان كل العبيد ، ان حالتك هذه لمؤلمة يا ديمتريوس . تبساً لهذا العالم وتقاليده السيئة بحيث يُجبر رجلٌ مثلك على ان يعيش كعبد . ولكن هنالك فارق اجتماعي بين حالتك وحالتي فانا ابنة صاحب نزل ، اما انت فع كوزك رُبيت في بيت علم وأعطيت ذكاءً وعقلاً وفكراً فان جماعة الاشرار قد رأوا منك عبداً . اما انا فع ان ابي دايون رجل تزيه ومتضلع من العلوم والآداب وذو مكانة رفيعة بين رجال اثينا فانه صاحب فندق . وربما كان من الاوفى لي ان اتهدب بطريقة تجعلني الا ان اتنى اشياء هي اعلى مما تقتضيه طبقتي الاجتماعية

- لكنك يا ثيودوسيا قد خصك الله بمميزات جعلت حياتك غنية . فضلاً عما لديك من الكتب القيمة المفيدة وآلات الموسيقى والشباب الثمينة الانيقة التي تريد في هئائك وسعادتك

فقاطعت كلامه بمرارة قائلة : ان لا مكان لديها لاستعمال حريتها . فاذا ارادت ابنة فندق في ان تكون سعيدة فيجب عليها ان تتبع التقاليد وتكون سريعة الحركة كثيرة الجلبة ، عندئذ يمكنها ان تجد لها اصحاباً كثيراً من طبقتها . ثم اغرورقت عينها بالدموع وصاحت قائلة : يا ديمتريوس انني في بعض الاحيان افكر بل اراني غير قادرة على احتمال اعباء هذه الحياة

ثم سأله هامة . لم لا تركز الى الفرار من هذه الديار ؟ لو كنت رجلاً مثلك لكنت فعلت ذلك سريعاً

- الى اين تذهبن ؟

- الى اي مكان اجد فيه راحتي العقلية قبل الجسدية ، ربما يكون الى صقلية

الجيلة

- انها بلاد الاصوص وسفاكي الدماء . وغير خاف ان المعيشة في البلاد الجيلة

أصعب أمرها انما في البراري والفيافي القاحلة يمكن للانسان ان يعيش بسلام حيث لا يثبت شيء ولا يشتهي شيئاً

- لماذا لا يكون الفرار الى دمشق ؟

- انني اموت من الوحدة هنالك

- يمكنك ان تأخذني معك . قالت ذلك ضاحكة لتؤكد له ان كلامها غير جدّي . ثم نهضت قائلة انها مضطرة للذهاب . جلس ديتريوس وحده يفكر بكلامها وقد رأى نفسه انه أصبح شديد الشغف بها وانه لم يبق من كلفة بينه وبينها لهذا وجد من الافضل ان لا يجتلي بها مرة اخرى اذا امكنه الامر بدون مس حاساتها خصوصاً بعد ما رأى ما رآه من مسايرتها اياه ومن حسن الطريقة التي برهنت عن شعورها نحوه لان الحب الذي اظهره نحو لوسيا حتى الان كان كحب الاخ لاخته اما حبه لثيودوسيا فكان غراماً محضاً . على انه لم يرض ان يغتنم فرصة انفرادها معها ويبشها ذلك لانه لا يقدر ان يعدها بشيء راهن وهو عبد

واذ كان الوقت لا يزال باكراً وسيد مرسياوس لا حاجة له اليه خطر في باله ان يسوجه الى بنيامين الحائك اليهودي فلدى مروره على الاسواق وجدها مزدحمة بالباعة والشارين على اختلاف مشاربهم فلفت نظره سلة من التين الاخضر فابتاعها واتى بها الى الحائك فلما رآه هذا مقبلاً نحوه قال له :

لقد قرّر سيدك ألا يجي . اليّ اليوم حيث خشي ان اكرّر سؤالي اياه عن ذلك اليهودي المسكين المائت . وانت قد جئتني باكراً لانني لم اقم بعد رتق الرداء . وها انني ما ازال اشتغل به كما ترى

- انني لم اجي . باكراً لهذه الغاية ولكن لما رأيت النهار طويلاً وليس لديّ من عمل لاقوم به بادرت الى هنا لاصرف قليلاً من الوقت في محلك وقد اتيتك بسلة التين هذه هدية لك . فاشار اليه اليهودي ان يضعها على المائدة وكان قد اكل منها ليزوقها ثم قال له اظنك جئتني بهذه السلة لتتمكن في هذه الفرصة السانحة من

القائك عليّ بعض اسئلة . فما اني مستعد للاجابة عليها لكنني اعلمك اولاً انني لاحظت امس انك ذهشت حينما اظهرت لك انني واقف على بعض الحوادث الغريبة التي جرت في اورشليم في اسبوع الفصح الماضي . وانت تريد ان تعلم مقدار معرفتي بها . على اني لا ارتاب انك كنت مع سيدك في اورشليم فاسمح لي ان اسألك سؤالاً بسيطاً : هل رأيت الجليلي الذي صلبوه هناك ؟

اجاب ديتريوس على الفور نعم يا سيدي

- حسناً قلت : ثم توقف بنيامين عن عمله وقال له انت عبد وثنى وقد وهبت الذكاء فأصدقني القول هل ميّرت شيئاً خاصاً في هذا الجليلي او هل دنوت منه وسيمت كلامه واقواله ؟

- ان المرة الاولى التي رأيت فيها الجليلي كانت يوم دخولنا صباحاً الى اورشليم وكان يصحبه جمهور غفير من الناس ولما كنت اجهل اللغة لذلك لم افقه معنى ذلك الحدث غير انه تبين لي انهم يريدون ان ينصبوه ملكاً عليهم فكانوا يصرخون « مسياً » ثم فهمت انهم كانوا منتظرين قائداً عظيماً يرفع عن اعناقهم نير الاستعباد السياسي وبناء على ذلك كانوا يصرخون « مسياً » وقد حملوا بايديهم سعف النخل ولوحوا بها امامه كأنه ملك

واذ ذاك حلق بنيامين اليهودي وفقر فاهُ وارتجفت شفتاه فتوقف ديتريوس عن الكلام هنيئة فابتدره ذاك وقال له تم روايتك .

- قال . ثم تغلغلت في ذلك الجمع الغفير حتى اقتربت منه واوشكت ان المسه ومع ان لباسه كان بسيطاً الا ان هيئته كانت ذات تأثير عظيم على القلوب حينئذ اشار بنيامين الى الرداء الذي يرتقه وسأله : هذا هو الرداء نفسه الذي كان عليه ؟

- نعم هو هو بعينه ثم استطرد قائلاً وكان واضحاً ان الرجل لم تسره تلك الحفاوة والحصول على شرف الملك لما ظهر على ملامحه من شدة التفكير والاسي

العميق . وما كاد ديتريوس يكمل عبارته حتى قال له بنيامين انتظر قليلاً يا صديقي والتفت الى جهة الرف الذي وراءه وانزل عنه درجاً من الادراج وقرأ من نبوءة اشعيا بصوت عميق ولكنه جهوري « رجل اوجاع ومختبر الحزن » كمل حديثك اذا شئت . هل تكلم ؟

اجابه ديتريوس لم اسمعه يتكلم في ذلك النهار

- اذا رأيته ثانية ؟

- نعم في دار الولاية لما جرت محادثته ثانية لاجل الحياة

- كيف كان موقفه هنالك ، هل طلب العفو ؟

- كلاً فانه كان هادئاً للغاية ولم افهم ما قال ولكنه قبل الحكم عليه بدون

اعتراض

ثم فتح بنيامين الدرج ثاني مرة وقال اصغ يا صديقي لهذه العبارة ايضاً من نبوءة اشعيا « ظلم اما هو فتدلل ولم يفتح فاه »

ثم تذكر ديتريوس انه تكلم واكن يهدوه وطمانينة . ولما جلد بقساوة لم يفهم ببنت شفة قط الامر الذي ظهر عجبياً غريباً

فقرأ بنيامين بصوت منفعل « وهو مجروح لاجل معاصينا - وبخبره شفيها »

- لاجل معاصي من قال ديتريوس - أ لاجل معاصي اليهود ؟

اجابه بنيامين كان اشعيا نبياً يهودياً يا صديقي وقد تنبأ عن « مسياً » يهودي قال له ديتريوس هذا يعني ان الآلام التي احتملها مسياً هي لاجل الشعب اليهودي لا لشعب آخر . فاذا كان الامر هكذا فلست اظن ان يسوع هذا كان مسياً المنتظر مجيئه لانه عند احتضاره سامح الجنود الرومانيين الذين صلبوه

فالتفت اليه بنيامين متعجباً وسأله كيف عرفت ذلك ؟

- هذا ما قاله الذين كانوا واقفين بالقرب منه وسمعته تلك الجوع

- ان هذا الامر غريب . وفي امكانك الآن ان تسأل عما تريده

اجاب ديمتريوس . اظنك قد اجبت عن كل اسئلتي بما يتعلق بشأن المسيح بانه مسيحي حسب نص الكتب مدافعاً عن اليهود . اما مسيحاً الرجل الذي رأيته فلم يرضَ ان يكون بطلهم ولما الخوا عليه لكي ينصبوه عليهم لم يكن مرتاحاً الى الحاحهم بل قال لهم عند المحاكمة ان له مملكة ولكنها ليست من هذا العالم فسأله بنيامين : اين موقعها اذا لم تكن في هذا العالم ؟

- انت احكم مني فلا تنتظر من عبد وثني ان يفسر لك معنى هذه العبارة -
- انت تستهزئ بي يا صديقي

- حاشاك فانا مخلص لك ولكنني في حيرة يغلب على ظني ان المسيح كان يهجه امر كل انسان بدون استثناء بل كان حزيناً على جميع البشر . عفواً اذا تكلمت معك بصراحة

- لك الحق ان تتكلم ما شئت . انني يهودي واؤمن ان الهنا ابو الجنس البشري قاطبة . وعند مجي المسيح ليملك على اليهود ربما يوطد دعائم العدل والمساواة لجميع الناس

قال ديمتريوس ليتني استطيع ان ادرس كل النبوءات القديمة - حسناً تفعل لانك ذو فطنة ودراية . فاذا كان لديك متسع من الوقت فلا تتأخر عن درسها

فسأله ديمتريوس : كيف ؟
- ربما اساعدك انا . ثم نهض وقال اعذرني الان حيث يجب ان أعد غداًتي وهكذا غادر الغرفة بدون استئذان وتوجه الى الغرفة الاخرى

* * * *

كان بنيامين قد اكل شغله اليومي لان المائدة التي كان يشغلها كانت فارغة وكان وراء النول الكبير باب لم يره مرسيلوس في اثناء زيارته الاولى لانه كان

مغلقةً اما اليوم فكان مفتوحاً على مصراعيه فدخل مرسيلوس منه ورأى نفسه في غرفة مرتبة الاثاث وارضها مفروشة بسجادة واحدة ملوثة الاشكال وفي زواياها كراسٍ كبيرة وصغيرة ومقعد وغير ذلك من الرياش الضروري . وتجاه هذه الغرفة دار مغطاة باغصان الكرمة

وبينا كان بنيامين في لباسه الاسود الفضفاض يهيئ المائدة دخل عليه مرسيلوس وقال له ارجو ان لا اكون طفيلياً لديك

- لا يُعدّ طفيلياً مَنْ رأى في اثينا باباً مفتوحاً ودخله فأهلاً بك من زائر كريم ثم دعاه الى الجلوس وعند جلوسه وضع امامه كاسين من الفضة ولما لم يكن لمرسيلوس ما يقوله افتتح كلمته بقوله لم اعلم قبلاً ان مسكنك في حانوت اشغالك

- جعلت مسكني هنا لسببين . اولاً يجب على الانسان ان يكون حكيماً وثانياً ان يقوم بحراسة حانوته بنفسه في هذه المدينة الواسعة - وفي كل بلد اعرفها كرومية مثلاً فانها ملاءى بالعبيد وهم على الجملة اصوص مشهورون لا يهمهم امر التعدي على حقوق الغير .

- نعم ان العبد هو لص ماهر بحيث يسلبك احد نعليك لانك سلبته حرّيته الثمينة واذ ذاك رفع كأسه وقال لتشرب الان على ذكر اليوم الذي يصبح فيه العبيد احراراً

- بكل سرور فان والدي يقول : سيأتي يوم تدفع فيه رومية ثمناً غالياً لاسترقاقها العبيد

- وبما انه لا يستصوب هذه العادة فيغلب على ظني بانه لا يملك عبيداً - اذا ألغى الاسترقاق يوماً ما فان والدي يكون في طليعة المصوتين المستصوبين

- ان والدك يعرف تمام المعرفة ان هذا العمل خطأ ولكن غيره ممن هم في

مقامه الاجتماعي لا يقرّون بذلك البتة ويرأيه ان يكون الانسان مخطئاً لا شاذاً - ان والدي ليس كما يُحَيَّل اليك فانه كريم عادل ويعامل خدامه معاملة حسنة بحيث تتييسر لهم اسباب الراحة عندنا اكثر مما لو كانوا احراراً - انا اصدق ذلك وهذا ما يُقال عن معاملتكم لحيلكم وكلابكم انما اريد ان اسأل : هل الانسان والحيوان من طبقة واحدة ؟ ألا يوجد فرق رئيسي بينهما من حيث العقل والقيمة ؟ اذا كان ثمن حمار قوي عشر دراهم وثن رجل بقوة وزنتين فضيتين فاذا تكون القيمة بينهما من حيث قوة البدن فقط . انني تجاه هذا القياس ارى ان استعباد البشر امرٌ بمقوت كما انه حاطٌ بقدر الروح البشرية لانه اذا كان الانسان يعتبر روحه وعقله كما هما في الحيوان فلا تبقى له إذن من كرامة وعزّة وجاه .

اما انا فاني اعتقد واؤمن ان جميع البشر خلقهم الله تعالى على صورته ومثاله فسأله مرسيلوس أهذا ما يعتقده اليهود ويؤمنون به ؟ على ان هذا السؤال الذي بدر منه قد دلّ على عدم اهتمامه بجواب بنيامين عليه الا ان بنيامين اجابه بقوله : نعم

- ولكن اليهود الاغنياء يملكون خداماً

- ها قد برهنت برهاناً جلياً على سبب اتعابنا . فاليهودي يدّعي انه يؤمن بان جميع البشر خلقوا على صورة الله ولذلك يثبت ان الله هو ابوهم الروحي ولكن هذا القول يمكن تصديقه عندما يقرّ كل اليهود بان الناس قاطبة هم اولاد الله . اما انا فاعتقد انهم كلهم سواء . لذلك عندما استعبد انساناً ما واعتبره كاحد الاغنام التي ترعى في الحقول فلا يسعني عندئذٍ الا ان ارمي باعتقادي هذا عرض الحائط |

فهنّا اقرّ مرسيلوس انه لا ينبغي للانسان ان يستعبد اخاه الانسان ولو عامله بلطف ومحبة لانه يجب عليه الاّ يعتبر نفسه حيواناً

قال بنيامين حينما تشتري عبداً وتربطه بين الثور والحمار للفلاحة فانك

لا تستطيع ان تسلبه مبدأه الروحي حيث لا يزال حراً باعتقاده الروحي ان الله هو
ابوه الروحي . لنضرب لذلك مثلاً . هنا خادمك هذا الاثيني الجميل الذي يسير
خلفك . فان العبودية لم تمنعه من ان يكون احد اولاد الله اللهم اذا شاء ان يعتبر
نفسه هكذا . ولكن استعبادك له يجعلك انت من اقارب الحيوانات بسبب
مساواتك بين الانسان الناطق والحيوان غير الناطق

- انني لست فيلسوفاً لكن ربما يمكنني بعد ان امكث مدة في اثينا بتلة
المريخ ان احل مثل هذه المسائل العويصة

- ان هذه مسألة حيوية . ان امبراطوريتك الرومانية ترسل جيوشها العتاة الى
كل جهة تتضهد وتغصب الولايات المغلوبة على امرها . ناقلة معها افضل ابنائها
واعزهم في مراكب قذرة وموجبة على الطاعنين منهم في السن ان يشتغلوا اشغالا
شاقة ليدفعوا جزية الظلم وهذا ولا شك فيه سيسقط عرش المملكة الرومانية
- والذي يظن ذلك ويقول ايضاً ان الرومانيين امسوا كسالى وسحائاً من
استخدامهم العبيد ليقوموا مقامهم في الاعمال الشاقة لذلك سيأتي يوم يندمون فيه
ولات حينئذ مندم

- نعم سيأتي اليوم الذي تنسحق فيه اهل رومية . ليس لانهم امسوا في حالة
الكسل والبدانة ولكن لانهم يعتبرون ان جميع الناس والحيوانات على حد
سوى . ولا يُدركون ان استعبادهم لسواهم من البشر يجرّد انفسهم من الغرة
والكرامة الروحية . فلا عجب اذا كانت آلهتكم هزأة وسخرية في نظر شعبيكم
المثقف . ماذا تنتفعون من الآلهة انتم الذين تقتكرون ان الناس كلها تساق
كالاعنام

ثم أتم بنيامين حديثه قائلاً : انا رجل يهودي واست مطلعاً على شؤون ديانة
غيري ، ومع هذا اقول : لقد كان اجدادكم في الزمن الغابر ينظرون الى آلهتهم
نظر الاحترام كجوبيتر مثلاً . ثم دار الزمان دورته فاصبح يوليوس قيصر الها

لكم اعظم من جوبيتر فلم يكثر اثواب او عقاب الآلهة التي سيطرت على الشمس والمطر وعدت الهواء لسير المراكب في البحار وملأت الكرم من العنب ما عدا الشعب المغلوب على امره فانه كان يؤمن بالآلهة . ولماذا ؟ لأن القيصر الآنف الذكر ازدري بالديانة الرومانية وجعلها هزءاً وسخرية . لقد كان ذاك حينما اصبح لدى الامبراطورية الرومانية قوةً بحرية كبيرة لا يستهان بها تستعبد الامم الاخرى فتشتري رجالهم وتبيهم في سوق المزايدة وتقودهم كقطعان الغنم وما شأكل . وبهذا العمل برهنوا على انهم وسائر الناس ليسوا من الآلهة . واصبح القيصر العاتي المغرور بنفسه الهاً وهذا لاعتباره بقية الناس في نظره من العجائز فقال مرسيلوس معارضاً انا لا اعتقد ان احداً من العقلاء يفكر يوماً من الايام ان يوليوس قيصر كان الهاً

فوافق بنيامين على معارضته قائلاً : نعم ما من انسان عاقل اعتقد انه اله ولا هو نفسه يعتقد هذا الاعتقاد

— هل يدور في خدك ان الرومانيين اذا اقدموا على الغاء تجارة الرقيق انهم بهذا يجتزمون آلهتهم وباحترامهم اياها يشرفون انفسهم ؟
— ان سؤالك مستهجن . ما هي نظريتك في هذا العالم ؟

اجابه مرسيلوس : يسرني ان اصدق ان لهذا الكون خالقاً فوق الطبيعة يكون اهلاً لمركز كهذا فان وجوده محل شك كبير . امس قلت لي ان قومك السامريين يتعبدون على رؤوس الجبال . انني اتنى ان افعل ذلك اذا لم يكن مطلوباً مني ان امثل الشمس والاشجار

— اننا لا نمثل الاشياء المنظورة في الطبيعة . اننا نؤمن بالله واحد روح خالق جميع الاشياء

اجاب مرسيلوس قد سمعت ذلك قبلاً ان اليهود ينتظرون مجي . قائد عظيم بل ملك وانه سيحررهم ويؤسس لهم مملكة دائمة . هل انتم السامريون تصدقون ذلك ؟

- نعم نحن نصدق ذلك لان جميع انبيائنا تنبأوا بمجيء المسيح
 - كم لكم من السنين وانتم تتوقعون مجيئه ؟
 - من سنين طويلة
 - ألا ترألون آمليين مجيئه

فاجاب بنيامين مفكراً ان درجة الانتظار تعلق وتهبط . لقد تحدّثوا بذلك كثيراً في اوقات المصائب الوطنية . وايام المصائب والاضطهادات حيث كان اليهود يحاولون ان يجدوا احداً بينهم يبرهن على انه المسيح فلم يجدوا احداً وكل طائفة منهم كانت تنتظره حتى ان الكهنة والرؤساء انفسهم زعموا انهم كانوا بانتظار المسيح وتابع بنيامين حديثه لذاته بدون ان يعير اهتمامه لمرسيلوس فقال : ان الرؤساء مكثفون بالشؤون الحاضرة فان الولاة الرومانيين يفرضون الضرائب الثقيلة على الفقراء والكنهن يخففونها على الاغنياء والكهنة . فاذا ظهر المسيح فان الكهنة يرتكبون في امورهم لانه لا بد من ان يجري بعض اصلاحات كاخراج التجار مثلاً الذين يبيعون الحيوانات المعذبة المذبحة الى الفقراء باثمان باهظة . سأل مرسيلوس ذلك السؤال بدهاء

ولما استفاق بنيامين من تأملاته سأل قائلاً : كيف اتفق لك ان تقف على هذه الامور ؟

- سمعتم يتحدّثون بها في اورشليم وقد اعلنوها رسمياً
 - ماذا كنت تعمل هناك حتى سمعت ذلك ؟
 - كنت اقوم بخدمة الحكومة . ثم وقف وقال : تلتطف باعطائي الرداء الذي اصلحته لي . ولما جاء به وتأمله مرسيلوس بتدقيق قال له : لا يمكن احداً ان يعلم انه كان قبلاً ممزقاً . لقد احسنت رفاهاً

قال بنيامين والكنني بذات جهدي لازالة لطخة الدم عنه فلم استطع . لم تحدّثني كفاية بشأن هذا اليهودي المسكين . ذكرت لي انه كان شجاعاً ومات بين

يدي اعدائه . هل كان جليلاً ؟

- اظن ذلك

- أكان اسمه يسوع ؟

- نعم هذا كان اسمه . من اين عرفت ذلك ؟

- قال بنيامين : من رجل اثيني يدعى پوبيكوس كان في اورشليم يبيع

الاطياب في غضون الحادثة

- ماذا يهلك من امره ؟

احنى بنيامين راسه وقال عذراً عن جرأتي . انني رجل مُسنّ بدون عائلة
ومغترب عن وطني . ان ادراجي هذه هي تاريخ ابناء جنسي وان كلمات انبيائنا
العظام هي اكلي (لحمي ودمي) بل هي يا صديقي سراج حياتي الوهاج وتراثي
الشمين . اما شغلي اليوم فلا اعدّه شيئاً فمن دخله اتقوت واعيش ولكن نفسي تحيا
بالكلمة المقولة في محلها فانها لتفاح من ذهب في مصوغ من فضة

- انت محظوظ يا سيدي وانا مثلك مولع بالاقوال والامثال الحكمية التي

خلفها لنا رجال رومية العظام

- نعم انكم تعلمتم القراءة بواسطتها ولكنكم لم تتعلموا كيف تعيشون
اما الذين تعلموا اللغة العبرانية فانهم يفهمون معنى كلمات الحياة . ان في هذه
النبوءات وعداً شافياً وهو انه سيقوم يوماً من الايام مسياً وملك . ويدعى اسمه
عجيباً ولا يكون لملكه نهاية . ولم يحدّد وقت مجيئه . أتعبر الان ان ذلك تطفل
مني ان استفهم باهتمام عن يسوع هذا الذي يعتقد الجميع انه المسياً

- احب ان اسمع اكثر من ذلك بصدد هذه النبوءات

- لم لا . يسرّني جداً ان اخبرك بها ولكن ارى من الموافق ان تقرأها انت

بنفسك

- هل اللغة العبرية صعبة يا ترى ؟

- انها سهلة كاللغة اليونانية التي تتكلمها بسرعة ولكنها اصعب من اللاتينية
على ان اليونانية ربما تتطلب تعمقاً في درس اصولها اما رومية فلها شعراؤها من مقرّظين
وهجائين . ولشيشرون احد خطبائها عدة خطب ومقالات لذيذة رائعة في وصف
الطبيعة ولكنها لا تتجاوز السحاب . ثم تناول درجاً وفتحته وقرأ . « اذ ارى
سمواتك عمل اصابعك القمر والنجوم التي كوّنتها . فمن هو الانسان حتى تذكره
وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلمه » . ان في حكمة العبرانيين لغزاً
يجب ان نفكر فيه ونفهمه .

فاجابه مرسيولوس انني مرتبك في الوقت الحاضر في نحت تمثال ولا بُد لي من
انجازه سأكتفي بما تقصه علي من حين الى آخر . ثم اخرج كيساً حريياً مملوءاً نقوداً
فضيةً ووضعه على مائدته

فقال بنيامين لا اريد ان اقبض اجرة ما
- ادفعها اذاً الى الفقراء .

- اشكرك . وقد خطر في بالي الان انك اذا شئت ان تعرف شيئاً عن
الديانة اليهودية وليس لديك متسع من الوقت فاسمح لخادمك اليوناني ان يتعلم اللغة
العبرانية وانا مستعد ان ادرسه اياها في وقت الفراغ لانه ذكي فطن كما لا يخفى
عليك

- نعم ان ديتريوس ذكي ولكن كيف عرفت ذلك ؟

- لانه امضى عندي زهاء ساعة من هذا النهار

- ما العمل الذي جاء به اليك ؟

- كان يتجول في السوق فزارني زيارة حبية وقد احضر لي معه قليلاً من التين
وسألني بعض اسئلة

سأل مرسيولوس قائلاً : ما هي

- ربنا يقولها لك فانه رهين امرك ومُلك يديك
- لكنني لا املك عقله لقد نسبت اليّ القساوة التي انا بعيد عنها
- انت لست قاسياً يا ابني ولكنك مقيّد بعادة عنيفة
- ربنا يأتي المسيحاً بتحسينات قيّمة حين مجيئه . ثم مشى نحو الباب فتبعه بنيامين
- وسأله : كم من المدة بقيت بعد الصلب ؟
- لقد غادرتها في اليوم الثاني قبل شروق الشمس
- ألم تسمع اذاً شيئاً اكثر من ذلك ؟
- ماذا تريد مني ان اسمع وهو قد مات على الصليب ؟
- امؤكد انت ذلك ؟
- نعم بلا ريب
- هل كنت هناك ؟
- لقد رأيته في حالة التزع وقد طعنوا قلبه بحربة قبل ان ينزلوه عن الصليب
- ليتحققوا وفاته
- فاشرق وجه بنيامين سروراً . فدهش مرسيلوس من مرآه
- اشكرك يا صديقي كل الشكر لانك انبأتني ذلك
- ما ظننت ان كلاماتي المؤثرة تُسرّك . ان يسوع هذا كان رجلاً شجاعاً وقد
- كان جديراً بطول الحياة
- قد شئت ان تتحقق مماته اليس كذلك ؟
- نعم لانه سرت هنا اشاعات كثيرة وهي ان الجند الروماني النشوان برح
- المكان قبل ان يموت فاتي تلاميذه وخلصوه
- علمت ان جميع هذه لم يكن لها ظل من الحقيقة . نعم ان الجند كان مثلاً
- جداً ولكنه قتل بالفعل ذلك الجليلي

قال بنيامين انك تتقوه بكلام مهمّ رصين يا صديقي وقد سررت بجميعك
اليّ اليوم فارجو ان تزورني كلما سنحت لك الفرصة . قال هذا ورفع يده الضعيفة
الى هامة مرسيلوس ودعا له قائلاً : ليباركك الرب ويحفظك وليضيء الرب وجهه
عليك ويرحمك . ارفع الرب وجهه عليك وينجلك سلاماً . وبعد ذلك حصل سكوت
تام ولما كان مرسيلوس لا يعرف ما كان منتظراً منه ان يقول حنا رأسه باحترام
وخرج من الحانوت وتوجّه الى المنزل لا يلاوي على شيء .



الفصل العاشر

ولما كانت ديانا قد وقفت من الامبراطور طيباريوس على ميعاد وصول السفينة فستريس الى رومية لذلك كان مجيئها منتظراً من ساعة الى اخرى لتشاهد مرسيلوس الذي اشتاقت جداً الى رؤيته فكان من الضروري لآل غاليو ان ينتحلوا عذراً مقبولاً لسفره السريع الى اثينا وعلى لوسيا ان تبلغ ديانا حين حضورها ان صحة مرسيلوس لم تكن حسنة فاضطر الى السفر لتغيير الهواء . اما اذا سألت ديانا عما يشكو منه فماذا يُقال لها ؟

فاستحسن كورنيليا ان يُقال لها لقد سُمع ان اطباء اثينا ابرع من اطباء رومية ولكن هذا الامر لا يبدو معقولاً لان المعروف عند الجميع ان اشهر الاطباء الذين كانوا هناك أُستدعوا الى رومية :

اخيراً قال غاليو يجب ان نقول لها الحقيقة لانها يحق لها اذا كانت تحب مرسيلوس حباً شديداً ان تقف على كل ما يشكو منه . واذا قال هذا نهض واستعد للخروج فأوقفته لوسيا وسألتها قائلة انفرض انني أنتدبت لتبلغها الخبر فاذا يجب علي ان اقول ؟

- قولي انه عهد الى اخيك حينما كان في اورشليم ان يتولى صلب يهودي ثائر وهذا الامر الخطير أثار اشد التأثير في اعصابه وقد امسى منذ ذاك الحين في حالة يأس مستمرة لذلك رأينا من الواجب تغيير المناخ له

- لا حاجة بي ان اذكر لها شيئاً عن الرعاش الذي يحدث له والرعب الذي يلا قلبه حتى ولا عن السؤال الذي يسأله عقيب ذلك

اجاب والدها : يكفي ان تقولي ان مرسيلوس شارد العقل يأس

- لا اظن ان ديانا تكتفي بهذا الايضاح الوجيز حتى ولو لم يكونا متحابين فان
 سمعها لدى الامبراطور باحضاره من قلعة ممنوع يستوجب ان تتلقى جواباً مقنعاً وانها
 لتري من الغريب ان قاضياً رومانياً يهاب تولي اجراء الصلب
 - كلنا نعلم هذا . على ان ابني لم يكن قط جباناً بحيث تذهب بصحته
 رؤية الدم

- قد وعدني بانه يكتب اليها
 - لكننا لا نقدر ان ننتظر كثيراً فلربما يستغرق ذلك بضعة اسابيع ولا شك
 ان ديانا تريد ان تعرف كل شي . فزى من الواجب الا نخفي عنها شيئاً يا لوسيا
 لان شابة نظيرها استطاعت ان تحصل على ما تريد من طيناريوس الشيخ لا تقف
 مكتوفة اليدين واجمة دون ان تعلم كل ما جرى لمرسيلوس .
 وبعد خروج غاليو من الغرفة قالت زوجته كورنيليا اظن ان ديانا اذا كانت
 تحب مرسيلوس حقيقة فانها تغفر له ما اعتراه من الضعف
 - فاجابتها ابنتها اظنك لا تعرفين ديانا حق المعرفة يا والدتي فانها لم تتشف
 طباعها بحيث تجعلها تسامح الضعفاء . فان جرأة والدها في قتل اي شخص ما كأنه يقتل
 ادنى حشرة جعلتها تكون جسورة هي ايضاً
 - لم اكن انتظر منك هذا الشرح فهل تظنين ان اخاك ضعيف ؟
 - لست اقول لا او نعم ولكن ما اخاله يا أمه اننا خسرنا مرسيلوس الذي
 احبه حتى العبادة

* * * *

اذا كان البوح بهذا السر لديانا محيراً فقد جرى ما هو اشد تحييراً فانه حضر في
 اليوم الثاني من قبل القيصر رسول يحمل رسالة الى مرسيلوس وقد قال : انه ينتظر
 جوابها وان العربية الملوكية تكون غداً صباحاً هنا لتلقاه

فقال غاليو لكن ابني ليس هنا فقد سافر الى اثينا

- هذا من سوء البخت

- الظاهر انك واقف على مضمون الرسالة

- نعم يا سيدي ان القيصر نصب القاضي مرسياوس رئيساً لخرس قصره

وترانا جميعاً مسرورين بهذا التنصيب الذي صادف اهله

- انني متأسف جداً لغياب مرسياوس . ساتوجه بنفسني واتشرف بمقابلة

الامبراطور وابلاغه الجواب شفهاً

- حسن يا سيدي ألا ترى من الموافق ان يكون السفر غداً عند الفجر ؟

وما طلع فجر اليوم الثاني حتى ركب غاليو العربية الملوكية وسارت بهما تنهب

الارض نهياً . على انه لم يكن اتغاليو في هذه السفارة شي . يلذه فان مثوله بين يدي

الامبراطور بغير دعوة موجبة سيكون مزعجاً له فضلاً عما يلاقيه من التعب ووجع

الراس بسبب سرعة الخيل القوية

لذلك ما ان وصل الى كاپري حتى ترجل فادخله الحاجب للحال الى حجرة انيقة

الاثاث حيث قعد في كرسي كبير وهو منهوك القوى . فتقدم منه خادمان مكدونيان

واخذوا يجلان رزمة امتمته . ثم جاء الخادم الثالث وشرع يفك سيور حذائه ثم

وقد الرابع وقدم له كاساً من الخمر وبعدئذ عاد الحاجب يقول ان الامبراطور يريد

ان يراك لانه كان قد اصدر امرأ بان يمثل مرسياوس بين يديه حال وصوله . ولما

قيل له ان غاليو حضر عوضاً عن ابنه قال انه يأذن لك بمقابلته حالاً

- حسن . ونهض غاليو بصعوبة وتبع الرسول الى غرفة الامبراطور الشينة

الرياش فلما رآه مقبلاً امر ان يخرج من لدنه خدامه الستة الذين كانوا منتظرين

اوامره . اما هو فكان مضطجعاً في سريره الفخم الناعم . فقال ما هذا ؟

يا غاليو لقد اولينا ابنك شرفاً عظيماً مع انه لم يعمل شيئاً يستحق مثل هذا العطف

الخاص وقد غادر العاصمة بإشارة منك فوضح لي السبب حالاً ؟

فاطرق غاليليو وقال يا جلالة الامبراطور ان ابني سيكون مستاء جداً عندما يبلغه الخبر انه اغضب عن غير قصد امبراطوره المحسن اليه
 - لا بأس اوجز كلامك لانني بحاجة كلية الى الراحة والنوم وكذلك انت بعد سفرك الطويل . اجلس الآن ولا تقف كالتمثال لانك شيخ ، اجلس لثلاثا تقم .
 فشكر له غاليليو نعمته وجلس في الكرسي الفخم الذي كان بالقرب من سرير الامبراطور المذهب ثم قال : لقد تفضلت جلالتك فامرت ان اوجز كلامي بحيث اظلم الليل فعليه اقول باختصار ان ابني مرسيلوس كان قد تنصّب قائداً لحملة ممنوع - نعم نعلم ذلك وقد الغينا تلك القيادة واستدعيناه الى رومية . وما جد بعدئذ ؟

- أستاذي من ممنوع يا مولاي الى اورشليم ليسانع القيمين على صيانة الامن وحفظ النظام في غضون عيد اليهود السنوي فيكان ان حدث وقتئذ شغب بين الشعب وحكم على زعيمهم بالموت صلباً
 - صلباً ؟ اذا كان الرجل مشاعياً ثائراً
 - لقد فهمت انه كان بعكس ذلك مسلماً وهو شاب يهودي من احدى ولايات الجليل الخاضعة لجلالتكم . محب للسلام ، ذو اخلاق دمثة حكيم حليم بعيد عن الشرور لكنه على ما يظهر اثار غضب رؤساء الهيكل
 - ماذا عمل حتى حملهم على الغضب ؟

- من عاداتهم ان يبيعوا حيوانات الذبائح في دار الهيكل . فيستفيد الكهنة من وراء ذلك لانهم يطلبون اسعاراً باهظة من الفقراء . فاشمأز هذا الجليلي من عملهم المكروه واخذ سوطاً وطرد به كل من كان في تلك الدار من كهنة وحيوانات وغيرهم

فصرخ القيصر بصوت مرتفع جعل الحاجب يدخل سريعاً فاورع اليه ان احضر كاسين من الحمر لي وللشيخ غاليليو . ثم استطرد قائلاً : ليس من الغريب ان

يصلبوا ذلك اليهودي بعد ان طرد الكهنة من الهيكل ولكن ما الذي دفع ابنك الى التدخل في هذا الشأن ؟

- لقد عهد اليه القيام بصلبه وهذا الامر ازعجه كثيراً فاذا شئتم فاني اخبركم الرواية كما فهمتها

ولما اجابه القيصر بالايجاب اخبره عن ياس ابنه مرسيلوس وتعاستِه وساوكه الشاذ الذي اضطرهم الى ارساله الى اثينا ظناً منهم ان حالته العقلية تتحسن - فقال له طيباريوس اذا كان ابنك لا يستطيع احتمال رؤية الدم فلن نجبره على المحافظة على شخصنا . على اننا فهمنا من قبل من ثم ابنة غولوس بانه شهم شجاع لانها تقدره قدره وتحترمه كثيراً ولكي نُسرّها اتينا به من منوع وجعلناه رئيساً لحرس الدارة ولكن يجب ان نتطّلع على حقيقة حالته لئلا يسبب لنا الحزي والعار فيما بعد

كان لهذا الكلام اسوأ وقع في نفس غاليو فاجابه على الفور ؟ لقد جعلتني يا مولاي الامبراطور في مأزق حرج اذ ليس لي الحق ان أبدي رأياً معاكساً لرأي جلالتكم على انكم تعتبروني جباناً اذا كنت لا ادافع عن لحمي ودمي فقال الامبراطور : لا بأس دافع عن ابنك

- ان مرسيلوس ليس ضعيفاً بهذا المقدار بل انه شجاع مقدام وجدير بالانتماء الى الرعية الرومانية وحسبه منصبه فيها قاضياً . غير انني لم اعلم حق العلم كيف تأثرت حاساته بصلب ذاك اليهودي الا لكونه اعتقد ان ذلك الجليلي براء من الجرم الذي عاقبه عليه مثل هذا العقاب العنيف مع ان الوالي نفسه اعلن براءته وحاول الاحتجاج بشأنه

- وهل حكم عليه بعدئذ بالموت ؟ العدالة التي تحكم بموجبها المملوكة الرومانية في اورشليم . ومن هو الحاكم في الآونة الاخيرة ؟ أليس هو هيرودس المحتال ؟

- نعم انهم حاكموه امام محكمة هيرودس ولكن الوالي بيلاطس البنطي هو الذي حكم عليه بالموت صلباً

- بيلاطس البنطي الذي بنى القنوات اكراماً لحاطر امرأته التي طلبت اليه انشاء حدائق واذ لم يكن لديه مالٌ كافٍ لجرّ المياه اختلس الدراهم من خزانة الهيكل . فقامت قيامة اليهود عليه وحدثت عندئذٍ مذبحة فظيعة قتل في اثنائها الوف من الجند . واذا حدث مثل هذا مرة أخرى فعلى بيلاطس ان يستعد لدفع الثمن غالباً لانه انقاد الى مشيئة امرأته التي خشي شرّها

وهيرودس يعيش كالعلة الكريمة يمتصّ دماء ابناء جلدته . اسمع يا غاليو اقد شهرت حروباً على بلدان عديدة واخضعت تحت سلطتي شعوباً كثيرة وتعلبت على جماعة المدافعين ومع اني جعلت المحاربين طعمةً للسياف فلم يسعني الا احترام بسالتهم اما هيرودس ذلك الثعلب فانه يدّعي انه يعمل لمصلحة ابناء جلدته ولكنه ازاء مصلحته الشخصية يتوقع على اقدامنا . يا له من وغدر لئيم . أيجوز لحير الامبراطورية ان يتولى مناصب في ولاياتها اشخاصٌ يبيعون شعبهم ببيع الاغنام ؟ اني لا اكره الخونة كل الكره

ولما ظنّ غاليو انه يُنتظر منه ان يقول شيئاً قال كنت افكر احياناً فيما اذا كان لحير مملكتنا ان يدير شؤون ولاياتنا اُناس خائنون كهيرودس فانّ رعايانا يكونون مظلومين ولكن غير مخدوعين . وان البعض منهم يحترق ولكن لا ينطق .

- دعهم يبعضوننا ما استطاعوا فان الامبراطورية الرومانية لا تطلب من رعيّتها المحبة بل الطاعة العمياء . فليبعضنا العالم كله وهذا لا يهيننا بتاتاً . ثم استطرد كلامه قائلاً : لقد سهونا فتمم القصة

- ان مسألة مرسيلوس غامضة كل الغموض على ان هناك امرأ صغيراً لم اكتمل بصدده حتى الان وهو رداء ذلك اليهودي الذي صلبوه

فأخنى طيباريوس مصغياً اليه وقال : مسألة رداء

- قد فهمت ذلك من ديمتريوس خادم ابني الذي كان مرافقاً له في غدواته وروحاته . وهو شاب ذكي لا ينطق بغير الصواب فقد روى لي انه لما صُلب ذلك الجليلي كان رداؤه مطروحاً على الارض واذا كان ابني والضباط يتلاهن بلعبة النرد القوا قرعة عليه فكان ذلك الرداء من نصيب ابني مرسيلوس

وفي تلك الليلة أَدب الوالي مآذبة للقواد والضباط وقد كان مرسيلوس حسب رواية خادمه العبد ديمتريوس في حالة اليأس والقنوط ولكن سلوكه لم يكن شاذاً لا قبل القيام بالصلب ولا بعده وعلاوة على ذلك كان عقله صحيحاً سليماً . غير انه في غصون الوليمة طلب اليه احد الضباط السكارى ان يلبس رداء اليهودي الذي كان من نصيبه

فسأله طيباريوس وهو مهمم للامر هل لبسه ؟

- نعم لبسه ومنذ ذلك الحين تغير تغيراً محسوساً

- أظن ان ابنك يعتقد ان ذلك اليهودي لعن ذلك الرداء ؟

- يصعب عليّ ان اخبرك لانني لا اعلم ما يعتقد لانه كتوم جداً

- لهذا السبب بعثته الى اثينا ليستشير الفلكيين والمعجمين والسحرة . لم لم ترسله الى رودس او بالاحرى الى هنا حيث يوجد كثير من امثالهم

- عفواً يا جلالة الامبراطور اني لم ادعه يذهب الى اثينا لهذا الغرض . قد رجونا منه ان يتوجه الى خارج رومية لوقت ما كي لا يوتبك امره لدى رؤية

اصدقائه وهو في تلك الحالة التعسة المؤلمة

- إذن رداء اليهودي فيه شيء من السحر . وكأنّ هذا الحديث طاب

لطيباريوس سماعة فقال : ان اليهود شعب غريب الاطوار دين يؤمن باله واحد .

والظاهر من امر هذا الجليلي انه متعصب في دينه بحيث أغاظ رؤساء اليهود فخشوا

من ان يكون جاءهم بذهب جديد

- هل سمعت جلالتهكم يبعثي . المسيح ؟
 - نعم سمعت ان المسيح سيجي . وقد قال « تليارخس » انهم ينتظرونه منذ
 الف سنة وانه سيؤسس مملكة لا نهاية لها وتكون الرئاسة على كتفه ويكون
 عرشه في رومية . ولو لم يكن تليارخس مسناً لكنت امرت بجلده لتفوهه بهذا
 الكلام . فهل سمعت انت اكثر من هذا عنه ؟
 - لم اسمع شيئاً خصوصياً الا قال خادم ابني ان الشعب يعتقد ان هذا الجليلي
 هو بنفسه المسيح الموعود به
 - اتصدقت ذلك يا غاليو
 - انني لست ديناً يا مولاي
 - سأل طيباريوس غاليو ايضاً : ألا تؤمن بالالهة ؟
 - ليس لي ما اقله بهذا الموضوع
 - ربما تقول ايضاً انك لا تعتقد ان الامبراطور اله فارأيك فيه ؟ !
 - اذا كان الامبراطور يعتقد نفسه انه اله فليس من داع لاحد من رعيته
 ان يثبت له ذلك
 وبعد هنيهة قال له طيباريوس ان في كلامك لحشونة ومع هذا فانك رجل
 امين وقد راقتني حديثك فاذهب الان الى فراشك وسنواصل حديثنا . واني آسف
 جداً لكون ابنك لا يتمكن من قبول المنصب الذي اخترناه له
 حقاً غاليو ومضى نحو الباب فنظر اليه طيباريوس واخذته الشفقة عليه فقال له
 قف قليلاً فاننا سنجد مركزاً لابن غاليو الفاضل . دَع اليوم مرسيلوس يتم
 دروسه في فن الحفر والنقش ويسمع محاضرات الخطباء . وبعدئذ يعود الينا فائزاً
 بتسليم وافر من علوم المعاني والبيان والفلسفة لانه يوجد في هذه الدار امور اهم من
 حراسة الابواب . وسيكون ابنك مدرساً يحطّب فينا فقد سئمتنا خطب الشيوخ
 القديمة . ولا بد ان مرسيلوس سيتحفظنا بنحطب جديدة طريفة . أبلغ مسامع ابنك

امرنا هذا

- ان جلاتكم مظهر الفضل والالطف وسأخبر ابني بكرمك . ذبياً هذا

المركز الجديد يساعده على استعادة قواه العقلية

- واذا لم يملك عقله تماماً فلا بأس لان اغلب الفلاسفة مرضى العقول على انه ما

انهى كلامه حتى غرق في سبات عميق

وفي صباح اليوم التالي علم غاليو ان طيباريوس لا يزال مستغرقاً في النوم لذلك

تناول فطوره في غرفته ثم خرج الى الزهرة . لانه مضى عليه عدة سنين طوال لم يزر

فيها كاپري اي منذ الوقت الذي فيه طيباريوس شيد ودشن الدارة جوش وادب

المآدب الانيقة العديدة التي كلفت الخزينة مبلغاً كبيراً لا يُستهان به . ومع انه فهم

ان بناء الدارات في ارض الجزيرة يكلف مبالغ حمة غير انه لم يحظر بباله انها تصل

الى هذا الحد . ربما كان جلاته ضعيف الشعور لكنه كان مهندساً بارعاً

سار غاليو عاجلاً على الرخام العريض اللامع الى جهة الشرق ثم مال الى مظلة

هناك وجلس في كرسي كبير واخذ يلاحظ الدخان الكثيف المتصاعد من فوهة

الجبل فيزوف المشهور بقذف حممه الجهنمية فانه يشابه تمام المشابهة الملكة الرومانية

لان له قوة عظيمة تحت الضغط اذ يقذف احياناً كبريتاً ومعادن شتى ذائبة . على

ان حرارته لم تكن لتعطي دفئاً كافياً للراحة ولا مقذوفاته لتفيد الزرع . فكان

فيزوف هذا آلة للخراب واداة أذى للسكان المقيمين في جواره فضلاً عما يصيبهم

دائماً من الذعر والقلق

وهذا يماثل حالة الامبراطورية الحاضرة فان طيباريوس قال ليغضنا العالم قاطبة

وهكذا قال قبله الفرس والمصريون واليونان وكانت نهايتهم العبودية . فاخذ غاليو

يناجي نفسه بقوله : هل ابقى حياً يا ترى لاشهد خراب الامبراطورية الرومانية

واساهد من يباشر هدم القصور والابنية العظيمة التي شادها التياصرة العظام . فقد

ظهر على طيباريوس ليلة امس انه يوجس خيفة من نبوءات الانبياء « انه سيأتي »

نعم قد رأى الحُرَاب مقترباً ، لذلك قَرَّب جماعة السحرة والمنجمين اليه وقد قال :
ان شخصاً سيأتي وتكون الرئاسة على كتفه . ولكن لا يمكن ان يكون ذلك
الشخص يهودياً

واذ كان غاليو غائصاً في تأملاته هذه لم يشعر بمجيء ديانا حتى اقتربت منه
ووقفت قبالة وهي فتاة طويلة القامة رقيقة الخصر نشيطة الحركة فابتسمت له
ومدَّت نحوه يدها مصافحة فتلقاها بالترحاب وكانت هذه المقابلة الاولى التي اتاحت
له الفرصة بالتحدث اليها لانها حينما كانت صغيرة السن تاتي لزيارة لوسيا لم يعرفها اهتمامه
لكه لما وقف على العلاقة التي بينها وبين ابنه مرسيلوس اخذ يهتم بامرها . وقد
احس اليوم بدهشة شديدة من رؤيتها كأنه لم يرها سابقاً لانها نمت نمواً سريعاً
فبلغت اشدها فضلاً عن جمالها الرائع . لذلك لم ياخذ العجب بحجب ابنه لها
ولما نهض حيأها احسن تحية فكانت ترنو اليه بعينين جميلتين تزينهما اهداب
طويلة ومن فوقهما حاجبان مقوسان وقد عصبت راسها بعصابة حريرية حمراء ملونة
اشعرها الاسود وللون جبهتها الناصعة البياض ووجنتها الورديتين . ثم تأمل عينيها
فراهما كعيني ابيها لا تهابان شيئاً لان غولوس ابها كان شجاعاً جداً وتدل عيناه على
قوة ارادة لا تقاوم فلم يستطع الشيخ غاليو الا احترام ديانا . وبعد ان تبادل السلام
قالت له اسمح لي ان اجلس بقربك يا حضرة الشيخ

— بلا شك ، اجلسي يا عزيزتي . ثم استطرد قائلاً : كنت ارجو ان نتحدث
معاً ، واذا قال هذا جلس في مكانه . فاجابته ديانا بالايجاب مبتسمة . فبدأ حديثه
قائلاً : ان مرسيلوس عاد من سفرته الطويلة الى البيت متوءكاً يائساً فهو ونحن
نشكر لك سعيك واهتمامك بارجاعه الينا وكان يود جداً لو يتاح له ابداء شكره
بنفسه لاننا لما رأيناه على هذه الحالة لا يستطيع القيام بهام مركزه ارسلناه الى اثينا
أملين ان تغيير الهواء في تلك الناحية الجميلة يكسبه راحة لعقله وجسده معاً
وعند هذا توقَّع غاليو ان تبدو عليها علامة الخيرة والدهش ولكن لم يحدث

شيء من ذلك . ثم تابع حديثه قائلاً : لقد طرأ على مرسيلوس امر هام
- أجل قد عرفت ذلك

- اتعرفين هذا الامر كل المعرفة ؟

- اعرف كل ما قلته للامبراطور

- ولكن الامبراطور ما يزال نائماً

- ان الحاجب الذي قابلته اطلعني على كل شيء .

- يظهر لي ان نيقوس الحاجب كثير الكلام

- ألم يكن في نيتك ان تخبرني كل شيء ؟ انما نيقوس ليس ثرثاراً كما تبادر

الى ذهنك فانه قلما يستطيع احد ان يفهم منه ما هو جارٍ في الدارة (القلا)

- بما انك تعرفين هذه الحادثة فلم يبق من لزوم لاعادتها

- امر غريب جداً . ما كنت لاصدق ان تنفيذ الحكم بالقتل يقلق بال

مرسيلوس الى هذا الحد لانه اعتاد ان يرى اموراً عنيفة تجري امامه . بل ليت

شعري ألم يرد دماً تسفك في ساحات الوغى . فعلام الحزن واليأس . ويغلب على

ظني ان لهذه القضية سبباً اهم مما فهمت

- لم يكن السبب الا تنفيذ حكم الصلب

- ان ذلك لغريب ومؤلم معاً . وقد قال الحاجب ايضاً : ان الرجل كان بريئاً

وان مرسيلوس لم يكن مذنباً لانه لم يعين هو نوع الموت ومع هذا وذاك فان كثرة

الاهتمام والاعتناء لا تعيد الحياة الى ذلك اليهودي . وقال الحاجب علاوة على ذلك

ان هناك ثوباً مسجوراً وان الظلام ارجى سدوله في راحة النهار وان الرجل هو

المسيأ المنتاب عنه . فهل يجئ الى مرسيلوس انه اهلك شخصاً له مثل هذه الهمية

العظيمة . اظن ان هذا لا يزعجه

اجابها غاليو : ساخبرك بما اعرفه بشأن هذا الحادث لان ما لا يدرك كله لا

يترك جأه وعليك ان تحليه حسب معرفتك

- لا لا ليس الان لربما نجد طريقة اخرى لانني لا اريد ان اعرض والدي للخطر

- ولكنك لا تستطيعين البقاء هنا

- ارجو منك ان تكتم ذلك ولا تفعل شيئاً . واذا قالت هذا اخذت ترنجه

- فسألها من تخافين ؟

فاسرّت اليه قائلة : انني اخاف من غايوس



الفصل الحادي عشر

عند شروق شمس اليوم السابع من شهر ايلول جاء الى مسكن أسرة يويوس بائع فاكهة وخضرة واخبرهم ان السفينة فستريس رست في مياه ييريه . واذ كان مرسيلوس موقناً ان له فيها رسائل وليس في استطاعته ان ينتظر مركز ولاية المدينة لايصالها له لذلك توجه بنفسه الى هناك في احدى العربات مصحوباً بجأده الامين ديمتريوس وكان من العادة المألوفة ان يجلس الخادم بلصق السائق ولكن ديمتريوس في المدة الاخيرة صار يجلسه سيده بالقرب منه لانهما كانا يتحادثان باللغة الارامية التي لم يكن استعمالها سهلاً وكان الناظر اليهما في هذه الحالة لا يمكنه ان يميز الخادم من المخدم

كان ديمتريوس صباح كل يوم بعد الفطور يذهب الى محل بنيامين الحائك اليهودي ليتعلم منه اللغة الارامية ويفعل مثل هذا بعد الظهر ولم يكن بنيامين المذكور يطلب منه اجرة مقابل تعابه بل صرح قائلاً : انه يجد نفسه مسروراً بتدريسه هذه اللغة مجاناً . الا انه مع توالي الايام اصبح عضواً نافعاً له . وكان ديمتريوس مساء كل يوم يعلم سيده الدرس الذي حفظه لكن مرسيلوس لم يرض ان يكون مديناً لبنيامين فكان ان اهدى اليه مقابل ذلك رزميتين من القطن المصري وعدة اكياس من الصوف الممتاز في جبال قبرس حيث يفرز في الاماكن الباردة منها

ولقد نجح ديمتريوس نجاحاً باهراً في اللغة الارامية ونسب ذلك النجاح الى الطريقة المثلى التي يتبعها بنيامين في التعليم ولكن هذا قال اذا كان المرء يريد ان يتقن لغة ما فعليه ان يباشر تعليمها غيره كما فعل ديمتريوس اذ جعل سيده يتقن

اللغة الارامية غاية الاتقان

وكانا في طريقهما الى بيريه يتناقشان في شأن الوصايا العشر فكان مرسيلوس يستصوبها وديتريوس يخالفه فيقول انها غير عادلة وهو متحمس ومتمسك برأيه حتى انه كان يسهو عن التكلم احياناً باللغة الارامية فيعدل عنها الى اليونانية لغته الاصلية فيقول له مرسيلوس : لا تتحدث عن الوصايا العشر بلغة وثنية

— ولكن يا سيدي هذه الوصايا غير عادلة فطوراً يُقال فيها « لا تسرق » .
ان هذه الوصية حسنة بحد ذاتها ولكن أليس من وصية اخرى توجب على صاحب الملك ان يحسن الى الفقير ويكرمه كي لا يضطره الى السرقة ؟ وتارة يُقال « لا تشته » كذلك هذه نصيحة حسنة ولكن هل من الحق ان تقول للفقير لا تحسد الغني على خيراتهِ وتنسى ان تنبههُ انه لا يجوز ان يكون محباً لذاته

اجابه مرسيلوس : انت تنظر الى الوصايا نظر الخادم الى مخدمهِ اما انا فأرى ان الخطأ الوحيد فيها هو التوصية بعدم صنع تمثال ما فيظهر ان يهوه (اسم خالق الكون) لا تهمة الفنون

— لقد كانت الغاية من وصيته هذه منع الناس من صنع الاصنام
— ولكن ما ذنب الاصنام ؟ انها غالباً من جملة الفنون وعلى الشعب ان يعبد شيئاً فمن اللائق ان يكون جميلاً رائعاً . ان زيوس الاله الشيخ لم يعترض للنحاتين اليونان حين صنعوا آلهة كثيرة متنوعة الاشكال والاجناس وقد كان على تلة مريخ اربعون تمثالاً منها واحد كانوا يسمونه « الاله المجهول »
— ماذا قال زيوس بهذا الاله يا تُرى ؟

— ربما ضحك انت تعلم انه يضحك احياناً . اما « يهوه » فانه لا يضحك
— ربما لا يظن « يهوه » ان في العالم ما يوجب الضحك
— هذا خطأ فاذا كان هو قد خلق العالم فمن الضروري ان يجمل في العالم ما يوجب الاستهجان . فسكت ديتريوس ولم يجب عندئذ قال مرسيلوس : ان هذا

اسخف كلام قلته في حياتي . ان هذا الدرس الارامي جعل دوام التقرب بين الخادم والمخدوم صعباً . اجاب ديتريوس ليس الى هذه الدرجة ثم ضحك كلاهما

* * * *

لما وصل مرسيوس الى ظهر السفينة كان ربانها ملقبوس يصدر اوامره الى الخدم ثم حانت منه التفاتة فرأى مرسيوس لكنه لم يعرفه حق المعرفة الا بعد ان حدث ببصره اليه واذ ذاك طفق السرور على قلبه وحياءه باحسن تحية قائلاً له : اني بالجهد عرفتكم لما انت عليه اليوم من حسن الصحة وقد افتركت بك مراراً عديدة حينما كنت فيما مضى مريضاً يائساً

- يغلب على ظني انني سببت لك القلق والتعب حينما كنت مريضاً اما الان وقد تماثلت للشفاء فلا يسعني الا ان اشكر عواطفك الكريمة . ثم وقع نظره على ديتريوس فصاحه بحياء وخاطبه قائلاً : ما كنت لانسى الخدمة التي اديتها اليّ يا بنيّ حين كنا مسافرين من يافا ولما سمع مرسيوس هذا الكلام دُهِش فالتفت نحو ديتريوس وقال له : لم اسمع بتلك الخدمة مطلقاً

- لم تكن تستحق الذكر لابلغك اياها

فصرخ ملقبوس قائلاً : كيف لا تستحق الذكر وقد انقذني من الخطر . ثم التفت الى مرسيوس وقال له لم نشأ وقتئذ وانت مريض ان نخبرك بتلك الحادثة التي جرت لي اما الان فقد تماثلت الى العافية فاني اقص عليك ما حصل تماماً : وهو ان في الطبقة السفلى من السفينة حرّاً لا يُطاق . فني احدى الليالي خطر لعبد مختل الشعور ان يقتلني ففكّ اصفاً يديه واخذ مسلة كبيرة وتحفّز لغرزها في دماغي وما شاهد ديتريوس منه ذلك حتى وثب عليه وانتزعها من يده وبذلك يكون قد خلّص حياتي

- اني افرح ياسيدي لانني كنت هناك في ذلك الوقت . اجابه الربان ليهنأ

كلُّ منا بالسلامة . ثم أعلمك ان لك هنا عدة رسائل يا مرسيلوس وقد كلّفت احد
اعضاء المجلس الذي يحمل اليك كتاباً من لدن الامبراطور ان يسلمك اياها بطريقه
قامت عن ذلك قائلاً : انه ليس من شؤون وظيفته توزيع البريد وامارات
الكبرياء ظاهرة على وجهه

- اذاً يجب عليّ ان اسرع الى البيت كي لا ادعُ ينتظرنني كثيراً
- هو رجل مسموع الكلمة بعيد المهمة ودأبه تبليغ الاوامر ولنا متكدّر لانه
سينذهب الى اورشليم ويسلم ايضاً رسالة من الامبراطور الى بيلاطس البنطي ثم
يعود في السفينة عينها . وهذه الرحلة تستغرق نحواً من خمسة وستين يوماً . ثم قال
له اسمح لديتريوس ان يبقى معي اليوم في المركب ؟
- لا بأس سيأتي غداً اذا شئت . لانني افقر اليه في هذا النهار اذ ربما يتضمن
كتاب الامبراطور ما يغيّر الخطة التي وضعناها لهذا اليوم . اما ديتريوس فانه
شكر للربان لطفه وظرفه

فتح مرسيلوس في اثناء طريقه رسالة والده فسرّها بها ولا سيما عند ما وجد
ايضاً رسالتين احدهما من والدته والاخرى من لوسيا . اما رسالة ديانا التي تلقّاها
فكانت من كاپري وقد ادهشها امرها خاول ان يقرأها اولاً ثم ما لبث أن فضّل
ابقاءها ريثما يصل الى البيت غير انه تراءى له قبل ان يفضّ غلافها ان يدقق نظره
فيه ثانية فوجد في محل الختم اثرأ يدل على فتحه واعادته الى ما كان عليه فقال له
خادمه : لا شك في ان يد امرأة فتحته وقرأت مضمونه . ثم اعادت ختمه وهالك
علامة اصبعها فاستاء مرسيلوس عند رؤية ذلك لكنه اخذ الرسالة ووضعها تحت
ردائه

ثم ابتدأ يقرأ اولاً كتاب والده الذي يخبره فيه بانّه رجع الان من كاپري
حيث توجه ليعرب عن سبب تقييه الفجائي . ثم تابع كلامه قائلاً : وقد اضطرت
ان اطلع الامبراطور صراحة على موقفك الحالي لان الرسالة المتضمنة امر تنصيبك

وصلت الينا وانت ما تزال راكباً البحر

اخيراً التفت الى ديتريوس وقال اصغر الى ما يقول والذي . ان الامبراطور قد
ولأني قيادة الحرس في كاپري هذا هو الخبر المهم في هذه الرسالة . فما هي
يا ترى واجبات القائد هناك ؟

- هي ان يا كل طعامه وينام في لباسه الرسمي ويفتح احدى عينيه في اثناء النوم
كما قال الشاعر :

ينامُ باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظانُ نائمٌ

قال مرسيوس : بينا عبده ينام وعينه مفتوحتان . ان الحق معك يا ديتريوس
لان الجزيرة ملائى بالجواسيس والحساد . ثم تابع قراءة الرسالة ان للقيصر عملاً آخر
يتعلق بك . فقد لذه سماع ما حدث لك في اورشليم ولما افهمته ان بعض اليهود
يعتقدون ان اليهودي المصاب هو المسيح . عند هذه العبارة توقف مرسيوس عن
اتمام الرسالة وحدث الى ديتريوس وسأله من اين عرف والذي ذلك ؟

- انا اخبرته لان الشيخ غاليلو الح علي ان اعلمه كل ما جرى هناك ورأيت
من حقك انت ان تجربته بذلك . ولما كانت حالتك الصحية آنئذ لم تتمكنك من
اعلامه فقد توليت انا الامر بالنيابة عنك

- كلامك حق يا ديتريوس لكن عسى ألا تكون قد بُجِتَ له بشيء من

امر الرداء

- لقد اوقفته على ذلك يا سيدي لان الرداء المذكور هو سبب مرضك وبدون
اطلاعه على حقيقته يكون تفصيل الحادثة ناقصاً

- لنتم اذاً قراءة الرسالة . يقول ان الامبراطور اهمته هذه القضية جداً لانه
مطلع على شؤون جميع المذاهب وقد سمع كثيراً بنبوءات انبياء اليهود بمجيء المسيح .
لذلك هو يرغب في ان تتم علومك في اثينا ولا سيما علم الاديان وعندئذ تعود
الى كاپري كاستاذ ماهر . فابتسم مرسيوس لدن قراءته هذه الجملة وقال : أمن

الممكن ان تتصورَ شخصي واقفاً اعلم واخطب في دار البرابرة ؟

اجابه ديتريوس : ان هذه الوظيفة لا تستوجب الضحك والازدراء لانها مصيبة تؤثر في الافكار والقلوب معاً . ولان لدى الامبراطور كثيراً من السحرة والمنجمين والفلكيين . فيكون عملك فيها مخزياً يا مولاي

- أأتظن انه يرجو مني ان اعلم هؤلاء اشياء وهمية وترهات لا طائل تحتها

- اخال انه يرجو منك ايضاحاً كافياً بخصوص ذلك الرداء

- قال مرسيلوس ولكنه حقيقي غير وهمي ؟

- ليس ذلك في محيتي او مخيلتك لكن عندما يتحدث عنه الامبراطور او

السحرة لا يلبث ان يسي اكثر من خرافة . على اني لا اريد ان يستهزئ به ذلك الشيخ المقوت ولا اتباعه المختلو الشعور .

- وقد جاء في ختام الرسالة ما يأتي :

اني لا ادري هل تهملك هذه الوظيفة يا ترى ؟ وحيث ان عقل الامبراطور

كما لا خفاك متقلب فاذا كانت هذه ارادته فليس لك الا الطاعة . ولقد أذن

لك لحسن حظك ان تبقى في اثينا مدة طويلة ريثما تنهي فيها دروسك . ومع اننا

جميعنا نتمنى لك الرجوع الى رومية فاني لا اشير عليك ان تسرع في المجيء .

لم يشر غاليو بكتابه الى شيء من امر ديانا حال كونها كانت في كاپري حينما

كان والده هناك . قال مرسيلوس انني متأكد لان ديانا ليست في مأمن هناك

حيث فتحوا رسالتها وتجسسوا اخبارها

* * * *

لقد حدث فجأة اضطراب في دار يوبولس حيث لم يكن يدخل اليها رجل

بلباس رسمي من قبل امبراطور رومية الا نادراً . فلما شاهد دايون مرسيلوس

مقبلاً قال له وهو يضطرب من الخوف ارجو منك الاسراع في الدخول لان

الامبراطور بعث اليك برسالة مع كنتوس احد اعضاء مجلس الاعيان وان هذا لا

يزال منذ مدة منتظراً وقد قال لنا : ان لم يحضر سريعاً فانه يشكونا الى الوالي .
فاجابه مرسيلوس هديّ روعك يا دايون فانّ السبب في ذلك ليس عليك بل عليّ
وبعد ان تول من العربية وسار في الممشى رأى الخدم ينظرون اليه نظرات
الخوف والشفقة وكانت ثيودوسيا في الارجوحة ووالدتها وعمتها جالستين بقربها .
وكان عضو المجلس المشار اليه يتمشى ذهاباً واياباً امام مدخل البيت وعلى وجهه
العابس علامة الافتخار والاعتزاز

- آه هوذا كنتوس مرافق غايوس قال مرسيلوس وقد ادرك حالاً السبب الذي
جعل كنتوس يفتأ من جرّاء هذه المهمة الرسمية ويظهر ان غايوس كان في قلق زائد
لان الامبراطور كتب اليه يعلمه باصدار اوامره المشددة بارجاع مرسيلوس من
منوع . اما غايوس الذي رأى ان انتقامه لم ينفذ فقد كان غيظه لا يُجِد ولا يوصف
فقال كنتوس الى متى ينتظر رسول الامبراطور ؟

- لم أخطُ علماً بوصول مرسوم اليّ من لدنّ الامبراطور . وبما انني قدمت
الان من السفر فاقترح عليك ان تقوم باجراء مهمتك على الوجه الذي يليق تجاه
روماني آخر . اعني النّد للنّد وفي الحال سلّم كنتوس الى مرسيلوس رقيم الامبراطور
المذهب

- اما تنتظر جواباً عليه ؟

اجابه كنتوس بلى لكنني انصح لك ألا تعيقني اكثر من ذلك لان رُسل
الامبراطور لم يعتادوا تمضية اوقاتهم في زوال اليونانيين . اغتاض مرسيلوس ولكنه
كظم غيظه وقال : اني سأقرأه بنفسي واجاب عليه . فهل لك ان تنتظري قليلاً
من الوقت او ان تعود اليّ بعد هنية لاعطيك الجواب . . لك الخيار في الحالتين
ولما دخل مرسيلوس غرفته التفت كنتوس الى ديمتريوس وقال له أنت خادمه ؟
اجابه نعم - قل لي مَنْ هي السيدة الجميلة الصورة التي في تلك الارجوحة

- هي ابنة يوپولس

- يجب ان نتعرف اليها ريثما ننتظر هنا . وما فاه بهذه العبارة حتى توجه
محتالاً نحو الارجوحة

اما دايون والد الابنة الموما اليها فقد سبقه ووقف امامها وقد تبعهما ديتريوس
ولما اقترب كنتوس من ثيودوسيا وقف تجاهها وسألها بكل وقاحة عن اسمها .
اجابه دايون هي ابنتي

- انك اسعيد ومحظوظ بهذه الابنة البديعة الجمال ثم قال له : يجب ان نعرفها
اكثر من ذلك وللحال مد يده ليصاخبها عندئذ قال له ابوها ارجو منك كل الرجاء
ان تعلم ان بيت يوبولس تحترمه الخاصة والعامة فبناءً على ذلك لا تكدر ابنتي
- من انت يا هذا حتى تتصدى لرسول الامبراطور وتعلمه ماذا يجب ان يعمل ؟
ثم أوعز الى والدتها وعمتها فيب وايانو ان يذهبوا ايضاً في الحال فغادروا المكان
وصفرة الموت بادية على محياهم ثم استلّ خنجره من منطاقته والتفت الى ديتريوس
وقال له : ماذا تعمل هنا يا عبد السوء ؟

- ان سيدي امرني ان ابقي هنا . ثم ان ديتريوس اشار الى ثيودوسيا وقال
لها : الاجدر بك ان تتبعي والدتك

فامتلاً كنتوس غيظاً ورفع يده ليضرب بها ديتريوس غير ان هذا هجم عليه
كالاسد المحصور وقبض على كتفا يديه بكل ما منح من قوة الى ان اضطره الى
رمي الخنجر الى الارض ثم انهال عليه باللاطم واللكم في كل جهة من جسمه حتى
وقع تحت اقدامه والدم يسيل منه واذ ذاك رفع عينيه الى ديتريوس مهدداً وقال :
انك يا عبد السوء ستמות اسنع ميتة فما كان من ديتريوس ساعثذ الا ان كسر
انفه وفكه وتركه على الارض مغشياً عليه

ثم قال لدايون لا تحاول الفرار فما كان لاحد ان يظلمك او يؤذيك لانني انا
المذنب لا انت . آت به بطست ماء ومنشفة فانه بعد هنيئة يستفيق من غشيته
وينهض واذا حاول القتال ثاني مرة ادعني فأنذره بسوء العاقبة قال هذا وذهب نحو

غرفة مرسيلوس

فلما شعر بمجيئه قال له من دون ان يلتفت اليه . اتعلم يا ديتريوس ان الامبراطور يامرني ان اعود الى فلسطين حيث ازیده بياناً بشأن الجليلي . اما تحسب انني كنت أسراً جداً لو انه اتدبني لغير هذا المنصب . ان طيباريوس يزوم ان يعلم هل كانت الاشاعات عن يسوع بكونه المسيحاً نفسه حقيقة او باطلة . اما انا فلا يهمني شيء من هذا لما اريد ان اعرف هويته وهذه فرصة ثمينة لنا وعلينا ان نتابع درسنا الارامي بكل نشاط واجتهاد وفي اوائل فصل الربيع نرحل الى الجليل . واذ قال هذا ختم الجواب بنجائه ووضع قلبه على المنضدة ثم نظر الى ديتريوس ولما رآه اصفر الوجه سألته ماذا كنت تفعل ؟

- كنت اتعارك انا و كنتوس لانه اهان اسرة يويولاس ولا سيما ثيودوسيا
- ولكن يتبين لي من يدريك الملتصتين بالدم أنك ادميته وبالغت في اذاه وهذا شيء فظيع للغاية بحيث لا يحق لعبديوناني ان ينازل عضواً رومانياً
- انني اعلم هذا حق العلم يا سيدي لذلك يجب ان اركن الى الفوار
- يجب ان تهرب حالاً ولكن الى اين ؟
- الى ملجأ في الجبال اختبئ به قبل ان ينتشر الخبر
- ام تألم كنتوس كثيراً ؟

- ضربته بيدي فقط واكن حالته تستدعي الشفقة والاهتمام

- اذهب حالاً واغسل يديك واجمع امتعتك للهزيمة من هذا المكان وبعد ان اوصاه بذلك دخل الى غرفته وملاً كيساً من النقود الذهبية والفضية والنحاسية ثم كتب صكاً يتضمن عتق ديتريوس من رق العبودية وسلمها اليه وقال له : خذ هذه الدراهم لتنفقها في السبيل الذي تحتاج اليه وتسلم ايضاً هذه الشهادة بانك اصبحت من الان فصاعداً حراً مطلقاً . اما انا فسأبقى هنا الى اوائل فصل الربيع ثم اتوجه الى اورشليم واقضي فيها كل ايام الصيف او اكثر منها ثم اقبل راجعاً الى

جزيرة كاپري لكي ابلغ الامبراطور حقيقة الاشاعات

- ليتني اكون بصحبتك يا سيدي لانه يغز علي فراقك كثيراً

- وانا سارى ببعذك عني يا ديمتريوس وحشة زائدة . فاكذب اليّ حالاً حيث

تكون واخبرني عما تحتاج اليه واذا ما قبض عليك فانني لا أدع مكاناً من

الامكنة دون ان افتش عنك واسعى لخلاصك

اشكر لك لطفك وحنوك والآن النمى منك ان تسمح لي باخذ كيس

الدرهم فقط اما صك حريتي يا سيدي فارجو ان تبقيه عندك خوفاً من ان يراه احد

فيظن انك كافأني به على الحاقى الاذى بكنتوس - فالوداع الوداع يا سيدي العزيز

الحزون . اني ارى نفسي حزينة حتى الموت اذ ربما يتعذر علينا الاجتماع ثانية ولي مل

الرجاء ان تعلم ثيودوسيا السبب في عدم وداعي لها

وبعد رحيل ديمتريوس وخروج مرسيولوس من البيت لقيه دايون الذي اخذ

الخوف منه كل مأخذ فقال له هل سمعت ما حدث ؟

- كيف حال الجريح ؟

- في حالة يرثى لها وقد هددنا برفع شكواه الى الوالي

- لا تخف يا دايون لكن اخبرني عن الحادث بتمامه

- ان العضو كنتوس اظهر قلة احترام لثيودوسيا فتدخل بامرها عبدك ديمتريوس

واذ ذاك شهر عليه كنتوس خنجره فكان من ديمتريوس ان ضغط على يده فاسقطه

منها واخذ يضربه على فمه وعينه وانفه حتى اثنه بالجراح وتركه بجالة سيئة جداً

مفضياً عليه

واذ اقتربا من كنتوس وجداه لا يزال على تلك الحالة النعسة فلما وقع نظره

عليهما هلق بعينه ورفع يديه مهدداً ومتوعداً بانه سيشكو امره الى الوالي الذي

لا يلبث ان يطرح العتدي الاثيم في غيابة السجين ويأمر بقطع رؤوس كل من في

البيت فقال مرسيولوس للجريح . بم افكرت ان تخبر الوالي ؟ بل ماذا تتصور ان

يُقال عنك في دار الولاية عندما يسمع الوالي والقضاة انك اهنت شابة محترمة
وحاولت ان تطعن الخادم الذي تدخل بشأنها وكيف حملته مروءته على ضربك بيديه
ورجليه حتى تركك على الحالة التي انت فيها لا تقوى على النهوض . تعال لارافقك
الى الولاية وهناك يفهمون ان العضو الروماني لا ينازل عبداً يونانياً
- فاجابه على الفور اني لا ارافقك ولست بحاجة ماسة الى معرفتك
قال له دايون : اذا شئت ان تبين عندي ريثما تسافر السفينة فستريس فلا
يمكن ان يراك احد

قال مرسيالوس انه رأي مصيب فيجدد بك ان تعمل به وتقبل نصيحته
- انني ساقطع عبدك إرباً إرباً
أتريد ان اذهب في الحال وارسله اليك اذ لعأك تشاء ان تقطعه الآن

* * *

كانت الايام قصيرة باردة ومزعجة تحثق مرسيالوس في غضونها أن لا غنى له عن
الاعتماد على ديمتريوس خادمه الوفي ليس بالنظر فقط لاشغاله الخاصة بل للصداقة
والمنادمة. لذلك شق عليه بعباده عنه وشعر كأنه ضائع لا دليل له . على انه لم يحدث
شيء جديد في خلال غيابه عنه بل كانت الاحوال تجري على وتيرة واحدة فكان
صبيحة كل يوم يتوجه الى محل بنيامين ليواصل درس اللغة الارامية وعند الظهر
يعود الى التزل ويصرف بقية نهاره في غرفة الدرس شاغلاً وقته بدون لذة في صنع
راس من الرخام وهو يعتقد في نفسه انه يشابه كل المشابهة رأس ديانا غير انه في
حقيقة الامر لا يمثله مطلقاً لانها اولاً كانت بعيدة عنه كثيراً وثانياً لكونه لم يعلق
في ذهنه الا القليل من هيئة وجهها الحقيقي

كان قد ورد عليه رسالتان منها احدهما من كاري مكتوبة بعجلة تقول فيها
انها وقفت على الامر الصادر من لدن الامبراطور بابقائه في اثينا وذهابه بعدئذ الى

اورشليم ليمدّه بالمعلومات الحقّة بشأن الشاب اليهودي الغامض . اما ما ذكرته بشأنها هي فملخصه :

١ - ان الامبراطور قد الحّ عليها بالبقاء في كاپري بضعة اسابيع وقد لبّت امره اولاً بانظر الى انعاماته القيميّة نحوها وبالتالي لانه يشعر بسامة في هذا الاران . واما الرسالة الثانية فكانت من البيت وقد استنتج مرسيلاوس من خلال سطورها ان العربية تنتظرها على الباب وان شخصاً يقرأ ما تكتب اليه حرفياً . اما الرسالة المذكورة فكانت لطيفة مجد ذاتها غير انها لم تشر قط الى الحب المتبادل بينهما وقد اعاد قراءتها مراراً عديدة ولكنه لم يستطع ان يستنتج منها بعد اعمال فكرته سوى ان ديانا كانت خائفة حذرة من ان شخصاً ثالثاً سيطلع على ذلك اوان محبتها له ذهبت ادراج الرياح فعلى كلا الامرين امسى في قلق وسامة ويأس

ففي صبيحة ذات يوم بينما كان مرسيلاوس واقفاً تجاه النافذة ينظر الى الغيوم السوداء وقد تلبدت في الافق عقيب الموج التي تساقطت ليلاً اذا به يناجي نفسه ويسأل : أيزعج كمادته الى محل بنيامين الذي يكون في انتظاره ام لا . اخيراً قرّر ان يتوجّه اليه وعند وصوله حيّاه بنيامين وقال له : هذا كتاب وارد اليك بواسطتي وقد سلمه اليّ زينوس الاثيني الذي يخدم صديقي پوپيكس . ولديك الان فرصة لتارس اللغة الارامية ثم قال مقتخراً ان لغة ديمتريوس حسنة . فلاحال احضر مرسيلاوس كرسيّاً صغيراً ووضع قرب سقيفة الحياكة وجلس عليه ثم فضّ الكتاب واخذ يتلوّه بصوت عالٍ على مسمع من بنيامين وكان هذا يصلح له الاغلاط ويفهمه معنى الكلمات الصعبة بكل رغبة وارتياح وهذا نصه :

« كتاب ديمتريوس الى سيده مرسيلاوس »

سيدي المحترم :

اكتب اليك هذا الكتاب في يوم سبت اليهود وانا ساكن في عليّة بيت قديم

تطل على قرية قدرون التي ليست بعيدة عن ساحة الهيكل وقيم فيها معي شاب
يهودي يوناني يدعى استفانوس وهو صديق صدوق وذكي مهذب . وقد امضى ليلة
امس خارج البيت بمهمة سرية فلم ارَ وجهه الى ان لاح الصباح

لقد وصلت الى اورشليم منذ ثلاثة ايام فقط . واذا كنت واثقاً بصداقة الربان
فلقيوس قصدت الى بييريه ومنها الى السفينة فستريس حيث اخبرته بما جرى لي فخباني
في جوفها . ولما اقلعت السفينة في اليوم التالي اخرجني الى ظهرها حيث اخذت حريقي
وكان مستخفياً هناك رجل رفيع المقام يشكو من امر ألم به وكانت السفينة قد
تجاوزت بنا مدينة الاسكندرية فانا وقع نظره عليّ حتى اوعز الى الربان ان
يكلمني بالقيود غير ان هذا رفض اجابة سؤله قائلاً له : اني دفعت اجرة سفري مع
اني لم ادفعها ومع هذا فانه يسألني في الميناء الذي تصل السفينة اليه

ولما رست السفينة ليلاً في خليج غزة انزلني فلقيوس حالاً الى الشاطئ . فابتمت
ما يلزمني من الحاجيات وسرت مشياً في الطريق عينها التي سافرنا فيها من منوع الى
اورشليم . ولما وصلت الى وادي اسقلون هجم عليّ بعض البدو وسلبوا مني بعض
امتعتي ثم اطلقوا سبيلي . واذا كان الطقس بارداً ولباسي خفيفاً اضطررت الى التزول
في بيت احد السكان الفقراء . وقد اعتدت ان اشرب حليب المعزى الساخن وان
أكل القمح الجاف . ووجدت بعد الاختبار ان شرب البيض بواسطة غشائه
الخارجي لذيد جداً . وان البقرة عندهم لا تضن على الغريب بمشاطرته مكان سكنها
وفي آخر يوم من رحلتي تيسر لي ان ابيت في اصطبل حانة من حانات بيت
لحم . وقد بعث اليّ صاحبها عند الصباح بقليل من الحساء الساخن وبرغيف من
الخبز الابيض

وقد اخبرني الخادم ان من عادة صاحب هذه الحانة ان يصادق المسافرين الفقراء .
وقد لاحظت على حاشية المنديل الذي وضع فيه الخبز رسم سمكة فتعجبت من ذلك
لاني رأيت الرسم عينه منقوشاً على باب الاصطبل . وبعد ان غادرت بيت لحم

شاهدت أيضاً رسم سمكة على الرمل كاشارة لمن يريد من خاصة الناس ان يسلك تلك الطريق الرملية . ولما كنت اجهل معنى هذا الرسم لم اهتم بشأنه وقد نسيتُه
 وحين وصولي الى اورشليم كنت جائعاً ومتألماً من وجع رجلي . لذلك عزمت على الذهاب الى محل حائك لعلّي اتمكن من الاشتغال فيه بكسب اجرة تساعدني على تأمين معيشتي الى ان يتيسر لي عمل اكثر موافقة من الحياكة وقد قادني الحظ حينذاك الى مشغل حياكة بن يوسف وتعرفت هناك الى رجل يوناني يدعى استفانوس ولما علم اني يوناني وقد اشتغلت في اثينا بجمل بنيامين الحائك المعروف عنده وعند غيره ، ناط بي علماً كانت اجرتة زهيدة مع ما اكسبه من الخدمة التي اقوم بها .
 وقد شاء ان انام في بيته ولا شك ان اهتمامه بشأني ناجم عن كوني يونانياً . على ان في اورشليم يونانيين كثيرين وقد تزحوا اليها يوم اخضعت مكدونيا . ولما علم انني ملهم بالعلوم سرّ كثيراً

وفي اول ليلة من اجتماعنا معاً اخذنا بعد تناول العشاء نتحدث عن الاشياء المختصة باليونان التعساء وكان استفانوس قد رسم صورة سمكة على لوح صغير وعرضها على نظري كأنه يطلب مني ايضاح معناها . فاجبته انه لا يهمني امرها مع انني رأيت مثل هذا الرسم سابقاً فلم اعبأ به . ثم سألتني هل كنت عاتت شيئاً بخصوص يسوع الحليلي فاجبته بالاجاب وقلت له : انني اود ان افهم على اكثر مما وقفت ثم اكمل قائلاً : ان الذين آمنوا بتهاليم يسوع قد اضطهدوا كثيراً حتى اضطهرهم الامر ان يجتمعوا ويتباحثوا في مكان خفي . امين . وهذه السمكة تدل على التعارف فيما بينهم . على انه لم يجبرني كيف اصطالح اليونانيون على استعمال هذه العلامة لان يسوع لم يكن صياداً بل كانت حرفته التجارة . وقد قال ايضاً ان يسوع منح الحرية لكل الناس . ولما رأى استفانوس مني شدة الرغبة في الاستفادة بصدد هذا الموضوع وعدني بان يفيدني اكثر من ذلك عند سنوح الفرصة له
 وقد اكتشفت ان مسكن بن يوسف لم يجعله للحياكة فقط بل لاجتماع اصدقاء

يسوع وكان مكاني فيه وضعياً بحيث ان الذين يأتون للاجتماع لم يبالوا بامري بل انهم يلتفون حول الشيخ الذي يشتغل على منواله القديم

وقد اتى امس الى هنا رجل ذو لحية كثيفة مدبد القامة قوي العضلات وصرف زهاء ساعتين يتحدث مع شابين باحدى زوايا المحل وقال استفانوس ان هؤلاء الاصدقاء جليليون وكانوا يسمون ذلك الرجل «الصيد الكبير» والاخوين الصغرين «ولدي الرعد». ويلوح لي ان الرجل الكبير هو زعيم الجماعة . غير انني لا ادري كيف يعقدون اجتماعهم سرّاً ما دام يسوعهم قد صلب ومات . والذي يدهشني منهم ان اضطرابهم ليس صادراً عن خوف وجزع بل عن اغتباط وسرور وان تصرفهم بامورهم في حالة التستر لما يدل على وجدانهم شيئاً ثميناً يريدون اخفائه عن العيون

وقد قدم من البلد في هذا النهار رجل طويل القامة يُدعى برسليباس يسكن من صفورة في قرى الجليل خيأه الجميع بعاطفة الشوق كأنهم لم يروه منذ امد طويل . ولما كنت واستفانوس عائدتين الى منزلنا اخبرني ان يسوع اتخذ منهم اثني عشر تلميذاً له احدهم يهوذا الاسخريوطي الذي خان عهده وسلمه الى الكهنة وبعد ذلك قدم على ما فرط منه فشنق نفسه فكان ان اجتمع رفاقه الاحد عشر ليختاروا تلميذاً جديداً بدلاً منه فالقوا القرعة على شخصين من اتباع يسوع احدهما يدعى متياس والاخر يسمى برسليباس يستوس وهما اللذان كانا يسمعان بلدة وشغف عظامه وتعاليمه السامية المفيدة للشعب وقد شاهدنا اعماله العجيبة المدهشة التي سيخبرني عنها استفانوس حينما يجد فرصة تمكنه من ذلك . واطن انه يريد مني بادئ ذي بدء ان احسن ظني فيه واحترم كلامه

وانا التمس منك حسناً يتراى لي يا سيدي انك عند مجيئك الى اورشليم لكي تستفهم اكثر عن يسوع ان تتعرف بكل تحفظ الى رجل مثل برسليباس يستوس الذي عنده كل الخبر لان المراقبة على اتباع يسوع وانصاره لشديدة جداً

بحيث يوجسون خوفاً من انتشار صيته وامتداد سطوته . لا سيما وان رؤساء الهيكل يشعرون ان تعاليم الجليلي تحتوي على بذور الثورة ضد ديانتهم . والولاية تعتقد انه حالما ينسى الشعب يسوع يستطيعون ان يعيدوا عيد الفصح الثاني بدون شعب وفتنة سياسية

لقد كنت اردد في فكري في خلال الثلاثة الايام الاخيرة انك تقدر ان تجي الى قرى الجليل دون ان تقع الشبهة عليك وترحل منها الى اورشليم كتاجر له خبرة كافية بالمنسوجات اليهودية وميل خصوصي الى الحياكة الجليلية البيتية ودعهم يفهمون ان منسوجات كهذه مرغوب فيها جداً بمدينة رومية . ولا بأس اذا سألت في المخازن التجارية عن اصناف مثل هذه ودفعت ثمنها غالياً ولو كانت قيمتها الاصلية رخيصة وتظهر بالسذاجة في الشراء واذا ذاك ينتشر الخبر ويصبح سعرها غالياً .

وفي اثناء تفتيشك عن النسيج الجليلي لا بد من انك تمر بعمل بن يوسف حيث تظهر للقوم انك تريد السفر الى نواحي كفرناحوم لشراء شيء من ذلك النسيج وفي الوقت نفسه تسألهم عما اذا كان يوجد دليل خبير تقدر ان تعتمد عليه لقضاء هذه المهمة . واظن انك ستختار من بين جماعة الجليليين الكثيرين الذين يحيثون الى ذلك المحل بوسيباس يستوس فانه افضل دليل لك وبذلك تكون احزمت النجاح والتوفيق في مهمتك التي تسعى اليها .

واعتقد ان الشعب يتشتت شمله عندما يقترب اسبوع الفصح الثاني لان الجند يكون متيقظاً ونشطاً لمنع اي اعتداء وحوادث جديدة فأرى من المناسب ان تأتي الى هنا قبل الفصح بشهر واحد حيث يكون فصل الربيع قد اقبل واكتسبت المدينة حلة قشبية جميلة لكني ارى من الحكمة الا تتظاهر بمعرفتك اياي ولو تقابلنا وجهاً لوجه لان استفانوس يكون في ذلك الحين قد استوثق مني ولا يكون موافقاً لك او لي ان يعرف انه توجد علاقة فيما بيننا كما انه لا يعلم بانني جئت قبل هذا الوقت الى اورشليم . واذا تمكنت من إيجاد وسيلة لاجتماعنا هنا معاً فان سروري

يكون كاملاً . ولا بد أن اعلمك بذلك باقرب ما يكون من الوقت

- وبعد ان اتمّ مرسيلوس قراءة كتاب عبده ديمتريوس التفت الى بنيامين وضحك
ثم سألته ما رأيك ؟ اجابه : ان عبدك لذكّي حاذق ينبغي ان يكون يهودياً
- اظن ان اللغة الارامية غيّرت افكاره كثيراً لانني ارى نصائح حسنة .
فهل تظن انني اذهب الى هناك كتاجر كما قال ؟
- ليس لك فرصة سانحة
- حتى ولو دفعت الى يستوس اجرة
- اظن انه يخبرك اموراً كثيرة مجاناً
- اتنصح لي بالذهاب ؟
- يمكنك ان تجرب اذا شئت . ربما يكون سكان الجليل البسط مما نعتقد



الفصل الثاني عشر

بعد ان تناول يستوس ومرسيلوس غداءهما معاً تحت شجرة تين جالسا في الظل
 من دون ان ينبسا ببنت شقة فاضطجع الاول على العشب الاخضر مسنداً راسه
 بيديه ومحدقاً ببصره الى سماء شهر نيسان الجميلة ودلائل الحيرة بادية على وجهه
 اما الآخر فكان متكئاً على جذع شجرة ومتنمياً لو كان في غير هذا المكان
 لان نبوءة بنيامين بان سفره الى السامرة والجليل سيكون عقيماً قد صحت
 كان مرسيلوس قد وصل الى اورشليم منذ اسبوعين وتصرف حسب نصيحة
 ديمتريوس له فانه اكتوبر غرقاً في احسن تزل محاط بمجديقة في وسط التلة التي تؤدى
 الى ضاحية بيت عنيا حيث سعى نفسه «م. لوقا» وسجله ولقد حير اصحاب المشاغل
 باسئلته العديدة عن المنسوجات والاثواب المحوكة حياكة يدوية ولا سيما الاصلية
 التي من صنع الجليل .

اخيراً طفق يسير من محل الى آخر وهو يشتري ما تيسر له من الاثواب والشالات
 ويدفع ثمنه بدون مساومة وعقيب ذلك اخذ يتمشى في الحديقة وهو يقرأ سفر اشعيا
 الذي كان قد اهداه اليه بنيامين وقد عزّ عليه ما بينه وبين خادمه ديمتريوس من
 شقة العباد التي تحول دون مذاكرته بهذا الخصوص لانه خطر على باله مرة ان
 يذهب الى مصنع بن يوسف ويقول له انه يريد ان يستعلم من اتباع يسوع اشياء
 جديدة عن ترجمة حياته لكنه عاد عن فكرته هذه قائلاً بنفسه ان ذلك يمكن
 ان يعرقل اعمال ديمتريوس ففضل التربص والانتظار

وفي اليوم الخامس من الاسبوع الثاني توجه مرسيلوس الى بيت بن يوسف
 ووقف خارجاً يفتش عن ديمتريوس . غير ان تفتيشه عنه بطريقة لا يشعر بها احد

ومقابلته اياه مقابلة رجل غريب عنه كما اوصاه ليس بالامر الهين عليه ولا سيما بعد ذلك الفراق الطويل . وقد مرَّ كثيرون امام عينيه ولم يكن ديمتريوس فيما بينهم . ثم سار متجهاً نحو اليهودي الشيخ بن يوسف وذكر له احتياجاته باليجاز فكان جوابه له ان ليس لديه شيء مجهز فاذا اراد ان يوصيه بعمل ثوبٍ ما فانهم ينسجون له بطيبة خاطر اما ان احبَّ نسيجاً محو كاً باليد فلن يجده الا في القرى . قال هذا وعاد الى سفاه

وكان يشتغل على منوال بالقرب منه رجل ذو هيئة لطيفة ظنه مرسيوس لاول وهلة انه استفانوس صديق ديمتريوس . وقد جلس خلف منواليهما شابان متشابهان في خلقتهما ولباسهما البسيط فأيقن مرسيوس انهما الاخوان اللذان يسميان ابني الرعد . على ان هذه الكنية لم تكن مطابقة لهيئتهما البسيطة اللطيفة اما الرجل الرابع فكان جالساً في زاوية من المحل وله من العمر نحو ستين سنة وهو يلاحظ ويسمع ما يدور من الحديث بين بن يوسف ومرسيوس . ولما وقع نظر مرسيوس عليه ظنه لاول وهلة الصياد الكبير الذي حدثه عنه ديمتريوس غير انه حيناً حدث الىه ثانية ورأى ابتسامته الحلوّة وهدهؤه تبيّن له انه ليس ذلك الصياد الكبير قائد الجماعة صاحب الحركات المتواصلة بل هو برسيليّاس يستوس بعينه

وبما ان بن يوسف أعلم مرسيوس ان الحياة اليدوية تكون غالباً في القرى فقد وجد هذا حجة يتذرّع بها ليسأل : هل من احد بينهم يريد ان يرافقه الى تلك الجبلات . فالتفت اذ ذاك الرجل اليوناني الذي اعتقد انه استفانوس نحو الرجل الكبير الذي في الزاوية وقال له انت تستطيع مرافقته يا يستوس لانك كنت عازماً على الذهاب الى بيتك في تلك الجهة . فسأل يستوس مرسيوس بعد التفكير قليلاً : كم يوماً تريد ان تبقى هناك ؟

- ربما ابقى اسبوعين او ثلاثة او شهراً الا اني حين وصولي واستدلالي على

الطرق يسوغ لك ان تتركني وشأني ، اللهم اذا كان لك اشغال مهمة تستدعي رجوعك لانجازها

قال له يستوس متى تريد ان تسافر ؟

- قريباً عند سنوح الفرصة - أيوافقك ان نسافر بعد غد ؟

ولما سمع بن يوسف هذه العبارة من مرسيلوس قال مبكثراً : هو يوم سبت الرب الهنا

- عذراً لقد سهوت عنه

- ألا تحفظون انتم الرومانيين يوم راحة ؟

ولما رأى يستوس ان مرسيلوس تبسم ولم يبال بتبكيته قال ان الرومانيين يرتاحون اكثر منا . فلم يكن من بن يوسف لدى سماعه هذا الكلام الا انه تفرس في وجه يستوس وقال له : لكن ليس اكثر منكم

ثم خرج يستوس وجلس على مقعد خشبي قبالة البيت فتبعه مرسيلوس وقعد بقربه واخذ كلاهما يستعدان للسفر فقال يستوس اننا بحاجة الى اربع دواب لنقل كل امتعتنا لاننا لا نأمل اقل مساعدة من سكان تلك القرى بالنظر الى فقرهم المدقع

اجابه مرسيلوس اريد انت ان تبتاع الدواب وما نحتاج اليه في هذه الرحلة . فكلم يعوزك من الدراهم ؟

- كيف تؤمنني على شراء كل ذلك وانت لا تعرفني ؟

- لو لم تكن رجلاً أميناً ما اتزلك بن يوسف في محله الشهيد

- ماذا تعرف عن بن يوسف ومصنعه ؟

- ان له ولمصنعه شهرة حسنة فقد صار له مدة سنين طويلة يتعاطى هذه

الصناعة

فقال يستوس ليس من لزوم لشراء الدواب فيكفي ان تكثرها وتستأجر غلاماً

ليقودها

- ارجو منك ان تهتم بهذا الامر وعسانا ان نسافر في اول الاسبوع المقبل .
وكم تريد في مقابل خدمتك ؟

- كما تشاء . انت . لكنك سمعت استفانوس يقول : انني على كل حال عازم
على التوجه الى بيتي في صفورة من قرى الجليل وليس لي ما يسد حاجتي في هذه
الايام لذلك اطلب طعاماً لا اكل ومكاناً لا يبيت فيه وحذاء لرجلي

- هذا شيء زهيد ففني نيتي ان اؤدي لك اكثر مما طلبت

- إذن تعطيني ثوباً جديداً لان ثوبي هذا عتيق جداً

قال مرسيلوس بكل سرور . ثم سأله بصوت هيس ألسنت يهودياً ؟

- اجابه يستوس نعم اني لكذلك

وقبل ان يفترقا اتفقا على اللقاء عند مدخل دمشق في اليوم الاول من الاسبوع
بعد غياب الشمس . وقد أمل مرسيلوس خيراً من وراء هذه السفرة لاعتقاده ان
يستوس سيفضي اليه بكل ما غمض عليه ولما اطمان باله الى هذا الامر المهم اخذ
يحول في الاسواق وهو يصغي باهتمام الى الشتائم التي كان يتفوه بها التجار عند البيع
والشراء وما شاكل ذلك من الامور كما يفعل الباعة الذين يدورون حول البيوت .

ثم حانت منه التفاتة فرأى في احد الاسواق الغلام الذي شاهده في مصنع بن يوسف
ولما اكتفى بكل ما رأى وسمع رجع الى النزل وبعد هنيهة من وصوله اطل من
غرفته على الطريق العام فرأى الغلام نفسه يسير ذهاباً واياباً . غير ان مرسيلوس لم
يتزعج لانه كان متبعراً وتأكد لديه انه لو كان نازلاً في دار الولاية لما تعرفوا اليه قط
بينما كان مرسيلوس مساء ذلك النهار عينه في الحديقة يطالع السفر المهدى اليه

من بنيامين التفت فجأة فرأى استفانوس امامه

فسأله هذا : اتسمح لي ان افضي اليك بامر سرّي يهك الوقوف عليه . فابدى
مرسيلوس علامة القبول ثم اخذه بيده الى آخر الحديقة حيث اشار اليه بالجلوس

فجلس استفانوس وقال له :

لا شك انك ذهبت من عدم رؤيتك ديتريوس هنا فان عبدك هذا بعد ان كتب اليك ذلك الكتاب كان من سوء حظه انه اتى في طريقه عضو المجلس الذي جرى بينهما ذلك الفراك الشديد في اثينا . ومع انهم لم يحاولوا القبض عليه لكنه خشي ان القاضي ينتقم منه وبذلك يسبب متاعب الى بن يوسف ونحن ليس لنا من يدافع عنا

سأل مرسياوس بتحمس واهتمام الى اين ذوب ؟

- است اعلم يا سيدي فانه عاد الى المنزل حيث انتظر مجيئي اليه وقد احببنا الليل بالتحدث عن شتى الحوادث . وكان عدد كثير من رجالنا مجتمعين سرّاً في محل بن يوسف فذهبنا الى هناك واجتمعنا معهم قبل ساعة من بزوغ الفجر . ثم ودّعنا ديتريوس فصار عنا بالسلامة ولم تكن الشمس قد طلعت بعد ولعلّه يعود الينا حين يُصبح في امان .

فاذا شئت ان تكتب اليه شيئاً فانا اتعهد بايصال ذلك اليه ثم انه اسرّ اليّ انك آتٍ الى هنا ورجا مني ان اوضح لك سبب تغيبه . على انه لم يعلم احد شيئاً بهذا الامر وقد اسرّ اليّ ايضاً سبب زيارتك اقوى الجليل

- كم من الامور المهمة عرفت او تعرف عن زيارتي لها ؟

- اخبرني كل شيء . رغبة منه ان يتحقق ذهاب يستوس معك وشعر بانّ في امكاني القيام بمخدمتك في هذا الموضوع . ثم ابان لي انه يهملك زيادة المعرفة عن حياة يسوع لذلك الحجت عليه ان يخبرني بكل شيء . وقد فعل ذلك . فمكن على ثقة بانني سأحفظ سرّك

- هل يوقع رجال بن يوسف الشبهة عليّ فقد ظهر لي انهم اوفدوا من قبلهم

من يراقبني في هذا اليوم

- اتعني فيليب الصغير هو ابن اخي يا سيدي وقد اوفدته انا ليخبرني بكل

اقامتك فلا يكن لك ادنى ريب فيه . ولا اخفي عليك اني خشيت ان يعرفك
يوحنا فيظهر ان امارات وجهك خفيت عليه تماماً
- كيف يمكنه ان يعرفني ؟

- لقد كان في عداد الذين حضروا عمل الصليب
- واطن انك تتذكر ذلك الشاب الذي حاول ان يعزي ام يسوع
- هل كانت امه هناك ؟ يا له من خطب جسيم . خفي مرسياوس رأسه
مفكراً

- نعم انه كان رزماً فادحاً . كنت انا هناك ايضاً فقد عرفتكم حين دخولكم
الى المشغل

- انت لطيف جداً يا استفانوس فهل من طريقة تستطيع بها ان اساعدك ؟
- نعم يا سيدي . ثم خفض اليوناني صوته بحيث اصبح همساً وسأله هل الرداء
عندك ؟

- اجابه : نعم
- اتسمح لي ان اراه
- نعم . تعال معي

* * * *

وقد سارا معاً مسافة تستغرق ثلاثة ايام لم يذكر في غضونها اسم يسوع اذ كان
يستوس متكئاً جداً مع كل مظاهره اللطيفة واستعدادة لاجابة سؤال مرسياوس
الشاب الروماني . لذلك لم يصح قط اعتقاد مرسياوس ان رفيقه يستوس سيظهر
غيرته ويتحدث ملياً عن حياة يسوع واعماله المجيدة خصوصاً انه علم وتعلم ان الرجل
الروماني مهما كان غنياً ومتردياً باجل الشباب النفيسة لا يمكنه مطلقاً ان يدع احده
يتكلم بشأن يسوع

على انه لم يحظر على باله ايضاً ان جنسيته الرومانية لا تقيده في وقت من الاوقات اكثر من افادتها له في هذا الوقت . بحيث لو كنت رومانياً غنياً لامكنت الحصول على ما تشتهي في العالم كله اذ تفتح امامك الابواب على مصاريعها وتندك الحواجز . وينهض الغرباء عن مقاعدهم ويدعونك الى الجالوس عليها . وترى جماعة التجار وقوفاً لتحيتك وتلبية امرك ولو شئت ان تسافر ووصلت الى الميناء متأخراً عن ميعاد السفينة لرأيت ربانة تلك السفينة ينتظرون حضورك حتى ولو لم يكن فيها سوى غرفة واحدة لا غير فان الغني اليهودي المقيم فيها يدعها لك بطيبة خاطر اكراماً لمقامك عنده . وخلاصة القول انك صاحب الامر والنهي لدى العموم

ولكن لو عزمت على السفر ماشياً على قدميك الى ولايات اورشليم الشمالية الفقيرة لكي تشتري تسجيلاً وتبين عندئذ انك تود الوقوف على ترجمة حياة نجار يهودي بائس يتجول في تلك النواحي فان جنسيتك الرومانية هذه تضرك كما ان كثرة مالك وغناك لا تعينك البتة

كان مرسيلاوس يعتقد تمام الاعتقاد ان يستوس الذي هو من انصار يسوع الناصري والمعجبين به لا يمكنه السكوت والامساك عن ذكر اعماله وعجائبه العظيمة التي صنعها غير انه لم يفعل شيئاً من ذلك .

ان سكان الجليل استقبلواهما في اكوخهم بحفاوة وحبور وعرضوا على انظارهما منسوجاتهم على اختلافها وابانوا لهما اثمانها حسب طلبهما . لكن مرسيلاوس الرجل الغريب شعر بوحشة زائدة بينهم . مع ان يستوس كان يعرفه الى كل عائلة منهم ويذكر لهم سبب محيثة اليهم فكانوا هم يسرعون بعرض احسن انواع الاقشة عليه . ثم يخرج رب العائلة وزوجته من الكوخ ويتركانه وحده مع سائر افرادها

حتى جوف تلك البلدة كان مليئاً بالاسرار حيث كنت ترى ايضاً علامة سمكة محفورة على شجرة من الجوز او مرسومة على الرمل او مصورة بالطباشير على حاجز من الحجارة او منقوشة على مائدة في تزل القرية . اخبر عنها ديمتريوس انها اشارة

الى ممارستهم لتعاليم يسوع

وفي اليوم الثاني من وصولهما شاء مرسيلوس ان يجمل يستوس على الكلام
فسأله قائلاً : ما الغاية من وضع صورة السمكة في هذه المواضع كلها ؟ فاجابه
يستوس ان ما نعيش به هنا هو السمك

ولما سمع مرسيلوس منه ذلك اضرب عن سؤاله اسئلة مثل هذه

* * * *

كان مرسيلوس وهو متكبي . تحت شجرة التين يدرس افكار يستوس من
نظره الى وجهه النحامي وتعجب من تفرسه في الفلك . ثم انتصب بعد هنيهة على
قدميه واقرب من الدواب التي تركها قائدها ترعى ونام في ظل احدى الاشجار
على مقربة منها . ولما لاحظ مرسيلوس ان أرسانها كانت قصيرة جداً حيث سببت
لها جراحاً دائمية في اسداقها جالس على الارض واخذ يطيل الارسان المذكورة وما
كاد يفعل ذلك حتى استيقظ الغلام من نومه ورفع اليه نظره

فقال له مرسيلوس تعال الى هنا ايها الغلام انني لا احتمل ان ارى الحيوان في
هذه الحالة المؤلمة فخذ هذه الدراهم واذهب حالاً الى اقرب محل واشتر مرهماً انظلي
به جراح الدواب ولا ترجع الا به . ثم نهض مرسيلوس من مكانه واخذ يربت
على آناف الدواب المشار اليها ولما رأى يستوس منه ذلك سأله :

- أنتحب الحيوانات ؟

- أجل احب البعض منها ويؤمني ان اواها تُعامل معاملة سيئة

- وهل تحب الازهار ؟

- لا شك في ذلك ولم لا احبها

- ان هذا البلد ملآن ازهاراً برية وقد كثرت في هذا العام خصوصاً في

الأكام . وشرع يستوس يبين له اجناسها

- يظهر لي انك مولع جداً بالطبيعة

- كنت قبل هاتين السنتين امرت بمواضع الازهار ولا ابالي بها . وكنت بغير شك اعرف النباتات النافعة كالقمح والشعير وما شاكل لكنني بعد ان تعرفت اخيراً الى رجل خبير بجميع اجناسها وخواصها احببتها واهتممت بها . قال يستوس هذا ثم عاد فتمدد على العشب وصار يغمغم كأنه في منام حتى خيل لمسيلوس ان الرجل يتحدث عن صديقه يسوع كما كان يأمل .

ثم قال : في احد الايام ونحن سائرون معه طلب الينا ان نقف ونتأمل زنابق الخقل كيف كانت مكتسية اثواباً بديعة تقرر بمرآها النواظر وقال انها لا تتعب ولا تغزل حتى ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها

- الظاهر انه كان محباً للجمال اكثر منه للاعمال . ألم يعتبر العمل ؟

- انه كان يعتبره ولكنه اراد ان يشير الى ان اغلب الناس يقضون وقتاً طويلاً في خدمة اجسادهم من مأكل ومشرب مع الاحتفاظ بمقتنياتهم

- يظهر لي انه كان مقتصداً

لم يكن مقتصداً او متوانياً لانه كان بإمكانه لو شاء ان يحصل على كل ما يروم . كانت مهنته النجارة وكان ماهراً فيها وكان الناس يأتون من نواح بعيدة ليروا اعماله العجيبة . وقد تبعه كثير من الاولاد ، لقد كان كل شيء تحت امره ولكن لم يكن ليقتني شيئاً بل كان يقول مراراً عديدة انه يشفق على الناس الذين يجتهدون ويحترسون ويتعبون ويخدعون بعضهم بعضاً ليحصلوا على اشياء كثيرة ثم يسهرون عليها خوفاً من السرقة والعت والصدأ

- يلوح لي انه كان شخصاً شاذاً لا يريد شيئاً لنفسه

اجاب يستوس لانه لم يخطر في باله انه كان محتاجاً الى شيء . وكان له روح الحق الذي لم يستطع ان يحصل عليه اناس كثيرون

- هذا كلام مستهجن غير معقول

- ليس مستهجنًا اذا فسَّكَرت طويلاً فيه لانَّ عطية الحق لحي الملك الحقيقي .
 اذا احبَّ احدٌ الحق اكثر من الاشياء الزائلة الباطلة فانك ترى الناس تتبعه الى
 حيث يكون . كل انسان منّا يتمنى ان يكون اميناً لكنك لا تحصل على هذه
 النعمة اذا كان قلبك يجذِّ وراء الاشياء الفانية . وهذا هو السبب الذي جعل الناس
 يجتمعون حول هذا النجار ويصفون الى تعاليمه . ولقد شعر كل واحد منهم لدى
 سماعها بالسعادة والحرية كالولد الصغير لانهم لم يستطيعوا ان يتفوّهوا بغير الصدق
 امامه . وحالما شعر الناس بذلك القوا اسلحتهم وطفقوا يتكلمون الصدق وكان
 هذا اختباراً جديداً لبعضهم بحيث جعلهم يشعرون بحرية اكثر . اذ تكلموا الحق
 والحق حرّهم

- هذه فكرة جديدة اظن ان صديقك هذا كان فيلسوفاً هل درس الاداب ؟
 - كلاً لم يدرس شيئاً ولكنه يعرف كل شيء .

- لا اعتقد انه كان له بين الطبقة العالية كثير من المعجبين به لانه ندّد

بالملوك

- لقد كنت تعجب يا سيدي حين ترى كيف ان جمهوراً غفيراً من الاغنياء
 كانوا يصفون الى كلامه بل قلوبهم . انني اذكر ان احدهم تبعه مسافة يوم كامل
 وكان قبل ذلك قد سأله : كيف استطيع ان احصل على مثل ما عندك ؟ اجابه
 يسوع انك غني جداً فاعطِ مالك للفقراء والمعوزين وتعال اتبعني
 - هل تبعه ؟

- لا لكنه قال يا ليتني استطيع وذهب حزيباً وجميعنا حزناً لانه كان شاباً
 لطيفاً . ولا شك انها المرة الاولى التي تمّنى فيها هذا الغني شيئاً ولم ينله
 - يظهر ان هذا النجار له سجيّة فائقة الطبيعة كأنه احد الرجال الخياليين او
 الانبياء . هل رسم او حفر شيئاً ؟

اجاب يستوس ان اليهود لا يرسمون ولا يحفرون

- اذا كيف يعبرون عما في نفوسهم ؟

- دأبهم الترتيل وقص القصص

سأل مرسيلوس : ما هو نوع تلك القصص

- سير انبيائنا وعظمائنا التي يعرفها الكبير والصغير منا . فان لي حفيداً

اسمينا يونان تبت كاً باسم ابن الملك شاول لان رجله كانت عوجاء كرجله ولم يكن

عمره سوى سبع سنوات . كنت اود لو تسمعه يسرد امامك عن ظهر قلبه قصة

الحليقة والطوفان العظيم وخروج بني اسرائيل من مصر

قال مرسيلوس اذكّر انني سمعت ان المصريين اخرجوا الاسرائيليين عنوة من

ديارهم

- هذا كلام لا طائل تحته فان ملك مصر اراد استخدام اليهود لينبؤا له

ولوعيته قبورهم ويحرثوا اراضيهم فلم يجيبوا سؤاله

- سادع يونان يقص امامك كل ذلك عند وصولنا الى صفورة

ثم قال يستوس اذا كنت تريد ان تصل الى سوخار قبل غياب الشمس فعلياً

ان نرحل الان . لان ليس فيها من فندق فينبغي لنا ان ننصب خيامنا قرب بئر

يعقوب . اسمعت بذكر هذه البئر ؟

- لم اسمع بامرها شيئاً من قبل

- ليست افضل من غيرها من الابار غير ان لها شهرة بعيدة في هذه الاقطار لانها

قديمة العهد فقد اتى عليها اكثر من خمسة عشر قرناً

وبعد ان سارا مسافة ثلاث ساعات او اكثر وصلا الى سوخار وتقدما الى

المكان الذي كانت البئر المذكورة في وسطه وقد كانت دائرتها كبيرة ومحيطها

واسعاً وقد استطاع كلٌ منهما ان يجلس عليها مواجهة ريثما يستريحان من عناء

السفر

وبعدئذ نهض يستوس ونصب خيمة وفرش عليها بساطاً لرفيقه . واذا كانا
 يتهيئان للجاوس حانت من مرسيلوس التفاتة فرأى امرأة مقبلة تصحبها فتاة في
 ريعان الصبا فهب يستوس لمقابلتهما ولكنه لم يشر الى مرسيلوس ليلتبعه وقد
 استدرك مرسيلوس حالاً الغرض الذي بينهم وهو مسألة يسوع فقال مناجياً نفسه :
 اذا كان غرضهم هذه المسألة فان الرجل النجار قد صار في عداد الاموات وما من
 احد بعد يضطهدهم فلماذا لا يتحدثون بذلك امامي وبما ان يستوس لا ياتقني ولا
 يتكلم على مسمع مني بشأن يسوع فانا كذلك لا اسمح له بالرداء



الفصل الثالث عشر

اصر يستوس على حفظ يوم السبت في قانا الجليل لذلك اضطر هو ومرسيلوس ان يسيرا مسافة يوم كامل من ناين وكان ذلك من اصعب الايام التي مرت على هذا الروماني وقد بدت لهما قانا عند غروب ذلك اليوم

وفي صبيحة اليوم التالي السبت توجه يستوس الى الكنيس من دون ان يدعو رفيقه للذهاب معه ولو انه دعاه لما أحجم عن تلبية طلبه لان بقاءه وحده وخصوصاً في هذه البلدة لما يورثه الملل جداً لكونه غريباً لا يعرف احداً من اهلها بعد ولا ينتظر من يستوس ان يعرفه الى اصدقه اذ لم يدرك جيداً الغاية من زيارته هذه النواحي البعيدة لانه انما جاء كتاجر يستبضع نسيجاً . فكان يذهب به الى البيوت التي تشتغل به حيث يعرفه الى اصحابها ببشاشة وارتياح

وفي صباح اليوم الذي بعد السبت تناولوا فطورهما باكراً وتجهزا للمسير لان الجو كان حاراً وقد شاء يستوس ان يصل الى مكان يستظلان فيه من حرارة الشمس فمر مرسيلوس بذلك ولا سيما حين علم ان يستوس اشار الى غابة من اشجار الزيتون . ثم سأل يستوس : هل بالامكان ان يتغديا في ذلك المكان فاجابه مرسيلوس بالايجاب وسأله على الفور أتعبر ان بلدة قانا مهمة جداً حتى نجد اليها المسير سريعاً ؟

— اني ليسموني ان ازعجك بهذه السرعة ولا ابين لك الغرض منها فقد نويت ان اجعلك مسروراً في آخر النهار بتعريفك الى فتاة رخيصة الصوت في هذه الناحية ثم ترانيم بديعة قرب نبع ماء في كل ليلة

— ارجو ان تكون شابة حسنة السيرة والسريوة

- نعم انها كذلك . ثم استطرد قائلاً : ان سكان قانا يتعشون عند المساء ثم يقبلون كباراً وصغاراً الى ذلك النبع ليستمعوا الى ترانيم الفتاة مريم التي يجيها شعبنا

- شيء غريب . فكيف تقول انت إذن انها كسيحة . أنني اريد ان اجالسها فلعل لي سبباً يدعو الى ذلك

- ان مريم شابة جميلة ليس لها من العمر سوى اثنتين وعشرين سنة وقد أصيبت بالفالج منذ سبع سنوات فقط . وكان هذا المرض الذي اعترافها من اشدة المصائب عليها لانها كانت فرحة مرحة تحب الطرب واللهو . فامست اليوم تنوح وتنتحب حتى لم يبق لوالديها لذة في الحياة ولا لها ايضاً
- وكيف يلذ لها الترتيل بعد كل هذا ؟

- نعم انها ترتل ولكنني لست قادراً ان اوضح لك سبب هذا التغير ولا احد يقدر على ايضاحه بحيث لا تريد البحث في هذا الموضوع حتى ان والديها لا يعرفان سببه

- لا شك انهما صادقان لانهما لو كانا يعلمان السبب لما ضنّا على احد بالايضاح عن تحسن حالة ابنتهما النفسانية . ربما مريم نفسها لا تعرف ذلك

- وانا لا اعرف بالتام . انما حدث في احد الايام ان احدى صديقاتها التي لم ترها منذ سنين كانت على وشك الزفاف وقد اتوا على مريم لحضور حفلة العرس فلم ترض بل ظلت كل النهار تبكي بمرارة ولكنها حين عاد والداها من العرس استقبلتهما بالترنيم

- هذا من العجب العجيب . هل صوتها جميل ؟

- متى تسمعه تقدره قدره . على انه يمكنك ان تجتمع واياها غداً في بيتها وهناك ترى والديها نعمة تنسج نسيجاً جميلاً . وربما يكون لديها منه ما يهكم

رؤيته . اما الان فاذا كنت قد استرحت كفاية فهاً نتمم سفرنا اذا شئت

* * * *

ولما اقتربا من ضواحي قانا نصبا خيمتهما ثم تعشيا على عجل واتجها الى منتصف القرية حيث كان يتقدمهما الى تلك الناحية اناس كثيرون . غير انها ما كادا يصلان الى النبع حتى رأيا خمسين نفساً او اكثر قاعدين القرفصاء في صفوف متساوية بين كبار وصغار

- فقال مرسيلوس اعتقد ان هذا هو النبع الذي يشرب منه اهل القرية ؟

- كلاً يا سيدي فان ماءه حار واغلب مياه هذه الارزاء سخنة ايضاً ويُقال انها تشفي من علل كثيرة ولكنها لا تشفي اهل الجليل بل جماعة السياح الذين يقصدون اليها من اما كن بعيدة يستحموا فيها
- اذاً فقانا ترى سياحاً كثيرين

- كلاً لان اكثرهم يقصد الى طبرية التي على بحيرة جنيسارت فانها مدينة اهم من قانا واغنى منها فيؤمها ذوو الثروات فقط للاستشفاء من امراضهم
- لماذا يؤمها الاغنياء فقط . ألا يؤمن الفقراء بمنفعة تلك الينابيع الحارة ؟

فقهقه يستوس لدى سماعه هذا السؤال حتى شاركه جميع الحاضرين ثم اجابه :
ان الفقراء يا سيدي لا يعرضون غالباً بل الاغنياء الذين يكثر من جميع اصناف المأكولات والمشروبات في وقت واحد ولا يهمهم معرفة الضرر من النافع . اما الجليليون فليس لديهم شيء من ذلك

- بالصواب نطقت يا يستوس اذ هي الحقيقة بعينها وان المياه الحارة مفيدة
لكبيري البطون وشريبي الحمر . واتذكر انني سمعت شيئاً من هذا يتعلّق بمدينة طبرية الواقعة على بحيرة جنيسارت

- انها تُدعى غالباً بحر الجليل

- أهي كبيرة ؟

- نعم كبيرة جداً وقد يحدث فيها عواصف وزوابع كالبحار

سأل مرسيلوس : ايصطادون منها السمك ؟ عند هذا السؤال سُمع صوت من احد الاولاد المصطفين يقول : لقد اصطادوا مرة سمكاً كثيراً . فانزهره صوت قريب منه وقال : صه صه : ثم حوّل الجميع ابصارهم نحو النبع فابصروا الفتاة الكسيحة مريم محمولة على فراش فوق سرير خشبي بحيث تمكن الجمع من رؤيتها . واذ ذاك حدث سكوت رهيب فتأثر مرسيلوس من المشهد الرائع وودّ لو يبقى هكذا

ولكن مريم امرت يديها النجيفتين البيضاوين على اعواد القانون وقد لمع حيائها وتطلعت بعينين برأقتين الى ما هو ابعد من الغيوم . وكان صوتها الجميل كأنه جرس يرن في ذلك المكان حتى كاد حلق مرسيلوس يحفّ من شدة الانفعال وتساقطت الدموع من عينيه . وهذا نصّ الترنيمة التي رنمتها مريم « انتظرت الرب بصبر . فاصغى اليّ وسمع صراخي » وكان الجمع كله اذناً صاغية اما مرسيلوس فانه اخذ يتفرّس في هيئة الابنة الداهشة وهو يسبح دموعه .

وتابعت مريم ترتيلها على الوجه الآتي : « وجعل ترنيمة في في حينئذ قلت ها أنذا اجي . كما هو مكتوب عني لافعل مشيئتك يا الهي سررت وشريعتك في وسط احشائي » .

وما اتمت العبارة الاخيرة حتى بدا التأثير على وجوه الحاضرين وكان مرسيلوس قد استظهر من هذه الترنيمة بعض كلمات . واذ اوشكت مريم ان تنهي ترنيمتها كانت الشمس قد مالت للغيب . استأنفت ترنيمتها بما يناسب المقام فقالت « تعطي نوراً للجالسين في الظلمة وظلال الموت ولتقود ارجلنا في طريق السلام » وعندما تصرّم الشفق حمل الرجال مريم وعادوا بها الى بيتها وتفرّق الجمع عائدين

الى بيوتهم . وقد سرّ مرسيلوس لان يستوس لم يسأله هل اعجبه صوت مريم او
أثر في نفسه هذا الاجتماع

* * * *

كان بيت رأوبين ونعمة ابوي مريم في الجهة الشمالية من القرية يحيط به فسحة
دار واسعة اكثر من سائر بيوت تلك القرية : وكانت جدرانها محجوبة عن الانظار
باشجار الجيز وفي وسط الدار كثير من اشجار الفاكه المزهرة وعلى جانبها كرمه
مشرة

اما مرسيلوس فقد كاد يفقد صبره وهو ينظر الساعة التي يتمكن فيها من
الاجتماع بالفتاة ذات الوجه المضيء والصوت اللذيذ الرخيم الذي اخذ بجماع فؤاده .
ولما وصل الى بيتها قال يستوس له : دعنا نتكلم مع مريم اولاً فاني اراها جالسة
تحت المظلة فلما اقتربا منها شاهداها لابسة ثوباً بسيطاً وفي جيبها سلسلة من الفضة
وفي اسفلها سمكة صغيرة مصنوعة من صدف البحر وكان بالقرب من فراشها القانون
الذي تغزف عليه وعلبة صغيرة محتوية على رسائل واذا رأتها مقبلين نحوها التفتت
الى يستوس وابتسمت مرحبة به .

ثم قالت بعد ان عرفها الى مرسيلوس لا شيء . يوجب ان تبين لنا سبب قدومه
الينا لاننا جميعنا هنا مهتمون بزيارته - قالت هذا والتفتت نحو ميسمة - اذ لا يقدم احد
الى هذه الناحية للتجارة والسياسة الا نادراً . وقد كانت رنة صوتها رقيقة منخفضة
بحيث امسى مرسيلوس بعدها مدهوشاً . لانه كان قد تعرّف الى نساء كثيرات
فرأى بوناً شاسعاً بين رنة صوتها ورنة اصواتهن

ثم سأله : هل والدتك نعمة في البيت

- نعم واولقن انها ووالدي ينتظرانك . ولما كان مرسيلوس حائراً فيما يفعل
لومات اليه بالجلوس على الكرسي ولما استقر به المقام قال لها : سمعتك ترنلين .

فسألته كيف تعلمت اللغة الارامية ؟

اجابها : لا اعرفها جيداً . وقد لاحظت ان اهالي قريرتك يصعب عليهم فهم ترنياتك . اما انا فقد تأثرت منها كثيراً .

- لقد سررتني جداً حيث اخبرتني بذلك . واني شاهدتك امس ورفيقك يستوس في الجمع وهذه هي المرة الاولى التي رتل فيها امام رجل روماني . ثم لم اكن لاعجب من اظهار اعجابك بترتيلي ولو لم تقل ذلك لكنت اتألم -
اظن ان لنا نحن الرومانيين سمعة رديئة في هذه الولايات ؟

- لا ريب في ذلك لاننا نرى الجنود يطوفون في الشوارع بعظمة وافتخار كأنهم يقولون -

فلم يدعها تكمل كلامها لانه استدرك ما ستقوله فتاب عنها وقال : نحن سادتكم واسادتكم . فضحكا كلاهما ثم سألته هل يوجد رومانيون كثيرون على شاكلتك يا مرسيلوس غاليو

- اجل يوجد كثيرون ولست انا الوحيد بينهم

- انا لم اكلم في حياتي رومانياً البتة وكلهم يشبهون بعضهم بعضاً

- نعم في لباسهم الرسمي اكنهم بدون هذه التروس والحدود ترينهم كعامة الناس لا يهتمهم التجول في اسواق البلدان الغريبة بل يفضلون ان يكونوا وعيالهم يحرقون حقولهم ويرعون مواشيهم

- سررت باطلائك اياي على هذا اذ ليس من الحق ان يكره الانسان اخاه الانسان . غير اننا نحن الجليليين يشق علينا كثيراً ان نحب الرومانيين اما الان عند وقوفي على ما ذكرته فقد تغير اعتقادي فيهم لذلك ارجو لهم نيل امانهم وعودهم الى عيالهم وارضيتهم

- اتريد ان تخبرني عن اهل مترك ؟

اجابها مرسيلوس : بكل فرح . ان عائلتنا مؤلفة من ابوين واخت تُدعى

لوسيا وانا فقط

- هل يهتم والدك بمجديقة متزاكم في انشاء غيابك ؟
 - لا يهتم كثيراً بشأنها . ولما نظرت اليه نظرة اخت لاختها سألمها أمرتاحة
 انت ؟ اجابته

- نعم لكنني احب ان اعرف ما اذا كان عندك عبيد
 - ان عندي عبيداً ولكنهم يعاملون احسن معاملة
 - يلوح لي من هيئة وجهك انك تحسن معاملتهم فكم عبداً عندك ؟
 - لم اعدهم لكن اظنهم عشرين عبداً
 - هل تقفل عليهم الباب بعد اتمام واجباتهم في المنزل ؟
 - كلاً فانهم احرار ان يذهبوا الى حيث شاءوا
 - أأعلمهم يشعرون كأنهم في سجن ؟
 العالم قاطبة هو سجن لكل انسان . تُرى مَنْ هو مطلق الحرية تماماً فيه بل
 ممّ تتكرّن الحرية

- من الحق لان الحق يحرق كل فرد من البشر . ولولا ذلك اكننت اشعر
 كأنني مقيدة بسلاسل . لان بلادي يا مرسيلوس غاليو يسيطر عليها سيد اجنبي وبما
 انني مقعدة فربما يتراءى لغيري ان حريتي محدودة ولكن روحي مُرة ما دمت على
 قيد الحياة

- اتقني انا ان احصل على الحرية نفسها ولو فقدت كل عزيز وغال في سبيلها
 فقولي لي هل كانت الحرية سبباً لمرضك ؟
 - كلاً بل ان مرضي جعاني تاعسة كل التمس غير انني مالهكة حريقي ثم
 استطردت قائلة : ارجو منك ان تضرب صفحاً عن تدخلني في امورك الشخصية .
 انني اجلس هنا طول النهار بدون ان ارى شيئاً جديداً او اسمع ما يلذ لي سماعه
 فهل لك ان تخبرني عن شقيقتك لوسيا . هل هي اصغر منك ؟

- انها اصغر منك بست سنوات

- مَنْ اخبرك عن سني ؟

- يستوس

- لماذا اخبرك عنه ؟

- كان يحدثنني عن حسن ترنيمةك قبل ان وصلنا الى قانا الجليل فقال : انك لم تعلمي قبلاً ان لك مثل هذا الصوت الرنان الى ان جاء اليوم الذي علمت فيه ذلك حين رتلتي فكيف جرى هذا الامر . ارجو ان تنبئيني بالخبر اذا لم يكن سرّاً

- بلى انه سرٌّ من الاسرار

واذ ذاك اقبل يستوس متبعاً برأوبين ونعمة والدي الفتاة . فقالت نعمة بعد ان حيّت مرسياوس : كنا نذهب حسب عادتنا المألوفة في كل سنة الى اورشليم لنحضر عيد الفصح في مثل هذا الفصل ولكن ليس باستطاعتنا ان نذهب في هذه السنة لذلك لدينا الآن اشياء كثيرة جاهزة يزيد بيعها

فأرى مرسيلوس من نفسه انه تاجر ومسلك ثوباً وقال لا شك ان هذا الثوب جليلي لانه منسوج نسجاً واحداً وحياتته متينة ممتازة ولا بدّ من ان صنعه استغرق وقتاً طويلاً . ثم قال : انني عرفت حائكاً في اثينا اصله من السامرة اخبرني شيئاً عن هذا الثوب وله المام كافٍ بمنسوجات الجليليين

فقال يستوس : وانا اعرف شاباً يونانياً كان يشتغل في محل بن يوسف منذ مدة وقال انه كان في اثينا عند رجل يدعى بنيامين وقد تعلّم منه اللغة الارامية . أيكن ان يكون هو الحائك نفسه ؟

- نعم هو بعينه ويحترمه اهل اثينا وانه استاذ ايضاً ويرى من الواجب ان يتكلم باللغة الارامية مع الذين يعرفونها

- لا شك انه رأى منك رفيقاً ممتازاً يا سيدي . لاني لاحظ انك تستعمل

عبارات كثيرة كعبارات السامريين

قال يستوس لو انني فهمت انك تعرف بنيامين لكنت اخبرتكَ شيئاً عن
ديتريوس اليوناني فانه شاب ذكي وقد غادرنا بغتة حيث كان يحول تائهاً في كل
مكان

وقد تظاهر مرسيلوس بان حادثة ديتريوس لا تهمه فقال اريد ان ابتاع هذا
الثوب وكذلك هذا الشال .

ولما خرجوا جميعهم وظل مرسيلوس ومريم وحدهما التفتت اليه وقالت بصوت
مهموس لماذا كذبت علي يستوس ؟
- أ أنا كذبت عليه ؟

- نعم كذبت عليه من جهة ذلك اليوناني لانك ابيت ان تتحدث عنه بشيء .
اخبرني يا مرسيلوس من انت ؟ فانت لست تاجراً وقد تبين لي ذلك . انت لست
مهتمّاً البتة بجياكة والدتي . وقد انتظرت منه ان يحببها ولكنه لبث صامتاً لا
ينبس ببنت شفة اخيراً قالت له : قل الحقيقة الا اذا كان في الامر سرّاً تخشى
افشاءه . لاي مهمة جئت الى هنا ؟

اجابها قائلاً : نعم انه سر لا يمكنني ان ابوح به



الفصل الرابع عشر

كان يستوس لطيفاً في هذا اليوم لكنه شاء ان يلازم الحياد لانه ما لبث ان اشتبه عليه امر مرسيلوس . فقد حدث امس في بيت راوبين والد مريم امور طفيقة بيد انها لو جمعت لكنت مهمة وذلك ان مرسيلوس الذي كان يتكلم باللغة الارامية كانت لهجة لا تختلف عن لهجة اهل السامرة . وقد اخبرهم انه يعرف بنيامين الحائك الشهير السامري الاصل الموجود في اثينا

وقد تبين ايضاً ان ديمتريوس الشاب الجميل الصورة الذي كان يشتغل في محل بن يوسف له معرفة تامة ببنيامين حيث كان عنده سابقاً وكانت لهجة باللغة الارامية سامرية محضة . فبناء على هذا كله اتضح جلياً ان بين مرسيلوس وذلك الشاب اليوناني النائه علاقة حقيقية لا يشوبها ريب . مع ان مرسيلوس تظاهر بانه لا يعرفه فضلاً عن انه لم يُظهر ادنى اكتراث لترك ديمتريوس المذكور محل بن يوسف بسرعة زائدة . فاذاً لا شك بان مرسيلوس كان لديه اسباب جوهرية جعلته ان يتحاشى عن ذكر ما يختص به . واذاك تيقن يستوس ان الشاب الروماني هذا لا يوثق به

لذلك عند غروب الشمس نهار امس توجه الى الاسواق وحده واخذ يحول فيها لانه لم يشأ ان يرافق مرسيلوس الروماني . اما هذا فانه ذهب تَوّاً الى النبع لسمع صوت مريم ثانية . لانه بعد ان تعرّف اليها نهار امس اعتقد بعد ما دار بينهما من الاحاديث التي اصبحا بعدها صديقين وفيّين ان ترتيلها في هذه المرة الثانية سيكون له تأثير اكثر على نفسه فكان منه ان انتحى مكاناً يسمع فيه كل كلمة من ترنياتها . فكان اهالي البلدة جميعهم جالسين على الارض كعادتهم غير انهم لم

يلحظوا مرسيلوس لان ابصارهم كانت متجهة نحو مريم التي وصلت اليهم في الوقت
المعين

واذ كان جالساً في الظلام يصغي الى صوتها الرخيم شعر بارتياح الى حقيقة ايمانها
الحي ورأى من نفسه ان غريزته التي طبع عليها قد تحولت الى شوق عظيم خصوصاً
عندما رثمت « في ظل جناحيك احتمي . . . ثابت قلبي . . . استيقظ يا مجدي !
استيقظ يا عودي » . ومع ان مريم كانت عاجزة عن المثي لكنها استطاعت ان
تطير بالروح

وكان يستوس قد ابلغ مرسيلوس انه يجب عليهما مغادرة قانا في الصباح الباكر
ليتمكننا من الوصول الى بيته في النهار نفسه

فسأله مرسيلوس : أيرجعان فيما بعد الى قانا الجليل ؟

- اجابه كما تشاء . ولكننا قد زرنا كل من عنده نسيج معروض للبيع
لقد شاء مرسيلوس ان يجتمع ايضاً بريم اذ ربما يتسنى له ان يفضي اليها بالسبب
الذي احوجه الى زيارة الجليل ولكنه لم يقل ذلك لمستوس
فلما انتهت مريم ترتيبها انتظر ريثما يتفرق الجمهور فاذا به يشاهد يستوس ذاهباً
الى السوق مع رأوبين . وقد كان مراده ان يقابل مريم ليودعها قبل سفره . لكنه
عدل عن ذلك خشية من ان يكون ابواها قد اشتبه عليهما امره كما اشتبه على
يستوس

ثم انه انحى باللوم على نفسه لانه فتح لها باباً لوقوع الشبهة عليه بغير قصد
وقد استدرك هو نفسه بعد فوات الفرصة انه كان من الموافق له ان يطلع يستوس
على الغاية من سفره الى الجليل فربما كان رفيقه هذا يعدل عن مرافقته . اما الآن فقد
امست الحالة حرجية ولو كان ديمتريوس معه في هذا الاوان لكان اشار عليه فيما يقتضي
عمله بل كان فهم ايضاً سبب تكتهمهم

وعند ظهر اليوم الثاني سارا معاً حتى افضى بهما المسير الى بيت امصيا ودبوره
وهناك استقبلتهما امرأة بدينة الجسم ثم اخبرتهما ان زوجها سافر الى اورشليم
ليحضر عيد الفصح ويبيع في اثناء مدة العيد بعض منسوجات ليس لديها منها الان
سوى إحرام لسرج جسير (اسم الحمار) فقط وانها مستعدة لبيعه منهما اذا شاءا
فسألها مرسيلوس بكم تبيعينه ؟

اجابته انها تريد ان تبيعه مع الدابة المذكورة لان ليس لها حاجة بها
فسألها ثانية بكم تبيعينهما معاً ؟

قالت باثني عشر شاقلاً لغاية خمسة عشر
- انني ادفع لك خمسة عشر

- هذا سعر موافق ولدي أيضاً اذا شئت سرج وجام فلما احضرتهما له دفع
اليها خمسة وعشرين شاقلاً بدلاً لكل واحد منهما

وبعد ظهر النهار عينه وصلا الى صفورة وهي قرية من قرى الجليل ايضاً .
فياًهما كل من شاهدتهما من اهاليها واذا ذاك ركض ولد صغير من بين الاولاد
وتمسك بيستوس فاخذه هذا بين ذراعيه واخذ يقبله ثم التفت الى مرسيلوس وقال
هذا يونانان حفيدي . وكان هذا الولد جميل الطلعة وشعره الاسود متديلاً على
كتفيه . فلما وقع نظره على الدابة نزل من بين ذراعيه وسأله : ألك هذه الدابة ؟
- اجابه الشاب الروماني اظن انك ترغب في ركبها فرحباً بك

وبعد ان تسلم الولد رسنها سأله عن اسمها وعلامات الابتهاج بادية على محياها
فاخبره ان اسمها جسير وقد اصبحت منذ الان ملكاً لك يا يونانان

- هل صارت مختصة بي انا قال هذا ونظر ملياً الى جده وقلبه يطفح جذلاً
وجوراً

- فقال له جده واثار الى رفيقه : هذا صديقي السيد مرسيلوس غاليو الذي
لا يقول كلمة الا في محلها واذا قالها فلا يرجع عنها ثم التفت الى مرسيلوس

واصوات الاولاد الملتفين حولهم تكاد تصم الاذان وقال له هذا فضل عظيم منك يا سيدي . ثم سأل يونانان جده : أهو يا بُنَى واحدٌ منا ؟

فنظر الرجلان احدهما الى الآخر وكان الاول منهما متكئاً والثاني مرتبكاً . ثم التفت يونانان الى المحسن اليه وقال لو لم تكن من انصارنا لما تفضلت علينا بهذه العطية . ثم سأله أنْتَ غني ؟

فضحك مرسيلوس من كلامه وقال له : ما من احدٍ يجيب بكلمة نعم عن هذا السؤال

- لو لم تكن غنياً ما تبرعت بذلك مطلقاً . فهل اوحى اليك يسوع ان تفعل هذا ؟

فتفرَّس مرسيلوس في وجهه وقال له : هل تعرف انت يسوع ؟ فاجابه هل اخبرك جدِّي ان يسوع قوَّم رجليّ حتى اصبحت قادراً على المشي والرخص ؟

- نعم ان جدّك اخبرني عن رجلك وقد سرَّني شفاءك
ثم رغب يستوس الى مرسيلوس بالذهاب معه الى البيت لمشاهدة ابنته فساراً معاً نحو البيت وقد تبعهما جمع غفير من الاولاد . وكان هذا المسكن من حيث النظافة والترتيب في الدرجة القصوى وقد رحبت بهما سيدة في الخامسة والثلاثين من عمرها . فبعد ان عرفها يستوس الى مرسيلوس قالت هذا تلطفٌ عظيم منك يا سيدي لتقديمك هذه الهدية الثمينة الى ولد صغير
قال يونانان وهو يكاد يطير فرحاً . انظري يا والدي ان هذه الدابة صارت مختصة بي

واذ كانت رفقة ترافقهما الى الدار قالت هذا يوم سعيد ليونانان
- اجابها يستوس : نعم انه كذلك ولكن لا تنبي ان وراء هذه الدابة المهدة اليه خطراً عظيماً

قال مرسيلوس ولكنه قادر ان يعتني بها لانها حمار هادي ولا يؤذي احداً
ثم قال يستوس لابنته رفقة ينبغي لنا ان ننصب خيمة للسيد مرسيلوس بجانب
البيت لراحته وتناول طعامه معنا

- لا بُدَّ من هذا . ثم سألت مرسيلوس هل ديانتك كديانتنا تحرّم عليك
أكل بعض الاطعمة ؟

- لا ان ديانتي لا تحرّم على احد شيئاً

- اتعني انه ليس لكم ديانة ؟

- ان لنا ديانة وعندنا آلهة في كل ناحية

- آلهة ! اتعني اصناماً ؟

- كلاً بل هي تماثيل جميلة الصنع أنيقة واكثرها من بلاد اليونان لان

اليونانيين موهبة في صنعها

- وهل يعبدونها شعبيكم ؟

- اظنهم يعبدونها

- ولكن انت نفسك لا تعبد هذه التماثيل

فابتسم مرسيلوس واجاب كلاً ثم كلاً

- اذا انت لا تعتقد انه توجد قدرة فائقة الوصف والادراك

- انني ارى ان كل الاديان التي سمعت بها من اناس كثيرين غير مقنعة على اني

مستعد من كل قلبي للاقتناع متى وقفت على براهين قاطعة تثبت لي ان الديانة التي

اعتنقها تكون ظاهرة كالشمس في رائعة النهار فان سروري عندئذ يكون عظيماً

وايماني قوياً لا يتزعزع

ولما رأت رفقة انهما لا يحتاجان اليها بشي . خرجت تقول سأعدّ لكما الطعام

- قال مرسيلوس بلهجة الاسف انني لم اتعمّد قط تكدير صفوكم . انت رجل

دين يا يستوس ولم يكن من الحكمة ان اتكلم بشأن الاديان هكذا

- لم يسبب كلامك أيَّ ضرر لنا فانت رجل ذو نيَّة حسنة وتريد ان تؤمن
كما ظهر لنا من خوى كلامك فما عليك اذاً الا ان تفتش بجد واجتهاد لائك تستحق
ان يكون لك ديانة من الديانات . واذا قال هذا انتصب واقفاً وقال يجب ان
ننصب الخيمة الآن

* * * *

وبعد تناول العشاء بهنيئة من الوقت وقف يونانان في باب خيمة مرسيلوس فلما
رآه وهواجس الافكار بادية على محياه قال له . آمل ان تكون صرفت نهراً
سعيداً بشأن حمارك جيسر . اجابه نعم ولكنني متكدر

- من اي شيء ؟ اجابه لان توما الولد الاعرج سألني هل أدعه يركب الدابة
فرفضت طلبه . فقال له : لا تتعمدعه يركبها غداً
- ولكنهما ذاهبان غداً الى كفرناحوم

- اذاً تكلم مع جدك بهذا الامر وهو بغير شك ينجرك ما يجب ان تعمل
لقد استطاع مرسيلوس ان يسمع الحديث الذي جرى بين يونانان وجدّه لان
النافذة التي كانا جالسين ازاءها كانت قريبة من خيمة مرسيلوس . فقد سمع يونانان
يسأله بقوله : ان يسوع عندما أوعز الى الناس ان يعطوا اموالهم الى البائسين هل
قال ذلك للاغنياء فقط يا جدي ؟

اجابه يستوس لست اعلم ربما قال ذلك للاغنياء فقط

- لماذا لم يشفر يسوع رجل توما ؟

- لست ادري ربما لم يعلموه بامرهم

- يا ليتهم ابرأها

- لو انه فعل ذلك كان ذلك احسن لك

- انني مسرور لانه قوم لي رجلي

- كان هذا الامر اعجوبة وبما ان يسوع قد رحمك فيجب عليك ان تعمل

شيئاً له

- كيف يمكنني ان اعمل شيئاً لا افدر عليه

- أظن انه يوجد ذلك الشيء الذي تستطيع انت ان تعمله . فلما سمع يوناثان

هذا الكلام اخذ يسيكي . ثم حصل سكوت فتنجّل لمرسيلوس ان يستوس اخذ

يوناثان بين ذراعيه . وبعد مرور نصف ساعة وقف يوناثان ثانية في باب الخيمة

وسأل مرسلوس : هل يسوؤك اذا اهديت جسر لانسان ما ؟

- اتريد ان تهديه الى توما ؟

- كلاً لست اريد ومع هذا فانني سأهبه له

- انك ولد كريم شجاع يا يوناثان

واذ سمع يوناثان هذا الثناء توارى حالاً

فلما بقي مرسلوس وحده ابتدأ يناجي قائلاً : ان يسوع هذا قد مات منذ

سنة وهو بلا ريب كان متمتعاً بقوة ادبية فائقة الوصف لانه بثّ روحه في قلب

يستوس واسرته خصوصاً في قلب هذا الولد الصغير وكان يسوع اخذ طابعاً ومطرقة

وطبع صورة روحه بطابع لا يُمحى في هذا الذهب الجليلي وحوّله الى نقود

ملكوته . ولقد كان من الواجب ألا يموت هذا الانسان بل يبقى مثلاً صالحاً

للناس كافة مدى الدهر . اذ لو دام في قيد الحياة لجعل الكون كله مسكناً للصالح

والصالحين ولكن بما انه مات فسيذكره القوم الجليليون سنين معدودة ثم ينطفي

ذلك النور العظيم من امام اعينهم . ان ملكوت يسوع هو لجميع البشر غير ان

نقوده كانت في قرى الجليل الرثة الخاملة الذكر . وسيكتب بهذا الصدد الى

ديمتريوس غداً

وفي الصباح الغد تناول مرسيلوس وحده فطوره وقد اجابت رفقة على اسئلته
بإيجاز اما يستوس ويونانان فانهما فطرا باكرأ

وبعد ان انتهى مرسيلوس من فطوره عاد الى خيمته واخذ يستأنف كتابة
رسالته الى ديمتريوس . واذاك رأى يستوس واقفاً في باب الخيمة فأوماً اليه بالدخول
فدخل وجلس على كرسي من كراسي الخيم . وبعد ذلك وجه مرسيلوس الحديث
اليه قائلاً : اظن ان يونانان عمل اليوم عملاً كريماً مشكوراً فوق طاقته سبب له بلا
شك اتزاجاً لذلك آسف كل الاسف لانني كنت السبب في هذا

- لا تلُم نفسك يا مرسيلوس ربما يكون ذلك لحيره . نعم انه ما يزال فتياً
نشيطاً ليختبر اموراً قاسية كهذه فيجب علينا الانتظار انرى كيف يخرج من هذا
المأزق

- ولكنك قد خرج منه منتصراً . ألم يعطِ دابتهُ توما الاعرج ؟
- نعم اعطاه اياها ولو كنت هناك لرأيت توما فرحاً راكباً عليها ووالدته سائرة
بازائه وسمعت باذنك استحسن النسوة لعمله هذا قائلات : ما احنّه والطفه واكرمه .
فلم استطع اسكاتهن ولذلك عدت الى هنا
- ولكن من الطبيعي ان يُمدح يونانان في مقابل التضحية العظيمة التي
ضحي بها

- نعم ان هذه التضحية كلفت يونانان ثمناً غالياً ومن الحق ان يكافأ عليها اذ
لا شيء يُفسد اخلاق الانسان كافتخاره باعماله الصالحة لانه حينما يقتخر الانسان
بصلاحه فانه يُجني على نفسه . ان يونانان هذا ما يزال صغيراً غراً بدون اختبار لذلك
برّه الشخصي يد مر حياته دون ان يعلم ذلك

اجاب مرسيلوس قد فهمت ما تعني وانا استحسن ذلك وامدحه فدعنا نترك
هذا المكان قبل ان يتمكن الناس من افساد روحه
فسرّ يستوس ورضي بهذا الرأي المصيب وقال انه سيُعلم والدته بذلك ثم

محزون امتعتهم ويرحلون

- حسناً جداً لقد سرّني قبورك رأيي

- وسأخذك الولد معنا ونساعده بقدر امكاننا لاننا نحن المسؤولون بامرّه على

ما اظن

وما ان ذهب يستوس حتى جاء ليوناثان ووقف في باب الحيمة . فقال له

مرسيلوس : سمعت انك سالت جيسر الى توما ليذهب الى قريته . ما حاجتك انت

الى الدابة فان رجلك صحيحتان . ان الولد الذي كان كسيحاً وشفي يجب ان

يفرح ويمشي لانه يستطيع المشي الآن ولا يحتاج الى ركوب الدواب

- ولكن جيسر كان حماراً جيداً وقد تعجب الجميع كيف تمكنت من

التخلي عنه

- لا يهمننا ما يقول الناس يجب ان ننسى ذلك

وكان يستوس بدخوله قد سمع ما قال مرسيلوس فقال ليوناثان :

سأخذك معنا في هذه السفرة لقضاء بضعة ايام وها والدتك تحزم ما تحتاج اليه

من الاغراض

- ستأخذاني معكما . ثم اخذ يدور حول الحيمة ويصيح من شدة الفرح

- قال مرسيلوس قد تكلمت معه كلاماً قاسياً

- قال يستوس « امينة هي جروح الصديق » سيكون له شيء جديد يفرحه

- الى اين ذاهبان نحن ؟

- الى كفرناحوم

- ليس من الحكمة ان نذهب الى كفرناحوم ربما نلتقي هناك توما وجيسر

فدعنا نرجع الى قانا حيث اعتقد ان رؤية مريم تنفعه

- كما انها تنفعك يا مرسيلوس ولكنك ستضيع وقتك سدى لاننا رأينا كل

ما كان هناك معروضاً للبيع

فالتفت اليه مرسيلوس وقال له قد اشتريت كل ما اردته من النسيج . اما ما سمعته عن يسوع فهذا يجعلني اهتم ان اسمع عنه اضعافاً . فعساك تعرفني الى اناس يعرفون عنه علاوة عما سمعت ولا يحجمون عن افادتي

- لا اخفي عليك ان هذا الامر صعب جداً لانه يشق على شعبنا ان يتكلم مع اناس رومانيين . ربما تجهل ان الرومانيين امانته ولا تعلم ان الجند واقف على حذر خصوصاً في اورشليم ليتحقق ويرى أكان اصدقاؤه يُباشرون تأسيس جمعيات ما - هل يلتبس عليك امري فتخالني جاسوساً ؟

- معاذ الله ان اخالك بهذه الصفة لانني لا ادري من انت ولانني واثق ان غايتك التي ترمي اليها حسنة لذلك تراني مستعداً لان اخبرك بعض اشياء عن يسوع - اشكر لك تلافك هذا ثم اخرج الكتاب الذي كتبه الى ديتريوس

ورجا منه ان يرسله الى استفانوس في مصنع بن يوسف

- اذاً تعرف ذلك العبد ديتريوس ؟

- نعم هو عبدي

- لقد لاحظت ذاك وعرفت ايضاً انك ما جئت الى الجليل لكي تبتاع منسوجات بل لكي تعرف حقيقة حالة يسوع بتمامها . وقد تعلمت اللغة الارامية لهذه الغاية فهل انت واحدٌ مناً

- قد جئت الى هنا لان غاية نفسها . فهل لك ان تساعدني ؟

- على قدر استطاعتي بل بحسب ما تستطيع انت ان تدركه . ان معرفة يسوع وحدها لا تكفي بل يجب ان تؤمن ولو بالبعض من قصصه

ثم قال له اذا كنا نريد ان نصل الى قانا قبل الغروب يجب ان نرحل منذ الان ثم خطر بباله هاجس جديد فقال هلم بنا الى الناصرة فانها اقرب الينا من قانا فضلاً عن انها وطنه وهناك ترى امه التي ما تزال مقيمة فيها واعتقد انها تخبرك كل شيء عنه . خصوصاً عندما تعلم انك انت الشاب الروماني الذي رايت ابنها وتحمست

نحمساً شديداً للوقوف على حقيقة امره
اجاب مرسيلوس لا لا اريد ان اراها ابداً لان قلبي يجدثني انها ترفض الحديث
عن ابنها امام رجل روماني

* * * *

كان يونانان في اثناء الساعات الثلاث من سفرهما قوياً نشيطاً جداً ولكن ما
دنت الشمس الى المغيب حتى ظهر عليه اثر التعب فامسك بيده جده وسار بجانبه
ولما كان مرسيلوس ويستوس منهمكين في حديثهما لم ينتبها الى يونانان الا
حينما اوشك ان يقع خطأ رحلهما ريثما يوتاح الغلام ثم اعدا دابة واركباه عليها .
فقال يا ليتني ابقيت الحرج فقط قال له مرسيلوس : الذي يعطي شيئاً يجب ان لا
يندم عليه . ثم انهم تناولوا طعامهم واستأنفوا مسيرهم
فقال يستوس لو انك رافقت يسوع وسمعت اقواله لكنت اغتبطت كثيراً من
افكاره فكلم من مرة اشار بكلامه عن العطاء . اذ كان يقول انه لا يوجد
احط من العطية الدنيئة وهذا ما يسهل عليك بلا شك قبول تعليمه لانك رجل
كريم

- هذا لطف منك يا يستوس . غير انني اؤكد لك اني لم أعط فيما مضى من
حياتي شيئاً امسيت بعده مفقراً اليه . واني اعتقد كل الاعتقاد ان يسوع اعطى
كل ما عنده

- لقد اعطى كل شي . مع انه لم يكن لديه سوى الثياب التي كانت على
جسمه . وفي السنة الاخيرة من وجوده بيننا كان عنده ثوب رائع كان بامكانه
ان يعطيه للمحتاجين اليه لو لم يهد اليه في مناسبات خصوصية وذلك انه كان في
الناصره امرأة اشتبه على الناس امرها بحيث كانت تعمل لهم السحر وكانت قزمة
قبيحة الصورة لا صاحب لها ولا صاحبة فكانت تسير وحدها من مكان الى مكان

والاولاد يتبعونها بالصياح والجلبة وشاع عنها وذاع ان عينها شريرة . ففي احد السبوت سمع الجيران صوت المنوال الذي تحوك عليه وقامت قيامتهم عليها لانها خالفت الشرع حيث ان اكثر اليهود يحترمون نهار السبت اكثر مما يحترم بعضهم بعضاً . ثم شكوها الى رجال الحكومة الذين اوفدوا مَنْ فاجأها في صباح السبت التالي وكسر لها المنوال الذي كان سبب معاشها الوحيد وانت تعرف باقي قصتها قال مرسيلوس اعرف ان يسوع كان نجاراً . ولكن ماذا قيل عنه بشأن شعوره نحو الذين لا يحفظون السبت هل شكاه الشعب الى الهيئة الحاكمة ؟

- نعم شكوه وقد اتفق ذلك يوم كان الكهنة واقفين له بالمرصاد ليروا منه خطيئة والشعب يرجو منه ان يتكلم في الجامع ولكن الربانيين (الحاخام) استاؤا من ذلك . وحرّضوا الشعب على دفع العشور والتقدمات . اما يسوع فكان يتكلم دائماً بشأن المصادقة وازافة الغرباء ومساعدة الفقراء .

- ألم يعتقد الربانيون الصدّاقة والصدّقة ؟

- نعم كانوا يعتقدونها نظرياً ويتحدثون عن المادة بدون ان يكثرثوا لامر

الروح .

اما ما جرى لتامار القزمية الساحرة فان يسوع اصلح لها منوال الحياة وفي مقابل ذلك حاكت له الثوب الرائع الذي كان يلبسه الى ان مات

- هل كنت حين موته ؟

اجابه يستوس كنت وقتئذٍ في السجن بسبب الحادث الذي حصل في الهيكل قبل محاكمة يسوع ببضعة ايام اذ طرد جماعة الصيارفة منه وكنت انا في حملتهم وزجوناً في اعماق السجن . وكانت شكواهم علينا اننا جمعنا النقود التي كانت مبعثرة في دار الهيكل واستولينا عليها على ان دعواهم هذه لا اساس لها من الصحة وقد مكثنا في السجن مدة اسبوعين ولم يطلقوا سبيلنا الا بعد ان كان كل شيء قد تم وانتهى

اما ما حصل من جهة الثوب فان الجند الروماني اقترع عليه واخذوه معه ونود كثيراً ان نعرف ما جرى به . لان لا قيمة له عند الذين اخذوه ولما اقترب الظهر فرشوا امتعتهم وتعدوا اما يونانان الذي انهكه التعب فقد نام حالاً بعد الغداء . ولكن مرسيلوس ويستوس فانهما اخذا في اكمال حديثهما همساً فقال يستوس كان يظن البعض من الناس ان يسوع كان يكره التجارة ولا يقدر الحراثة والزراعة حق قدرهما

- سمعت انه كان يحض الناس على اعطاء حاجاتهم المحتاجين . فكيف يستطيع الانسان ان يعيش بدونها ؟

- دعني اوضح لك هذا . ان يسوع ضرب للاغنياء مثلاً في موضوع العطاء هذا لانه كان دائماً يتكلم بامثال موجزة العبارات فقد قال مرة انه كان لرجل كرمة ولما حان قطافها ذهب الى السوق وجاء برجال بطالين ليقطفوا ثمرها بعد ان اتفق معهم على ان يدفع لكل واحد منهم اجرة عمله كل النهار ديناراً واحداً ولما رأى انه يحتاج الى رجال اكثر منهم عدداً توجه الى السوق ثانية واتى بهم فساأهم كم يطلبون اجرة على عملهم اجابوه ادفع لنا ما تشاء . وعند المساء دفع لكل واحد منهم ديناراً واحداً حتى للذي لم يشتغل الا ساعة واحدة في النهار - لا شك انهم تذمروا ؟

فقال لهم صاحب الكرم ما بالكم تتذمرون ؟ ألم اتفق واياكم على الاجرة ؟ اما هؤلاء الآخرون فقد فوضوا الي امر اجرتهم فدفعت لهم ما شئت . وهذا الشيء نفسه ينطبق علينا تماماً في حياتنا اليومية وتجارتنا

قال مرسيلوس : حبذا لو تعود الناس ان يتصرفوا مشل هذا التصرف في معاملاتهم فلا يبقى اذ ذاك خصومات ولا مشاكل في الحياة فيعيش الانسان بسلام مع اخيه الانسان وعندما يجتبرون هذه الحياة الجديدة السعيدة التي علمهم اياها يسوع لا يهمهم بعدئذ الرجوع الى حياتهم القديمة - على ان هذا لا يمكن ان

يكون لان الاكثية الساحقة ترغب عن هذا التعليم وتستعزي باصحابه ناسبة اليهم الضعف في حماية حقوقهم فضلاً عن خسارتهم كل شيء.

- هذا حق انهم يخسرون كل شيء ما عدا الغاية العظيمة فانه كحبة الخنطة لا تنفع شيئاً ما لم تررعها في التراب وتغذيها بالماء.

قال مرسيلوس اني امثله في ذهني برجل محسن اتى بقبضة من القمح الجيد الجديد الذي يهب الانسان قوة ونجاحاً وسلاماً اذا اقتات به

- ولكن تلك القبضة من الخنطة لا تكفي ان لم تُررع وتُحصد مرات عديدة

وقد اشار يسوع الى هذا حيث قال ان كثيراً من هذه البذور لا ينبت فالبعض يسقط بين الاشواك والاعشاب وبعضها يسقط على الارض الحجرية ولكن القليل منه ينمو

- هل تؤمن ايماناً حقيقياً بان تعليماً كهذا سيكون له تأثير فعال في مستقبل هذا العالم الجشع ؟

- نعم انني اؤمن لان يسوع اعتقد ذلك فقد قال ان البذرة المزروعة في الارض

الجيدة تفعل فعل الخيرة في العجين . ومتى تأصلت فلا شيء يوقفها عن النمو

- ولكن لماذا ابتدأ زرعها هنا في الجليل الضيق الحقيق البعيد عن المراكز

الاصلية في العالم الواسع ؟

اجاب يستوس يجب ان تُررع في ابي مكان كان . فهل يدور في خلدك انها

كانت تتأصل وتنمو اكثر لو سقطت في اسواق رومية ؟

ثم قال لنذهب الآن الى قانا . وفيما هما ذاهبان قال يستوس لرفيقه مرسيلوس

كم من مرة سرنا معاً في هذا الطريق لان يسوع كان يجب قانا اكثر من كل قرية

في الجليل

- اكثر من الناصرة ؟

- نعم لان اهليها لم يقدروه في الناصرة حق قدره حيث لا كرامة لابي في وطنه.

وزد على ذلك قولهم كيف يمكن ان تكون له هذه الحكمة ألسنا نعرفه ؟

- كان هذا طبيعياً لانه رُبِّي بينهم . فلم يصفوا الى تعاليمه كاهالي قانا وكفرتا حوم . واول آية صنعها حين كان في قانا الجليل حيث أُقيمت حفلة زفاف لحنة بنت جريف وراهيل . وكان والدها خزانة متوسط الحال فاراد ان يهيئ عشاءً لاقربائه واصدقائه الكثيرين

اما انا فلم اكن هناك ولم اعرف بعد يسوع وعندما طرق اذني خبر هذه الاعجوبة لم اصدقها بادىء بده وكان يسوع قد جاء متأخراً الى العرس حيث كان المدعوون على المائدة وكانت الخمر التي اعدّها قد نفذت . وما ان سمع يسوع بذلك حتي خرج من الغرفة التي كان فيها ودخل غرفة المعدادات فرأى فيها حمة اجوان فارغة فقال للخدام املاوها ماء وقدموا منها الى الضيوف وعاد هو الى الغرفة التي كان فيها ولما شربوا منها كان الماء قد تحوّل الى خمر

- لا يا يستوس لا . هذا الامر يفسد قصة يسوع . يقتضي ان تعبّر عن الماء والخمر بغير هذه الطريقة . فنقول ان يسوع دخل العرس بشخصيته الممتازة المشرقة التي يحبها الجميع فاصبح طعم الماء الذي شربوه في حضرته كطعم الخمر - عبّر عن ذلك كما تشاء يا مرسيلوس انك تقدر ان تؤمن بحكمة يسوع وصلاحه بقطع النظر عن هذه الرواية

- ألم تقل لي ان مريم تيقّنت ان لها صوتاً لا مثيل له حينما كان والدها في العرس ؟

- نعم وكان العرس عرس حنة وقد تأخر يسوع في مجيئه الى الحفلة لانه كان بلا شك عند مريم وربما اوصاها حين منحها هذه الموهبة ألا تقول لاحد

- هل اعطى المسيح عطية ما وصى المعطى له ألاّ يخبر احداً بشأنها

- نعم يوجد براهين كثيرة على ذلك . ان يسوع لم يستحب العطايا علانية لانه لو كان يستحبها او يستحسنها لما كان اوصى بكتمتها فقد قال في احد المجتمعات لجمهور من الناس اجتمع على قلة ليسمع كلامه : اذا صنعت صدقة فلا تدع احداً

براك ولا تنفخ بالبوق لكي يمدحك الناس . بل لا تعرف شماك ما تفعل يمينك .
وابوك يكافئك

سأل مرسلولوس : ماذا يعني بقوله وابوك يكافئك اذا لم يعرف احد بذلك
العطاء ؟ ترى من كان يكافئ يونانان على صنيعه لو لم يعلم انه اعطى حماره الولد
الكسيح ؟ هل يكافئه ابوه سرّاً ؟

- لا شك بذلك لانه لو بقي امر عطائه مستوراً لكان قلبه يفيض سعادة ولا
يخامره ادنى ندامة كما اتضح من قوله : حبذا لو ابقى الخرج

- اتظن ان مريم التي احاط بها النور الخاص قد حفظت سرّه في قلبها مع
انها لم تكن هي المانحة بل الآخذة ؟

كذلك اذا كان الآخذ العطية لا يُخبر بها فان المُعطي يكافأ من قلبه على
احسانه وبذلك يساعد الآخذ ليحصل على المكافأة

- اما الآن وقد مات يسوع أليست مريم اصبحت حرّة ان تعلن سرّها ؟
اجابه يستوس : الارجح لا ، لانها لو كانت حرّة لكانت اعلنته



الفصل الخامس عشر

وصلوا متأخرين الى قانا الجليل فلم يسمح لهم ضيق الوقت ليقصدوا الى النبع
ويسمعوا ترانيم مريم فقال مرسيلوس لا بأس بذلك خصوصاً بعد ان رأيا يوناثان
منهوك القوى بحيث لا يتمكن من رفع راسه وبعد ان نصبوا الخيمة سمعا اصوات
الناس العائدين من ذلك النبع

وبعدئذ خرج يستوس الى السوق اما مرسيلوس فانه تمدد في الخيمة وقد سمع
رفيقه عند خروجه يتكلم مع صديق له ولم يغب يستوس الا قليلاً حتى رجع
واخبره ان حريف قال ان يسي مسافر غداً صباحاً الى اورشليم وسيسلم الكتاب
الى ديمتريوس عندئذ ناوله مرسيلوس ذلك الكتاب ثم اخرج كيس نقوده وسأله
كم يريد اجرته

- يكفيه عشرة شواقل

قال مرسيلوس اذن كلمه انت لانني عازم على النوم . وبعد قليل من الوقت
افاق من نومه اذ سمع بعض أناس يتحدثون بصوت منخفض فاصغى اليهم بكل
جوارحه فسمع يسي يتكلم بشؤون تجارته بالجمال في اورشليم ويستوس مصغر اليه .
ولما انهى كلامه سأله : كم تريد من الاجرة لايصال الكتاب ؟

- اجابه ثمانية شواقل فقط

- سيعطيك عشرة لا ثمانية قال هذا وافرغ الدراهم بين يديه

- يكفيني ثمانية كما قلت لك فابقر لنفسك شاقلين

- اني لم اعمل شيئاً يستوجب الكراء فاذن ان مرسيلوس يجب ان تقبضها كلها

- متى كان الرومانيون يتكرمون علينا ويعطفون ؟

- اننا نقدر ان نثق بمرسيلوس لانه رجل صالح اذ ليس كل الرومانيين سَوَاءً

يَا يَسَى

- أَجَلْ أَجَلْ كما يقولون فلكل يهودي روماني اما انا فلي هورتنسيوس

- اهو قائد المئة في كفرناحوم الذي شفَى يسوع غلامه المفلوج

- نعم

- هل عاملته في البيع والشراء

- نعم بعته اربعة جمال وافهمته ان احدها يعرج وأرجعت له من الثمن .

فتعجب من ذلك وقال اذا كان يسوع يمكنه ان يُقنع يهودياً بان يتكلم الصدق

فانه يقدر ان يشفي المرضى . وقد كنت انا هناك حين جاء بيزنه الرسمية الى يسوع

فكان مملوءاً ايماناً وقال ليسوع ان غلامي مشرف على الموت فاذا شئت ان تشفيه

فقل كلمة واحدة فانه يبرأ . لانني لا استحق ان تدخل تحت سقفي . فسرَّ يسوع

من ايمانه وقال للجمع لم اجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا . ثم قال له اذهب

فان ابنك حي

ثم سار الجميع الى بيت هورتنسيوس فقال احدهم ان المريض سُفي حالا وخرج

لمقابلة سيده . وقال غيره انه لما وصل قائد المئة كان المريض قد سُفي ونهض من

فراشه وقد اذاعت ألسنة الناس اشاعات كثيرة كهذه

- هل سُني الغلام حقيقة من مرضه ؟

- نعم وقد سمعته يقول ذلك

- اتظن ان هورتنسيوس يُنصب قائداً لحامية كفرناحوم بعد ان حلَّ جوليان

الشيخ محلَّ بيلاطس في الولاية ؟

- لا شك ان ذلك سيكون من حظ الجليل لان هورتنسيوس رجل يحبه الجميع

بالنظر الى استقامته وسيكون صديقاً لجماعتنا . اما هيروُدس ذلك الثعلب الكبير

فسيرشح لمنصبه من هو اكثر قوة وجدارة منه

- ان الذي يدهشني هو تنصيب جوليان والياً في اورشليم
قال يستوس ربما يتم ذلك لان جوليان الشيخ رجل كسول وقد اختاره جماعة
الهيكل ليكون والياً عليهم لانه كلما كان الوالي كسولاً متوانياً قويت سطوة
رئيس الكهنة وعندئذ يسمح لقيافا ان يعمل ما يريد ولو بقي بيلاطس والياً لكان
الامر موافقاً لحزبنا

- ماذا حدث لبيلاطس ؟

- أعيد الى كريت لانني سمعت انه مريض ولم يره احد منذ سنة ربما مناخها
يلائم صحته اكثر

- ان ذلك يعود الى حادثة الصلب . ويظن بن يوسف ان مرضه عقلي .
ويقول حريف انه سمعهم يقولون انهم سينقلون قائد حامية .نوع الى كفرناحوم
- هذا لا يمكن ان يكون مطلقاً لانهم لا يجسرون على امر مثل هذا لان
جند منوع هو الذي صلب يسوع

- يقولون ان بولس قائد منوع سيكون قائد حاميتنا فعلياً ان نكون
متيقظين

لما دخل يستوس الى الحيمة تظاهر مرسيلوس بانه نائم واخذ يردد كل ما سمعه
تلك الليلة ثم قال في نفسه اذا لا يزال دم يسوع عالقاً على يدي بيلاطس مع انه
غسلهما . وسيتصرف قيافا في اورشليم حسبما يشاء لان جوليان الوالي لا يعرف شيئاً
ولا يهمه وقع الاضطهاد على تلك الجماعة القليلة التي رغبت في حفظ ذكر يسوع
حيّاً وميتاً . وربما بولس الذي سيأتي الى الجليل لا يكون قاسياً كما يعتقدون عليه
لانه لم يكن راضياً عن الصلب ولكنهم لا يتخذونه صديقاً لهم مهما اظهر اهتمامه
بقضيتهم اذ كل من كان له يد في صلب يسوعهم المحبوب هيات ان يكون له
اقل امل باكتساب رضاهم ولو عاملهم احسن معاملة

ولهذا السبب الهام ادرك مرسيلوس الان انه لا يستطيع ان يعترف لمريم

الملافة شعوراً وحنواً نحو يسوع باشتراكه في جريمة الصلب مع ان ذلك كان على رغبة . وربما كانت تغتفر له هذا الامر لو انه اقرَّ به لان الغفران كان من طبيعتها وليس من الضروري ان يأتي على ذكر القصة بكاملها بل يكفيه ان يقول انه حضر محاكمة يسوع وشاهد حالة موته وقد اكَّد الان ان اعترافاً كهذا اصبح غير ممكن

وكان يعتقد ايضاً ان يستوس يؤمن على سره ولا يثير اقلّ شغب وضجة اما الان بعد ان رآه يشور لدى سماعه ان قائداً من منوع سيتولى القيادة لحفظ الامن في الجليل صمم النية على عدم الافرار لمريم بشي . ورأى من المناسب ان يقابلها وحدها

* * * *

اما ما كان من امر حريف الخراف الذي اعتمدت عليه قانا الجليل لاختذ المعلومات الكافية بشأن الحوادث الجارية فقد استيقظ باكراً وتذكر ان رأوبين اوصاه بصنع اجران لوضع الحجر وافتكر انه يُسرّ اذا اعرف ان برسيپاس يستوس قد وصل الى قانا مع حفيده يونانان الذي كان كسيحاً والروماني الجليل الصورة الذي كان يبتاع منسوجات باثمان غالية لسبب خفيّ وانه اوصى يسى ليوصل له كتاباً مهماً الى اورشليم وان يستوس سيأخذ حفيده لمشاهدة مريم

لذلك عندما وصلوا الى بيت رأوبين رأوا العائلة تتوقع قدومهم واذ شعرت مريم ان يونانان الصغير يسره ان يلعب مع احد اترابه ارسلت تستدعي ابن عمها اندراوس مع العمة مرتا والدته التي لم تحظَ برؤية يستوس من زمان طويل وهي تروم ان تسأله بعض اسئلة

وقد كانوا جميعهم مجتمعين حول مريم التي كانت السعادة تتلألأ من نور حياها الجليل الذي ازداد جمالاً اكثر من قبل وبعد ان حيتهم بابتسامتها اللطيفة الطبيعية جلسوا في الاماكن المعدّة لهم .

ثم قالت ليونانان انك ولد نشيط قوي ولولا ذلك ما استطعت ان تماشي

الرجلين القويين

- لقد كنت راكباً حاراً في أغلب الوقت . ولكن كان عندي حمار افضل منه يُدعى جيسر . ثم اشار الى مرسيلوس وقال هو الذي اعطاني اياه وانا بدوري وهبته لتوما الاعرج

- انني اعتقد ان توما كان . مفتقراً اليه وانك كنت مسروراً جداً بذلك ثم التفتت الى اندراوس وقالت له اذهب مع توما وأره الارانب ثم سأل يستوس راوبين عن الكرمه فاجابه ان حالتها الحاضرة احسن منها في الماضي

- هلمَّ معي لاريكها . ولما ذهبنا تبعتها نعمة ومرثا وبقي مرسيلوس ومريم وحدهما . فابتدأت تحدّثه قائلة : كنت افكر كثيراً في امرك يا مرسيلوس فاجابها : وانا ايضاً ولولا ذلك ما عدت ثانية - عمّ تريد ان تسأل الآن ؟

- انه يلذّ لي ان اسمع من فيك قصة ذلك النجار الذي افاد شعبك افادات جمّة فحدّثت اليه ببصرها ملياً لما خامرها من السرور وقالت قد عرفت ذلك - كيف تمكنت من هذه المعرفة ؟

- بوقوفي على عدة اسباب : اولاً لانك لم تكن تعرف شيئاً من امر التسييح وثانياً لعدم تعودك المساومة في البيع . وكان من الواضح الجلي ان مجيئك الى الجليل كان لغاية اخرى

- هذا صحيح ولكنني اريد ان اسألك : كيف عرفت انه يلذّ لي سماع قصة يسوع ؟

- لانك اخترت يستوس دون غيره رفيقاً لك في سفرك بحيث انه رأى من اعمال يسوع اكثر مما رآه كثير من الناس ما عدا سمعان بطرس وابني زبدي الذين كانوا معه دائماً . ولقد عجبت كيف ان يستوس رضي ان يصحبك الى هنا لان الرومانيين

مشتبه فيهم .

ثم سمعَ انك تعرف اليوناني الذي كان يشتغل في محل بن يوسف وهو بلا شك ساعدك على اختيار يستوس لهذه المهمة لان الرجال الذين يشتغلون في مصنع بن يوسف كلهم من اصدقاء يسوع . ثم انني استنتجت من هذه الامور انك استخدمت يستوس خاصة لتعرف منه عن يسوع اكثر مما عرفته سابقاً .

- ان استنتاجك حقيقي ولكنني ادركت ان يستوس يعلم اكثر من الذي

اخبرني اياه

- هل اطلعته على قصدك من اهتمامك بشأن يسوع ؟

- ليس تماماً غير انه مشتبه في قصدي

- لو انك انبأته كيف اتفق لك التعرف الى يسوع لكان حديثه معك بغير

تكلف . على اني انا ايضاً احب معرفة ذلك تمام المعرفة

- انها رواية طويلة ولكنني سأفصي بها اليك فاستمعني : انني منذ سنة كنت

في اورشليم أشغل وظيفة في دار حكومتها لكنني لم البث هناك سوى بضعة ايام .

وفي اثناء ذلك قبض على هذا الجليلي بدعوى الخيانة وكنت انا في عداد الذين

دأوه وسمعوا محاكمته ووعوا نص الحكم عليه بالموت صلباً مع ان براءته ظاهرة

كالشمس في رابعة النهار حتى ان الوالي نفسه قال ذلك وقد دلّ كل شيء على ان

يسوع كان شخصاً عجبياً ولما اتاحت لي الاحوال ان آتي مرة اخرى الى اورشليم

قررت ان اتوجه الى الجليل واتحدث عنه اكثر

- فسألته مريم مجشوع ما الذي اثر تأثيراً شديداً في قلبك من مزاياه السامية ؟

- شجاعته النادرة المثال التي أبداهها امام الحكومة ورؤساء الهيكل والتجار

والصيافة لان الجميع كانوا اعداء له فلم يدافع احدٌ عنه حتى ان اصدقاءه تخلّوا

عنه ومع ذلك فانه كان تجاه ذلك الحكم العنيف وعذاب الصلب الخفيف غير

هيأب ولا وجل : فيجب على كل انسان احترامه واحترام مَنْ كان على شاكلته

لذلك اريد من صميم قلبي ان ابحث واقف على معلومات كثيرة عن هويته

- ألم تقل ليستوس كل ما قلته لي ؟

- بلى قلت له كل ما تبادر الى ذهني . غير انه اخفى عليّ بعض ما يهمني
الاطلاع عليه بشأن الجليلي لانه اعتقد انني لم اكن مستعداً لقبول ذلك مثلاً .
اعجوبة تحويل الماء الى خمر

- كيف اتيم على ذكر عرس حنة ؟

اجابها مرسيلوس : لاننا كنا ننتظر بشوق اقتراب الوقت لنشرف مسامعنا
بصوتك العذب . وكان يستوس قد اخبرني قبلاً ان اختبارك الجديد من جهة
ايجاد صوتك كان يوم عرس حنة

- لقد ظهر لي انه لم يصعب عليك تصديق ما اخبرك اياه فقد غيّر صوتي ما
كانت عليه حالتي الروحية كل التغيير . اذ كنت فيما مضى حزينة يائسة مريضة
سيئة الخلق . وفي هذا الوقت تراني سعيدة غير محتاجة الى شيء .

ثم التفتت مبتسمة وسألته : اي من الامرين يسهل عليك الايمان به . أهذه
التغيير الذي حصل لي ام تحويل الماء الى خمر ؟

- هل استنتج من سؤالك هذا ان الذي غيّر حالتك النفسية هو عجيبة من
العجائب ؟

اجابته قائلة : كما تريد

- انا اعلم انك لا تريد ان الخوض في هذا الموضوع لذلك لا أكثر عليك
الاسئلة ولكن لفترض ان يسوع نطق بكلمة جعلتك ترغين فلم لم يفه بكلمة
اخرى تجعلك قادرة على المشي فانه قوم رجل يونانان كما سمعت

ف نظرت اليه مريم عابسة وقالت له لا اقدر ان ابرهن لك كيف حصلت لي هذه
الموهبة ولا يهمني الامر اذا كنت عرجاء اذ ربما اتمكن من مساعدة اهالي قانا
بترنيمي وانا على فراشي اكثر من مساعدتي اياهم وانا سليمة من هذه العاهة . ثم

لا اكتمتكم ما هم عليه من المتاعب والمصائب فلو سمعتمهم ترنيمي وانا صحيحة
الجسم كانوا قالوا ليس لمريم اقل هم واهتمام فلتترنم وتفرح
- حقاً انك ابنة شجاعة

- انني اشعر بعدم استحقاقي هذا المديح لان حياتي الماضية كانت مصيبة علي
بوعلی والدي واصدقائي . اما الان فقد اصبحت بركة لي ولهم جميعاً بحيث ان الناس
صاروا يشعرون معي ويزوروني ويهدون لي الهدايا

وقد قال يسوع « مغبوط العطاء اكثر من الاخذ » انني محظوظة يا صديقي
لانني اعيش في جو من الحب والطمأنينة . ان الناس يخاصم بعضهم بعضاً الا انا
لانني لا اخاصم احداً ولا احد يخاصمني . ألسنت إذن غنية ؟

هل تريد مني ان اقص عليك قصة غريبة اخرى يا مرسياوس . لا شك ان
يستوس يكون قد اعلمك ان يسوع صنع عجائب كثيرة في قرى الجليل وان
الاخبار بها عنه انتشرت في طول البلاد وعرضها وقد تبعته حيث ذهب جماهير
غفيرة تُعد بالالآف كانت قد اتت اليه من اصقاع مترامية تبعد مئات الاميال .
وكان هذا الحفل كلماً مرّ بطريقه على مزرعة ما يبادر الرجال الذين يشتغلون فيها
هيتركون معاولهم وينضمون اليه ليقبوا معه اسبوعاً او اكثر في البرية لا يهمهم برد
او جوع ما داموا بقربه .

ففي ذات يوم بينما كان يسوع داخلاً الى اريحا التي كانت من اكبر المدن في
اليهودية دخلت وراءه كالعادة جموع غفيرة ولما بلغ مسامع اهاليها انه آت اليهم
خرجوا الى الطريق العامة زرافات ووحداً لمشاهدته . وكان رئيس العشارين في
ذلك الوقت رجل يدعى زكيوس

- اظن انني سمعت به فان اسمه الحقيقي الياس زكاً وقد غيّرهُ يوم انخرطه في سلك
رجال الحكومة الرومانية وهو رجل ظالم خائن لحكومته ولابنائه . جلدته وغيرهم .
على انه يوجد عدد عديد من رصفائه على هذا الشكل . فان الولايات تقوم اعمالها

على الحونة الظالمين . لو ان ضباطها كانوا امناء في عرفهم لذهبت الامبراطورية ايدي سبا

- ارجو منك ان تسمي لي رواية هذا العشار

- لقد كان زكا غنياً جداً وكان سكان اريحا يكرهونه ويرهبون جانبه بالنظر الى جواسيسه المنتشرين في كل مكان . فكل من اشتبه عليهم امره بانه انتقد اعمال الحكومة او تذر عليها كانت تُفرض عليه ضرائب ثقيلة مختلفة واذا شاء الاعتراض او المقاومة حكمت عليه حالاً كخائن . وقد بنى زكا هذا قصرأ جميلاً على رابية عالية وعاش عيشة الامراء . ولديه كثير من الحشم والخدم وكانت ينابيع المياه تمر بمجذاته النضيرة الزاهية

فقال مرسيلاوس : وفي اعتقادي انه لم يكن له اصدقاء البتة .

- نعم لم يكن له من صديق لا بين الاغنياء ولا الفقراء . ولما سمع ان يسوع آت الى اريحا في ذلك النهار ركب عجلته ونزل مسرعاً ليراه واذا لم يتيسر له موقف بين ذلك الجمع التغير المزدهم حول يسوع حاول الصعود الى شجرة عالية لكي يتمكن من رؤيته . وكان هذا الشيء مخالفاً للقانون غير ان الجنود الذين عرفوه ساعدوه على الصعود اليها فلما اقترب يسوع من الشجرة نادى زكا المذكور الذي كان يجهل اسمه من قبل وقال له : اسمح لي ان اتناول العشاء معك اليوم

- ماذا قال سكان اريحا بهذا الخصوص ؟

- لقد اغتاظوا جداً ولا سيما اصدقاءه لان زكا كان رجلاً ساقطاً وقد اختاره يسوع لخدمته الخاصة حتى قال بعضهم . ان هذا الجليلي ليس احسن من الكهنة الذين يلاطفون الاغنياء . وكان من زكا حين قال له يسوع هذا الكلام ان نزل من الشجرة ومشى بأبهة وافتخار بقربه

ولما وصل يسوع الى منزل زكا الجميل اوغر هذا الى الشعب الذي كان يرافقه ان يدخل الى فسحة الدار ريثما يتناول مع ضيفه طعام العشاء

اما ذلك الشعب فقد غاظه ما رأى ولكنه انتظر مضطراً وبعد مضي ساعة من الوقت خرج زكا و اشار الى الشعب ان يقتربوا منه لكي يسمعو ما يقول فاذا بهم يرون ان اثار الفطرسه واللوذ قد زالت من هيئته فلبشوا ينظرون اليه مشدوهين اما يسوع فقد كان واقفاً بعيداً عنه قليلاً لا يُبدي ولا يعيد

اخيراً تكلم زكا باتضاع ووداعة قائلاً : انني مستعد ان اهب املاكي للفقراء وأعوض الذين ظلمتهم مما خسروه تعويضات كثيرة

- ولكن ماذا حدث وماذا قال له يسوع ؟

- لا احد يعلم . ربما لم يقل له شيئاً بل اكتفى بتحديق نظره اليه حتى انه انعكست صورته اللطيفة عليه كما يجب ان يكون

- قال لها مرسيلوس لست افهم ما تعنين يا مريم ؟

- كثيرون اختبروا هذا الامر وحصلوا على هذه النعمة فلو كنت واجهت يسوع وأنعم نظره في عينيك بحيث لا تأتي بجرعة لما كان امكنك الا ان تؤمن بقوته العظيمة الفائقة اذ يستطيع ان يعمل ما يشاء . مثلاً : لو قال لك القـ عكازتك من يدك لاقيتها حالاً . او أرجع الدراهم التي سرقها لارجعتها الى محلها - ولو قال لك يا مريم رثمي الان . لوغث أليس كذلك ؟

فابتسمت مريم ولم تُجب . على انها قالت له بعد هنيهة لنتحدث قليلاً عن ذلك اليوناني الذي لو لم تلد له قصة يسوع لما حصل على ثقة بن يوسف ليشتغل في محله

- ان ديمتريوس اليوناني صديقي المقرب اليّ . وهو شاب شجاع جميل الصورة طويل القامة قوي العضلات فضلاً عن انه متعلم وذو اخلاق كريمة وقد اهداه اليّ والدي حين بلغت السنة السابعة عشرة من عمري في عيد ميلادي

- ألم يكره استعبادكم اياه طول هذه المدة ؟

- لا يُنتظر من احد ان يحب العبودية ولكن عندما يسي حراً لا يعرف

كيف يتصرف بحريته . اما انا فقد منحت ديتريوس حريته بحيث يستطيع ان يذهب ويحيى . كيف شاه

- لا شك ان معاملتك له معاملة صديق لصديقه لا معاملة سيد لعبده
- ليس في كل الاوقات لانني في السنة الماضية حينما كنت تعساً ضعيف العقل عاملته بقساوة زائدة لا يقدر على احتمالها غيره

- ولم ذلك ؟ اتريد ان تطلعني على السبب ؟
- لا مانع بذلك : انما في غير هذا النهار الجميل . ومع هذا فلا اريد ان احملك همي لانني قد شفيت

- كما تشاء ولكن اخبرني كيف توصل ديتريوس الى العمل مع بن يوسف ؟
- لما كنا في اثينا تعمى على ديتريوس رجل ذو مركز سياسي لمدافعته عن اناس ليس لهم من يدافع عنهم فحصل بينهما قتال شديد فرأينا من الحكمة ان نبعده عن اثينا فجاء الى اورشليم حيث اخذ يشغل بالحياكة في محل بن يوسف وكان قد مارس قبلاً هذه المهنة في اثينا عند احد الحاكّة وقد تعلم منه ايضاً اللغة الارامية - واذت تعلمت ايضاً من الحائك نفسه اللغة الارامية ؟

- نعم استعداداً لهذه السياحة
- ما الذي تريد ان تفعله بعد تعلمك ما يلزمك معرفته عن يسوع ؟
- لا اعلم تماماً . يجب ان اذهب الى رومية ومع هذا فانني ساجد نفسي غريباً في تلك البيئة حيث أثرت في كثير من تعاليم يسوع بشأن العلاقة البشرية التي يقبلها العقل فلو عمت جميع الاقطار لاصبح العالم جديداً سعيداً .

وقد اتاحت لي الفرصة في اثناء هذه الايام القليلة لكي انظر الى العالم من وجهات مختلفة . مع انني فكرت قبلاً فيما يحدث به من الظلم والعدوان ولكنني في هذا البلد الهادي . انظر الى النجوم واتذكر رومية واذكر فوق كل شي . جشعها وشرها وفقرها وخطاها الذي يزداد يوماً فيوماً الى ان يصل الى

السجون الرطبة وما شاكلها . ومع ذلك فان رومية تملك العالم ومليكها مختل
الشعور وولي العهد وغد لثيم وجيوشها تتسلط على ملايين من الشعوب التاعسة ثم
ختم حديثه قائلاً : اغفري لي يا مريم لانني ازعجتك

ثم سأل بلهفة : ألا يكون امراً عجيماً اذا جالس يسوع على العرش ؟

اجابته قائلة : هذا غير ممكن

عندئذ انعم نظره في وجهها ليتحقق هل كانت مجدة في كلامها وقد اخذه
العجب من رصانتها واخلاصها فقال لها : ماذا يفيدنا هذا الحديث ويسوع قد مات
- أنت متأكد من ذلك ؟ قالت هذا دون ان ترفع نظرها اليه

- انني اوافق ان تعاليمه لم تمت معه انما يجب ان تبث في الصدور وتنتشر في

اقاصي المعمور

- اترغب في ان تخبر عائلتك عنه عند ما تصل الى البيت ؟

- انها تحسبني مختل الشعور

- وهل والدك يظن بك ذلك ؟

- ان والدي عادل ذو قلب سليم لكنه يكره من يهتم بشأن الاديان فاذا

جئت على ذكر شيء من هذا امامه فانه يسأم ويتزعج

- ألا يعدك شجاعاً

- كلاً

- أيمكن ان اراك غداً ؟

- لا يمكن ذلك ولكن في وقت آخر لانني متوجه غداً الى كفرناحوم .

لان يستوس يرغب الي في مقابلة رجل يدعى ثنائيل . هل سمعت به ؟

- نعم وانك لتسر بمقابلته . واذا رأت يستوس مقبلاً قالت لمرسيلوس دعني

اتكلم مع يستوس على حدة فودعها واخلى لها المكان

فقال مريم ليستوس ماذا لا تخبر مرسيلوس بكل شيء عن يسوع ؟ فقد

اتضح لي انه اصبحت متأثراً جداً . على انه لا يعلم من بداية سيرة حياة يسوع حتى مماته الا القليل

- سأخبره اياها حينما أراه على تمام الاستعداد لقبولها . ولم لا تجربينه انت ؟

- أوشكت ان اطلعه عليها لكنني ظننت ان يكون لديك مانع ما لتأجيل

ذلك الى وقت آخر

- من رأي مرسيلوس : انه يجب ان ترتب خطط لانتشار تعاليم يسوع لانه لا

يعلم احد طريقة التبشير التي يتمشون عليها في اورشليم ويافا وقيصرية

- سأخبره كل شي .

- اليوم . ثم سألتها قائلاً : هل تحبين مرسيلوس اجابته : ان مرسيلوس ليس

غريباً عني

* * * *

ان يسوع قال : « ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ولما لم

يفهم مرسيلوس معنى هذه العبارة سأل يستوس عنها قائلاً . ماذا عني يسوع بضرورة

خلاص النفس وهو لم يهتم بامر نفسه بل جازف بها حتى خسرها ؟

- لم يخسر يسوع حياته حينما اسلمها الى الصلب ولكنه كان يخسرها حقيقة

لو قفل راجعاً الى البيت

قال مرسيلوس لم افهم بعد ما تقول تماماً انما الذي افهمه هو ان الانسان يخسر

حياته حين مماته . نعم ربما يجازف بها لغاية حسنة فيبقى ذكر اعماله الصالحة في ذاكرة

الذين آمنوا به واحبوه . لكن الموت عينه هو خسارة الحياة

- ليس ضرورياً لان يسوع قال : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد بل

خافوا من الذين يقتلون الروح » لان الجسد ليس شيئاً بالقياس الى الروح

فقال مرسيلوس باهجة خطابية : انني اعتقد فلسفة صديقك المائت يسوع

واهتمّ بها غير اني ارجو منك رجاء خاصاً ان تعيد على مسامعي اقوالاً مثل هذه .
وليكن مؤكداً عندك انني احترم افكار ذلك الرجل ولا احبّ ان تذهب من بالي
- ان الخطأ خطائي فقد سرت معك شوطاً بعيداً . بحيث قدمت لك اللحم
قبل الحليب

* * * *

واذ كان مرسيلوس مطرقاً يتأمل هذه الامور رفع رأسه فرأى امامه رجلاً
ضعيفاً واقفاً في باب خيمته فدعاه الى الدخول وبعد جلوسه على كرسي منخفض
ذكر انه يُسمّى حريف

فقال له مرسيلوس : اظن انك خزّاف . اجابه بالايجاب

- وانك لا تضع ماء في اجران معدّة للخمر ؟

عندئذ ادرك حريف ما يقصد فسأله : هل اخبرك يستوس بأمر تحويل الماء الى خمر ؟

- نعم اخبرني ولكنتي لم اصدق . فهل صدّقت انت ذلك ؟

- اعرف اننا احتجنا في ذلك العرس الى خمر فاتى يسوع وجعل من الماء خمرأ

- أكان لونه احمر ومذاقه طيباً ؟

- كان لونه ابيض غير اننا لم نذق في حياتنا الذّء منه واطيب

- قيل لي ان كل انسان كان يحب يسوع محبة عظيمة .

- اجل لقد احبوه كثيراً فلو انك كنت بينهم حينما دخل حفلة العرس لكنت

رأيت رأي العين كيف كانوا يمدقون اليه ويحيونه باصوات عالية على ان اغلهم

جاؤا من النحاء بعيدة واحاطوا به احاطة الهالة بالقدر . وهكذا كان دأهم في كل

مجمع . ثم استطارد كلامه فقال : وليست هي المرة الاولى التي صنع فيها تلك

الاعجوبة بل كانت تجري على يده عجائب متنوعة منذ ذلك الوقت الى يوم مماته

الرهيب على الصليب

- هل رأيت بعينك احدى عجائبه . او سمعتها باذنك ممن تثق بهم ؟
 - ألم يخبرك احد كيف ان يسوع اشبع خمسة الاف نسمة من بضع سمكات
 وخمسة ارغفة ؟

- لآلم يخبرني احد . فارجو منك ان تخبرني عنها بالتفصيل
 - عليك ببيتوس فانه كان على مقربة منه وهو يقصها عليك تماماً لانني كنت
 وقتئذٍ في الصف الاخير

- اريد ان اسمعها من فمك فارجو ان تسردها لي
 - اجتمع حوله جمهور غفير وكان كل واحد منهم يزحم الآخر لكي يكون
 قريباً منه ويرى كيف يصنع تلك العجائب وكان كلما شاهد فيهم رجلاً مسناً
 يجهد نفسه ليسمع ما يقول أو ما اليه باصبعه دون ان يتوقف عن الكلام فكان
 ذلك الرجل يصرخ وهو متهلل الوجه ويقول : انني صرت قادراً ان اسمع وافهم
 كل شيء !

- حدثني الآن اذا شئت عن اشباع يسوع الخمسة الاف نسمة
 حدثت تلك الاعجوبة في كفرناحوم وكان يسوع قد صنع كثيراً من امثالها
 في اماكن اخرى فتبعته جموع عديدة بينهم العرج والكتع والبرص والعمي وكل
 من ابتلي بمرض ما . ولما رأى ان عددهم يزداد كثيراً صعد الى احدى السفن مع
 تلاميذه الاثني عشر فتركوا الشعب لاتباع يسوع حتى ان بعضهم بكوا
 وبعضهم وقفوا هادئين يراقبون ثم قال احداهم ان السفينة متوجهة جهة الشمال نحو
 بيت صيدا فركضوا جميعاً الى الشاطئ .

- هل انزعج يسوع من وصولهم اليه ؟
 - كلاً . لكنه اغتم لما نالهم من التعب وبعد ان قعدوا على الارض واخذوا
 قسطاً من الراحة وقف يسوع في وسطهم وابتدأ يحديثهم قائلاً : اننا جميعاً نجيران
 كأسرة واحدة وما ان فاه بهذه الجملة حتى لزموا السكوت . وانا ياسيدي است

ممن يغير مبدأهم شيء. ولكن كلامه البليغ أثر في عواطفني حتى افاض الدموع من عيوني وكان مرهماً لجراحنا . ولما سمعته يتكلم قلت في ضميري انني لم اعرف كيف عشت قبلاً فكأن الله نفسه كان يتكلم والشعب منصت له يذرف الدموع السخينة

وبينا كان يسوع ماضياً في حديثه اذ شاهد احدهم يحمل مريضاً على عاتقه فتوقف عن الكلام و اشار اليه بالاقتراب منه فاتى ذلك الرجل به ووضعه عند قدميه غير اني لم اسمع ما قاله يسوع للمريض المذكور بل فهمت انه شفاه من علته فنهض في الحال سليماً مُعافى مسروراً . ثم حدث حريف ببصره الى مرسيلوس وسأله : اتؤمن بما اقول ؟ وكذلك جاء الى يسوع كثير من المرضى فشفاهم جميعاً

واذ كنا بعد فوات وقت الظهر متأثرين بما سمعنا لم نشعر البتة بالجوع وكنت انا وأرويين قد ابتعنا قليلاً من الخبز والسمك لغدائنا واخيراً حينما عادت الينا القابلية لتناول الطعام وقد شاهدنا حولنا اناساً جائعين عدلنا عن الاكل بحيث تذكرنا ما قاله يسوع : يجب ان نقدم حاجتنا بيننا وبين غيرنا من الناس المحتاجين . وبما ان حصتي من الخبز والسمك لم تكن لتكفيني وحدي فقد امتنعت عن الاكل .

وكان تلاميذ يسوع يلحون عليه لكي بصرف الشعب حتى يتيسر لهم الذهاب الى القرى لابتياح ما يحتاجون اليه من الطعام . ولكن يستوس ذكر لي ان يسوع قال انه سيظعمهم فارتبك تلاميذه وتعجبوا . وكان جالسا بالقرب منهم ولد صغير السن يصغي الى حديثهم وكان غداؤه موضوعاً في سلة لديه . فتوجه حالاً الى يسوع وقال له : انني مستعد ان اقتسم طعامي بيني وبين غيري من الناس المحتاجين . فلما سمع مرسيلوس هذا الكلام قال له : ان هذا الامر غريب

— نعم قال حريف كان هذا امراً غريباً لان يسوع أمسك بالسلة ورفعها الى فوق واخبرهم كيف ان الولد الصغير اراد ان يقتسم طعامه مع بقية الناس . ثم رفع عينيه الى السماء وشكر الله على عطية الغلام الصغير . وكان سكوت تام

يا سيدي . اخيراً اخذ يقسم الارغفة الى كسر صغيرة وكذلك فعل بالسمكات
وناو لها تلاميذه لكي يقدموها للشعب

- هل ضحك الشعب

- كلاً . غير انهم دُهِشوا وقالوا : كيف يمكن ان تُشبع هذه الكسر

الصغيرة جماهير كبيرة .

وقد كنت انا قبلاً مخجولاً من اظهار طعامي القليل اما الان فقد اظهرته
واهديت منه الى الرجل القريب مني . وشبع كل واحد في ذلك اليوم واخيراً
جمعوا الفتات الباقي عنهم فكان ملء اثنتي عشرة قفة

قال مرسلوس يا لها من قصة عجيبة

فسأله حريف : اتصدقها يا سيدي ؟

- نعم اني اصدقها وأؤمن انها كانت أولى العجائب التي صنعها هذا الرجل
العظيم الذي استطاع بحكمته ان يجعل هذا الجمع الفقير أسرة واحدة . ثم استطرد
حديثه فقال : انني لم افهم حادثة الشفاء بعد ولكنني فهمت هذه العجيبة جيداً
فاشكر لك اعلامي بها



الفصل السادس عشر

وفيا كانا مسافرين من قانا الى كفرناحوم سلكا في سيرهما الطريق الوعرة التي سببت لهما اتعاباً شديدة اضطرا معها مراراً الى القعود للاستراحة . ولكن عندما اقتربا من القمة ارتأى يستوس ان تُنصب الخيمة في ظل صخرة كبيرة مجاورة لينبوع ماء زلال يحيط به الكلاً الكثير من جميع جوانبه وقال ان يسوع كان يجب رؤية هذا المكان الجليل

على ان مرسياوس لم يهتم كثيراً في اثناء جولاته بقاطعة الجليل بتلك المناظر الطبيعية بل كان جَلَّ قصده ان يستطلع طلع ذلك الرجل الغريب الاطوار الذي سار على الطريق نفسه والذي تبعته جماهير كثيرة لا تُدرك غايتها ولا يُحصى عددها وقد جاءت اليه من اماكن بعيدة لان سكان كفرناحوم كانوا قليلي العدد وكان جو تلك الناحية مشبعاً بالاشاعات العديدة عن العجائب المتنوعة التي صنعها يسوع حتى ان بعض الناصريين قالوا ان يسوع لما كان في زمن الحداثة يلعب معهم صنع طيوراً من الطين وقد طارت في الحال من بين يديه . وكانت تلك الاشاعات تزداد مع توالي الايام ، ويزداد معها عدد الذين يتبعونه من مكان الى آخر غير مباين بالجوع والعطش . وكان الكثير منهم عندما يراي يسوع في نواحيهم يتروكون حالاً اشغالهم جانباً فيحملون مرضاهم ليشفيهم وكانت نظرة واحدة منه كافية لتخليصهم من امراضهم وعاهاتهم وهم مؤمنون غاية الايمان بفائق قوته العظيمة وطهارته المتناهية

اما الآن فقد زال ذلك النور الساطع وتفرق الجمع ومات الرجل العجيب وبغوته جُلَّ الخمول قري الجليل . بيد ان مرسياوس احب ان يعلم تماماً هل سطوة يسوع

الناصرى باقى تأثيرها فى قلوب اهالى تلك الانحاء واعتقد انه ربما يتوفق الى معرفة ذلك من الذين ردّدوا ذكره ويردّدونه ما داموا فى قيد الحياة

وقال له يستوس ان فريقاً من هؤلاء الجليليين قد تغيرت حياتهم واحوالهم تغيراً محسوساً فالذين كانت اشغالهم غير حسنة تعلموا صناعات جديدة اكسبتهم منافع عديدة والذين كانوا يعيشون من التسول توصلوا الى تحصيل معاشهم بتعب ايديهم . اما جماعة العشارين المكروهين فقد اصبحت البعض منهم محبوبين ومحترمين . وكذلك بعض النساء البغايا امسين صالحات عفيفات يعملن اعمالاً خيرية .

ثم انهما تابعا سيرهما الى ان اقبلا على بحيرة طبرية التي تكلم عنها يستوس مطوّلاً والتي صرف يسوع اكثر ايامه فى جوارها

وبعد ان استراحا قليلاً قال مرسيولوس ليستوس لا شك ان هذه البحيرة تعيد الى ذاكرتك بعض الذكريات اللذيذة : فقل لي بكل صراحة : هل تغيرت سيرة الناس وسيرتهم قاطبة من تعاليم يسوع ؟

- ليس فى وسعي ان انبشك بالحقيقة لان لرجال القلعة الرومانية القريبة من هذا المكان آذان واعية تلتقط كل كلمة تنفوه بها اذ لكل ساقطة لاقطة كما يقول المثل وبناء عليه لا يستطيع احد من الشعب ان يتحدث بشيء عن هذا الامر لئلا يفقد حياته بطرفة عين . غير انه يكتفى بمعرفة التغير الحقيقى الذى حدث فى حياة اصدقائه ومعارفه ولا بُدّ لي من زيارة بعضهم لمناسبة وجودي فى هذه الناحية - أيؤذن لي انا ان اراهم ؟

اجابه يستوس جواباً صريحاً : لا تقدر ان ترى الا افراداً منهم لكن يمكنك ان تجتمع بالشيخ برثماوس الذى حدثتك عنه من قبل فان لديه قصة ارغب اليك جداً ان تسمعها وذلك بعد ان اعرفك اليه فانه يقصها عليك جهاراً بغير وجل . ثم التفت اليه مبتسماً وقال : لا شك عندي انه يلذ لك ان تسمع وتعلم كيف التقي يسوع ببرثماوس لأول مرة

- ارجو منك ان تجربني كيف كان ذلك
 - كان الشيخ جالساً صباح احد الايام في حديقة تحت شجرة تين فرأى يسوع
 وفيلبس على تلك الجهة ولما وقع نظر يسوع عليه لوح له بيده محمياً وقال السلام
 عليك يا نثنائيل

- ولكنك قلت لي ان اسمه برثلموس
 - نعم وهذا هو الشيء الطريف الطريف في هذه الرواية . فان العادة المتبعة
 هنا ان لا يسمى الرجال المحترمون باسمائهم الاولى واظن ان برثلموس لم يسمع احداً
 يدعوه بنثنائيل منذ عشرين سنة الاً يسوع وحده
 - هل غضب من هذا النداء ؟

- لا اظن انه غضب ولكنه دهش . وفي الحال دعا يسوع اليه وربما قصد
 بدعوته اياه ان يبين له انها جراءة بعيدة عن اللياقة . وقد روى لي فيلبس هذه
 الرواية وزاد عليها بقوله :

ان برثلموس كان عابساً مقطب الجبين ينتظر اقتراب يسوع اليه . ولكنه لم
 يلبث عندما وقع نظره عليه ان اتسعت حدقتا عينيه وابتسم له قائلاً : قد عرفت
 اسمي . نعم ، اجاب يسوع . لان معناه « عطية الله » وانت اسراييلي حقاً لا غش
 فيه

قال مرسيلوس : لا شك ان هذا المديح سره
 - اجاب يستوس : بكل تأكيد فقد جعله هذا المديح تلميذاً ليسوع
 - أتعني انه أصبح من أتباعه ؟
 - نعم . وقد استغربنا نحن ذلك لان برثلموس هذا كان قد اعتزل اشغاله
 وازم كرسية لاعتقاد ضميده ان ايام عمله قد انتهت . ولهذا نهض حالاً تاركاً كل
 شيء وراءه وتبع يسوع وذلك منذ ثلاث سنوات تقريباً
 فسأل مرسيلوس سؤالاً آخر ودلائل الشك بادية عليه . هل عادت اليه قوته ؟

- انه بقي عاجزاً . وقد رأى من الصعوبة ان يجاري غيره في المشي بحيث كان يشعر بتعب شديد ككل رجل مُسنّ ومع ذلك فانه لم يتوقف قط عن السير . ولم يحسر احد ان يدعوه نشأئيل الایسوع وحده وقد احب هو ذلك

- ربما دعاه يسوع باسمه هذا الكبي يقوّي عزمه ونشاطه

- لكن برثماوس هذا لم يشعر وحده كأنه فتى امام يسوع بل كل رفاقه التلاميذ كانوا يشعرون بذلك . ومع ان يسوع كان اصغرهم سنّاً ما خلا يوحنا فانه كان يناديهم بقوله لهم احياناً يا اولادي . وبالحقيقة انه كان على جانب عظيم من الانس والدعة بحيث كنت تحسّ من نفسك بضرورة الانحياز اليه والاحتفاء به . لذلك كان الجمع يتراكم الىه ويلتصق به حتى لا يُبقي له متسعاً لتحريك قدميه

قال مرسيولس اظن ان هذا الازدحام ضايقه . ألم يشعر بعده بتعب ؟

- كان يشعر طبعاً بتزيد العناء والتعب الا انه لم يتذمر مرة البتة ولم يشتهر احداً مهما اتى من الاعمال المزعجة للوصول اليه . ألم ترَ ولو مرة يا مرسيولس كيف ات الفراخ تتسابق نحو امها الدجاجة حتى ليعلو الواحد على ظهر الآخر لاجل الوصول بسرعة اليها والاحتفاء بظلمها وهي تفتح جناحيها لها بكل شوق وارتياح دون ان تعباً بادى عناء . هكذا هي حالة ومعاملة يسوع نحو ابنائه تماماً

- اظنني افهم ما تعني

اجاب يستوس لا اخالك تفهم تماماً ان لم ترَ بنفسك يسوع نفسه وتتمثله بمخيلتك لتدرك ما اعني . لقد كان البعض منا يحسب نفسه بمنزلة اب له . اما اليوم ونحن بالقرب منه فنعدّ كاولاد له ليس الا

ان برثماوس كان يحتمل التعب بقوة غريبة وكان بين التلاميذ الذين حضروا العشاء الاخير في الليلة التي أسلم فيها يسوع . غير ان هذا الحُطْب الجسمي نهك قواه فلم يقو قلبه على احتماله فرض وحمل الى فراشه ولما شفي كان كل شيء قد تمّ

- اظنه امسى عاجزاً في هذا الاوان ؟

اجاب يستوس لا بل يتخيل له انه ان يموت ولا بد له حين يصحو الطقس من
الجلوس تحت تيمته حيث ينظر الى الطريق منتظراً ان يرى يسوع مقبلاً اليه
واذ رأى مرسيلوس يونان الصغير آتياً وعلام السرور بادية على حيائه التفت
الى يستوس وسأله : ما الذي غيره كل هذا التغير يا ترى ؟

- ان هذا نجم عن تأثير كلمات مريم في قلبه واقتناعه بها اشد الاقتناع ، لذلك
لم يبق من حاجة للاهتمام بامرءه فيما بعد

يا ليت في العالم كله امرأة ثانية كمریم

قال له يستوس : ان في كفرناحوم امرأة ارملة فاضلة تدعى ليديا ربنا تمكثك
الاحوال من رؤيتها فانها تقضي ساعات الفراغ في عيادة المرضى . ويغلب على ظني
انك ستسمر من سماع حديثها عن يسوع

فقال له مرسيلوس : ارجو منك ان تطلعني على امرها

قال يستوس ان ليديا هذه رزئت بوفاة زوجها وهي في ريعان الصبا . ومن
العادة المألوفة هنا انه عندما تفقد المرأة زوجها تعتزل العالم وكانت ليديا من اجل
الفتيات في كفرناحوم وكان زوجها قد ترك لها ثروة لا يستهان بها

الا انها بعد وفاته اصابها مرض من الامراض النسائية اضر بصحتها ونقص
حيثها وعيش ذويها الاخصاء . فاستدعوا لمعالجتها اشهر الاطباء دون مبالاة بالنفقات
الباهظة التي تكبدتها ولما اعيا الاطباء مداواتها اشاروا على ذويها ان يمضوا بها الى
حيث الينابيع المعدنية التي كثيراً ما شفت ذوي الامراض باستحمامهم بمياهها الحارة .
فاهتموا اشارتهم ونقلوها الى اماكن الينابيع المذكورة ولكنها لم تستفد شيئاً فضلاً
عن انها انفقت في سبيل تمريضها كل ما خلف لها زوجها من الاموال الطائلة . اخيراً
وجد اليتيم والتي استطاعت ان تنهض قليلاً من فراشها وتشمس في غرفتها من زاوية
الى زاوية

وفي ذلك الحين انتشرت في كل صوب اخبار العجائب الكثيرة التي كان يسوع

يصنعها بآرائه المرضى • وغني عن البيان انه كان من الصعب على الاغنياء مقابلة •
اما الفقراء الذين اعتادوا الاستعطاء فقد سهل عليهم هذا الامر ولا سيما عند
احتياجهم اليه

اما اصحاب الاموال فكان يشق عليهم ان يدوسوا كبرياءهم ويندفعوا كأولئك
زرافات ووحداً وراءه • على ان هذا الشيء سبب له حزناً شديداً • ومع ذلك
فان يسوع البار المتواضع لم يأنف بل لم يتنعم عن مقابلة ذوي المقامات الرفيعة
والنحدث معهم في اثناء الليل مع ما هو عليه من الاحتياج الى الراحة
فسأله مرسياوس : هل كانوا يهرعون الى مقابله او يدعونه لدى احتياجهم
الى الشفاء ؟

اجابه يستوس لا شك في ذلك لانني اعرف عدة امور مهمة حصلت فيما بينهم
الجاتهم الى دعوته الى منازلهم للتحدث طويلاً بشأنها • واذكر اننا انتظرنا يسوع
مرة امام باب المنزل الكبير الذي يسكنه نيقوديموس بن غوريون الذي هو • من
اعظم واشهر المحامين في هذه الناحية الى ان بزغ الفجر • وقد اخذت المحادثة
مجراها بينهما بدون ان يكون لنيقوديموس المشار اليه داع للشكوى من علة ما
- اتظن ان نيقوديموس في حديثه مع يسوع حذره من عاقبة امتداد
اعماله ؟

- كلامك كلا • لان نيقوديموس شيعه في تلك الليلة حتى الباب الكبير لدائرة
وكان يسوع يتكلم معه بحجاسة • ولما افترقا وضع كل منهما يده على كتفه
الآخر كشخصين متساويين في الرتبة

- قال مرسياوس ارجو منك ان تتمم لي رواية ليديا
- قلت لك قبلاً ان ليديا كانت مشهورة بغناها واحسانها غير انها الآن تحتاج
الى قوة في جسمها وجسارة كاية لكي تمر بين تلك الجموع الغفيرة وتصل الى يسوع
- هذا امر جلي

ولما كان يسوع في احد الايام يتكلم في الدار العمومية بكفرناحوم جاءه رجل مشهور يدعى يايروس وعند ما ذُكر اسمه فسبح له الجمهور طريفاً لمروره وكان متأثراً جداً بالتأثر ولما اقترب من يسوع اخبره قائلاً :

ان ابنتي الصغيرة مشرفة على الموت فارجو اذا سئلت ان تمضي حالاً لمتشفيتها .
فمضى يسوع معه دون ان يسأله شيئاً ما ومرراً في الزقاق المؤدي الى منزل يايروس حيث كان الجمع يزداد كثيراً . ولما اقتربا في طريقهما من منزل ليديا المريضة الآنفة بالذكر اخذت تراقبهما من نافذة منزلها . فرأت يايروس الذي كانت تعرفه ماشياً يازاء يسوع

ولما فرغ يستوس من حديثه سأله مرسيلوس : اين كنت وقتئذ يا يستوس .
لقد تبين لي انك لملم بكل شاردة وواردة من هذه الامور ؟
- كنت بجوار منزل ليديا وقد انضمت الى الجوع لانني جئت لاخبر سمعان ان حماة قد اشتدت عليها وطأة الحمى وكنت قريباً من يسوع كما انا قريب منك الآن

وقد تشجعت ليديا لدى رؤية يايروس بازاء الناصري العظيم فظهرت من الضعف قوة وتولت عن سألها . وبعد الجهد الكلي استطاعت الوصول الى ضالتها المنشودة لكنها لم تجرأ ان تكلم يسوع كلمة واحدة بل لمست ثوبه وفرائصها ترتعد خوفاً ثم عادت من حيث اتت . فوقف يسوع في مكانه وسأل الجمهور : من لمسني ؟ فقال له سمعان وفيلبس : لا بد ان يكون واحد او واحدة من هذه الجماهير قد لمسك . فلم يكتف بكتف بكلامهما بل استمر على تكرير سؤاله : من لمسني ؟ واذا ذلك سمعنا صوت امرأة تصرخ بحجية : انا يا سيدي . عندئذ افسحنا لها الطريق للوصول اليه وكانت تلك المرأة ليديا التي قلنا سابقاً انها اعتزلت الناس عقيب موت زوجها فقد صعب عليها اظهار نفسها بهذا المظهر . واذا ذلك حدث سكوت عظيم

فعلية اقول لك يا مرسلوس بصراحة : انني شهدت مناظر كثيرة مؤثرة في تلك الايام ولكن مثل مشهد هذه المرأة لم ارا البتة . فانها دنت من يسوع مطرقة الرأس تغطي عينيها بكلمات يديها وقد خرت ساجدة عند قدمي يسوع وكورت قولها له انا التي لمستك يا سيدي . ثم ازال يديها عن عينيها وحدقت اليه وكانت الدموع تنساقط منهما بغزارة ثم صاحت قائلة : يا معلم انني برئت من دائي الدفين فتأثر كل الجمع الحاضر من هذه البشرية وترقرقت الدموع في عيونهم وكان يايروس يبكي كالطفل . حتى ان يسوع الذي كان يستطيع ان يملك نفسه اغرورقت عيناه بالدموع لدى ذلك المنظر المؤثر

ثم تفرست ليديا بوجهه فرأته يتلأأ كنور الشمس وكانت هي تتنهد ولكن عيناها اضحى جميلاً مضيئاً . فدأ لها يسوع كلمات يديه وانفضها بتؤدة عن الارض وتحدثت اليها كتحدثه الى فتاة صغيرة باكية قائلاً : لا تخافي يا ابنتي . ايمانك قد شفاك اذهبي بسلام

هذه اجمل أطروفة سمعتها في حياتي

- لست ادري لماذا اخبرتك بها اذ لا ينبغي لي ان اتوقع منك ان تؤمن بشفاها من مرضها عند لمسها ثوب يسوع . وبعد ان تفوه بهذه العبارة سكنت لحظة لكي يسمع ما يجيب مرسلوس عليها فما كان من هذا الا انه غض بصره خاشعاً وخفض صوته قائلاً انني او من بكل كلمة منها يا يستوس فدهش اذ ذاك يستوس ايما دهش وتأثرت عواطفه من ايمان رفيقه وعذوبة كلامه

* * * *

ومع ان التعب كان بالغاً من مرسلوس اشده فقد قضى تلك الليلة في ارق وقلق لا مزيد عليهما . لان قصة ليديا أثارت عواطفه كثيراً بعد اختباراته العديدة

لذلك الثوب . ولا سيما بعد ان مضت عليه مدة طويلة لم يذكر في خلالها حوادثه
 وكان قد انتحل من قبل اعداراً مختلفة بشأن النتائج الباهرة التي سببها له
 الثوب المذكور حتى انه اعتقد اخيراً انه مسحور . لكنه بعد مراجعة ما جرى له من
 تأثير الرداء عليه انتهى الى القول بوصفه انه كالشجرة التي تكون جذوعها ممتدة
 تحت احد الجدران المكيمة فتأخذ بالدفاع عن نفسها سنين عديدة فيسقط . ليس
 لان لها قوة تفوق الطبيعة بل لان دفاعها ومقاومتها البطيئين مع مرور الزمن قد
 قد أثرا رويداً رويداً في ذلك الجدار المكين فتصدعت جوانبه حتى هوى وتحجرت
 هي من نيره الثقيل اي انها خرجت من السجن المظلم الى عالم النور

وعندئذ اكتفى مرسيلوس بهذا الوصف الرائع واخذ يقنع نفسه به قائلاً :
 ان ما جرى له جعله يؤمن بما فوق الطبيعة غير انه عاد فقال : ان العقل السليم لا
 يؤخذ بايمان كهذا . اخيراً حان له الوقت الذي تجلّى فيه لعقله نور المعرفة الساطع
 فبدد عنه ظلمة الارتباك فشنق من مرضه وتحجّر . كذلك الشجرة التي تخلصت من
 ثقل ذاك الجدار الذي كان يضغط على جذوعها

ثم اخذ يفكر بليديا ويقابل حادثته بمحادثتها . وقال ربما كانت ليديا على
 وشك الشفاء . فمن الممكن ان يكون شدة انفعالها قد أناحت لها زوال علتها وليس
 لمسها لاثوب ولما لم يكف بما عرض له وقد اخذ منه التعب كل مأخذ انطرح على
 سريره ونام ملء جفونه

على انه ما قرب وقت السحر حتى نهض فجأة من فراشه اذ سمع وقع اقدام بجوار
 خيمته فحدق ببصره يميناً وشمالاً فرأى شخصاً طويلاً القامة ملتجياً واقفاً على حدة
 لكنه لم يستطع ان يستوضح هيئته تماماً ولا يعلم أهو لص ام من قطاع الطرق .
 اخيراً ترجع رايه فيه انه يحاول معرفة من يقيم في الخيمة . ولما اعياه الامر انتحى
 ناحية بعيدة قليلاً وكن فيها ريثما يبدو نور الصباح
 اما مرسيلوس فقد كان نهوضه من فراشه بجذر لا مزيد عليه فانه احتذى

حذاءه بنجفة وخرج من خيمته بغير ان يشمر به ذلك الشخص الغريب . وقد حذاه
حذوه بجلوسه في مكان خفي يرقب حركاته وسكناته

ولما لاح نور الصباح وجده لابساً ثياباً رثة خاله لاول وهلة صياداً او واحداً من
سكان تلك الناحية جاء لمقابلة يستوس فتحنج كي لا يباغته . ولما وقع نظر
الغريب عليه وثب من مكانه وتقدم نحوه فبادره مرسيوس بالسؤال : مَنْ انتَ
يا هذا ؟ وما شأنك ؟ فذرع الرجل في الحال لحيته المستعارة ورفع قبعته وتاجي
نفسه قائلاً : حقاً ان تذكرني هذا جاء طبق المرام

فصرخ مرسيوس مَنْ ارى ؟ ديمتريوس . وفي الحال اسرع كل واحدٍ منهما
نحو الآخر وامارات الجبور والاشقياء بادية على وجهيهما

ثم سأله مرسيوس : هل من احد يقنفي اترك يا ديمتريوس ؟ وما هذه الشيا
الرثة التي عليك ؟ اجابك انت ؟

- لقد بلغني امس يا سيدي انك سائر في طريقك الى كفرناحوم فاسرعت في
سيرى لآتمتع برآك . ولست جائعاً مطلقاً لان سائق ركوبتكم قدم لي طعاماً كافياً
واعطاني سجادة لاجل منامي

- لماذا لم تمنبني بمجيئك امس ؟

اجاب ديمتريوس : لانني شئت ان انتهر هذه الفرصة لمقابلتك والتحدث اليك
وحدك

- إذن أوجز في كلامك وقل لي كل ما اريد معرفته لان يستوس يوشك ان
يستيقظ من نومه

قال ديمتريوس : من المعلوم ان استفانوس اخبرك عن هري من اورشليم . ثم
ارسلت له رسالة تنطوي على الاستعلام عنك وهو الذي انبأني بمحل اقامتك وبعدئذ
واصلت الفرار الى يافا آملاً ان اراك هناك عندما ترسو سفينتك . وقد اخذ مني
الجوع كل مأخذ وغت في الفلاة ومجئت كثيراً عن عمل الشمس منه كفافاً من

«لَقُوتَ فَلَمْ أَجِدْ

أخيراً رأيتُ أحدَ الرجالِ يجرُ رزمةً من الجلود الطرية . فحملتها على ظهري على الرغم من مقاومته لي . ولما وصلتُ بها إلى السوقِ دفعَ إليّ فلسطين . فقلتُ له أنت لم تستخدمني . ثم سألتُني : كم تريد اذن من الاجرة لتواصل نقلها إلى المدبغة؟ اجبته حالاً أنني أريد الحصول على طعامي فقط وكان هذا الرجل سامرياً . ثم سألتُني عن اعراف من أهالي السامرة لان اللغة الارامية التي اتكلم بها هي من اصل سامري . فاجبته انني اعراف بنيامين الحائك من اثينا وقد اشتغلت عنده . ولما اخبرته انني اشتغلت ايضاً في مصنع بن يوسف سرّاً كثيراً ثم قدّم لي ثياباً نظيفة بعد ان أوّعز إليّ بالاستحمام

فقال له مرسيلوس . ساقدم لك احسن منها لان لديّ كثيراً من الثياب .
والآن ماذا تخبرني عن سمعان المذكور ؟

- لما ذكرتُ له انني اشتغلت في مصنع بن يوسف سألتني : هل كنت انا واحداً

من حزبهم

- وانا اسألك بدوري : هل انت حقيقة واحدٌ من ذلك الحزب ؟

اجابه ديمتريوس انني اسعى جهدي لكي اكون في عداوته ولكن ذلك صعب جداً لانه يجب على الانسان ان يكون مسالماً لا مخاصماً في كل حالة من احواله

- ألا يسمح لك ان تدافع عن نفسك ؟

- كلا لان يسوع لم يدافع . وسيصعب عليّ جداً القيام بهذا الامر لانني في صباح اليوم نفسه الذي تركت فيه اورشليم وعدت استقافانوس ان اطيع تعاليمه ولكنني لم ابرّ بوعدني بل خالفت تلك التعاليم بعد ساعة من الزمن . وقد عمّدتني سمعان بطرس رئيس التلاميذ الذي يسمونه الصياد الكبير بحضور جميع الذين كانوا في مصنع بن يوسف

فسأله مرسيلوس : ماذا تقول ؟ عمّدتك ؟

- نعم انهم يغطسونك في الماء او يسكبونه عليك حسب مقتضى الحال .
وبعدئذ يعلنون جهاراً انك اصبحت باسم يسوع نظيفاً طاهراً ، يعني ذلك انك
بتّ واحداً منهم ليس الا . ويُنتظر منك ان تتبع تعاليمه
ثم اكمل ديمتريوس كلامه وهو عابس الوجه وقال : ولكنني تخاصمت انا واحداً
الناس قبل ان ينشئ شعراً رأسي

وقد حاول مرسياوس ان يعبس مثله فلم يتمكن من ذلك فاخذ يقهقه : ثم
سأله ما السبب اخبرني ؟

فاقر ديمتريوس بذنبه وقال اعتاد الجند ان يكلفوا الشعب احمالاً ثقيلة فامرني
احدهم ان اقوم بواحد منها فعصيت امره فكان منه ان رفع رحله وضربني به
ولكنه لم يصب المرمى . لانني حدث عنه باسرع من لمح البصر وتناولت ذلك
الرمح وكسرتة ووليت هارباً . وبما اني قد خالفت وعدي باتباع تعاليم يسوع اتظنني
بعد قادراً ان ادعو نفسي مسيحياً واعتمد ثانية

- لا اعلم . ولكن ماذا تعني بكلمة « مسيحي » ؟

- هو اللقب الجديد الذي اتخذته المؤمنون به لانهم يلقبون يسوع بالمسيح
ومعناه « الممسوح »

- ولكن هذه الكلمة يونانية وهؤلاء الناس جميعهم يهود عبرانيون

- نعم من غير بُد يا سيدي لان هذه الفكرة تنتشر بسرعة زائدة ويقول
سمعان الدبّاغ ان هناك نحواً من ثلاثمائة نفس ينضمّ بعضهم الى بعض في مدينة
انطاكية

- يا له من امر غريب . هل يعرف ذلك يستوس ؟

فاجابه ديمتريوس لا شك في ذلك

- هذه اخبار مهمة يا ديمتريوس لانني اعتقدت ان كل شيء قد انتهى بموت

يسوع

خَفَقَ ديمتريوس في وجه سيده المرتبك وسأله ألم تدرِ ام لم تسمع بهذا يا سيدي؟
ألم يُزْهِركِ يستوس؟ وقبل ان يجيبه سمعا صوتاً قوياً فالتفتا نحو ذلك الصوت فرأيا
ولداً قادمًا اليهما فسأل ديمتريوس مَنْ هذا الفتى؟

فاخبره مرسيلوس عنه باليجاز . ولما اقترب منهما التصق بمرسيلوس وقال له ان
جدي يدعوك لتناول الطعام على مائدته . فتوجها معاً الى مائدته وديمتريوس يتبعهما
ولما وصلا كان يستوس يهيئ الطعام فتطلع فرأى ديمتريوس مقبلاً معهما فابتسم له
ابتسامة حارة وحياء . ثم سأله ديمتريوس : هل تريد ان اساعدك فاجابه اني اعددت
كل شيء .

عندئذ وقف ديمتريوس جانباً وابتدأ الآخرون يتناولون طعامهم . وفي اثناء
ذلك سأل يونان مرسيلوس قائلاً : لماذا يتناول هذا الغريب طعامه وهو واقف؟
اجابه مرسيلوس لا تهتم بشأنه يا بني فانه يفضل ذلك . واذا قال هذا القول
عنه شعر بغلظه لان يستوس الذي كان جالساً قبالة ديمتريوس ادرك ان هذا اليوناني
كان عبداً لمرسيلوس فقطب جبينه وحمل صحنه ووقف بقربه

فقال له ديمتريوس بعد ابتسامه له : يجب ان لا يزعجك يا سيدي امر الاسترقاق
لان مولاي حنون ولطيف جداً وهو بكل سرور يفدني بكل مرتخص وغالب كما
اني انا افديه بحياتي . وغير خاف عليك ان القانون يحظر على العبيد الجلوس مع
سادتهم على المائدة

اجابه يستوس . يجب ان يُلغى هذا القانون الجائر . لقد حسبت ان مرسيلوس
غالب لا يكثر لثي . من ذاك

— اذا شئت ان تهون عليّ مسألة عبوديتي فأرجو منك رجاء حاراً لا تفكر

فيها البتة

ولما رأى يستوس ان ديمتريوس مكثف بحالته هذه ضرب صفحاً عن الاهتمام

بهذه المسألة

ثم خلا ديمتريوس بسيدته وقال له : ارى من الموافق ان اذهب وحدي الى
كفرناحوم حيث ارجو ان اجتمع بك فيها بعد ظهر هذا اليوم
قال مرسيلوس حسن رأيك انما سل يستوس عن المكان الذي يريد ان يتزل
فيه . ولكن هل ترى من الحكمة ان تنزل الى كفرناحوم وفيها قلعتها المائلة
امام الانظار

- ساحترز جد الاحتراز

اذن خذ هذه النقود لنفقتك وابعد ما امكنك الابتعاد عن عيون رجال
القلعة المذكورة

* * * *

تزل ديمتريوس بسهولة من القمة الى طريق الوادي وقد كان الهواء حاراً فتأبط
رداءه المرقع وقبعته القبيحة الشكل ولما وصل الى شاطئ البحيرة وجد تلك الجهة
منها خالية من الناس فلحال خلع ثيابه وغطس في مائها يستحم حتى شعر بالراحة
والنشاط التامين

وكانت اشعة الشمس المحرقة تغشي قصر هيروودس انتيباس وتبهر الانظار
ولذلك تحمق لدى ديمتريوس ان سكانه قد تركوه ليقضوا الصيف في مكان بارد .
وقد ابقوا فيه الخدم الكثيري العدد يرتعون فيه كما يشاؤون الى ان يتحسن الطقس
في اوائل الخريف فيعودوا اليه

ولما وصل ديمتريوس اخيراً الى المدينة وهو سائر بازاء شاطئ البحيرة راي جماعة
من الصيادين يفرغون شباكهم من السمك ثم يعرضونه للبيع في الاسواق . ومع
انه تناول فطور الصباح باكراً فقد شعر بالجوع فوقف امام محل بائع الاطعمة .
وما ان شاهده هذا بتلك الثياب الرثة حتى اوما اليه بمواصلة طريقه

غير ان ديمتريوس لما شاهد منه ذلك الازدراء بلباسه وضع يده في جيبه واخذ

يون النقود التي فيها . ولما قرع رنينها اذن بائع الاطعمة تغير لون سحنته وابرت اسرته فدعاه الى محله مرحباً به لان اليهودي اذا عرف ان لديك نقوداً فلا يلبث ان يصبح بمثابة عبد لك . فيناديك على الفور يا سيدي مراراً عديدة ويحسن معاملته معك

وما كاد هذا الطاهي اليهودي ينتهي من اعداد الطعام وتقديمه لديتريوس حتى اقترب منهما جندي قذر الهيئة وطلب طعاماً مجاناً . وبعد ان اجاب طلبه سأل ديتريوس هل اقدم لك يا سيدي من هذا الطعام ايضاً ؟ اجابه اذا لم يكن لديك الذم منه فاني لا اريد شيئاً قال هذا ودار ظهره ومشى

عندئذ قال له ذلك الجندي : انني لاعجب كل العجب من هذا المتسول الذي أبى ان يأكل من هذا الطعام الذي قدمته لي

اجابه الطاهي : ليس هذا الرجل متسولاً ففي جيبه نقود كثيرة . واذ ذاك نادى الجندي ديتريوس وسأله ان يغود اليه وقال له كيف اتفق وجودك وحدك في طبرية ؟ لا تقل انك لست عبداً . اين سيدك ؟

- ان سيدي في طريقه الى كفرناحوم وقد بعثني على عجل لكي اهيء له مكاناً لينصب خيمته فيه

- من هو سيدك يا غلام ؟ وما غرضه من القدوم الى كفرناحوم ؟

- هو تاجر يتعاطى شراء السجادات والمنسوجات وبيعها

- أتظني احق لاصدقك ؟ انك لص . تعال اتبعني

سأل ديتريوس ماذا فعلت حتى اتبعك ؟

- يمكنك ان تعلن امرك الى رجال القلعة التي نسوقك اليها

توقف ديتريوس هنيهة ثم ناجى نفسه قائلاً : لا فائدة لي من الهرب لكنني ابعث برسالة الى مرسيلاوس

ولما وصلا الى القلعة فسح لهما الحارس طريق المرور فقال الجندي له : خذ

هذا العبد الى السجن . على ان الحارس قبل ان يمضي به الى سجن القلعة الرهيب
سأله ما يأتي :

- ما اسمك ايها الغلام ؟ اجاب : ديمتريوس

- ما اسم سيدك ؟

- لوقان من الجنسية الرومانية

- اين محل اقامته ؟

- اجابه ديمتريوس : في رومية . ثم التفت الى ذاك الجندي وسأله : اي

ذنب اقترف ؟

- وقوع الشبهة عليه في السرقة فعليكم بسجنه اولاً ثم دعوهُ يُبَيِّن لَكُمْ بعدئذٍ

غرضه من جولانه في الشوارع وهو مبتعد عن سيده ومرتلٍ ثوب صيد وفي جيمه
نقود عديدة

فقال الحارس للجندي اكتب اسمه على اللوح الاسود لان قائد المئة مشغول الان

وحيث ان الجندي لم يعرف يكتب ولا يقرأ فانه ناول ديمتريوس الطباشيرة

ليكتب بها اسمه بعد ان سأله : هل يعرف ان يكتبه فسطر ما يأتي :

ديمتريوس اليوناني عبد رجل روماني يدعى لوقا ضارب خيمته في كفرناحوم

- ماذا سطرت ؟

اجاب : اسم سيدي واسمي

- اتزله الى السجن . وكان السجن مظلماً فلم يستطع رؤيته تماماً غير انه بعد

ان استقرَّ به قليلاً من الوقت تبيَّنت له هيئة حجراته فاخذ ينظر الى الباب المقابل

لها فرأى من خصاصه عيني سجين روماني تنظران اليه فسأله ديمتريوس متى ياتونه

بالطعام والماء . لان العطش كاد يقضي على ديمتريوس

اجابه الروماني انهم لا ياتوننا بذلك الا مرتين في النهار

- لا يمكنني الانتظار الى غروب الشمس
قال الجندي : ستتظر ذلك على الرغم منك

- لماذا وضعتك في هذه الحجرة ولم يسجنوك في سجن الخفراء ؟

- لانه ملاّن بهم . لا بسبب ثورة او عصيان بل لان القائد جوليان نُقل الى
اورشليم . والقائد الجديد الذي خلفه احضر معه خمسين جندياً من منوع المحافظة
على حياته وفي اثناء الاحتفال بقدومه شربوا خمرأ كثيراً كما انه سُفك دمٌ غزير
- هل القاضي بولس هو قائدكم الجديد ؟

- نعم وانه قاس جداً بالنسبة الى جوليان الشيخ اللين العريكة . وفي
غضون القتال سُمرت اذن احد جنود منوع وقد علم ان ذلك حدث صدقة عن
غير عمد . ثم نظر الى اذن اليوناني وقال له : كيف سُمرت اذنك انت أأتقافاً
ام عمداً ؟

- فسكت ديمتريوس قليلاً ثم اجاب : عمداً

عند ذلك فهم الجندي الروماني انه عبد فسأله : هل هربت من سيدك ؟

- كلاً لم اهرب فاني توقعت الالتحاق به هنا

- كن مطمئن البال ولا تخش شيئاً فانه سيخرجك من السجن لانه روماني

مثلهم

- ولكنه لا يعلم اني رهين السجن في هذه القلعة . ليترك تساعديني بايصال

رسالة مني اليه بحيث ان مدة سجنك قد انتهت وانا مستعد ان ادفع لك شيئاً في

مقابل تعبك مع الشكر

- اتعطيني دينارين ؟

- اعطيك عشرة شواقل

- انني لا اريد ان ألمس دراهمك بيدي

- لماذا ؟ اني لم اسرقها قط بل سيدي الروماني الكريم جاد بها علي

- ابقها لك . واذ قال هذا ابتعد عن الباب

جلس ديمتريوس على المقعد الخشبي الذي لا اثار غيره في تلك الحجرة وقد بلغ
منه العطش كل مبلغ وهو يتوقع ساعة الفرج



الفصل السابع عشر

لم يكن ممكناً لاحد ان يرتاب في تصديق الحادثة التي جرت لبرثلماوس مع يسوع وان ينكر عليه شهادته للعاصفة التي رآها رأي العين لان هذا الشيخ لم يكن قط واهماً ولا كاذباً ولا احمق وقد روى الحادثة كما هي لمرسيلوس حين كانا جالسين تحت شجرة التين في حديقته .

فقال : ان يسوع انتهر العاصفة التي هبَّت في بحر الجليل فاطاعت مشيئته وهدأت في الحال . ولو انها كانت اشاعة وسمها برثلماوس من غيره لكان في الامر ما فيه . لكنه كان هو بنفسه في السفينة وقد سمع ورأى كل شيء . ومع هذا فللإنسان الخيار في ان يصدق هذا او ان ينكره .

وبعد ان فرغ برثلماوس من روايته اخذ يفكر ملياً في تلك المعجزة الرائعة . اما مرسيلوس فانه اخذ يسمع بما قيل تحت مراقبة عيني يستوس وعرف انهما انتظرا منه ان يُبدي رايه في المعجزة المذكورة . على انه لم يرض على سكوته عدة دقائق حتى قال : امرٌ غريب بل غريب جداً

لم يحاول برثلماوس اقناعك بصحة هذه الاعجوبة بل لان يستوس طلب منه ان يخبرها لمرسيلوس بحيث جرت على مرأى منه ومسمع . لذلك وجد الفرصة مناسبة ليدكرها لشخص لم يسمع بها قبلاً

وبعد ان تزل ديتريوس وحده عند الصباح سارت القافلة الصغيرة ببطء الى الوادي ثم تحولت من الشاطئ المأهول الى طبرية حيث القصور الرومانية المشيدة فوق الآكام قبالة مياه البحيرة . ومن ثم تابعت سيرها الى وسط المدينة وقد عرجت

في طريقها على القلعة القديمة ثم دخلت كفرناحوم
هذا وقد رخص ليونانان الصغير ان يصرف ليلته مع توما ويبيت عنده واكد
الجميع ان الحمار جسيبر عرف صاحبه لدى رؤيته .

ولما مرّ في طريقهما بقرب بيت ليديا خطر ليستوس ان يزورها فلم ير مرسيلوس
زيارته لها مناسبة في ذلك الحين لانه كان وقت الظهر

ثم وصلوا الى كنيس اليهود الذي بناه هورتنسيوس فكانت هندسة بنائه
رومانية اكثر منها يهودية . وقد امتدت درجاته الرخامية التي تشبه المروحة بوضعها
الى حدود الفسحة المربعة الشمالية كما تصوّرهما مرسيلوس . فان يسوع كان قد خطب
في الالوف من سامعيه من على تلك الدرجات . فامست اليوم خالية من الناس ما
خلا بعض البؤساء المعوزين الذين ليس لهم مأوى

فخيل لمرسيلوس كأنه كان من قبل في هذه الاماكن وقد اشتغلت افكاره في
تحقيق اثارها حتى انه سها عن ذكر موعد الالتقاء بينه وبين ديمتريوس في هذه الناحية
عندئذ ذكره يستوس بذلك فتذكر واخذ يبحث عن خادمه الامين فلم يجده .
وقد خشي ان يكون قد قبض عليه وزُجَّ في السجن

ولم يرغب مرسيلوس في رؤية القائد جوليان لانه كان منهكاً بشؤون مهمته
الخاصة التي قدم لاجلها الى هذه الناحية . فهدأ يستوس اضطرابه وقال له :
انه اخبر ديمتريوس انهم سينصبون خيمتهم بجوار تزل سالوم ثم تمشوا نحو الشاطئ .
وتركوا هناك سائق الدابة يراقب مجي ديمتريوس . ولما وصلا الى هناك جلسا وتناولوا
طعام الغداء . وبعد الانتظار نحواً من نصف ساعة جمعا امتعتهما وسارا الى جهة
التزل آملين ان يجدا ديمتريوس وهناك خطأ امتعتهما في فسحة رحبة بقرب التزل
الآتف الذكر واخذا يبحثان ويسألان عن ديمتريوس ولما قيل لهما انه لم يره احد
اسرعا الى بيت برثولماوس . وكان هذا الشيخ قد اكل لهما القصة التي جاء لاسماعتها
ومقادها :

• ان يسوع كان تعباً جداً فنام في مؤخر السفينة ولما اتضح لهم انها امست عرضة للغرق ايقظوه من نومه وقد استدعى تعب يسوع الشديد تفسيراً • لذلك اخذ برثلماوس يسرد لهما حوادث ذلك النهار قائلاً :

ان الناس الكثيرون الذين وفدوا من جهات سحيقة وتبعوا يسوع كانوا حفاةً جوعاً متعبين تماماً • فانضموا بعضهم الى بعض كأنهم أسرة واحدة وخصوصاً حين تقسيم الخبز

ثم استطرد قائلاً كأنه يخاطب نفسه : وضعت ايديا زاد حفيدها في سلة صغيرة لانه كان مقيماً عندها • وقد تذكر بذكر ليديا حادثة شفاها العجيب فقصّها على مرسيلوس ثانية غير ان يستوس لم يبدل اقل إشارة انه اخبره سابقاً عنها • وكذلك عن شفاء ابنة يايروس الذي يدعو الى الدهش

ثم استأنف كلامه بشأن حادثة الولاية في البرية فقال • لا شك ان الولد كان جالساً وقتئذ عند قدمي يسوع وسمعه يقول يجب ان تتناول العشاء وظهر فجأة بسلته الصغيرة

وقد استغرق سرد تلك الرواية الطريقة ساعة بكامها لان برثلماوس اخذ يتكلم بشأن تقسيم الخبز ثم ذكر ما حصل من التعارف الجديد بين اولئك الغرباء المتباينين المشارب والطبقات ومن عطف بعضهم على بعض • وبعد الفراغ من كلامه هبّت ريح هوجاء كادت تقلع البيوت •

ثم ظهرت في افق الجهة الشمالية الشرقية غيوم سوداء غطت وجه السماء فضلاً عما تحلّل ذلك المشهد من وميض البروق ودمدمة الرعود حتى هلمت قلوب اولئك الاقوام فاخطفوا اولادهم وقفلوا بهم مسرعين الى بيوتهم •

ولا تسلم بعد ذلك عن هطول الامطار الغزيرة المتواصلة على تلك البقعة ولا سيما على الرمال المحرقة فاستعدّ فيلبس للالتجاء الى قرية تُدعى بيت صيدا اما بطرس وقد افترس ان يحول السفينة الى جهة الشاطئ ويتخذ من اشراعها غطاء لهم

وبعد ان انتهوا من هذا التدبير قال يسوع أعدوا السفينة للسفر الى كفرناحوم
اذ ليس من امر يدعو الى الخوف . اما نحن مع هذا كله فقد استولى علينا الذعر .
والبعض من تلاميذه اخذوا يحاجونه اما انا فلم اقل شيئاً . لانه يجب على الرجال
البكيري السن عند مواجهة الخطر ألا ينبسوا ببنت شفة
عند ذلك أبدى مرسيلوس ملاحظته قائلاً : ان اختبار الرجل السن يكون
مفيداً في اية حالة كانت

اجابه قائلاً : نعم يقدر شيخ مسن مثلي ان يحولك نصيحة صادقة ويرشدك
الى ما فيه صلاحك وذلك تحت شجرة تين في اليوم المشمس ولكن ليس في يوم
العاصفة . ثم انهى حديثه بقوله :

رست السفينة بهم في خليج صغير . وبعد ان قاوموا الامواج مقاومة عنيفة
تعب يسوع تعباً شديداً فنزل الى مؤخر السفينة واضطجع على مقعد خشبي فغطوه
بطرف سراع مبتل بالمطر حيث نام نوماً عميقاً

ولما بدأوا يجذفون ارتفعت العاصفة ارتفاعاً مخيفاً وعلت الامواج وطنى السيل
فوق رؤوسهم حتى اوشكت تلك السفينة الصغيرة ان تمليء ماء وقد تزعزت الامواج
والرياح مجاذيفها من ايديهم وألقته في البحيرة ما خلا اربعة منها بقيت معهم
لكنهم لم يستطيعوا ان يتقدموا بها او ان يقاوموا الامواج وقوة المياه الطاغية ومع
هذا كله فقد ظل يسوع نائماً لا يبدى حراكاً

اخيراً ايقظناه والتفت برثاوس الى مرسيلوس وقال له نعم انا ايقظته وقلت
له يا معلم ألا يهلك اننا والسفينة سنغرق معاً ؟

فتحرك يسوع بعد دقيقة وجلس ثم مد يديه القويتين ومسح شعره المبتل

باصابعه

فسأل مرسيلوس : هل راع هذا الحدث يسوع يا ترى ؟

اجابه برثاوس : كلاً ان يسوع لا يروعه شيء . البتة فقد انتهب على قدميه

في ذلك الوقت وتقدّم الى الامام خائضاً المياه ومستعيناً بيديه من السقوط . ثم تساقى عمود السارية الثقيل وأمسك الشراع متطلعاً نحو الامواج الهائجة
 اخيراً رفع يديه الى العلاء فظنناه سيهوي في قاع البحيرة وخاطب تلك الامواج
 الشائرة كأنه يهدئ حيواناً مذعوراً وقال لها : مكانك اسكتي ! اهديي . . .
 فخلق مرسيلوس ببصره الى برثاماوس ونبضات قلبه تكاد تسمع وسأله ماذا
 حدث بعدئذ ؟

- هدأت الرياح حالاً . على ان فيلبس يقول ايضاً ان النجوم ظهرت في ذلك
 الحين ولكنني انا لم لاحظ ذلك

قال يستوس ان البعض يقولون ان المياه التي غمرت السفينة نشفت للعال
 - قال برثاماوس لا لم تشف ولكننا اخرجناها منها الى ان وصلنا الى

كفرناحوم

فسأل مرسيلوس كيف كان شعورك بهذه الحادثة الطريفة الرائعة ؟
 - لم يقل شيئاً ولكن اخذ منا الدهش كل مأخذ لان المياه امست راکدة
 كأنها في بركة عادية . اما انا فقد احسست بسكينة خاصة في قلبي
 - وماذا فعل يسوع بعدئذ ؟

- عاد الى مكانه وجلس وافّ ثوبه المبتلّ حول جسمه وهو يرتجف من البرد .
 وبعد يسير من الوقت نظر الينا مؤنباً وخاطبنا مخاطبة الاب لاولاده قائلاً : لماذا
 خفتم ذلك الخوف كله ؟

واذ قال هذا عاد واضطجع ثانية واغمض عينيه . ونحن لم نتكلم كثيراً .
 لكنني اذ كر ان فيلبس قال « مَنْ هو هذا الرجل حتى ان الامواج والرياح تطيعه ؟ »
 اما مرسيلوس الذي ذكروا له هذه الحادثة لفائدته الروحية فقد بقي منحنياً
 في كرسيه يناجي نفسه قائلاً : ان برثاماوس لم يتعمّد الكذب ولا هو مختل
 الشعور ولكن من يستطيع ان يصدق ان رجلاً ينتهر عاصفة ويأمرها بالهدوء

فقطيمه . ان هذا ضرب من المستحيل ولما لاحظ ان عيني يستشوس تراقبانه عاد فقال : حقاً ان هذا الامر لغريب وغريب جداً

* * * *

وعند المساء نزل رئيس الحرس الى السجن واخرج الجندي الذي قطع اذن زميله من جنود متنوع

وبعد وقت قصير حدثت حركة عظيمة في السجن حينما جاءوا بالعشاء والماء الى المسجونين فاستبشر ديمتريوس بذلك خيراً لان حلقه جف من العطش ورأسه تألم من الوجع بحيث لم يتفق له مرة في حياته أن اصابه مثل هذا العطش الشديد وخشي ان يفرغ الماء قبل ان يصل الدور اليه

اخيراً رأى بقة على باب حجرته عبدین وطنيين . فإشار احدهما اليه ان يتزل الصفحة عن الرف . فوضع له فيها حصته من الطعام وطرح امامه على المقعد الخشبي رغيفاً يابساً . ثم وسع ممراً للذي كان حاملاً جرة الماء على كتفه .

ولما كان ديمتريوس قد جف حلقه من شدة الظمأ كما ذكرنا سابقاً فقد اسرع اليه ورفع قدحه الى فم جرة الماء ليملاؤه له . وقد سرّ كثيراً هذا العبد ان يرى رجلاً يونانياً في حالة سينة كهذه يقاسي الذل والهوان . فكان منه بعد ان ملأ قدحه ان افرغ شيئاً من الماء على ثيابه قبلها وادار ظهره له ومشى نحو الباب فقال له ديمتريوس : اعطني ايضاً ماء لاروي عطشي فما كان من ذلك العبد الا ان افرغ ما بقي من الماء في الحجرة على رجلي السجن المسكين

عندئذ هاج غضب ديمتريوس فلم يدر ما يفعل بنخصه وكان القدرح لا يزال في يده فضربه به على راسه ولولا شعره الكثيف لكانت تلك الضربة القوية كسرت جمجمته .

فما كان من العبد الا ان استلّ خنجره من منطقتة وهجم عليه ولمالم يكن

لدى ديمتريوس سلاح يقاوم به تقدم منه وصباً على وجهه بأسرع من لمح البصر ما في الصفحة من مرقه الحساء الساخن (الشوربا) وضربه بتلك الصفحة على يده فاسقط الخنجر للحال من يده

فالتقطه ديمتريوس بسرعة زائدة عن الارض . ولما رأى رفيقه ان اليوناني قد تسلح بذلك الخنجر رجع القهقري حالاً واغلق الباب خلفه

واذ خشي ديمتريوس من ان العبد يعود اليه ويفتح ذلك الباب على غفلة منه ويوشقه برمحه او بشيء آخر عمد الى دفعه بكلتا يديه القويتين الى الخارج ولما فعل ذلك وجد نفسه في المشى وعندما شاهد سائر المسجونين منه هذه البطولة اخذوا يشجعونه بصياحهم .

وفي الحال اقبل نحوهم جميعاً رئيس الحرس وثلاثة من اتباعه فعاينوا المعركة التي نشبت بينهم . وقد اسفرت عن جرح اليوناني في يده جرحاً بليغاً وجرح واحد من الاخرين في عنقه ويده معاً . ثم أوعز الرئيس المشار اليه الى ذينك الجريحين ان يسحبا جراحهما بالماء ويتبعاه الى مقام قائد الجنود

ولما وقعت عينا ديمتريوس على إناء الماء وهو يسمح جرحه لم يكثرث لامره بل اخذ يشرب من الماء حتى ارتوى وشبع

وعندما وصل رئيس الحرس بالجريحين وغيرهما الى حيث يقيم القائد بولس وجده يلهو بلعبة الترد مع نائبه سكستوس واخيراً عند ما انتبيا من اللعب التفت القائد الى الرئيس المذكور وسأله : ما المسألة ؟

اجابه : لقد رأيت هذين العبدن وهذا اليوناني يتقاتلون الى ان جرح بعضهم بعضاً جراحاً دامية .

وحينما وقع نظر القائد بولس على ديمتريوس أوماً اليه بالاقتراب منه واخذ يراجع مسا في ذاكرته من الرسوم فتذكر انه رأى وجهه من قبل فاسرّ سكستوس الى القائد ما جعله يعرفه . عندئذ قال القائد للرئيس : اخرج هذين العبدن وجماعة

الحراس خارجاً لانني احب ان اكلم هذا اليوناني على حدة . ولما خرجوا سأله قائلاً :
هل انت متألم كثيراً يا ديمتريوس ؟

اجاب ديمتريوس : لا يا سيدي . على انه ما كاد يتلفظ بهذه العبارة حتى
شعر بدوار شديد في راسه . فأعطي كاساً من الخمر . وبعد ان استراح قليلاً
سأله ايضاً : اين سيدك ؟

- هو هنا في كفرناحوم يتعاطى تجارة المتسوجات

- هل يتمتع بصحة تامة ؟ اعني هل عقله سليم ؟

- نعم يا سيدي

- لقد ذاعت اشاعة عنه -

أجل يا سيدي اجاب ديمتريوس وذلك حين لبس الرداء تغيرت حالته تغيراً سيئاً
ولكنه ذهب الى اثينا وبرى قاماً

- ما هي دعواك انت ؟ وكيف اتفق وجودك هنا ؟

فاخبره ديمتريوس بكل ما جرى له .

- وما سبب القتال ؟

- طلبت ماءً لاروي عطشي فلم أعط

حينئذ دعا بولس الذين اخراجهم وخاطب رئيسهم قائلاً : اجلد العبد الذي لم
يعطه ماء تسعاً وثلاثين جلدة . واحبس الآخر في غرفة بدون ان يذوق طعاماً . ثم
امر الأبقري احد في حضرته حتى ولا سكستوس لانه يرغب في ان يتحدث مع
ديمتريوس وحده

* * * *

عاد مرسيلوس ويستوس بغير ان يتفوها بكلمة واحدة في طريقهما اليه ولكن
اعادة برثولماوس ذكر عجائب يسوع على مسامعهما جعلت ايمان يستوس ومحبة

وعواطفه نحو يسوع تتجدد فشئ بخطى ثابتة

اما مرسيلوس فقد أثر في نفسه ذكر هذه العجائب وازعج خاطره ايضاً . فلو لم يسمع من اناس كثيرين لكانت اعجوبة العاصفة الرائعة امست في خبر كان . لذلك تأخر قليلاً عن المسير وهو يناجي افكاره وكان يستوس قد سبقه الى المكان المقصود

فاذا اعترف الانسان مرة بصحة هذه العجائب فلا يمكنه بعدئذ الا متابعة تفكره فيها لانه يحتاج في البعض منها الى ايضاح عقلي . خذ مثلاً حادثة حريف . فان الاجران الفارغة لم تخل من اثر الخمر فكان عليك ان تسلم فقط بتأثير شخصية يسوع على الضيوف الذين أعجبوا به واحبوه ووتقوا بقوته العظيمة حتى تعترف بتحويل طعم ذلك الماء في ذوقهم الى طعم الخمر

ولو ان حادثة هذا التحويل كانت الوحيدة في ذاتها لكننا ضربنا بتلك العجيبة عرض الحائط . ولكن تغير حالة مريم الصبية وصوتها فجأة في النهار عينه يجعلك تقف امام هذه العجيبة الثانية حائراً مذهماً

واذا اقررت بصحتها لزمك الاقرار ايضاً بصحة تحويل الماء الى خمر وكذلك اشباع الخمسة الآلاف من بضعة ارغفة . فان حل هذه الحادثة لبسيط لان يسوع لما حدث الشعب عن الاخوة البشرية اثر حديثه في قلوبهم فاقسموا الطعام فيما بينهم . فما عليك والحالة هذه الا ان تسلم وتعرف بقدرته الفائقة الوصف وشخصيته العجيبة لانهم قاموا باتباع تعاليمه السامية خير قيام وهم في غمرة من الفرح والغبطة لالتاس رضاه

وكذلك ابراهو رجل يونانان بحيث عادت صحبة كالاهرى لان سكان صفورة جميعاً يعلمون علم اليقين انه خرج من بطن امه كسيحاً . فاذا سلمنا ان يسوع أبرأ رجله يكون قد فعل كما يفعل مهرة الاطباء . ولكن ما قولك بشفاء المرأة الارملة ليديا من مرضها المزمن يوم لمست ثوبه .

فاذا آمنت بقدرة يسوع العظيمة على ابراء المرضى عقلياً وجسدياً بلسمهم ثوبه فقط .
فما هو اعتذارك عن شكك في تهدئته العاصفة . فذلك ما لا تدركه العقول
البشرية ومن المعلوم ان العاصفة ليست شخصاً ذا حياة بل هي ريش هوجاء تحمل
مطراً او ثلجاً . فاذا سلّمت بكون يسوع يملك تلك القوة الغريبة لصنع تلك
المعجزة فانه يكون بلا ريب الهاً

وبعد ذلك دخل يستوس وقال لمرسيلوس قد طلبت انا من شالوم صاحب التزل
ان يعدّ لنا سمكة غدائنا . اجابه مرسيلوس : حسناً فعلت . ثم سأله : هل سمعت
شيئاً عن ديمتريوس ؟

اجابه لا . فقال له لا تحشّ من شيء عليه فانه قادر ان يدافع عن نفسه اذا
قُبض عليه . اما الان فهلمّ بنا الى التزل لتناول طعام الغداء .
اما غرفة المائدة في ذلك التزل فلم تكن تسع الا عشرين شخصاً فقط . غير
ان اسباب الراحة كلها كانت متوفرة فيها . وقد جلس في الوسط من الجهة الشرقية
ثلاثة رجال فريسيين ذوي رتبة عالية وجلس في الجهة الغربية قائدان كبيران .
ولما عرف شالوم رتبة مرسيلوس انحنى امامه . ثم اعدّ له ولرفيقه مائدة خاصة
في زاوية القاعة جلسا عليها . وكان شالوم قد سأل يستوس عن مرسيلوس قائلاً له :
أهو مسيحي ؟

فاجابه يستوس : نعم ولكن بصوت منخفض كي لا يسمعه احد من الضيوف
ثم التفت الى مرسيلوس وقال له : يجب ان تحترز من اولئك الفريسيين نعم ان قلوبهم
صغيرة ولكن اذانهم كبيرة

فسأله مرسيلوس : أكنت فجي . غالباً الى هنا ؟

اجاب يستوس : جئت منذ سنة ونصف حين دعا شالوم يسوع وتلاميذه الى
العشاء في منزله هذا وقد لحق بهم نحو مئة شخص ففسّأهم جميعهم
- إذن لم يكن وراء ذلك العشاء سرٌّ من الاسرار

- كان الكهنة فقط يحاولون ان يجدوا سبباً يشتكون به عليه
 - هذا امرٌ غريب لان يسوع لما كان في قيد الحياة كانت اعماله ظاهرة
 كالشمس في رابعة النهار . اما اليوم وقد مات فلم يتحدثون عنه همساً لا جهاراً .
 ثم بدا لستوس ان يسرّ اليه شيئاً غير انه ارجأ ذلك الى وقت آخر
 ثم سأله مرسيلوس : هل جلست بالقرب من يسوع في اثناء العشاء ؟
 اجابه يستوس : لا لم اجلس بقربه
 - اين كان مكانه من المائدة ؟
 - في مكانك عينه

فارتعش مرسيلوس وقال يجب ألاّ يجلس احدٌ في مكانه ؟
 - انك تتكلم كأنك مسيحي . فهل اعجبك حادثة العاصفة يا ترى ؟
 - قد تركتني في حيرة شديدة لانه لا يستطيع احد ان يهدى العاصفة ما لم
 يكن آلهاً

ثم لفرض ان يسوع الله فلم سمح لغيره ان يقبض عليه ويسومه الذل والهوان
 اي ان يُصلب ويموت ويُقبر . فلو كان آلهاً حقاً ما استطاع احد ان يسّيه بشيء البتة
 فهمس يستوس في اذنه بعض كلمات تناسب المقام
 قال مرسيلوس : لا يا يستوس لا . انني لست اصدق ما تقول ولا انت
 تصدق ذلك

- لكنني انا رأيته بنفسه
 عندئذ هز مرسيلوس رأسه وكاد ينص بريقه ثم قال . بما انني اعلم علم اليقين
 ان هذا الامر غير حقيقي فلماذا تقوله لي ؟ انك تقدر ان تقولاً لغيري لانني انا
 رأيته بكلتي أعيني وموت وشاهدت ايضاً الحربة نفذت في قلبه وابصرتهم يتزلون
 جسده عن الصليب ككل ميت
 - كل منا يعرف انه نهض في صباح اليوم الثالث من قبره كأنه لم يميت وقد

وأوه رأي العين ماشياً في بستان

سأل مرسيلوس : اذا كنت تؤمن ان يسوع حيّ فاين هو اذا ؟

اجاب يستوس : لست اعلم اين هو ولكنني اؤمن انه حيّ وانتظر ظهوره دائماً

- لقد لاحظتك مراراً انك كنت تتقرب ظهور شخص ما . أفلا تأخذك الدهشة يا ترى اذا جاء يسوع الان وسأل سالوم ان يُعدّ له عشاء ؟

- لا ادهش البتة . ثم اعترف لك انني لما رأيته في المرة الاولى شككت في صحة نظري بحيث خشيت ان اكون فقدت عقلي لان حوادث كهذه لا تجري مطلقاً
سأله مرسيلوس : اين حدث ذلك ؟ وقد سأله هذا السؤال كانه مصدق ما سمع

- اجاب يستوس : في بيت بن يوسف حيث اجتمع عدد قليل بعد وفاة يسوع بعشرة ايام لتناول عشاء خفيف وذلك بعد غروب الشمس ولم نكن آنذاك اضناً القناديل وكان مدار حديثنا عن ظهور يسوع وقد ادّعى عدد من تلاميذه انهم شاهدوا شخصه باعينهم اما انا فلم اصدق ولا نسبت بينت شقة . على ان بعض النسوة قلن انهن ذهبن في اليوم الثالث الى القبر فوجدنه خالياً

وكذلك قالت واحدة منهن انها رآته في البستان وكلهما . ثم قال اثنان من اتباعه انهما صادفاه وهما سائران في سبيلهما . ورغبنا اليه في ان يتناول العشاء معهما في احد الفنادق

- هل يوثق بكلامهما ؟

- انني لا اعرفهما لكنني سمعت ان واحداً منهما يسمى كليوباس

- ان هذه الشهادة ضعيفة

اجاب يستوس وانا اقول مثل قولك . غير ان فريقاً من التلاميذ شهدوا انه ظهر لهم تلك الليلة في العلية حيث كانوا جالسين وانا اعتقدت ان شخصه تخيل لهم فقط

قال مرسلوس : أكل لي بقية حديثك عما جرى في بيت بن يوسف ؟
 اجاب يستوس : كان يوحنا يبين لنا وقتئذ كيف كانت هيئته ويخبرنا عما
 قال لهم . وبعد ان انهى كلامه وقف توما وخطب يوحنا قائلاً له : انني لا
 اصدق كلمة واحدة مما ذكرت إن لم أره رأي العين وألمس بيدي أثر جرحه العميق .
 وما ان انهى عبارته هذه حتى وقف يسوع بازائه وهو يتنسم كمادته

- لا تقل يا يستوس . لقد ظهر خياله له

- كلاً . بل ظهر هو نفسه الا ان هيئته كانت ضعيفة قليلاً بالنظر لما عانى من
 سوء معاملة لهم . فضلاً عما سبب له اكليل الشوك الذي كان على هامته من
 الجروح . ثم مد يديه امام توما

فسأله مرسلوس وهو جاف الخلق . هل اجتمعتم كلكم حوله ؟

- لا لم نجتمع لكننا ذهلبنا . وبعدئذ قال يسوع لتوما : تعال انظر والمس
 آثار المسامير البادية في يدي . ففجل توما خجلاً لا مزيد عليه وغطى وجهه بيديه
 وصرخ صراخ الاطفال .

وبينا هما في هذا الحديث دنا شالوم منهما ليسأل عما اذا كانا بحاجة الى شيء ؟
 اجابه يستوس انني كنت أخبر مرسلوس بعض الامور عن يسوع
 نعم نعم قال شالوم انه شرّف تولى مرة وتغدى فيه وكان جلوسه في مكانك
 هذا

- هل وقف وخطب آنئذ في جمهور الحاضرين ؟

- نعم فقد ضرب لهم المثل الآتي : والظاهر ان واحداً منهم ساله عن معنى
 كلمة القريب التي وردت في وصيته « أحب قريبك كنفسك » والتي هي مكتوبة
 في سفر شريعتنا فقال : كان رجل مسافراً من اورشليم الى اريحا في طريق خطيرة
 فوجده اللصوص فعرّوه من ثيابه بعد ان نهبوا ماله وجرحوه وتركوه بين حي
 وميت

فاتفق ان كاهناً كان منهدراً في تلك الطريق فابصره ومضى . ومرّ ايضاً
لاوي فتوقف امامه قليلاً وتابع طريقه . ثم جاء سامري ونحن لا يهمنا شيء من
امر السامريين هنا يا سيدي . فعطف عليه وضمد جراحاته وربطها ثم حمله على دابته
واتى به الى فندق واعتنى به . ثم سأل : أي هؤلاء الثلاثة يُعدّ قريباً للذي وقع
بين الاصوص ؟

اجاب مرسيلوس هذا سؤال بسيط ولو كنت انا لسألت سؤالاً آخر . لقد
قيل لي ان يسوع ينهي عن النزاع والقتال فلو اتفق لهذا السامري الشجاع ان وصل
الى حيث كان الاصوص يجرحون ذلك المسافر المسكين ويجردونه من ثيابه . فما
الذي يُفرض عليه ان يفعله أوقف مكتوف اليدين لا يقاوم الشر بالشر ام يدعهم
يسلبونه ماله ويجرحونه ويوكنون الى الفرار آمنين غافلين ؟

اجاب يستوس ان يسوع كان يلذّ له ضمد الجراحات لا تسميتها ألا يروقك هذا
الجواب على سؤالك ؟

- لا . اجاب مرسيلوس . يجب ان نذهب الان فقد اقبل المساء فناولهما شالوم
الفانوس ليسيرا على نوره الى خيمتهما .

ولما وصلا وطاب لهما المقام سأله مرسيلوس ايضاً : وما حصل بعد ان عاين
توما بعينه اثر جراحات يسوع ؟

- ملاً بن يوسف صحباً من السمك المشوي وقدمه ليسوع مع رغيف صغير
وقليل من العسل جلس يسوع يأكل

- إذن لم يكن شخصاً بالروح

اجابه يستوس : لا اعلم انما الذي اعلمه انه اكل من ذلك الطعام . عندئذ
اشار فيلبس ان تضاء القناديل فأتى اندراوس بعود كبريت واضاءها واذا ذاك
فتشوا عن يسوع فلم يجدوه

فسأل مرسيلوس متعجباً : هل اختفى

- كذلك لا اعلم . ولم يسمع احد ان الباب فُتح

- أدخل من الباب ام كيف ؟

- ولا هذا الشيء . اعلمه ايضاً لانني لم اسمع صريف الباب . اما الذي عاينته منه

فانه كان واقفاً بالقرب من توما

- هل ظهر ثانية ؟

- أجل بعد مضي شهر واحد وكان قد حدث شيء . محزن لا مزيد عليه في

الليلة التي أسلم فيها . ولما اتوا به الى حنانيا كان سمعان واقفاً في الدار حيث كان

الجند يصطلي بقرب النار فسالته جارية كانت هناك ألسنت انت من لصدقاء الجليلي ؟

اجابها سمعان لا . لست اعرفه

قال مرسيلوس لكنني ظننت انه كان زعيماً للتلاميذ

- وهذا الذي جعل الامر اليماً محزناً . فقد كان سمعان عادة جسوراً ولكنهم

لما مضوا بيسوع الى دار الولاية وقف بعيداً في اثناء محاكمته ، بل لست اعلم الى

اين ذهب حينما خرج الجمع بالجليلي الى مكان الصلب ولا في اية جهة قضى تلك

الليلة والتي بعدها . وقد سمعته يعترف بهذا كله

سأل مرسيلوس قائلاً : إذن لم يكن سمعان بين التلاميذ عندما ظهر لهم يسوع

في المرة الاولى ؟

اجابه يستوس : لا . لكنه اوصاهم ان يجبروا سمعان عن ظهوره

- هل عرف ان سمعان انكر صداقته

- بدون شك نعم . ولذلك كان مهتماً ان يجعل سمعان يعرف انه ساجده

وفي صباح اليوم الثاني عزم ابنا زبدي وتوما ان يوصلوا برثلماوس الشيخ الى

بيته فاركبوه دابة وذهبوا الى الجليل حيث رأوا بطرس حزيناً في حالة الارتباك

فاخبروه بكل ما جرى . فاستعد للعودة حالاً الى اورشليم ولكنهم نصحوه له ان

يبتظر ريثما تكف الكهنة عن الاسئلة المتعددة عنه . لان خبر رجوع يسوع الى

الحياة قد انتشر كثيراً وكانت المراقبة حول مصنع بن يوسف شديدة جداً
لذلك ذهبوا تلك الليلة الى الصيد . وقد قال برثلموس انهم غادروا ذلك
المكان عند طلوع الصباح وتوجهوا الى الشاطئ الشرقي . واذ كانوا على مسافة
مائتي غلوة منه سمعوا صرخاً قوياً اسفر عن سقوط شخص في البحر - ولما التفتوا
شاهدوا يسوع واقفاً بازاء الشاطئ ينظر اليه وكان هذا المشهد مؤثراً للغاية فقد
بات سمعان ذليلاً جداً وكاسف البال

- وهل توارى عنه يسوع كالعادة

- لا . ليس في ذلك الوقت لانهم باشروا شئ السمك الذي اصطادوه لتناول
الغطور . وفيما هم ياكلون ابتداء يسوع يعظهم وقد استغرق كلامه نحو الساعة وكان
سمعان مصغياً له اشد الاصغاء

- ماذا كان فخرى العظة ؟

- حرضهم على القيام بواجباتهم نحو الانسانية جمعا . واخبرهم عن رجوعه اليهم
غير انه لم يعين لهم اليوم ولا الساعة التي ياتي فيها

ولما عادوا الى السفينة وجذفوها ليذهبوا الى كفرناحوم لم يُر يسوع بينهم
ولكنه ظهر لهم مرة ثانية وكنت انا بين التلاميذ في ذلك الحين وكانت
المراقبة لامورهم دقيقة جداً . فما كان يتيسر لهم الاجتماع الا في جنح الليل الحالك
في اماكن منفردة فكنا نجتمع في الاماكن المظلمة حيث تكون العين بعيدة عن
مراقبتنا . وكان رؤساء الهيكل يرسلون الجند الى الاسواق للتفتيش عنا . وهنا
في الجليل كان هيرودس انتيباس والقائد جوليان يهددان بالموت كل من يتلفظ
باسم يسوع

- هل يصدقون انه بُعث حياً ؟

- لا اعلم . ربما لا يصدقون ولكنهم عرفوا حق المعرفة انهم لم يتخلصوا منه
وقد تبادر الى اذهانهم ان الناس ينسونه حالاً ويعودون الى اشغالهم كالعادة ولكن

ساء فألهم لان يسوع أرهقهم بقوة ما تزال تعمل
 سأل مرسياوس : ماذا تعني بقوة ما تزال تعمل ؟
 اجابه يستوس : اولاً لان دخل الهيكل قد نقص مقداره . لان مئات من
 الشعب كانوا يدفعون العشر ولما قامت قيامة الكهنة على يسوع تمنعوا عن دخول
 الهيكل ودفع البدل

وكذلك تجار السامرة واليهودية والجليل كانوا يعتقدون انهم بتخليهم عن
 يسوع يرضون السلطة غير ان تجارتهم ضعفت وسلعهم كسدت فاصبحوا يقاومونها
 بل يكرهونها لان المسيحيين كانوا يداً واحدة . وقد قاطعوا التجار غير المسيحيين .
 وبناءً على ذلك اصدرت الحكومة اعلاناً تحظر فيه على اتباع يسوع الاجتماع في
 كل مكان . لذلك اتفقنا ان لا نجتمع في الوقت الحاضر

- كم كان عدد المسيحيين في اورشليم في ذاك الحين ؟
 - الذين اظهروا انفسهم . منهم كانوا خمس مئة . ففي احد الايام بعد الصلب
 بخمسة اسابيع جاء احدهم الى منزلي واخبرني أن سمعان دعا الى الاجتماع . وقال اننا
 بعد اسبوع سنجتمع على رأس التلة حيث نكون بعيدين عن الطريق العامة كما
 اعتدنا ان نقضي يوماً واحداً في الاسبوع لالتاس الراحة والسرور مع يسوع
 وقد سافر كل شخص وحده حذراً بما يحيق بنا من الخطر اذا رافق شخصاً
 واحداً او اكثر . ولما وصلت الى الحقول التي تؤدي الى التلة عند طلوع الفجر
 شاهدت كثيرين امامي ولكنتي ما عرفت منهم جميعاً سوى سمعان بطرس لانه كان
 مديد القامة .

ثم التقيت برثاماوس الذي كان يتوكأ على عصاه ويلهث من التعب
 - هل قطع مسافة الطريق كلها ماشياً الى كفرناحوم ؟
 - أجل لقد امضى اسبوعاً كاملاً متوكئاً على عصاه حتى وصل اليها على اني
 اشرت عليه ان يبقى في اسفل التلة فلم يصغ الى كلامي . ثم مددت له ذراعي

وسرنا معاً وما ان وصلنا الى نصف الطريق المؤدي الى راس التلة حتي وقف برثلموس وقال انظر الى جهة الصخرة التي امام عينيك فرأيت يسوع بنفسه متسربلاً ثوباً ابيض يلعب من نور الشمس . وكان واقفاً في اعلاها ينتظر . وبعد هنيهة وصلنا الى سهل صغير فرأيناهُ ماداً يديه يهب البركة لتلاميذه الساجدين عند موطى . قدميه . ووجه سمعان ماساً وجه الارض .

اما برثلموس فانه لم يستطع ان يخطو خطوة اخرى واحدة الى الامام بعد هذا المشهد الرائع فخرَّ ساجداً في مكانه وهكذا فعلت انا . ثم حنونا رؤوسنا وقد بلغ منا التأثير كل مبلغ . وبُعِيدَ ذلك سمعنا غوغاء فددنا نظرنا الى حيث كان واقفاً فلم نَرِ احداً

الى اين ذهب يا يستوس ؟

— لست اعلم يا صديقي انما الذي اتيقنُه انه حي . ويتراءى لي احياناً انه بقربي واذا قال هذا دمعت عيناهُ

ثم استأنف حديثه قائلاً : انني جد . وؤمن انه بالقرب . نبي ولا اقدر ان اغشّ احداً . او أرلحق بأحدٍ ادنى أذى

قال مرسيلوس : اظنني لا اكون مستريحاً اذا وجدت احداً يراقبني — انك تشعر براحة تامة عند ما تعلم ان ذلك الشخص يمدّ لك يد المساعدة لتدافع عن نفسك بنفسك . وتكون مسالماً للجميع الناس ما استطعت الى ذلك سبيلاً

ثم قرع الباب ففتحه يستوس فاذا بجندي يدخل قائلاً : انني احمل رسالة من القائد بولس الى القاضي مرسيلوس لوقا غاليو

فغمغم يستوس مضطرباً وقال في نفسه : القاضي !

ثم تقدّم الجندي باحترام قائلاً : ان سيدي القائد بولس يقدم تحياته ويرجو من صديقه الحميم القاضي مرسيلوس ان يتزل ضيفاً عليه هذه الليلة في القلعة . وانا مستعدّ اذا

سئلت ان أنير الطريق امامك بمصباحي هذا
 - حسناً . انتظرني عند الباب الخارجي
 ثم التفت مرسيلوس الى يستوس وقال له فرحاً . مستبشراً . يظهر لي ان ديمتريوس
 في مكان حريز

- وانا سأمت شعبي ودفعتهم الى ايدي اعدائهم
 فوضع مرسيلوس يده على كتف يستوس وقال له . لا تخف لانني اؤكد لك
 انني لست جاسوساً ومن الممكن ان اصبح صديقك وصديق شعبك . ساعدو غداً
 عند الظهيرة

جلس يستوس ويداه على وجهه الى ان غاب مرسيلوس عن نظره . وقد امضى
 ليلته في كتابة وتبكييت ضمير . ولما لاح الفجر جمع امتهته وتوجه الى السوق وهناك
 جلس على احدى درجات الجامع الى ان اشرقت الشمس فسار الى المنزل الذي ترك
 الفتى يونانان فيه

كانت ام توما في المطبخ تهيء طعام الصباح فقالت له لم يخطر على البال انك
 تجي باكراً هكذا . قل لي ما بالك ؟

اجابها : انني اريد ان اعود من حيث اتيت على الفور

- ولكن اين الروماني الشاب . وقافلتهك الصغيرة ؟

- كلهم باقون هنا . اما انا ويونانان فيجب ان نرجع الى البيت



الفصل الثامن عشر

تسلم بولس قيادة قلعة كفرناحوم منذ اسبوع فقط ولم يجد من نفسه دافعاً قوياً للقيام بشؤون هذا المركز الجديد مع انه مضى على قيادته لقلعة ممنوع نحو اثنتي عشرة سنة وهو يروج يوماً بعد آخر التخلص منها: لان من العادة ان لا يلبث القائد فيها هذه المدة الطويلة بحيث ان الحكومة كانت ترسل اليها من تريد ان تحط من كرامتهم . فضلاً عما يصيبهم من الامراض بسبب رداءة مناخها وشدة حرارة شمسها التي تذيب الاجسام وتحمل العقول

ولا تسلم عن ابنتها الخربة القديمة العهد وشناعة هيئتها وازقتها المليئة بالغباء والاقذار وليس فيها من شجرة يستظلون بظلها ويتنشقون راحتها اما رجال حاميتها فقدرون وكسالى معاً ولا شغل لهم سوى الاغارة من وقت الى آخر على جماعة البدو . ولا يعرفون من التدبير والتدريب شيئاً من الاشياء بل كانوا ينحدرون الى مدينة غزة لشرب الخمر وقضاء اوقاتهم في محلات الملاهي وما شاكل ذلك

وكانت غزة في قديم عهدها معتركة للمخاضات والفن التي كانت تحدث بين القبائل الكبيرة العاتية والصغيرة المستضعفة . وكان اهلها يتصدون الغزاة الذين يقصدون اليها فيسلبون اموالهم وامتعتهم في راحة النهار . ومع هذا كله فقد كان لها ميناء حسن واسع تسير فيه المراكب التجارية وغيرها ذهاباً واياباً بحيث يشعر الناظر اليه انه من ارقى موالي البحر المتوسط

فلما عهد الى بولس بقيادة حامية كفرناحوم سرَّ سروراً لا يوصف مع انه لم يأت اليها سابقاً بل سمع بشهرتها من حيث حسن ادارة الاحكام وهدوئها الممتاز

وعلم ان سلفه حسده الناس كثيراً على منصبه فيها
 وكانت قلعة كفرناحوم بعيدة قدر نصف ساعة فقط عن طبرية التي يقيم فيها
 حاكم الجليل وبيرية هيروودس انتيباس المثيري العظيم الذي كان يولم الولايم لضيوفه
 ولا يهيمه اذا احبه الناس او ابغضوه بل يهيمه ان يقدموا له الطاعة وفروض الاحترام.
 اما القائد بولس فكان يكره الذين يضحون باخوانهم لينالوا حظوة لدى
 السلطة الرومانية

وكل انسان كان يعرف ان موقع كفرناحوم جميل للغاية بحيث تحيط بها الروابي
 الخضراء الزاهية وتكفل قمم جبالها الثلوج . فضلاً عن ان في داخلها بحيرة تقرر
 العيون برآها . اما سكانها فانهم ليشعروا بجانب دمئو الاخلاق وقد احزنهم موت
 يسوع حبليهم غير انهم لم يكونوا يعرفون الغضب او الحقد . وكانت إقامة القائد
 جوليان مع جنوده هناك لاجل المحافظة على الامن
 ولقد رأى القائد بولس ان السلام مستتب اكثر مما كان يتوقع على انه لم يشعر
 به الا قليلاً في بادى الامر لانه كان منهمكاً باعداد ما يلزم القلعة من الشؤون
 الضرورية . وقد سره كثيراً الزورق البديع الزخرفة الذي اهداه له هيروودس
 انتيباس وسرته كذلك الحمامات النظيفة الفخمة التي في تلك القلعة والتي يوقن ان
 القائد جوليان لم يستعملها قط

كانت الحركة في القلعة على اشدها فان جند حامية منوع جاء مع بولس لحمايته
 من خطر الطريق ولتعزيز الاحتفال الرسمي بوصوله الى كفرناحوم . وقد أدب له
 هيروودس مأدبة عظيمة دعا اليها الكثيرين من ذوي المناصب والاعيان . وقُدمت
 في اثنائها الخمر الفاخرة .

وبعد ثلاثة ايام عادت حامية منوع الى مركزها ما عدا سكستوس واستتب
 للهدوء والسكينة . فاذا كانت هذه هي الحالة في كفرناحوم فهي اذاً احسن في
 منوع

وبعد اسبوع افكر بولس ان يتوجه الى اورشليم اقضاء بضعة ايام لكنه ما لبث ان عاد عن فكرته هذه اذ تبادر لذهنه ان كنتوس الذي يكرهه كل الكره ربما يكون باقياً فيها

* * * *

وفي مساء احد الايام بينما كان بولس وسكستوس يلعبان بالزرد اذ دخل عليهما ناميوس قائد الحرس مصحوباً بثلاثة عبيد منتقشي الشهور . فلما رآهم بولس شعر انه يعرف ذلك اليوناني الطويل القامة . فوصفه له سكستوس . وكان بولس يجب ديمتريوس لحسن اخلاقه وشدة بأسه وذكائه واحترام الناس له . ثم تذكر انه رأى اعلاناً ملصقاً على باب دار الولاية في اورشليم مفاده انه تُعطى مكافأة لمن يتمكن من القبض على عبد يوناني يختص بالقاضي مرسيلوس غاليو . وقد جاء في قرار محكمة الجزاء ان اليوناني المذكور هجم على رجل روماني في اثينا ويُظن انه محتبي . في اورشليم .

ولكن عندما دقق في امره وجد انه قبض عليه لانه مشتبه به حينما كان يتجول من مكان الى آخر وهو مرتدٍ رداء عتيقاً وفي جيبه بعض النقود . وقد تقاثل هو وعبدان سوريين في السجن لانهما لم يعطياه ماءً ليروي غليله . واراد بولس ان يعرف عن مرسيلوس الذي شاع عنه انه كان محتلاً وسراً جداً حينما فهم انه في تلك الناحية

ولكن بولس اراد قبل ان يطلق سراحه ان يقف منه على الدعوى المقامة عليه بسبب ضربه رجلاً رومانياً

فسأله : ماذا تجيب عن دعوى الرجل الروماني عليك بضربك اياه واهانته في

اثينا ؟

- اني رأيت من الحق ان انتقم من القاضي كنتوس انتقاماً شديداً يا سيدي

فصرخ القائد قائلاً : اصحیح ما تقول ؟

اجابه ديمتريوس : نعم يا سيدي

- اخبرني ما دعاك الى ذلك ولا تخف علي شيئاً

- جاء القاضي كنتوس الى نزل آل يويولس برسالة الى مولاي مرسيلوس واذ

كان ينتظر الجواب تحرش بابنة صاحب النزل وهي من فضليات الفتيات واسرتها

كريمة محترمة فصعب الامر عليها جداً وعلى ابنها الذي كاد يهيم بضربه ولكنه

خشي عاقبة الامر بسوقهم جميعاً الى السجن . اما انا فلم اخش العاقبة فعاقبته على

تحرشه ووقاحته

- ألت تعلم انك تساق الى الاعدام اذا لمست بيدك قاضياً رومانياً فقط ؟

ولما اجابه ديمتريوس بالاجاب قال له اخبرني كيف عاقبته

- اولاً لطمته على وجهه وقد عرفت عندئذ اني اقترفت ذنباً يؤدي الى الموت

لذلك لطمته ثانياً وثالثاً عدة لطمت متواصلة لم يكن لينتظرها . ولما بلغ مني الغيظ

كل مبلغ ضربته على عينيه حتى اغضهما ثم ركنت سريعاً الى الفرار

ولما كانت احدى السفن على أهبة الانبحار خباني ربانها فيها على انها ما كادت

تقلع بنا حتى رأيت كنتوس على ظهرها . فلما رأي طلب من الربان ان يسلمني الى

السلطة . لكن الربان مهّد لي سبيل الفرار في سفينة اخرى في اثناء الليل الى غزة

حيث توجهت منها الى اورشليم

ألم يدرك الربان انه يستحق المعاقبة على هذا الفعل ؟ ما هو اسمه ؟

- نسيت اسمه يا سيدي

- لا شك انك تكذب ومع هذا فاني اشكر لك ما اظهرته من المروءة

والوفاء نحو تلك الابنة . والآن قل لي لماذا جئت الى اورشليم ؟

- لان سيدي اراد ان يجيء اليها

- ماذا صنعت فيها ؟

- اشتغلت في مصنع حياكة

قال القائد بولس : علمت ان هناك مصنعا لحائك يدعى بن يوسف يجتمع فيه قادة انصار يسوع . فهل انت احد اولئك الانصار الذين يستون انفسهم مسيحيين ؟

اجاب ديمتريوس نعم يا سيدي واني اؤمن كما يؤمنون
فزجره بولس قائلاً له : لا يمكنك انت ان تكون في عدادهم او أن تؤمن
ايمانهم لانك تدرك جيداً ان ما يشيعونه عن يسوع انه عاد بعد موته الى الحياة
وانهم شاهدوه في حالات كثيرة واماكن متعددة انما هو اختلاق محض وليس له
ظل من الحقيقة

- لا تقل هذا يا سيدي فكل ما سمعته حقيقي لا ريب فيه

- عجباً لقد كنت انت بنفسك هناك وشاهدت موته

اجاب ديمتريوس : نعم شاهدت موته ولكنه الان في قيد الحياة وقد سمعت
هذه الشهادة من فم رجل شريف صادق في قوله وفعله رآه رأي العين حياً . وانا لم
تأخذني اية دهشة من شهادته هذه لانه ليس مثله انسان على وجه الارض وقد لاحظت
انت يا سيدي انه لم يكن رجلاً عادياً

- كيف لم يكن رجلاً عادياً : أتعني بقولك انه كان الها ؟

- نعم يا سيدي انه كان الها وما يزال

قال له القائد بولس : الست تعلم اننا نودع السجن كل من يقول هذا القول

عن الجليلي الميت

ثم اخذ القائد يسير ذهاباً واياباً في الغرفة وبعدئذ التفت نحوه قائلاً : انني
ساطلقك الان يا ديمتريوس اكراماً لسيديك مرسيلوس . فاخرج من الجليل حالاً ولا
تقل شيئاً عن يسوع . واذا سمعت انك ذكرت لي شيئاً عما دار بينك وبين كنتوس
فاني اجلدك حتى امزق لحك عن عظامك

ولما شكره ديمتريوس على مراعاة جانبه صفق بولس بيديه فدخل الحاجب حالاً

عقال له خذ هذا اليوناني وأعدّ له سريراً لمنامته وقل للطبيب ان يضمد جروحه لانني ساطلق سراحه . ثم عدّ اليّ سريعاً متى انتهيت من هذه المهمة لتحمل رسالة مني الى نزل سالوم

* * * *

لقد سرّ مرسيلوس كثيراً حين لاحظ ان ترقية صديقه بولس الى منصب القيادة الجديد الذي كان يعمل نفسه بالحصول عليه لم يغيّر شيئاً من اخلاقه ولا من صداقته له بل انه جدّد صداقتهما القديمة حالاً ومكثها

فقد اعدّ بولس له في غرفته الانيقة مائدة لطيفة صغيرة فوقها صينية فضية مملوءة بانواع من الحلواء والفاكهة اللذيذة وفي وسطها زجاجة من الخمر . وكان هو لابساً اخر لباس فقابل ضيفه ببشاشة وحياة تحية الشوق والمحبة قائلاً :

— اهلاً بك يا مرسيلوس الصالح . فان الجليل كلها ترحب معي بشخصك الجليل

فاجابه مرسيلوس : لقد طُفح السرور على قلبي لدى مشاهدتك وسماع ترقيةك فاقمّي لك النجاح وطيب الإقامة في مركزك الجديد

ثم سأله بولس : هل لك ان تخبرني عن سبب مجيئك الى الجليل ؟

— ان الاخبار عن سبب مجيئي تستغرق ساعة من الوقت ولكنني ساوجز بكلامي . وهو ان الامبراطور طيباريوس ارسلني لاستعلم اكثر عن الجليلي الذي صلبناه

— ان هذا العمل الذي أنتدبت اليه لشاق ومؤلم معاً وانا ما ازال ألوم نفسي حتى اليوم لاجل المركز الحرج الذي وضعتك فيه لانني كنت مثلاً . وقد اردت بعدئذ ان اعتذر اليك لكنني لم أرك . فأمل ان تقبل عذري الان

— اجابه مرسيلوس : لقد كنا جميعنا سكارى في ذلك الحين غير انني ما

كنت اخبر لك في قلبي اقل ضغينة

- لم يكن السكر الذي آلمك يا سيدي انما الطريقة التي خرجت فيها من تلك
الوليمة . فانه حدث لك شيء عند ما لبست ذلك الرداء وقد حسبت انك رأيت
شبحاً . ولكن ما لنا وهذه الاحاديث المزعجة انك الان في احسن حال من الصحة
يا مرسيلوس فدعنا نشرب من هذه الخمر الوطنية التي ارسلها اليّ هيرودس انتيباس
حاكم الجليل وبيرييه مختلس اموال الفقراء . ومع انه دنيء النفس فخره جيدة نفيسة
وعلى ذكر الخمر اقول ان الناس يقولون ان يسوعنا هذا حول الماء خمراً في احد
الاعراس . ربما تكون قد سمعت بهذه القصة وبغيرها كثيراً

فاجاب مرسيلوس نعم سمعتها ولكن صعب عليّ ادراكها

- لا تقل صعب عليك ادراكها . أليس عندنا كثير من هذه الخزعبلات في
درومية نفسها ؟ ثم استطرد قائلاً : ارجو ألا تقول لي ان ما يروى عن هذا الجليلي
هو حقيقي لان ليس من احد في كامل عقله يصدق ذلك
- ان يسوع هذا كان رجلاً عجيباً غريب الاطوار
- لو لم يكن كذلك لكان كغيره من الرجال . لانه كان متجلبباً بعظمة
وشجاعة نادرتين . لكنني ارجو ألا اسمع منك انك تصدق تحويله الماء الى خمر
ثم قال مرسيلوس : لقد امسيت في حيرة من جهة هذا الجليلي يا بولس غير اني
رأيت رأي العين ولداً كان كسيحاً منذ ولادته وهو الان نشيط عيشي ويركض
كسائر الاولاد رفقائه

سأله بولس : كيف عرفت انه وُلد كسيحاً ؟

- ان سكان قريته كلهم يعرفون ذلك . ولم تكن لهم فائدة قط من اعلامي
لانهم كانوا مشتهين بامري ولا سيما جد الولد فانه اخبرني عنه بجهد كلي
- يجب ان نبذل قصارى جهدنا للوقوف على هذه الامور . لانهم يقولون ايضاً
ان يسوع عاد بعد وفاته الى الحياة وقد شاهدوا شخصه باعينهم

قال مرسيلوس لقد سمعت هذه الرواية منذ ساعة فقط . وانه لامر يحير العقول

يا بولس

- بل انه غير معقول البتة . فيجب ان يكتفي الشعب بتصديق القول انه حول الماء الى خمر وشفي المرضى لا ان يتيقنوا انه حي بعد

فهذا الامر لا يصدقه العقل السليم لانني انا طعنت صدره بحجري . ثم قال له بصوت عالٍ : يُستدل من هيئتكَ يا مرسيلوس انك مصدق عودة يسوع الى الحياة عندئذٍ رفع مرسيلوس نظره الى بولس وقال له : لست اعلم ما اصدق . ان في هذه المسألة سرّاً غامضاً يا صديقي . فلو كانت هذه الرواية غير حقيقية لما عرض الذين رَوَوْها حياتهم للخطر اذ ليس لهم من ورائها فائدة ما

اجابه بولس انني اسلم معك بذلك ولكنني اقول ان الذي تغلب على الموت كان باستطاعته لو شاء . فقاطعه مرسيلوس وقال بالنيابة عنه : ان يحصل على مرغوبه بتأسيس مملكة له هنا . أليس هذا الذي تريد ان تقوله ؟

اجابه بولس انني اتذكر جيداً ان بيلاطس سأل يسوع في اثناء محاكمته . هل انت بالحققة ملك ؟ فاجابه نعم . بيد اني فهمت بعد ذلك ان يسوع صرح مراراً عديدة بان مملكته ليست من هذا العالم . فهل لهذا من معنى ؟

- لو كنت انا قلت ذلك لَمَا كان لكلامي معنى ولكن حين يقوله رجل قام من بين الاموات ولا نعلم اين كان فلا شك ان كلامه صحيح صريح بكون مملكته ليست من هذا العالم

- اذن انا اتقي لرجل كان مَيِّتاً فعاش ان تكون له مملكة في هذا العالم ايضاً . لا ان تكون لكتنوس ولا لجوليان ولا لبيلاطس ولا لطيباريوس الشيخ - قال مرسيلوس هذا رأي حسن لا غبار عليه اذا كان يملك علينا ملك يعرف ان يتغلب على جميع الملوك ويقوم مع هذا باعمال خيرية مجيدة بعيدة عن الشرور والاثم

ولما رأى مرسيلوس ان الحديث لذَّ لبواس سماعه قال : تمعن في هذه الروايات التي تشيع عن يسوع . فقد شاع عنه انه فتح عين العميان ولم يُسمع قط انه اعمى احداً . وذاع ايضاً انه حوّل الماء الى خمر . ولم يذُع انه حوّل الحجر الى ماء . وكذلك رُوي عنه انه اقام ولداً كسيحاً مقعداً ولم يُروَ البتة انه اقعد ولداً سليماً معافاً

قال بولس كلامك صواب فكثيراً ما سمعنا ان الملوك دُمّرت البلاد واهلكت العباد فصيرت البعض عبياناً والبعض كسحاناً والبعض بعلل مختلفة . أفلا يغدر العالم السرور اذا اتاحت له حكومة تهتم بالعمي والمرضى والعرج . فيا ليت هذه الرواية عن يسوع كانت حقيقة

فسأل مرسيلوس بولس قائلاً : أجادُ فيما تقول يا بولس ؟

اجابه بولس نعم . انني جادٌ في كلامي بقدر ما تضمن لي ذلك . ولكن ألسنَ ترى يا مرسيلوس انه ليس من مصلحتك الاهتمام كثيراً بمسألة يسوع ؟ فلم يجب مرسيلوس على ذلك

- اخبرني ماذا يشيعون اكثر مما شاع عن اعمال يسوع . لانك مجتث مجشأ دقيقاً في هذه النواحي كما فهمت

- يقولون انه كان في قانا ابنة كسيحة كانت في بداية امرها تعة جداً ولكن يسوع منحها بقوة صوتاً جميلاً فاخذت ترتل لسكان القرية . وقد اصبحت من ذلك الوقت سعيدة مسرورة

فقال له بولس ألا تعلم ان كثرة اهتمامك بهؤلاء المسيحيين ربنا توقعك في حيرة شديدة فاسمح لي اذا شئت ان اكلمك في هذا الشأن بكل حرية بشرط ان تحمل كلامي محل الاخلاص لاني لا اقصد سوى تنبيه افكارك الى ما اقوله لك :

انني اعتقد انك عرفت الحوادث التي جرت في فلسطين في غضون السنة الماضية . لانه بعد موت الجليلي تفرّق قادة جماعته . وهذا التفرّق سرّ قلوب اصحاب السلطة

لاعتقادهم ان مسألة يسوع امست في خبر كان . ثم حدثت اشاعة مفادها انه بعد وفاته شوهد في اما كن مختلفة لكن السلطة لم تعرها اذنأ صاغية لتيقنها انها لا تلبث ان تمسي نسياً منسياً

ولكن هذه الاشاعة جرت مجرى الكهرباء في الاجسام فكان القادة يجتمعون سرّاً . ثم تبين للكهنة في ذات يوم انه خفّ عدد الشعب في المجمع وامتنعوا عن دفع العشور . وقد شعر التجار ايضاً ان حالة تجارهم تصير من سيئ الى اسوأ . واصبح في امكان جماعة يسوع ان يجتمعوا علانية . وكان عددهم في انطاكية يزداد يوماً

ولم تتألف الجماعة المذكورة من الفقراء فقط كما سرت الاشاعة اولاً بل كان في سلكها كثير من الاغنياء ولا سيما في اورشليم التي لم يعرف احد ما وصل اليه عدد المسيحيين فيها . لذلك ترى رؤساء الهيكل مفتاين للشتم وشتمهم والقضاء على مجتمعاتهم في اي مكان كان . وهب الكهنة والتجار هبة واحدة يهددون جوليان الشيخ باعلانهم له : اما ان يعمل عملاً حازماً مشمراً او يستقيل من منصبه فسأله مرسياوس قائلاً : ماذا يراد من جوليان ان يفعل لقمع هذه الحركة ؟ اجاب بولس : الظاهر ان هذه الحركة يصعب تسكيتها وقد تظهر لاول وهلة انها بسيطة لسائح نظيرك . ولكن سكان اورشليم المحترمين يقولون انها حركة خيانية وتجديف وعصيان وتفريق عام لطرقهم المنظمة . وجوليان يعزّ عليه ان تحدث ثورة دموية في ايامه ولذلك قد نفذ صبر رؤساء المدينة

— فاعترض مرسياوس قائلاً : من المؤكد انهم لا يجدون خطأ في تعاليم يسوع لانه علمهم التواضع والمحبة والمعاملة الحسنة . ألا يعتقد ذوو السلطة الفلسطينية في جعل الناس يعاملون بعضهم بعضاً معاملة حسنة

— ليس هذه علة الخلاف الاساسية يا مرسياوس . ان المسيحيين رفضوا المعاملة مع غير جماعتهم وعقدوا بينهم عهداً موثقاً حتى هنا في كفرناحوم اذا لم يكن على

باب حانوتك رسم سمكة فلا يوافق ان تفتحه . ثم تمنّ في وجه مرسيوس وقال :
 اني اعتقد انك تدرك معنى هذه الاشارة

خفا مرسيوس راسه وابتسم
 فخذره بولس قائلاً : ليست المسألة هزلية كما تتصور فعليه انصح لك ان تأخذ
 خادمك وتذهب لاننا سنثير ثورة شديدة على كل المسيحيين مهما كان مركزهم الادي
 رفيعاً . ولا يهمهم اكننت قاضياً رومانياً او لم تكن
 - اجاب مرسيوس ولكنني لست اعلم اين مقر خادمي

فابتسم بولس وقال ولكنني انا اعلم . هو الآن في فراشه في مكان هنا في
 القلعة

- هل هو مسجون ؟

- لا بد من ذلك . ثم اخبره عما جرى في النهار وسأله : هل رأيت خادمك
 يضرب كنتوس ؟

- لم أره في بداءة الامر ولكنني رأيته فيما بعد وقد اشبعه لطماً على وجهه
 وعينه

- سرّني كثيراً ما سمعت لانني لا احترم كنتوس مطلقاً . ومصابيه لا تهمني .
 ولكن هذا الاعتداء ليس بالامر السهل . وقد اطلقت لديتريوس حريته لكن يجب
 ان يغادر هذه البلدة بما امكن من السرعة لان بقاءه يضرّني . ويضرّك خصوصاً
 انك صديق للمسيحيين . فتروى في الامر يا مرسيوس . ان عبدك مطلوب لاجل
 مهاجمته قاضياً رومانياً وثانياً لاشتراكه مع المسيحيين في اورشليم فتكون قد آويت
 في بيتك مجرمًا ومسيحياً فقل لي ماذا تريد ان تفعل ؟

- كان مرادي ان ابقى في فلسطين عدّة اسابيع ثم اتوجّه بعدها الى رومية
 قال له بولس : ان المسيحيين في خطر شديد . ومركزك خطر اكثر مما تتصور
 فانصح لك ان تهين امتعتك وترحل حالاً الى يافا ومن ثمّ تسافر توتاً الى بيتك في

رومية لان وجودك هنا لن يفيدهم شيئاً

- اشكر لك نصيحتك يا بولس . اسمح لي الان ان ارى ديمتريوس ؟

- ليس في هذه الليلة . ومع ان عبدك قتي ممتاز وهو بالوقت نفسه صديق لك
فلا يجعلني ذلك ان اغيّر اوامري

- كما تشاء يا بولس

- فلنذهب الان الى النوم ونلتقي غداً صباحاً لاجل تناول الفطور واطاف
قائلاً . واذا كنت تضطر ان تسافر في الحال فانني مستعد ان ادعو بعض الجنود
ليرافقوك الى يافا

- اجابه مرسيلوس : كلاً لست مضطراً الى السفر بل انني عازم على البقاء في
فلسطين ريثما يتاح لي الوقوف على كل ما اريد معرفته عن رجوع الجليلي الى حياته
بعد مماته

- وكيف يمكنك ان تصل الى ضالتك المنشودة ؟ ربما باختلاؤك مع بعض
السيادين . أليس كذلك ؟

- نعم هذه هي الطريقة الاولى اما الطريقة الثانية فهي التحدث في هذا
الموضوع مع بعض القادة

- لكنهم ليسوا هنا في الاوان الحاضر بل في اورشليم

- سأذهب إذن الى اورشليم

فتنبأ بولس قائلاً : اذا سافرت صباحاً الى اورشليم فانك تصل لا محالة في
وقت تراهم فيه جميعهم رهيني السجن . ثم صفق بيديه فأقبل الحارس . فامر ان
يبدل القاضي على غرفة منامته . ثم حيأه وذهب كل منهما الى فراشه بعد ان اتفقا
على اللقاء في صباح اليوم الثاني لتناول طعام الفطور معاً

الفصل التاسع عشر

دخلا اورشليم قبل ساعتين من غروب الشمس ولم يعترض لها احد ولا سأل الحراس مرسيالوس عن اسمه مما دلّ على ان المدينة لم تكن متحذرة من شي . وقد استغرق سفرهما من كفرناحوم اليها مدة ثلاث ساعات فقط لانهما استيقظا قبل الفجر وسارا بثبات في طريقهما فضلاً عن انهما كانا يستظلان في الاودية مرة بعد اخرى من حرارة الشمس المحرقة . وكان مرسيالوس ينتظر حسب تحذير بولس له ان يرى على قساعة الطريق جنوداً متعجرفين او اناساً حذرين خائفين . فوجد تحذيره في غير محله لان الطريق كانت هادئة والسكان يقومون كمعادتهم باشغالهم اليومية .

اما مسألة القبض عليهم سواء أكانت حقيقية ام غير حقيقية فآثرال خفية لم يحدث اقل حادث عند تشييعهما حين سفرهما من كفرناحوم فقد ذهبوا الى الخيمة ولما لم يجدا يستوس هناك اراد مرسيالوس ان يتبعه ليريح باله غير انه عمل بموجب نصيحة بولس الذي اشار عليه الاّ يظهر نفسه انه صديق للمسيحيين كي لا يضرهم .

وبعد ان قطعا مسافة خمسة اميال من قانا قال مرسيالوس لديمتريوس اخبرني الان كل ما تعرفه عن ظهور يسوع الى الحياة ثانية . فسرّ ديمتريوس بذلك لانه لم يكن يشك البتة في رواية القيامة . وبعد ان رواها له مفصلة قال له مرسيالوس ولكن هذا غير ممكن

- اجابه ديمتريوس انني اقول قولك يا سيدي ومع ذلك فانني اؤمن بها
- كيف تقول قولي : انه غير ممكن ثم تعترف بايمانك بها . ان هذا العو

وهذيان

- ليس هذا الكلام هذياناً لان القصة حقيقية لا ريب فيها
واذ وجد مرسيوس ان هذا الحديث لا يقنعه حياً وذهب الى فراشه متناعساً
وفي اليوم الثاني والثالث اصرَّ ديمتريوس ان يسوع حي وان عشرين شخصاً
من اصدقائه شاهدوه في احوال مختلفة . عند ذلك تراءى لمرسيوس ان خادمه قد
اضاع رشده ثم استأنف ديمتريوس حديثه فقال له : حقاً اني انا متعجب من نفسي
ولما تلفظ بهذه العبارة شعر مرسيوس انه ظلمه بسؤ ظنه فيه فدنا منه قائلاً ، مؤنباً
ذاته : ساحني يا ديمتريوس فاني لم اترو في حكمي عليك
- انني عرفت هذا حق المعرفة يا سيدي لانني وقعت في الحيرة نفسها ساعات
عديدة بل اياماً مديدة لانه يتعذر على الانسان العاقل ان يصدق شيئاً لا يتصوره
العقل

قال مرسيوس : لنفرض ان له قوة الهية فماذا كان يمنعه لو تقدم من الامبراطور
طياربيوس وطالبه بالعرش

- هو لا يريد هذا الامر فلو كان يريده او يهيمه لطالب بعرش طياربيوس من
قبل لكنه يجب ان يتخذ له السلطة من طريق اخرى مبتدئاً من تجنيده الشعب
البسيط المملوء قلبه رحمة ومحبة لا الاغنياء الحبياء المتعطرسين الذين آهتهم بطونهم
- يه . يه . اتعني جماعة الصيادين البسطاء الذين لم يكن لاكثرهم
جسارة على ان يقتربوا منه حين محاكمته بل تركوه ساعة الموت وحده
اجاب ديمتريوس : نعم هذا حقيقي لانهم لم يعرفوا قبلاً انه يستطيع التغلب
على الموت

- ولكن قوة تغلبه على الموت لا تجعل حياتهم في مأمن اكثر من قبل
- نعم يا سيدي . ولكن تغلبه هذا لم يكن لذاته فقط بل لكل الذين
يؤمنون به حسب وعده السابق لهم

- هل يظن هؤلاء الصيادون انهم سيعيشون الى الابد ؟
 اجاب ديمتريوس : نعم سيعيشون معه الى الابد اذا آمنوا به ايماناً حقيقياً فاذ
 اعتبر الانسان نفسه انه اقوى من الموت فليس له ما يخاف منه
 - اذاً لماذا هم محتبئون ؟

- لان لديهم عملاً يقومون به فلا يخاطرون بحياتهم . وهو ان يخبروا قصة
 يسوع لكل من يستطيعون بسطها لهم مع علمهم انهم سيقتلون يوماً وانهم سيحيون
 في مكان آخر مع حبيبتهم يسوع
 - هل تصدق هذا الهذيان يا ديمتريوس ؟

اجاب ديمتريوس ليس بالامر السهل تصديق ما بسطته لك يا سيدي انما يجب ان
 لا يُستخف به . ألسنا محاطين بامور لا نستطيع ادراكها انظر الى تلك الزهور
 المكحلة رأس التلة . فهل بإمكاننا ان ندرك كيفية نموها وتلون اشكالها
 وحقيقتها ظاهرة للعيان . كذلك تلاميذ يسوع يؤمنون به انه سيحكم العالم
 نظراً الى ما تضمنت تعاليمه السامية من حض الناس على الاعمال الصالحة وتبذل
 الشرور والمخاصمات فكل من يؤمن به ويحفظ تعاليمه هذه له رجاء وطيد بانه
 يعيش الى الابد

لنضرب لك مثلاً الامبراطور طيباريوس الذي يحكم العالم بالقوة فان الوفاً من
 الناس يخسرون حياتهم بمرافقتهم له في هذا النوع الشاذ من الحكم . لما زحف
 جرمانيكوس على اوكتانيا وعد قواده ان يمنحهم اموالاً كثيرة وعبيداً اذا هم
 تبعوه واطاعوه مجازفين بحياتهم . فكان ان هلك كثيرون منهم ولم يقدر احد ان
 يُظهر جرأته ويقاومه

اما يسوع فانه وعد بالحياة الابدية كل من يتبعه ويطيعه في جهاده بفتح السلام
 للعالم كافة . لذلك تلاميذه يتبعونه ويطيعونه . وايمانهم به ليس هيناً كما انه ليس
 هذياناً .

وان هذا الايمان لا يُعتبر بمثابة صك لمقار يملكه الانسان بل هو كاحدى الآلات التي يبني فيها الانسان بيتاً له . وان قيمة تلك الآلة قائمة في استخدامه اياها فان هو القاهها جانباً ولم يشتغل بها فلا يكون لها قيمة ولا قدر

* * * *

كان وصول ديمتريوس الى مصنع بن يوسف بعد غياب الشمس . لان وصولهما مع القافلة التي اقلت حاجيات السفر والمنسوجات الجليلية الى الزل الذي تزل فيه مرسيلوس عند زيارته الاولى لاورشلیم استغرق وقتاً طويلاً . فبعد ان تم ديمتريوس كل حاجات سيده ورتب اغراضه توجه الى المصنع لعله يصادف فيه استفانوس فوجد الباب موصداً فقصده الى الباب الثاني وقرعه فلم يجبه احد وقد عجب من ذلك لان سارة الشيخة ما اعتادت ان تغادر ذلك المحل خصوصاً في وقت العشاء

ثم توجه نحو البيت القديم الذي كان يقطنه هو واستفانوس فوجد بابه مغلقاً ايضاً . فتابع طريقه نحو بيت شاب يدعى يوحنا مرقس كان يسكن فيه هو والدة وابنة عمه تسمى رودا فوجدها توصلد الباب وتناهب للذهاب حاملة بيدها سلة ملأته . فحيته بحرارة وقد لاحظ ديمتريوس انها اصبحت جميلة للغاية

فسألها : اين الجماعة ؟ بعد ان اخبرها انه وجد ابواب مساكنهم جميعها موصدة اجابته رودا بعد ان سلته السلة : اننا نتناول العشاء معاً فتعال وتعيش معنا .
- من يتعشى معاً ؟

- فانبأته ان سحمان أسس هذا المشروع منذ عدة اسابيع لاجل المسيحيين فان البعض يأتون بالطعام والجميع يشاركونهم

ثم سألها ديمتريوس : وكيف حال استفانوس ؟

اجابته تعال معي لكي ترى حاله

ثم حدث اليها نظره وقال : ان هاتين الوجنتين الحراوين تنبأني بأن قد حدث

امرهم في مدة غيالي فن صميم قلبي اهتشكماً . وعسى ان يكون لي متسع من الوقت لكي احوك لك غطاء لثاندتك

اجابته شاكرة ارجو ان يكون الغطاء صغيراً فوعدها انه في الصباح الآتي يقترض منوالاً ويبتديء بجياكته اذا كان سيده يعطيه فرصة كافية

ثم سألمها عن عدد الاشخاص الذين يتناولون طعام العشاء معاً اجابته : انه لياخذك العجب اذا عرفت انهم اكثر من ثلاثائة شخص لان كثيرين منهم باعوا املاكهم واتوا ليسكنوا هنا . وليس سوى مئة منهم يتناولون طعامهم في (الاكليزيا) المركز العام - هذه كلمة يونانية واكثركم يهود تتكلمون اللغة العبرية . فكيف تسمون مركزكم العام (اكليزيا) ؟

- اجابته : قال استفانوس انه اسم ملائم لاجتماع كهذا ومع ذلك كله فان ثلث المسيحيين هم يونان

- حسن ان نرى اليهود واليونان متعددين كأسرة كبيرة سعيدة - نعم انهم كأسرة كبيرة واكثر اعضائها غير اصحاب مروءة ولكن من دواعي الاسف ان بينهم من يزرع الفساد والشقاق

قال ديمتريوس : لا اظن ان هذا المشروع ينجح كثيراً اذا كان بينهم مخاصمات لان قادتهم يطلبون الصلاح والاصلاح والسلام

- هذا الذي قاله استفانوس وهو يائس اشد اليأس بحيث يعتقد ان هذا المشروع الذي يجعل المسيحيين يسكنون معاً انما هو خطأ محض حتى ان امل سمعان الذي كان يراه وطيداً في الاكليزيا ضعف وخاب . وقد كان منه ان ألقى عظة ليلة امس بعد العشاء وذكروا فيها بكلام يسوع الذي يحضُّنا على وجوب محبة بعضنا لبعض من حيث كلنا اولاد الله بصرف النظر عن اختلاف الاجناس

الما سمعان هذا فان الجميع يحبونه ويحترمونهم ويأتون بمرضاهم الى الطرقات التي
يمر فيها لكي يمسهم . وكذلك يقفون له امام النوافذ والابواب ليكملهم .
واليتك تعلم ايضاً مقدار محبتهم لاستفانوس فأظن انه سيكون قائدهم بلا شك
هذا حدث لسمعان امره .

وبعد ان قالت هذا مضت به الى غرفة كبيرة نورها خفيف وهي خالية من
الاثاث . وقد اصطف حول مائدتها الواسعة كثير من الرجال والنساء والاولاد .
فلما رآه استفانوس اقترب اليه وحياء تحية الصديق المخلص
ثم سأله استفانوس ما لي اراك ضعيفاً وما هذا الجرح الذي في يدك ؟ ارجو
لذلك لم تقابل احداً لانك تعلم ان المسيحيين لا يقاتلون ولما ابتسم ديمتريوس قال له :
تعال معي لان سمعان يريد ان يراك . وقاده بيده الى حيث كان سمعان منتظراً

* * * *

هذا وقد عاد كل من اليونانيين ورودا ووالدة مرقس وابنها الى بيته وظل
استفانوس وديمتريوس وحدهما فسأل الاول الثاني : هل اعجبتك الاكليزيا ؟
- انني لا اعرف شيئاً من امرها سوى ان الناس يأتون لياكلوا ويشربوا كما
تعرف انت

- ليس كل الحاضرين غيراً كسمعان فلو كانوا مثله لعدت سلطنتنا عظيمة في
وقت قصير لانه اراد في اول الامر ان يكون لديه اناس يضجون باوقاتهم للقيام
بهذا العمل . وقد جاهر قائلاً : ان كل من يمكنه ان يبيع املاكه وياتي بثمرها
الى (الاكليزيا) تؤمن له معيشته . ففي الحال انتشر الخبر في طول البلد وعرضها ان
الاسرة المسيحية تستطيع الحصول على معيشتها اذا التحقت بالاكليزيا وقد لبي الدعوة
كثيرون وسر سمعان سروراً لا يوصف اذ رأى بان ملكوت يسوع كان يزداد قوة
في كل يوم

وقد تقرر في تلك الليلة نفسها ان سمعان يبقى في اورشليم ليقوم بادارة الاكليزيا .
وان كلاً من يوحنا ويعقوب وفيلبس والفايوس ومثى يتوجهون الى يافا وقيصرية
وانطاكية ليؤسسوا مجامع للتبشير في تلك المدن
- وهكذا غت الاكليزيا . قال ديمتريوس

نعم ، اجاب استفانوس : غت في العدد فقط . فقد التحق بها أسر عديدة ليس
لها من الاعمال سوى الصلاة والترتيل والاكل والشرب اعني انها عائشة عيشة الخمول
والخنوع

- وجم يظن الذين يملكون عقارات وبييعونها ليأتوا بها الى الاكليزيا ؟
اجاب استفانوس : يظنون ان لهم سطوة على الآخرين - وفي اعتقادهم انك
كلما اتيت بدراهم اكثر الى الاكليزيا يصير لك الحق في فرض ارادتك . ثم ابتم
واستطرد قائلاً : وقد اتفق في هذا الصباح ان شاباً منهم خدع سمعان بشأن بيع
ملكه ولما وقف على خداعه غضب غضباً شديداً كان سبباً لموته في الحال
وهذا ليس كل شيء . لان هذا العشاء اصبح عند جماعة التجار واسطة فعالة
للتعريف الى اناس كثيرين بحيث تنمو تجارتهم ويتسع نطاقها
- وما هو العمل الذي تهدفون اليه الآن ؟

- لقد كان المسيحيون قبل ان تأسست الاكليزيا يجتمعون في حانوت بن يوسف
يقومون باشغالهم بامانة ويجرضون بعضهم بعضاً على العمل في سبيل يسوع . وكان
سمعان يخطب فيهم ليلاً بهذا الموضوع ويجتهد جهودهم . اما الآن فقد ابتدأ يرجو
من الشعب ان يضاعفوا عطاياهم . وقد لاحظت ذلك من موعظته التي سمعتها هذه
الليلة . وكأنه لم يكن هو نفسه الذي كان يضرم نار الحماسة والغيرة في قلوب الرجال
الذين كانوا يجتمعون ليجددوا معاهداتهم لاجل مسيحهم . ثم استطرد متأثراً : أمن
اجل هذا تألم يسوع على الصليب ومات وقام ؟

ولما حصلت مشاجرة منذ اسبوعين بين اليهود واليونان انتخب سمعان سبعة منا

ليراقبوا الطعام والكسوة . بيد انني اشعر يا ديمتريوس ان اعمال يسوع العظيمة القيمة صادرة عن عاطفة علوية سامية غير دنيوية

فسأله ديمتريوس : وماذا تنوي ان تعمل ؟

- قد قرّرت منذ هذه الليلة ان لا اذهب الى هناك

- هل بلغك ان القائد جوليان سيأمر الجند ان يهجموا على الاكليزيا كما افهمني سيدي ؟

- لو ان جوليان ينتظر قليلاً لكانت الاكليزيا تسقط من نفسها وتكفيه مؤونة التعب

سأل استفانوس ديمتريوس كيف شعور سيدك نحو يسوع بعد ان زار الجليل ؟

- اشعر انه متأثر للغاية ولا سيما بما يتعلق بقيامة يسوع على انه في الوقت نفسه يعتبره اعظم رجل غاش الى الان . ويروق سيدي ان يتحدث واياك عنه . وقد تأثر كثيراً لما طلبت اليه رؤية الرداء .

- أنظن انه يسمح لي برؤيته ثانية ؟

لقد كنت في الليلة التي سألت رؤيته فيها يائساً جداً ولكنني حينما لمستته شعرت بشيء في داخلي يصعب عليّ ايضاحه فقال له ديمتريوس دعنا نذهب الان الى التزل فانه يؤدّ ان يكلمك

- أمزمع انت ان تجربه عن الاكليزيا ؟

- لا بُدّ لي من ذلك . ان مرسيلوس يوشك ان يُصبح مسيحياً نظراً لشغفه

بقصة يسوع . ومتى اتخذ المسيحية ديناً له عندئذٍ يجب ان تتأكد انه اصبح شجاعاً لا يهاب شيئاً . غير انه يجب علينا في الوقت نفسه ان لا نعرضه لامور تشمئز منها نفسه . فاذا عرف ان بين الجماعة أناساً كسالى يميلون الى المخاضات فربما يرفض مرافقتهم اجاب استفانوس هذا كلام قاس يا صديقي

- لا يسرني ان اقول لك ذلك . ولكن لان سيدي وان كان قد ولد وثنيًا
غير انه مدقق كثيراً في انتقاء رفقائه

* * * *

وجد استفانوس وديتريوس مرسيلوس وحده مكباً على القراءة ولما التفت نحوهما
اظهر اهتمامه برأى احدهما استفانوس فاعتذر الآخر عن مجيئه باكرًا فقال له مرسيلوس
انني ارجب جداً في رؤيتك فاجلس واخبرني عن الاجتماع . ولا شك عندي انه
اجتماع حسن ومفيد

- هل توقفت في سفرك في الجليل ؟

اجابه مرسيلوس انها سفرة جميلة ولكنها جعلتني في حيرة . وكان يستوس
الصالح دليلي . وقد سمعت روايات غريبة يصعب علي تصديقها وتكذيبها في
وقت واحد

وقد اعجبني نشائيل برثلماوس كثيراً

قال ديتريوس اظن ان استفانوس يرغب في ان يرى الرءاء يا سيدي

قال مرسيلوس : بكل سرور . احضره الى هنا يا ديتريوس

وبعد بضع دقائق عاد ديتريوس بالرءاء ووضع بين يدي استفانوس فاخذ هذا
يلمسه بتؤدة . وارتجفت شفتاه

فقال له مرسيلوس اتريد ان تبقى وحدك قليلاً بينما اذهب انا وديتريوس
خارجاً ؟ فلم يسمع ولم يجب على السؤال بل جمع الرءاء بين يديه والتفت نحوهما
وقال : هذا رءاء سيدي يسوع الذي كان عليه حينما شفي الرضى . ولما خاطب
الجمهور وعندما ذهب الى مكان الصلب ليهوت فداء عني انا الخائنك الوضع وعنك
ايها القاضي المثير وعنك ايضاً ايها العبد

فاتكأ مرسيلوس على كرسيه ونظر الى استفانوس مأخوذاً لانه خرج عن تحفظه

وصرح بايمانه بكل حرارة واخلص

فاستطرد استفانوس قائلاً : انت انت يا مرسيلوس القاضي قتلت سيدي يسوع
فقال له ديمتريوس ارجو منك يا استفانوس ارجو منك
فدَّ مرسيلوس يده الى خادمه محذراً ثم التفت الى استفانوس وقال له : تمم ما
كنت تقوله يا استفانوس

فقال : وقد سالحك لانك لم تعلم ماذا كنت تعمل وانت حزين نادم على
عملك هذا . اما رؤساء الهيكل والولاية فانهم اهلكوه عالمين ما كانوا يعملون
ومع هذا ليسوا حزاني نظيرك . ثم وقف واقترب منه وهو وقف مثله ايضاً وقال
له انت ايها القاضي تقدر ان تصلح ما فعلته وقد غفر لك حينما كنت انا هناك وسمعت
بإذني عبارة غفرانه فما عليك الا ان تتخذه صديقاً لك وهو حي لانني شاهدته بأم
عيني

وبعد ان استرجع ديمتريوس الرداء منه عادا وجلسا في مكانيهما فقال استفانوس
ساحني يا سيدي على كلامي معك بحرية كهذه

— لا تأم نفسك يا استفانوس لانك لم تسيء اليّ قط

خفت بعد ذلك سكوت تام اخيراً نهض استفانوس وقال لقد وافى المساء
فيجب ان نذهب . فدَّ له مرسيلوس يده وخطبه قائلاً : لقد سزرت بمجيئك
فعسى ان اشاهدك مرة اخرى ثم التفت الى ديمتريوس وقال له وانت سارك هنا
صباح غد

* * * *

نام مرسيلوس نوماً ثقيلاً بسبب ما قاسى من شدة التعب في سفره نهراً على
الاقدام . غير انه قبل بزوغ الفجر بقليل استيقظ من نومه عقيب صراخ عظيم
واصدار اوامر مشددة ولطحات عنيفة . ولا غرابة بذلك فقد كان يحدث احياناً في

تزل كهذا ان يُجلبد عبد تعس مسكين بالسياط لاجل ذنب اقترفه فيسمع صراخه الشديد من بعيد . ولكن هذا الاجتماع البربري الذي تبين انه واقع في الدار السفلى جعل الانسان يشعر ان البناية كلها . سرح للوحوش البشرية

فنهض مرسيلوس من سريره وفتح نافذته وتطأ في الجموع المحتشدة تحت غرفته فعرف حالاً سبب هذا الصراخ . اذ شاهد اثني عشر جندياً مدججين بالسلاح الكامل بعضهم يجمع العبيد الى زاوية في الدار والبعض الآخر يطرد الذين في داخل التزل . فلم تكن تسمع سوى لطبات واحتجاجات ومشاجرات وشطبات تُلقى على الابواب . ثم رأيت شيخاً يسقط فاقتربت منه ابنة وحملته الى بيتها وهي تبكي .

اخيراً سمع وقع خطوات على السلم ثم فتح باب مرسيلوس وسمع صوت يسأله من انت ؟

اجاب مرسيلوس بكل رصانة وهدؤ اني من الجنسية الرومانية . غير انه يجدر بك عند دخولك غرفة قاضي روماني ان تظهر اخلاقاً كريّة

اجاب الجندي ليس عندنا اخلاق كريّة اليوم فاننا نفقش عن المسيحيين

- اصحيح ما تقول ؟ وهل يظن القائد جوليان ان هذا الشعب المسكين ذو

اهمية كبيرة حتى فوضكم بالقيام بهذه الجلبة عند بزوغ الفجر ؟

اجاب الجندي - نحن ما علينا الا الطاعة يا سيدي لان القائد جوليان لا يطلعنا على نياته مطلقاً . وبناءً على ذلك فاننا نتابع التفتيش الآن عن كل المسيحيين . وبما

انك انت غير مسيحي فارجو المَعذرة لانني ازعجتك . ثم ادار ظهره وسار في طريقه فناده مرسيلوس قائلاً : عُد اليّ قليلاً . ولما عاد اليه سأله : من انباك اني

غير مسيحي . ألا يمكن ان يصبح قاضٍ روماني مسيحياً ؟

اجابه الجندي : ليس الوقت وقت مزاح فاعذرني يا سيدي

ثم حيّاه برفع رمحهِ الى رأسه وتوارى عن العيان

ولما هدأت تلك الضجة وقف قائد المئة المديد القامة والجليل الصورة ودعا الى السكوت ثم اخرج مرسوماً وفَضَّهُ وقرأ ما يأتي بصوت متعجرف: لا يؤذن للمجدفين الذين يدعون انفسهم مسيحيين ان يجتمعوا بعد الآن ولا ان يذكر احد سراً او علانية اسم يسوع الجليلي الذي وُجد مجرماً وخائناً ومجذفاً ومعكراً صفو السلام في اورشليم . ويجب ان يُعتبر هذا الاعلان الاول والاخير . واذا خالف احد منهم هذه الاوامر فعقابه الموت لا محالة

ثم طوى القائد الرسالة واعطى امره فتبعه الجند . ولما رأى مرسيلوس ان الدار امست خالية من الناس اغلق نافذته وغنم قائلاً : واهاً لجوليان الشيخ الشجاع . ويا لها من امبراطورية رومانية باسلة

ثم ارتدى ثيابه وتزل من غرفته فلاقاه لاوي وقال له : ارجو ان لا تكون قد اتزعجت في هذا الصباح . أتريد ان أُعدَّ لك فطورك ؟ فإشار اليه مرسيلوس بالايحاب

فقال لاوي : الان نستريح قليلاً من هؤلاء المسيحيين . وقد اراد بقوله هذا ان يظهر لضيغه انه مخلص للولاية

فسأله مرسيلوس هل ازعجك هؤلاء المسيحيون ؟

- ألا يكفي ان الولاية غير راضية عنهم

- ليس هذا سوائى . انما اسألك هل يسرق هؤلاء المسيحيون او يكذبون او

يتعدون على احد . هل يسكرون ؟ اخبرني ما هي هوية هذا الشعب

- الحقيقة يا سيدي ليس لي ما اتدمر منهم . فانهم شعب هادى . امين محب

السلام ولكن الولاية اعلنت انهم مجذفون

- على من مجذف هذا الشعب ؟

- انهم لا يحترمون رؤساء الهيكل

- كيف يحترمونهم وهم لا يحترمون انفسهم

قال لاوي يجب ان يحترموا ديانة شعبنا
 فلم يُجب مرسيلوس على هذه الملاحظة بل خرج الى حيث كانت الفتاة التي
 قُتل والدها صباح ذلك النهار تبكي وهي تُعدّ له فطوره
 فسأله مرسيلوس : ما هي القرابة التي بين ذلك الشيخ وبينك ؟ فلم تجب بل
 اسرعت الى المطبخ لكي تأتي له بفطوره
 فلما اقترب لاوي من المائدة سأله مرسيلوس السؤال نفسه
 فاجابه لاوي على الفور انه والدها
 فقال له : كيف تدعها تخدم وقد قُتل والدها
 فهزّ لاوي كتفيه وقال : ماذا يهمني . هذا شغلها اليومي
 فقال له مرسيلوس : تدّعي انك دين يا لاوي ولا اراك تشعر البتة مع هذه
 الالينة الحزينة . تبّاً لك من وغد . قال هذا وترك فطوره واتجه نحو الباب
 فقال له لاوي : ارجو منك الصفح ياسيدي عمّا ازعجت خاطرك به وها اني
 مستعدّ ان اخدمك بذاتي
 فعاد مرسيلوس الى فطوره لكنه خشي ان يقتص لاوي بعدئذٍ من الابنة التي
 سببت له هذا التعب الجديد

* * * *

استيقظ ديمتريوس باكراً وقصد الذهاب الى الاكليزيا قبل التوجه الى الزل وقد
 حاول جهده بما امكنه من الهدوء ان يلبس ثيابه بدون ان يوقظ استفانوس الذي
 كان قد قضى ليلة مزعجة . غير ان استفانوس استيقظ مع كل تحفظ ديمتريوس من
 ازعاجه . عندئذٍ قال له هذا ساقابلك مساء اليوم هنا
 لا اجاب استفانوس لا ليس هنا بل في الاكليزيا
 - لقد قلت لي قبلاً انك لا تودّ الذهاب الى هناك فيما بعد

- ولكنتي لا استطيع ان اترك سمعان وحده لان سائر التلاميذ ذهبوا في مهمات الى بلدان متعددة

وبعد ان خرج ديمتريوس من البيت سار توطاً الى الاكليزيا راجياً ان يرى سمعان ويفضي اليه كلاماً سرياً . وكانت الحركة قد بدأت هناك لان النساء كنَّ يهيننَّ الاطعمة والرجال يعدّون الموائد لتناول فطور الصباح . وقد سأل حين وصوله عن سمعان فقيل له انه واقف بقرب نافذة يقرأ درجاً عثيقاً . واذا نظرت الى سمعان فانك ترى العظمة متجسمة في شخصه الكبير . فضلاً عمّا له من قوة فائقة وهيئة جذابة ولهذا كان قائداً حقيقياً . وقد حقّ للشعب ان يرغب اليه في وضع يده على مرضاهم حين مروره .

فاقترب منه ديمتريوس وانتظر ريثما يكتمل قراءة الدرج ولما وقع نظر سمعان عليه اشار اليه بالدنو منه اكثر من ذلك فدنا حالاً وخاطبه قائلاً : ان سيدي موسيولوس غاليليو يُحبّ كثيراً الاجتماع بك في الوقت الذي يُتاح لك فسأله سمعان قائلاً : أليس هو الذي ذهب الى الجليل مع يستوس للبحث عن نسيج ما ؟

اجاب ديمتريوس نعم وقد عاد بكميات كبيرة منه

- ان سيدي قد اهتم كثيراً بشأن سيرة يسوع

- كانت هذه غايته قبل ان يتوجه الى هناك أليس كذلك ؟

- نعم يا سيدي هذا كان قصده الخاص ويهجه ان يواصل البحث عن الجليلي في

اي مكان كان . أتريد ان اخبره انك تستطيع الاجتماع به سرّاً

- نعم استطيع ذلك بعد ظهر الغد بقليل بحيث يجديني قرب الحقل الذي تُلقى

فيه اقدار المدينة في الجهة الشمالية من المكان الذي يسمّى (الجليشة) وهناك فقاق يؤدي من الحقل الى تلة عالية

قال ديمتريوس انني اعرف المكان يا سيدي

— اذاً دلّه عليه دلالة كافية لكي ياتي اليّ وحده . وبعد ان قال هذا دنا من المائدة فوقف الجميع حالاً فتلا بصوت جهير ما ياتي :

« الشعب السالك في الظلمة ابصر نوراً عظيماً والجب السون في ظلاله الموت اشرق عليهم نور . لانه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً وتكون الرئاسة على كتفه »

وما ان اكل هذه العبارة حتى فُتح الباب ودخلت فرقة من الجنود يتقدمهم قائد مئة فارتعدت فرائض الحاضرين ولاصقوا جدران المكان وغدت وجوههم صفراء كالاموات . اما ديمتريوس فانه ظلّ واقفاً تجاه النافذة ينظر الى ما يجري . ثم امر القائد بصوت عالٍ ان يلازم الجنود مكانهم وتقدم هو نحو سمعان ونظر اليه مكشراً . وكان كل واحد منهما مساوياً للآخر في طول القامة

فسأله القائد أ انت الرجل عينه الذي يدعونه الصياد ؟ فاجابه بحساسة نعم انا هو . غير اني احب ان اسألك : ما معنى حضورك الى هنا وتفريقك بين جماعة وادعة مسالمة . هل اقدر احدٌ منا ذنباً يا ترى ؟ فاذا كان ذلك فليجأكم

اجاب قائد المئة اذا كنت تؤد ان تُحاكم بدعوى التجديف وبخيانة فالوالي مستعد ان يسمع اعتراضك . قال هذا وامر الجند ان يسوقه الى الوالي فالتفت سمعان الى ورائه وخاطب شعبه البائس قائلاً : لا تخافوا ولا تقاوموا ساعد اليكم

— قال له القائد : ولكنك ان تعود اليهم . ثم اصدر امره بسوقه في الحال . فاقترب منه جنديان قويان وامسكاه بيديه وسارا به نحو الباب . فسارت جماعته نحو المجهور الذي كان خارجاً يراقب ما يجري فاذا بالقائد يأمر الجمع بالسكوت وقرأ نص القرار الآتي :

« ان الوالي يمنع المجذفين الذين يدعون انفسهم مسيحيين ألا يجتمعوا هنا فيما بعد . ويجب ان يخلى المكان حالاً واذا وُجد احد فيه فجزاؤه السجن لا محالة . وكذلك من يذكر اسم يسوع ذلك الخائن المجذف » . ولما رأى الجمع في حالة الاضطراب صاح فيهم قائلاً : اذهبوا حالاً الى بيوتكم ولا تتوقعوا ان تشاهدوا صيادكم يرجع اليكم كما وعدكم

اما ديمتريوس فعاد بمجذر الى تزل سيده فقال له لاوي : ليس سيدك هنا . فاستأذن وصعد السلم ليعرف اذا كان سيده ترك له في غرفته اشارة ما تنبئه بمحل اقامته . فشاهد الابنة ترتب الغرفة ولما سأها عن سيده اجابته : انها لا تعلم شيئاً من امره . غير انها اعلمته بكل ما حدث في هذا الصباح من الامور المزعجة . فوقف بازاء النافذة يفكر في شأن سيده وشعوره . ثم حانت منه التفاتة الى حيث كانت الابنة فراها تنظر اليه . عندئذ دنت منه وسألته . هل انت واحد منا فاجابها ديمتريوس بالايحاب

- ارى من الموافق لك ألا تخرج اليوم الى السوق بل تبقى في المطبخ فاتزل حالاً اليه

- هذا رأي يوافقني كل الموافقة لانني جائع . على انه بعد تناوله فطوره سار الى دار الولاية وانتظر سيده ريثما يخرج من هناك لانه اعتقد انه ذهب ليكلم جوليان بشأن المسيحيين

* * * *

بعد ان اكمل مرسيوس فطوره الذي قدمه له لاوي على رغبه اخذ يشك في مصير حالة ديمتريوس الذي كان يتوقع مجيئه باكرأ . وقد خشي من ان يكون وقع في ضيقة ما . فعزم على التوجه الى محل اقامة استفانوس لكي يستعلم عنه . ولما كان يجمل ذلك المكان رأى ان يذهب توأ الى مصنع بن يوسف حيث يجد من

يدلّاه عليه . ثم ناجى نفسه قائلاً : لا شك ان المصنع يكون مقفلاً لان رجال
الولاية عرفوا ان تلاميذ يسوع يعقدون جلساتهم فيه . واذا كان قد قبض على
ديتريوس في استطاعتي ان اطلق سبيله بعد ان تهدأ الاحوال

ثم خرج الى السوق وفيها هو سائر شاهد جمهوراً مجتمعاً بالقرب من مصنع بن
يوسف المذكور فرأى ان يُسرّع في السير ليشهد ما يجري ولما وصل الى هنالك وجد
صفاً من الجند واقفاً ومدججاً بالسلاح استعداداً للطوارئ .

وكان استفانوس في وسط الجمهور وهو مكشوف الرأس ولايس ثياب الشغل
العادية وان الشعب اخرجته من محل شغله في ذلك الحين لكي يطرحوا عليه بعض
اسئلة وهم واجمون ينتظرون ان يسموا من فيه ما يجيبهم عليها لكي يحتجوا عليه
واذ كان مرسيلوس اطول الحاضرين قاماً تمكّن من تمييز كل فرد منهم . فوجد
ان اكثرهم من التجار المعروفين وبينهم عدد قليل من الكهنة
لم يكن استفانوس يتأق في كلامه شأن الخطباء بل كان واقفاً بشجاعة في
الدائرة التي احاطوه بها بغير خوف ولا رهبة يسترعي سمعهم لكي يعوا ما سيقوله
لهم في خطابه

وكان جُلّ الخطاب موجهاً الى قادة اورشليم الذين حسب قوله لم يشاؤوا ان
يعترفوا بالدواء الذي يشفي مصائب المدينة

فقال بجسارة : قد اعتبرتم انفسكم انكم الشعب المختار وقد احتمل
اسلافكم الذل من عبودية الى اخرى منتظرين مجي . مخلص ولم تصفوا الى مرشديكم
الذين كانوا يأتونكم بكلام الحكمة . وكم من قواد عظام قاموا من بين
شعبكم فكنتم تقاومونهم وتشتمونهم انتم انفسكم وليس فقراءكم . قولوا لي
من من الانبياء لم يضطهده اباؤكم وقد اصبحتم انتم مثلهم مسلمي وقائلي
القدس البار

واذ ذاك علا صوت من بين الجمع يقول : ايها المجدف

لم يعر استفانوس هذه العبارة اهتمامه بل تابع كلامه وهو يشير بيده اليهم .
 انتم الذين تدعون انكم اخذتم ناموسكم عن يد الملائكة . كيف حفظتموه ؟
 ولما تلفظ بهذه الجملة رماه احدهم بحجر فاصاب وجهه وما كاد يرفع يده ليمسح دمه
 حتى اصابه حجر ثانٍ في كوعه . فارتفع عندئذ صراخ الجمهور وظن مرسيلوس
 انهم يعارضون على هذه المعاملة غير الشرعية ولكن كان صراخهم اعتراضاً على
 خطابه . ثم اصابه حجر ثالث في وجهه ايضاً عندئذ خاف الجنود على انفسهم من
 ان يصابوا باذى فتحصنوا بالجدار والسياج . اما استفانوس فغطى رأسه بيديه
 وابتعد قليلاً عن الجمع الهائج ولكن رجم الحجارة ظل مستمرّاً

اخيراً اصدر القائد امره فاقبلت الجنود واعتمدت على ضرب في تلك الجماهير
 شمالاً ويميناً واحاطت بالدائرة ولكن الحجارة استمرت تساقط بسرعة زائدة .
 وقد استدرك مرسيلوس ان الذين كانوا يلقون الحجارة كانوا خبيريّن في القاها
 مدفوعين من ذوي السلطة والنفوذ

ولما سقط استفانوس على ركبتيه وذراعيه صرخ الجمهور صراخ الانتقام
 فكان من صياحهم ان اتفق على رجمه كثيرون من الشبان ليظهروا استعدادهم في
 الاشتراك بالجريمة . وقد امسى استفانوس بعد ذلك كتلة من اللحم والعظام
 المزوجة بالدم . ولقد كاد يتفطر قلب مرسيلوس عليه حزناً وأسفاً غير انه لم
 يستطع ان يفعل شيئاً فلو كان القائد جوليان في دار الولاية لكان طلب مساعدته

ثم بدا امامه فجأة شاب قصير القامة حاملاً كتبه وعلى راسه طاوية ذات شراية
 مما دل على كونه تلميذاً فكان يسره ان يرى الحجارة تلقى على جثة استفانوس .
 وقد عجب مرسيلوس كيف ان تلميذاً متفقاً يتهلل وجهه من هذا الفعل المنكر
 ثم اقبل رجل بدين الجسم خلع ردائه ودفعه الى الشاب المشار اليه . ثم وقد
 غيره من رجال السلطة والنفوذ واعطاه ايضاً ردائه فتحمسا معاً واخذوا يرشقان تلك
 الجثة حجراً بعد آخر بدون ان يعالما ان الضرب بالميت حرام .

حينئذٍ اقترب مرسيلوس من الفتى القصير القامة وسأله : أتقدر ان تقول لي
بماذا اساء اليك انت ؟

فاجابه بوقاحة هو خائن ومجذف . وكان هذا الفتى خبيثاً لكنه لم يكن احمق
وكانت هيئته معروفة لا تنسى

- كيف تقارن بين التجديف والقتل ؟ وبما انك تلميذ مثقف فيجب عليك ان
تعرف ذلك

- تعال غداً الى المدرسة الربانية فاني مستعد ان أبين لك ما ينطوي عليه
سؤالك . ومتى وصلت اليها اسأل عن شاول الطرسوسي فيدلوك . ثم صرّح بمجنونيته
مفتخراً اني روماني مثلك يا سيدي

ثم تفرّق قسمٌ من الجمع وبقي مرسيلوس ينظر مجزناً الى تلك الجلثة الهامدة
المطروحة على الارض فراها تتحرك ثم نهضت عن الارض مستندة الى مرفق واحد
من مرفقيها . وما ان نهض استفانوس حتى حدث سكرت عظيم . ثم تطّلع الى
العلاء بوجهه الملطخ بالدم وعلى شفثيه ابتسامة الغبطة والارتياح . واخيراً رفع يده
كأنه يمسك بها يد صديق له وصرخ صرخة المنتصر : ها اني اراه امام عيني :
خذني اليك يا يسرع ربي . ثم اغمض عينيه وهوى الى الارض بين الحجارة

فلما شاهد الجمع ما شاهدوا اخذتهم دهشة عظيمة وتفرّقوا مسرعين الى منازلهم
ولم يبق منهم احد سوى مرسيلوس الذي كان يسمع باذنه نبضات قلبه . وقد جف
فيه ، بيد انه شعر بهزة مسرة غريبة اسالت دموعه وارجفت شفثيه وطبعت عليهما
ابتسامة حلوة . فالتفت الى عيني الجندي الطويل الواقف بقربه فقال له هذا : لم
اشهد في حياتي امراً غريباً كهذا . فاذني احلف عيماً معظمة انه مات لكنني اخال
انه شاهد بمخيلته انساناً آتياً ليخلصه

نعم صرخ مرسيلوس فرحاً انه رأى شخصاً آتياً ليخلصه

- ربما ذلك الجليلي المائت

— ان الجليلي ليس ميتاً يا صديقي بل هو حي ككل منا

عندئذ اخذ التأثير من مرسيلوس كل مأخذ فقد غادر استفانوس جميع محبيه واصدقائه ولم يحضر احد منهم ان يس جثته . فجثا على ركبة واحدة امامه ورفع شعر رأسه عن محياه فوجده ما يزال مبتسماً

وبعد ربح من الوقت خرج بن يوسف من مصنعه وكانت عيناه محمرتين ومتفخختين من البكاء . فإشار اليه مرسيلوس بالدنو اليه فتقدم نحوه محياً ونظر الى هيئة وجهه الرصينة دون ان يعرفه وقال له : لقد كانت ميتته غنيمة مؤلة

اجاب مرسيلوس ان استفانوس لم يمت ولكنه ذهب الى يسوع

— ارجو منك يا سيدي ألا تهزأ بآيائنا . كان هذا اليوم علينا نحن المؤمنين

يسوع من اتمس الايام واشجاها

— كيف ذلك ألم يعدكم بقوله ان الذي يؤمن به لن يموت ابداً ؟

اجاب بن يوسف : بلى ولكنك انت لا تؤمن يا سيدي

فنهض مرسيلوس ووضع يده على ذراع الشيخ الضعيف وقال له : ربما يسوع لا يأتي من اجلي او من اجلك ولكنه جاء من اجل استفانوس فما عليك الان الا ان ترسل الي شابا لكي يساعدني على حمل جثثانه ووضعه في محلك

ولما وصلا بالجثمان الى المحل هرع الناس زرافات ووحداً لكي يشاهدوه واخذوا ينظرون اليه والدموع تنساقط من عيونهم وقلوبهم ما تزال هالعة مضطربة اما رودا فكان حزنها شديداً وقد عزَّ عليها الغزاء . ثم التفت مرسيلوس فراهى ديتريوس وافقاً باذائه . فامر ان يبقى هناك ليقوم بمساعدتهم

اخيراً اخذ مرسيلوس بن يوسف بيده الى زاوية من مصنعه وقال له : انني لا استطيع ان اعمل شيئاً هنا . وفي الحال اخرج من جيبه مبلغاً من النقود الذهبية ودفعها اليه وقال : لي حاجة واحدة ارجو منك قضاءها وهي : ان تبلغ يستوس

حينما ياتي الى اورشليم انني رايت استفانوس يدخل الى ملكوت يسوع واتي مقتنع
كل الاقتناع ان كل ما قاله لي بشأن يسوع كان حقيقياً لا ريب فيه

* * * *

واذ كان سمعان قاعداً على مقعد خشبي في حجرة السجن ليلاً ومكبلاً بالقيود
نُحِلَ اليه ان النهار طويل لا نهاية له . وكانوا قد احضروا له عند الظهر رغيفاً من
الخبز المعقن وابريقاً من الماء فلم تكن له قابلية للاكل والشرب لان قلبه كان
حزيناً

وبعد سجنه بساعة سمع اصواتاً مختلفة من الحجرات المجاورة له تسأله عن اسمه
واسباب جرمه والوقت المعين لاهلاكه . وكانوا يتكلمون بكلام قبيح بشأن
موعد اعدامهم وقد نسبوا سكوته الى الخوف والجبن ولما لم يجهم كفوا عن اهانتهم
اما المقعد المذكور الذي كان قاعداً عليه فكان اوسع من الكرسي بحيث جعل
للعمامة ايضاً لكن سمعان لم يستطع ان يضطجع عليه لضخامة جسمه . وكان كلما
أراد ان يسند ظهره الى الجدار يشعر برطوبة زائدة لان ارض الحجرة كانت كلها
رطبة والجدران تسرح وتمرح فيها ليلاً ونهاراً . وتكاد قيوده تمزق معصيه حتى
امسى في حالة سيئة يصعب على المرء احتمالها

فلو ان سمعان ترك خلفه المشروع المنوط به متمماً اكان بإمكانه ان يحتمل
بسهولة هذه المتاعب ولا سيما كلمة الاعداء الهائلة غير انه اخطأ في تأسيسه الاكثرياً
بسرعة كهذه قبل الاوان فكان عليه ان يتركها بدون معارضة تنمو مهدوءة كالحية
في العجين حسب قول يسوع ولكنه كان عجولاً عادم الصبر

واخذ يخاطب نفسه قائلاً: ماذا يحدث لعمل يسوع والجميع قد تشتتوا واختبأوا .
من ياترى يكون قائدهم؟ أفيلبس؟ لا . انه كان شاباً قوياً ومخلصاً ولكنه لم
يكن جسوراً . أيوحنا؟ لا . أيعقوب؟ لا . وهذان كان لهما ملء الارادة ولكن

ليس لهما صوت يرتفع . اما استفانوس فيستطيع ان يتقلد القيادة غير انه ليس هنا في اورشليم فضلاً عن انه يوناني واليهود يطلبون رجلاً اسرائيلياً
فماذا سمح السيد بهذا الامر الفظيع الهائل ؟ هل غيّر تدييره في ملاحقة عمله ؟ وهل اضاع ثقته في القائد الذي اختاره ؟ وقد تذكّر سمعان ذلك اليوم الذي قال له فيه يسوع : سادعوك يا سمعان من الآن فصاعداً بطرس الصخرة . وعلى هذه الصخرة سأبني عملي . فكان منه ان اغمض عينيه عندما قارن بين ساعة السرور تلك والفشل الحالي هذا

ولما اقبل المساء جاء احد الحراس بمصباحه وفتح ابواب الحجرات وتبعه آخر باحضار الطعام والماء . ولما شاهدا سمعان انه لم ياكل عادا من حيث اتيا . اخيراً شعر سمعان بنعاس فنام ملقياً كتفيه ورأسه على الحائط . ولم يمض الا القليل من الوقت حتى حام حلاً غريباً . ولكن لا يمكن ان يكون نومه حقيقياً لانه رأى نفسه مستيقظاً وقد شاهد السلاسل التي كان مكبلاً بها ملقاة على المقعد وانه رفع رجله فلم يشعر بادنى ضغط او ثقل . وانه كذلك جلس واصغى فلم يسمع الا غطيط لمسجونين ورأى كل شيء هادئاً . ولم يكن ليحلم مثل ذلك من قبل

وانه ايضاً نهض ومدّ ذراعيه الطويلتين وخطا خطوتين او ثلاث نحو باب الحجرة ثم احتذى حذاءه واخذ يشي في ارضها فلم يُسمع لمشيته صوت وتقدم نحو الباب الثقيل ولمسه فاذا به قد فُتح من نفسه ثم لمسه ثانية لئلا ياكّد ذلك فوجده مفتوحاً ولم يكذب بخطو خطوة بعد اخرى الى الخارج حتى استيقظ قليلاً واحسّ ان قلبه وعروق عنقه تنبض بسرعة زائدة ولكنه عرف انه ما يزال نائماً على المقعد

ثم لمس الحائط الرطب ومشى متحذراً بحيث لا يُسمع لمشيته صوت ولما وصل الى آخر الممرّ لمح ضوءاً خفيفاً من خصاص الباب وما كاد يقترب منه حتى فُتح من نفسه . ثم مشى بضع خطوات فشاهد حارسين قاعدين على الارض وكانا نائمين

واسلحتهما فوق ركبتيهما . فتقدم نحو الرتاج وتوقع ان يُفتح من نفسه غير انه ظل مغلقاً بهذا عرف ان منامه قد انتهى . ولكن حانت منه التفاتة الى الباب الصغير الذي ضمن الرتاج فرآه مفتوحاً فخرج منه في الحال واغلقه بهدوء . واذا ذاك رأى نفسه في الشارع فسار مسرعاً الى ان عثر في طريقه بججر عندئذ افاق من نومه تماماً وعلم علم اليقين ان ذلك كله لم يكن حلماً فرفع عينيه نحو السماء وفرح أشد الفرح لخلاصه من ذلك السجن وشكر الله على ذلك

اخيراً اسرع الى مصنع بن يوسف فألفاه مظهماً فخرج منه على مسكن يوحنا مرقس وقرع رتاجه وبعد هنيهة فُتح الباب الصغير الذي ضمنه فشاهد الابنة رودا وما كادت تراه حتى ارتعدت فرائصها من الخوف وهربت صارخة تقول : هذا سمعان خرج من القبر

ثم عادت الى الرتاج وفتحته له وكانت عيناها منتفختين من البكاء ولكن وجهها كان مضيئاً فاحاطته بذراعيها وقالت له : قد جاء بك يسوع من القبر . فهل رايت استفانوس هناك ؟

- أمات استفانوس يا رودا ؟ فلما سمعت منه هذا السؤال سقطت عند قدميه

مغمومة كاسفة البال فانفضها وعهد الى والدته مرقس بالاهتمام بها

فقال له مرقس سمعنا انهم قتلوك فاجاب سمعان : انني قد أنقذت من السجن ثم دخلوا ذلك المسكن حيث كان عدد عديد من المسيحيين مجتمعين فيه . فلما رأوه دُهِشوا لانهم ظنوه مائتاً . وكان سمعان قد حصل على قدرة وعظمة جديرتين . واذا رفع يديه بهدوء حنا الجميع رؤوسهم فقال بطرس الصخرة : لنصل « مبارك الله الذي احيا امالنا وخفف بعنايته اثقالنا وما علينا الا ان نفرح ونغتبط لان تجربة ايماننا التي هي اثن من الذهب تجعلنا مستحقين الكرامة عند رجوع ربنا »

بعد ما مشى ديمتريوس ذهاباً وإياباً بجوار دار الولاية نحو ساعة او اكثر عيلاً صبره من الانتظار وقد اخطأ ظنه بان مرسيلوس يمكنه ان يزور جوليان ويفاوضه بشأن المسيحيين المضطهدين .

لذلك غادر مكانه وتوجه الى مصنع بن يوسف وقد صادف في طريقه بعضاً من الجند فتحوّل منها الى طريق اخرى . ولما انتهى الى المصنع المذكور وجد فيه زهاء عشرين نفساً مجتمعين حول جثة رجل ميت . فاخذ الدهش منه كل مأخذ حين شاهد سيده مرسيلوس واقفاً في وسطهم . فجز طريقاً له من بينهم الى ان وصل الى سيده . وشاهد ايضاً الابنة رودا جاثية بالقرب من الجثة تنوح وتتنحب وبما زاد دهشة وذهوله انه رأى استفانوس الذي كان يكلمه منذ بضعة ساعات جثة هامدة

فنهض مرسيلوس نحوه وقال له ساعدكم يا ديمتريوس في امر دفنه . فان بقايتي هنا يزعجهم لانهم يشكون بي فما اني ذاهب الى التزل - فسأله ديمتريوس : هل كنت هناك حين حدث ذلك ؟

فاقترب منه مرسيلوس وقال له : نعم كنت هناك وقد رايت اكثر مما يبدو هنا وسأطلعك على كل ما جرى لدى اجتماعنا معاً

فبعد ان دفنوا استفانوس ولم يعارضهم احد في قضاء ذلك الواجب . عاد ديمتريوس الى البيت فألحت عليه والدته مرقس ورودا ان يبقى عندهما لتناول العشاء فلبى دعوتهم . وبعد القيام عن المائدة بوقت قصير ابتدأ المسيحيون يفدون افراداً وجماعات حتى غصّ ذلك المنزل بهم ثم اخذوا يتحدثون همساً عن الرؤيا التي ظهرت لاستفانوس قبل مماته . ولم يؤكّد ذلك احد سوى رودا

وعلاوة على شدة دهشتهم وصل بطرس الذي ازداد في نظرهم همة عالية ومكانة مهمّة حتى راوه قد ازداد طول قامته وبالكاد اعلمهم كيف انه خرج من السجن . وحاولوا ايضاً ان يسألوه عدة اسئلة ولكنهم خجلوا فالتفت اليهم

وقال : يجب ان تدعوني من الان فصاعداً ببطرس

ثم التفت ديمتريوس الى يوحنا مرقس وأشار عليه ان يُبقي بطرس عندهم وانه هو اعزم على التوجه الى النزل . وسار في الحال الى المكان المقصود فوصل اليه عند منتصف الليل وقرع باب غرفة مرسيلوس ولما دخل عليه وجده مكباً على القراءة فاخذ في الحديث همساً حتى لاح الصباح . ولم يبقَ بعدئذٍ من نسبة بين الخادم والمخدوم وكان موضوع حديثهما عن ماجريات حوادث النهار التي تحار بها العقول وبعد فراغهما من التحدث عن رجم استفانوس بالحجارة قال له مرسيلوس واثاً ايضاً مسيحي وقد ظهر لديمتريوس ان سيده فاه بهذه العبارة بكل عظمة وافتخار اكثر من افتخاره حين يقول انا روماني

وبعد الظهر اوصله ديمتريوس الى الحقل الذي كان يُدعى الجلجثة . وقد شاهدا على البعد منه رابية تكسوها الاعشاب الخضراء . فسأله ديمتريوس أتذكر المكان يا سيدي ؟

اجابه مرسيلوس اذ كره بالجهد الكلي ولولاك ما اهتمت اليه فان هويته باقية في مخيلتك

- نعم لانني جئت متأخراً وشاهدت من هنا الصليبان وجمهور الحاضرين

- وماذا كنت اعمل انا حين وصلت الى هنا ؟

- كنت انت وسائر الضباط تلعبون بالنرد

- من اجل الرداء ؟

- نعم يا سيدي

قال مرسيلوس انني لم اشاهد فعل الصلب لان بواس تولاه وقد كنت براحة لعدم مشاهدي ذلك لانني ذهبت الى الجانب الآخر من التلة تباً لها من ذكرى مؤلمة

وبعد ان اراه ديمتريوس الطريق المؤدية الى التلة قال له مرسيلوس انني ذاهب

الى النزل وارجو ان سمعان بطرس لا ينسى وعده

— اظن انه ياتي واذا اتى اليوم فيكون في مأمن مضمون اكثر من كل وقت لان ارباب الولاية ورؤساء الهيكل حاولوا ان يقنعوا عامة الشعب بقولهم ان المسيحيين ليس لديهم حجة قانونية تثبت اعتقادهم . ولما كانوا قد قبضوا على قائدهم وتوقعوا ان يجملوه عبرة للاخرين حبط سعيهم وخاب ظنهم واصابهم الذهول لا سيما حين بلغهم تخلصه من السجن . ولا يريد جوليان ولا هيرودس ان يستفهما عن كيفية ذلك احدث فعليه استقرار رأيهما على عدم الاهتمام بشأنه وهذا الامر يناسب الفريقين لذلك ينبغي لي الان ان انتظر حضور سمعان بطرس

* * * *

اما سمعان بطرس فلم ينس وعده فقد رآه مرسيولوس مقبلاً نحو التلة المكسوة بالاعشاب وما ان وصل اليها حتى عادت الى حافظته ذكرى تلك الحادثة الاليمة التي جرت فيها . فتقدم مرسيولوس للملاقاة وبعد التحية قعدا على العشب بجوار الحفر التي كانت الصليبان موضوعة فيها ولم ينبسا ببنت شفة اولاً

وبعد هنيئة نظر بطرس الى مرسيولوس بعينين حزينتين وقال له : اني لم اكن في ذلك النهار لكي اقف بقربه في ساعة آلامه ثم تنهد متأثراً وقال : انبأني عبدك اليوناني انه يلد لك سماع قصة يسوع وفهمت من الغير ايضاً انك ساعدت مساعدة اخوية لما مات امس استقائوس عزيزنا الشجاع . وكذلك سمعتك بن يوسف تعترف بالايان المسيحي . أصبح كل هذا يا مرسيولوس غاليو ؟

— انني اعتقد تمام الاعتقاد يا سيدي ان يسوع اله وأؤمن انه حي غير اني بحاجة ماسة الى ان افقه تعاليمه السامية

— قد تقدمت في ايمانك كثيراً يا صديقي وسلوكك كروماني مطابق لتعاليم يسوع . واذا كنت تريد ان تزداد تقدماً في معرفة نعمته فعليك ان تتوب عن

خطاياك السالفة . ولا يمكنني ان ادفعك الى التوبة ما لم تعرف الخطيئة التي ارتكبتها انا . لان خطاياك مهما كانت كثيرة فليست شيئاً بالقياس الى عدم الاخلاص الذي بدا مني ومع هذا فقد غفر ذنبي هذا الذي اقترفته نحوه . وقد كان من اعز اصدقائي وفي اليوم الذي احتاجني به حلفت انني لم اعرفه قط . ثم غطى وجهه وحنأ راسه . وبعد هنيئة نظر الى مرسيلوس وسأله

- هل لك ان تخبرني الان كم من الامور تعرف عن يسوع ؟
لم يجاب مرسيلوس حالاً ولما جابه لم يكده صوته يُسمع الا بصعوبة ولكنه سمع ذاته يقول كأن شخصاً آخر كان يتكلم « انا صلبته »

* * * *

ولما مالت الشمس الى المغيب نهضا كلاهما لكي يتوجَّها الى المدينة وكان مرسيلوس سمع في هاتين الساعتين قصة لم يكن مستعداً في اول الامر لاستماعها اما الان فقد فهمها حق الفهم .

ثم قال بطرس ان العمل في المستقبل يهجمه جداً وقد وُطن نفسه على التهيؤ للسفر الى قيصرية ويافا ليقوم بهمة التبشير باسم يسوع وتعاليمه
- وماذا تريد ان تعمل انت يا مرسيلوس ؟

اجابه مرسيلوس : اذهب الى البيت

- لتقدم تقريرك الى الامبراطور أليس كذلك ؟

- بلى يا سيدي

ثم وضع بطرس يده الضخمة على ركة مرسيلوس : كم خبراً عن يسوع ستقص عليه ؟

- سأخبر الامبراطور خبراً عظيماً يعني عن سائر الاخبار السالفة وهو ان يسوع الذي اعتقدنا انه مات بالامس عاد اليوم الى الحياة وهو مقيم بيننا هنا لكي يؤسس

مملكة جديدة

- ان هذا القول الصريح يتطلب بمالة عظيمة وليس ببعيد ان يقاصك قصاصاً
عنيفاً على جرأتك هذه لان الامبراطور لا يريد ان يسمع من احد ان الجليلي هو
هنا ليؤسس ملكوتاً جديداً

- ليجر ما يجري فاكون قد نطقت بالصدق

- فاذا سألك : كيف تعرف ان يسوع حي فجاذا تجيبه ؟

- اجاب مرسيلوس : ساخبره عن موت استفانوس والرؤيا التي رآها لانني
متأكد انه راي يسوع

- ان الامبراطور طيباريوس لا يكتفي بهذا البرهان

ثم نهض وقال دعنا نذهب الآن الى المدينة حيث قصد بطرس الى بيت يوحنا
مرقس ومرسيلوس الى توله

ولما اقتربا من الهيكل رأيا في الدرجة السفلى من سلمه مقعداً يستعطي واذا
وقع نظره على بطرس مَدَّ يده طالباً اليه صدقة . فسأله بطرس كم لك من الزمن
وانت في هذه الحالة

اجابه الولد الكسيسح منذ ولادتي يا سيدي . ارجو ان تعطيني صدقة
اكراماً لله

اجابه بطرس ليس لي دراهم لاعطيك ولكن الذي لي اعطيك اياه . باسم
يسوع الناصري قم وامش ومد له كلاً يديه وانفضه فوقف ذلك المقعد وطفق
يضحك ويصيح من الفرح . ثم احتذى حذاءه ومشى على قدميه سليماً معافى واذا
ذاك اجتمع حوله جمهور من كبار الناس وصغارهم واخذوا يلقون عليه اسئلة شتى .
فكان يجيب كلاً منهم على سؤاله بصوت عال يقرب من الصراخ

اما بطرس فانه امسك بيد مرسيلوس وسارا متنجسين عن الجمع المُنْدَهش

ولما تمكن مرسيلوس من التكلم سأل بطرس ولكن كيف فعلت هذا ؟

اجابه بطرس بقوة روح يسوع
- ولكن هذا غير ممكن . ان الفتى وُلد كسيحاً ولم يش خطوة واحدة
في حياته

- ولكنه سيمشي الان
فرجاه مرسيلوس ان يجيبه على سؤاله قائلاً : هل عرفت انه عندك تلك القوة ؟
او هل فعلت شيئاً كهذا قبلاً
اجابه بطرس : ليس كهذه . ولكنني اشعر بحضوره امامي اكثر فاكثر هو
ساكن في ... ان هذه القوة ليست لي بل له ... انها روحه
قال مرسيلوس : ربما لا يظهر ثانية الا في قلوب الناس ؟
نعم اجاب بطرس : انه يسكن في قلوب الناس ويعطيهم قوة روحه .
ولكن هذا ليس كل شيء . فانه سيأتي ثانية



الفصل العشرون

إذا كان الانسان لا يقضي سنة كاملة بهدوء وسكينة خارج رومية فلا يقدر ان يعرف انها من اكثر المدن حركة وضجيجاً . لان شوارعها كانت مرسومة بالحصى ما عدا شارعين جديدين مصّابين في الساحة العامة كنا مرصوفين بالرخام النوميدي وكانت تلك الشوارع في اثناء النهار تغصُّ بالمشاة او راكبي الجياد او المحمولين على محفّات وكراسي خفيفة . وعند المساء كنت تسمع قرعقة الدواليب الحديدية الثقيلة التي تقطع الشوارع الحجرية . فضلاً عن صفير المراكب ودوي السياط . ولا تهدأ هذه الحركة المزعجة الا عند طلوع الفجر . وكان كل هذا يجري يومياً على مدار السنة .

اما الوقت الذي كنت تسمع وترى رومية قائمة قاعدة فكان في الصيف ولياليه القمرية . فالبناؤون كانوا يتممون ابنتهم والبائعون يفتحون حوانيتهم . والارقون ينهضون من فرشهم ويسيطرون في الشوارع يبتاعون ما يحلو لهم من المأكول . والجمال محملة حجاراً منحوتة وخشباً لاجل البناء . كل الليالي في رومية كانت مخيفة اما الليالي الجميلة جداً فكانت خطرة

وفي منتصف ليالي حزيران قبل ان تتوجّه السفينة من اوستيه الى المنعطف الذي يقابل المدينة سمع مرسلوس الجلّة والضجة التي لا يسميها الا الذي قضى شهراً كاملاً في بحر هادي . فكان لها في نفسه معنى جديد فقد كانت شبيهة بصراخ عالم كان يعمل كل شيء بصعوبة وبغير نتيجة . لا يدرك معنى السلام ماضياً وحاضراً ولا يسعى لطلبه

كان بانتظار السفينة على الميناء مئات من الحمالين فعاد ديمتريوس الذي كان

احد المسافرين بستة منهم يحملون الامتعة ثم اكرت عربة لركوب سيده فاخذت تسير على مهل نظراً لكثرة الازدحام ففضل مرسيلوس وقتئذ ان يدفع للحوذي اجرته ويمشي على قدميه ليمتخلص من وقاحة وقساوة العامة الذين لا يفهمون انهم يصلون الى اماكنهم المقصودة في وقت قصير اذا راعى كل منهم دوره بسيره .

وقد تبين لمرسيلوس ان الحيوانات الواقعة حول حفرة ماء في غابة كانت تدرك اكثر من هذا الشعب الشرس الاخلاق المحب الانانية

وعادت في الحال الى ذاكرة مرسيلوس الكلمات التي فاه بها امام بولس ومفادها ان ملكوت الصلاح لا يكون من قة الهيئة الاجتماعية الراقية ولا من عروش الملوك . لكنه يبتدىء من عامة الشعب . وها هو الشعب العامي امامك يا مرسيلوس فاصعد على مركبة وبيّن لهم معنى الصلاح وانصح لهم لكي يحبوا ويساعدوا بعضهم بعضاً وبهذا يتممون ناموس المسيح . لان العامة لا يُزدرى بها

* * * *

كان اجتماع اسرة غاليلو مرة ثانية اسعد اجتماع عرفته في حياتها . لان مرسيلوس لما برح بيت ابيه منذ سنة كان ضعيفاً جسداً وعقلاً . فالثلاثة الذين تركهم هناك . اعني والده ووالدته وشقيقته كانوا ينوحون عليه كأنه ميت ومع انه كان يكاتبهم من حين الى آخر فانهم كانوا يقرأون من اثناء سطور رسائله عدم تماثله للعافية تماماً . وآخر كتاب كتبه اليهم يقول فيه : ان الامبراطور ارسله بهمة سرية ولكن والده خشي عليه من عاقبتها لذلك تنهد وهز رأسه عند طيه الكتاب المذكور

اما الان فقد وصل مرسيلوس الى اسرته معافاً نشيطاً صحيح العقل بشوش الوجه عالي الجبين ولا اثر في نفسه من القنوط الذي كان مستحوذاً عليه . وقد ازداد برؤية اهله وبيته قوة عظيمة سواء كانت هذه القوة في نبرات صوته ام في عينيه ويديه ام في جميع عضلاته . وقد ضرب آله صفحاً عن سؤاله عن الامسى

الغريب الذي اصابه لكنهم شعروا انه حصل على شيء جديد مثير عن غيره
 اما والده غاليو فقد قضى سحابة نهاره في مكتبه ولما انجز اشغاله سمع صوت
 خطوات متوازنة تقترب منه . وكان ابنه مرسيلوس قد ترك ديمتريوس يهتم بشأن
 امتعتهم ودخل هو الى البيت . واذا رأى باب غرفة والده مفتوحاً ولجها حالاً وارتمى
 بين ذراعيه . فقال له والده اشكر الالهة التي اعادتك اليّ متمعاً بقوة وحياة
 جديدتين

قال مرسيلوس : نعم يا سيدي انني حيّ ونشط اكثر مما كنت قبلاً وانت
 يا والدي تنمو كذلك وترداد قوة وحياة يوماً فيوماً واني لشديد الافتخار والمباهاة
 بكوني ولدك

فاستيقظت لوسيا لدى سماعها صوت اخيها واصغت بكل جوارحها ثم نادى
 خادمتها قائلة انهضي يا ترتيا واعطني ثوبي وحذائي فان مرسيلوس هنا . ثم تزلت
 بسرعة الى المكتبة وطرحت نفسها بين ذراعي اخيها بشوق عظيم ولما رفعها بيديه
 وقبلها صاحت قائلة : انت متعاف جداً يا عزيزي مرسيلوس . وانت ايضاً يا حبيبتى
 فقد غوت وشيت واصبحت جميلة ثم اخذ يعبث بشعرها ويقول : انه اصبح
 بديعاً للغاية

ثم طوّقها غاليو بيديه وقال لها هلمّ بنا الى والدتكما . وفيما هم صاعدون
 التقوا عدداً من الخدم الطاعنين في السن قادمين لكي يروا حالة ابن سيدهم فسلمّ
 على كل واحد منهم بفرده سلاماً مقروناً بالشوق والمودة وقد فرحوا هم بعودته
 سالماً

ثم اجتمع اكثر من عشرين خادماً يبتسمون ابتسامة الغبطة والسرور امام
 سيدهم غاليو وهو بدوره يبتسم لهم . وكان مرسيلوس يدعو كلّاً منهم باسمه مما
 زاد ذلك في ابتهاجهم وبعدئذٍ جاءت الخادمتان التوأمان المكدونيتان وكان قد
 نسي اسميهما فصألها هل انتما اختان ؟ فضحك الجميع من هذا السؤال الغريب في بابه .

اخيراً امر غاليو دسيموس الطاهي ان يهيئ العشاء في دار الولاية وان تُستعمل على المائدة الآتية الذهبية كما يجب ان يُضاء المنزل كله وحديقته . بعدئذ تركهم مرسيلوس وصعد الى والدته التي لاقته على رأس السلم وضمتها الى صدرها ودموع الفرح والسرور تجري من مقلتيها فلما رآها غاليو على هذه الحالة سالت دموعه ايضاً

واذ شعرت لوسيا ان والدتها تحب ان تكون وحدها مع مرسيلوس تأخرت في اسفل السلم لتعطي الطاهي المذكور تعليماتها بما يتعلق بالعشاء فقالت له : لا تكثر من الاطعمة ولا تطبخ بعد شيئاً بل أعدّ الفاكهة الناضجة واللحوم المبردة والخمرة المعتقة . ودع الابنتين تخدمان اخي على المائدة وقل لروسوس ان يقطف طاقاة من الورود الحمراء .

وقبل ان تكمل عبارتها دخل ديمتريوس الى الدار وكان قد غدا مديد القامة ذا جمال وكمال فلما رآته مقبلاً نحوها بخطى واسعة اشارت الى الطاهي ان يذهب الى محل شغله عند ذاك دنا منها ديمتريوس وحيأها باحترام كعادته فقالت له : اشكرك كل الشكر يا ديمتريوس لانك اتيت باخي سالماً معافى نشيطاً

- لا شكر على الواجب . ان مرسيلوس لم يكن بحاجة الى احد ليأتي به الى منزله فانه ممتع الان بتمام الصحة . ثم نظر اليها وقال هل تسمح لي شقيقة سيدي ان اصرح لها بانها متمتعة هي ايضاً بصحة لا مثيل لها قالت له : لم لا اذا كنت تعتقد ذلك

اخبرني ماذا جدّ لآخي حتى اصبح في هذه الحالة من الابتهاج ؟

اجابها : هو يخبرك بامره في الوقت الذي تشائينه .

- وانت يا ديمتريوس أراك في هيئة جديدة

- أرجو ان اكون في اجدّ منها ايها الانسة الكريمة

ثم سأله هل ارتقى مرسيلوس الى منصب مهم جديد ؟

اجابها ديتريوس بالايجاب بحنو راسه
 -- هل يعرضه منصبه هذا للخطر ؟ اجابها مقتخراً نعم
 قالت لوسيا : يظهر انه غير مكترث لذلك فاني لم اره مسروراً كسروره
 في هذا اليوم فقد غمر القصر فرحه ومرحه .

اجاب ديتريوس : انا اعرف ذلك لانني قد سمعت قهقهتهم
 فقالت لوسيا عني ان لا يفسد نيأتهم هذا الاعتبار لانهم ليسوا معتادين ان
 يارسوا حرية كهذه على اني لا اظن انها تضرهم اذا هجم عليهم السرور مرة
 واحدة فقط

اجابها : لا اظن ان الحرية تضرهم اذا كانوا حقيقة مسرورين مرة واحدة .
 هل نسيت يا سيدتي اني انا عبد . دعينا نتم حديثنا عن التهذيب والعبودية
 والسيادة والاخاء والمساواة . من له الحق ان يقول لغيره متى يكون مسروراً ؟
 فنظرت اليه لوسيا بغضب ثم قالت عني ان ملاطفة اخي هؤلاء الخدم لا تقلل
 من سطوتنا عليهم في هذا البيت

-- لا تهتمي بهذا الامر لانه يعتقد ان هذه المعاملة برفق ولين فعالة اكثر من
 العنف والقساوة وبها تحصلين على خدمة حقيقية مخلصة
 ثم دعاها مرسياوس من اعلى السلم . وقبل ان تصعد التفتت الى ديتريوس
 وابتمت له خيأها برفع رمح كالمعتاد

اما مرسيايور القيم على ادارة المنزل والذي كان منتظراً نهاية الحديث اقترب
 من ديتريوس وقال له لقد اعتراني الدهش من عودة العافية الى القاضي . فارجو ان
 تخبرني ما الذي عافاه وشفاه ؟

-- سأخبرك بكل شيء . في هذه العشية اما الان فابشرك بانه اصبح مسيحياً
 حقيقياً وقد جال في الجليل
 -- ألم تكن انت معه ؟

اجابه نعم كنت معه في وقت من الاوقات . واخبرك ايضاً ان الجليلي حي
- نعم سمعنا بذلك

سأله ديمتريوس ومن سمع مثلك ؟

اجابه مرسيپور : المسيحيون في رومية

- وهل انتشر الخبر في رومية ايضاً ؟

اجاب مرسيپور انّ فريقاً من تجار انطاكية اتوا بهذا الخبر

- ومن عرفتم انتم ذلك ؟

- من دسيموس الذي كان دأبه الاستهزاء باليونان قصّ عليّ ان بعض تجار

من انطاكية قالوا ان نجاراً يهودياً قام من الموت واذ كنت انت اخبرتني عن هذا

النجار فقد اهتممت كثيراً ان اجتمع بهم

- قال له ديمتريوس مشجعاً وقد اجتمعت بهم ؟

- نعم اجتمعت وقد افنعتني روايتهم جداً لاقتناع لانهم سمعوها من شاهديان

يدعى فيلبس وذكر لهم ما صنعه من العجائب التي ذهشوا من سماعها . وان كثيرين

منهم ذهبوا الى اورشليم ليتأكدوا صحة كلامه وتفاوضوا ايضاً بهذا الامر مع

أناس آخرين يوثق بكلامهم كانوا قد شاهدوا يسوع بعد موته فبناء على كل ما

تقدّم ذكره وما اخبرتني انت ايضاً به جعلني اصدق الرواية

- اذا انت مسيحي ؟ سأله ديمتريوس فرحاً . يجب ان تعلم القاضي فانه يبتهج

- ليس الان لان مجرى حياتي غير معروف الان . فان شغل دسيموس الشاغل

كان ان يبلغ الشيخ غاليو هذه الحركة الجديدة قائلاً : انها ثورة مضادة للسلطة

الشرعية

- وهل قام الشيخ بعمل ما ضد هذه الحركة ؟

- لا . ولكنني لا اشك في ان نية غاليو نحو المسيحيين غير صالحة لانه ينسب

اليهم علة الاذى التي لحقت بابنه . ويخشى ان يعلم مرسيپور ان في رومية هنا جماعة

منهم فيلتي بنفسه بينهم . وهذا الامر لا ينبغي عليه خطره . لان المسيحيين محتشون .
وقد بدأ الجند بالتفتيش عنهم لذلك لا يجب ان نسب الجفاء بيته وبين والده
- حسناً جداً . قال ديمتريوس نحن لا نخبر القاضي ولكنه سيعلم هذا الامر من
نفسه ولا يتخلى عن ايمانه . ومن الصعب ان يقتنع الشيخ بصحته لان الرجال
المسنين لا يغيرون اعتقاداتهم سريعاً . وعلى كل حال لا نقدر ان ننظر الاً ريثما
يستحسن هذا الاعتقاد جميع الشيوخ لان رواية يسوع هي رجاؤنا الوحيد للحصول
على الحرية والعدل . وبناءً على ذلك يجب ان نبتدى الان
قال مرسيبور : انني اوافق على هذا لكنني لا اريد ان ارى مرسيلوس يغضب
والده الذي امست ايامه الاخيرة معدودة

- قد جاء بمثل هذه الدعوى ليسوع وقد انبأني احد الجليليين انه سمع الحديث
الذي دار بينه وبين شاب كان قد اثر في نفسه كلام يسوع واراد ان يعترف به
علانية . فقال ليسوع ان والدي امسى شيخاً ولا يُدرك حقيقة هذه الديانة فدعني
انتظر ريثما اقوم بدفنه ثم اعود فاتبعك

ظن مرسيبور ان الجواب مقنع لانه هو كان في السابعة والستين من عمره
لكن ديمتريوس قال ان يسوع لم يعتقد ذلك . وقد آن الاوان لتغيير اعتقادات
الناس . لان هذه الرسالة الجديدة لا تنتظر دفن الشيوخ مع عقائدهم القديمة المتأصلة
في نفوسهم . وبما انهم امسوا في عداد المائتين فليدفعهم الاموات

- هل قال يسوع هذا ؟

- ان يسوع قال ما يشبه هذا القول

ان شخصاً لطيفاً كيسوع لا يقول كلاماً قاسياً كهذا

فقال له ديمتريوس بعد ان اخذه بيده : يجب الاً نعتقد يا مرسيبور ان رسالة
يسوع التي تدعو الى السلام والصلاح هي سهلة بحيث تجعل الناس يحتشون ريثما تمر
الصعوبات لان الذين يطوفون بالشعلة لا بُدَّ من ان يقفوا في متاعب ومصاعب عديدة

شديدة من حيث الاضطهادات . فقد بدأ الجلد بالسياط . . . ورجَّع عدد كبير منهم في غياهب السجون علاوة على الذين قُتلوا

- نعم انني اعرف ذلك . فقد سمعت من جماعة التجار انهم شاهدوا فريقاً من الرعاع في اورشليم يرجون رجلاً يدعى استفانوس . هل كان لك معرفة به ؟
اجاب ديمتريوس بجزن أجل انه كان لي صديقاً حميماً

* * * *

قبل ان ينهي مرسيوس فطوره دخل عليه مرسيبور يقول له ان الشيخ غاليو هو الان في مكتبه ويريد ان يرى ابنه في اول فرصة تسنح له

اجابه مرسيوس قل للشيخ والدي انني امثل بين يديه بعد بضع دقائق
والقد كان مرسيوس يفضل ان يؤجل اجتماعه بوالده الى وقت آخر لانه يعلم انه يهعب على الشيخ ان يصغي الى استماع روايته الغريبة بصبر ويقدرها قدرها .
جلس بقرب النافذة واخذ يفكر بتدبير طريقة صالحة يُقنع اباه بها دون ان يمس حاسياته بشي . يكدره . لانه سيكون بمثابة محام في هذه القضية الخطيرة وتحت المحاكمة ايضاً

لم يكن لمرقس لوقا غاليو الشيخ في مجلس الايمان مخاصم . فانه حصل على شهرة واسعة في المناقشة التي جرت في المجلس العمومي بسياسته . لذلك كان مقتنواً بذكائه وقوة عقله . ولم يشأ المجادلة كثيراً لانه يأبى التساميم بامر مستحيل لعدم اقتناعه بشي . منها فكيف به اذا جاء ابنه يفاتحه بامرها . ان مرسيوس سيخبره قصة عجيبة تدهش منها الافكار عن رجل شفي كثيراً من المرضى على اختلاف علمهم ولما مات على خشبة الصليب قام من الموت وشاهده في قيد الحياة اناس كثيرون . ولا شك انه يهيج غضبه حينما يسمع القصة المذكورة ويقول انها كلها هذيان

* * * *

ولما اجتمع بوالده شعر لاول وهلة ان هذا سيقاومه ويغالطه . ولما بدأ بروايته عن محاكمة يسوع وصلبه وهو يرجو من وراء ذلك ان يثير شفقة والده وحنانه قال له : قد سمعت كل هذا يا ابني وليس من الضروري اعادته . غير انني احب ان تخبرني عن رحلتك الى البلد الذي كان يسكنه الرجل الآنف الذكر

فأخبره عن سفره مع يستوس وعن يونانان الصغير ، وليديا التي شفيت عند لمسها الرداء ، ونثنائيل برثماوس الشيخ والعاصفة البحرية وما شاكل ذلك فكان والده في اثناء كلامه ينظر اليه بدون ان يفوه بكلمة ولم يسأل أسئلة

اخيراً وصل بحكايته الى موضوع رجوع يسوع الى الحياة . وكان يعيد بحجاسة امام والده كل ما قيل له عن ظهوره . ثم تابع حديثه قائلاً : يظهر لي من سكوتك يا سيدي ان كل ما ذكرته لك غير قابل للتصديق . ولكنني انا اعتقد بصحته . ثم حاول ان يخبره ايضاً عن العجيبة التي جرت على يد بطرس ولكنه كان على يقين من نفسه ان والده لا يؤمن باي اعجوبة كانت . ولما فرغ من حديثه قال له والده : كل هذا حسب شهادة صيادين واهمين أليس كذلك ؟

اجاب مرسياوس : لم يكن من الامور التي يسهل علي ادراكها يا سيدي ولم احاول اقناعك لما انت طلبت مني ان اطلعك على ما عرفت عن يسوع وقد ابيت طلبك وانا باق على ايماني . ان هذا الجليلي حي . وفي يقيني انه لشخص ازلي الهي ذو قدرة عظيمة لم تكن للملك من الملوكة . وانه سيملك العالم اخيراً فسأله والده : هل خطر في بالك ان تقول لطيطاريوس ان يسوع هذا سيملك العالم ؟

— ربما لا احتاج ان اقول هذا له . انما أعلمه فقط ان يسوع الذي مات هو حي وما عليه بعدئذ الا ان يستخلص النتائج
— يجب ان تنبه لما تقوله لطيطاريوس المحتل . فربما يقاصرك اذا جئته بخبر مثل هذا

— انه يقدر ان يامر بقتلي غير انني لا اهاب المنية لان بعد الموت حياة ابدية
 — هذا اعتقاد قديم يا ولدي لانه منذ ثلاثة آلاف سنة والناس تحفر ذلك على
 قبورها ولكن الامر يحتاج الى براهين دامغة . مَنْ من الاموات عاد الى العالم
 واخبر بذلك ؟

اجاب مرسياوس : ان يسوع عاد

فتشهد غاليليو وهز رأسه . ثم وقف ووضع يديه على كتفي ابنه العريضتين وقال
 له : اذهب الى الامبراطور واخبره ماذا فهمت عن هذا النبي الجليلي . استشهد
 بالكلمات الحكمية التي فاه بها . انها كلمات رصينة لا بُدَّ من ان تفيد طيباريوس
 اذا اصغى بسمعه اليها . وقصَّ عليه ما صنع من العجائب لان هذا يسرُّه . هذه
 نصيحتي اليك يا ابني

— ألا اخبره شيئاً عن رجوع يسوع الى الحياة ؟

— لماذا تقول هذا الخبر . انه طلب منك فقط ان تستقضي الاخبار عن ذلك
 الجليلي وان تفضي بها اليه . فاذا اخبرته عن قيامته تكون حالتك كحالة السحرة
 والمنجمين المحيطين به . ولا تنسَ يا ابني ان امامك مستقبلاً لامعاً اذا عملت بقولي
 ولكنك اذا تمسكت بهذا الاعتقاد الجديد فاني ووالدتك وشقيقتك نكون
 مستائين تمام الاستياء فضلاً عما تقول له الناس وتذيعه انك خسرت عقلك وغدوت
 كاحد حمقى الامبراطور . بل ماذا تقول ديانا عنك تلك الشابة الجميلة التي شغف
 حبك قلبها . ألا يهجمك امرها ؟

— اجاب مرسياوس : نعم يهمني واعتقد ان امليها يخيب بي ولكن لا شيء .

يغير اعتقادي ابداً . فقد وضعت يدي على المحراث ولا ارتد الى الوراء .

فابتسم والده وقال انتظر ان تراها قبل ان تجزم بذلك

— انني مشتاق جداً الى مرآها

— هل تشاء رؤيتها قبل رؤية طيباريوس ؟

- اجاب مرسيلوس : اذا كان ذلك بامكاني

- وهل استعددت للسفر ؟

نعم اجاب مرسيلوس قد اعدت لي ديتريوس كل شيء . وقد نوبنا السفر في هذا المساء من غاليه الى اوستيه ومنها الى كاپري على المركب كليون

- حسناً جداً . قال له هذا وربت على كتفه

قال له مرسيلوس سأتابع نصيحتك يا ولدي واشكرك عليها ولكنني است حراً
سأله والده : ولماذا انت غير حر ؟

- لانني ارى نفسي مضطراً ان اخبر الامبراطور عن رجوع يسوع الى الحياة

- اذا قل له انها اشاعة دارت على السن اصدقائه الصيادين وليس لك معرفة خاصة بها لانك لم تره

قال مرسيلوس ولكنني رأيت شخصاً يحدث ببصره اليه وشاهدت يونانياً يُرجم لانه مسيحي وقد كان شجاعاً مستعداً ان يخاطر بحياته من اجل ايمانه وحينما رأى الاكثرون من الناس انه مات وقف هو وابتمسم وصرخ قائلاً : « انني اراه » وانا اعلم علم اليقين انه شاهده بأم عينه

- ليس من الضروري ان تجرب طيباريوس ذلك

- لم لا ياسيدي وانا قد سمعت وشاهدت . واذا لم اشهد بذلك كله فاكون

جباناً لانني انا ايضاً مسيحي

لم يجب غاليو عن هذا ولكنه غادر الغرفة وهو منحني الرأس

عندئذ امتعض مرسيلوس لانه سبب الكدر لوالده فخرج الى الرواق حيث

تأكد ان لوسيا بانتظاره فلما رآته سأله : ما بالك ؟ هل تخاضعت انت ووالدك ؟

اجابها لا لكنني جرحت احساساته

- عني ألا تكون اطلعت على السبب الذي جعلك مريضاً حينما جئت من

اورشليم ؟

اجابها : لا لم اطلع على شيء من هذا ولكنني اخبرته عن ذلك الرجل الذي
أسر جداً ان اخبرك انت ايضاً عنه

- اشكرك يا اخي لانني لا اريد ان اسمع شيئاً من ذلك البتة فقد حان الوقت
ان تنساه . لقد اكّدتنا ليلة امس انك ملاك عافيتك ومن شدّة فرحي لم استطع
النوم . واليوم اراك متكدراً ممتقع الوجه . ارجو منك يا اخي ارجو منك . واذ
قالت هذا اغرورت عينها بالدموع

- اني حزين يا شقيقي . قال هذا واحاطها بذراعيه وتمشياً معاً في الحديقة يتعان
نظرهما برؤية الورود الجميلة

* * * *

كان الامبراطور مريضاً لاسباع كثيرة خلت فانه في احد ايام نيسان نزل الى
الدائرة التي لم ينجز بناؤها ولما كان المطر في ذلك النهار مدراراً سقط البعض منه
على راسه وجسمه مما سبب له زكاماً شديداً . وكان من عادته حين يصيبه زكام ما
ان يلازم سريره حالاً ويدعو جميع اطباء لمعالجته

اما اليوم فاذا قد تجدد شبابه لدنو ديانا منه أجي ان يذهب الى فراشه مدعياً انه
سراً كثيراً بالمطر الذي تساقط عليه وانه بكامل صحته

لما جاءت ديانا الى كاري منذ سنة تقريباً سرّاً الجميع بحضورها ما عدا جوليا
التي كانت تغار منها لانها احدثت تغييراً عظيماً في طيباريوس الشيخ اذ كان يعمل
كل ما في وسعه لمرضاها ليس فقط فيما يختص بحياته اليومية بل في معاملته للجميع .
فقد اضحى يعهد الى وزرائه ما كان يزعجه من المشاكل الدولية الكبي يستغ له
الوقت بالتثنية معها في الحديقة وهذا الامر كان له الوقع الحسن في قلوب الذين كان
لهم علاقة معه من الموسيقين والوزراء والاطباء وغيرهم كالأقاصات والحياطين
والمنجمين والشعراء والطباخين والحراس والنجارين والبنايين والخبازين والكهنة

الذين يبلغ عددهم زهاء ثلاثمائة نفس وكلهم كان يوافقهم ان يطول عمره
لتطول مدة بسطهم وحبورهم لانه كلما كان منشراح الصدر خفف ذلك من
واجباتهم نحوه

فكان من الطبيعي ان يحترم ديانا الجميع فتعنى الجميع بحبالها وحسن سيرتها
وسريرتها . ولكن على مر الايام اخذوا يهيمسون قائلين : ان الامبراطور العليل
لكي يرضيها كان يجازف بحياته . لانه كان يرافقها من الصباح الى المساء في كل
فصل من فصول السنة يدور حول الجزيرة متوكلأ على عصاه . يصعد وينزل من سلم
الى آخر في دارتها الجديدة التي لم يكمل بناؤها بعد . مع انه كان يشتغل في
بناها مئة من العملة الماهرين فكان ثارة يهدم الذي لا يروقه وطوراً يأمر ببناؤه
ثانية . وقد تنبأ يوماً ان بناء هذه الدارة لن يكمل ابداً وقد تمت نبؤته

لقد عرف الجميع في قصر كاپري ان وجود ديانا فيه كان على كره منها لذلك
شعروا وتأثروا لحالتها مع انها لم تفش سرها لاحد ولكن تعدد زيارات والدتها الى
كاپري وبكاء ديانا عند مغادرة والدتها القصر اثبت لهم ذلك

وشاع ايضاً ان ديانا الجميلة تحب مرسياوس ابن غالو ولكنها أبت ان ترتبط
معه بعقد ازواج بالنظر الى اختلال شعوره وقد ابعده الى خارج البلد

ولم يكن احد يهجه امر الوقوف على اخبار ديانا اكثر من جوليا الشبيخة
امراة طيباريوس فكانت تفتح رسائلها سرأ وتبعث محتوياتها مع رسول خاص الى
ابنهما الامير غايوس الذي لم يأت في فصل الشتاء ولكنه حيناً طرقت مسامحة ان
الامبراطور مريض جاء لزيارته متظاهراً بالاهتمام بامره لانه كان يلذ له حضور الحفلات
التي كان يجيها ليلداً

وكان طيباريوس لا يقدر ان يرفع راسه التعب اثناءها الا بالجهد الكلي
فكان ينام احياناً ثم يستيقظ فجأة ويباسم ويعود الى النوم . وكانت جوليا امرأته
متصدرة في قعودها عن عيونه دون ان تكترث له وهي متزينة بالجواهر واللاي.

الكثيرة وعلى رأسها شعرٌ مستعارٌ ووجهها مدهون بكل أنواع المساحيق والامير
غايس جالس بقرمها

وكان مشهد الهيئة المالكة مثيراً للضحك ولم يجسر احد من السبعين رجلاً
الذين كانوا يقومون بالخدمة ان يبسم او ان يوصي اياها ما . فكان الامبراطور
نائماً وجوليا تحاول استمالة قلب غايس اليها بسحبها كم غايس المطرّز وهو بدوره
يتجشّب الى دينا التي كانت جالسة بازاء الامبراطور من الجهة الاخرى والتي لم تكن
لتبالي بتجبهه اليها

ولقد سرّ الجميع بهذه الحفلات ما خلا سيليا امرأة كنتوس وابنة عم
سيجانوس صديق ومستشار الامبراطور طيباريوس . فانها كانت تستعد لاهلاك ديانا
اذا هي اظهرت للامير غايس اقلّ تشجيع والذي اغاظها ايضاً ان تراها غير مهممة
بشأنه . فن هي ديانا تلك الابنة المتعجرفة وكيف تمضي حالتها بعد موت
طيباريوس ؟

كانت سيليا يائسة في هذا الاسبوع . لان غايس حينما كان يبعث زوجها
كنتوس لقضاء امر مهم تصبح هي قبلة انظاره واهتمامه لذلك كانت تودّ ان يجدّ
له دائماً اشغال خارجية لكي تبقى بالقرب منه . على انها ادرت اخيراً ان اهتمامه
بها لم يكن عن اخلاص ومحبة وفهمت ان زوجها سيعود من مهمته فطلبت اختلاطها
معه وعاقبته بتأثر وبكاء على تغير سلوكه معها . ثم احث عليه ان يرسل زوجها
ثانية في وظيفة ما . فقال لها ما هي فائدة كنتوس زوجك . قد ارسلناه الى اثينا
فتخاصم هو واحد العبيد هناك وعاد الينا مشحناً بالجراح . اجابته ان هذه اشاعة
فقط وليس لها اثر من الصحة

ثم استطردت قائلة : كم احببتي قبلاً ولكنك عند ما رايت ابنة غالوس
وقعت في حبها وقد لاحظت انها لا تهتم بك . فضغط على ذراعها وقال اياك ان
تؤذيها بشيء فيجدد بك ان تندي كل شيء وتكتفي بزواجك فكل منكما موافق

لذوق الآخر واذا قال هذا خرج من الغرفة

اما سيليا فانها وجدت تعزية عند الامبراطورة جوليا التي ارسلت فاستدعتها ولكنها لما شاهدت اثار الدموع في عينها سألتها ما الخبر ؟ فاخبرتها بكل ما جرى لها مع غايوس . فقالت لها الامبراطورة : مسكين غايوس فانه حزين ومُتقل بالهموم يجب ان تعذريه لانه حقيقة يجب ديانا فيكون ارتباطهما بالزواج موافقاً . لان غالوس والد ديانا يحب الجيش كثيراً واذا كان ابني سيخلف زوجي بالملك فانه يحتاج الى رضى الجند . وبما ان الامبراطور مولع جداً بديانا فان زواجهما يكفل له نجاح مستقبلي . ثم قبلتها واسارت اليها بالخروج من الغرفة

* * * *

كانت السماء صافية والطقس جميلاً عند ما وصل المركب كليو الى شاطئ الجزيرة ولم يشاهد مرسياوس ما شاهده اليوم من حسن زرقة المياه في خليج نابولي . ولما وطىء اليابسة استخدم محقة لتقلعه الى الدارة جوئس بينما ظل ديمتريوس ينتظر حضور حمال ينقل لهما امتعهما

ولما اقترب من المكان الذي قصد اليه اخذه العجب العجيب مما شاهده من ضخامة قصر الامبراطور طيباريوس ودقة الصناعة في بنائه وزخرفته مما دل على حسن ذوق مهندس .

وما ان وصل الى المرتفع حتى ظهرت مدينة طيباريوس العجيبة وكان ابرز شيء فيها بناء جوئس الضخم الذي انعكست عليه شمس حزيران المشرقة فبدأ ابيض ناصعاً وكان الفلاسفة الهزلبو البنية والكهنة البدينو الاجسام يتخطرون تحت المظلات وفي الممرات المروصصة على ضفاف البحيرات . وكان المرء لا يرى سوى رجال طاعنين في السن يسيدون ورؤوسهم متعنية وايديهم موضوعة خلف ظهورهم . فهل كان كل هؤلاء مستشاري الامبراطور ؟ من الطبيعي ان يستخلص المرء ذلك .

فأغتم مرسيلوس لكونه مضطراً ان يتحالف مع اولئك الشيوخ
 فلما اخبر الحفيرة عنه أرسل معه رسولا الى قائد الحرس الذي أقبل حالاً ومضى
 به الى الدار الفسيحة فالبهو الكبير حيث جاء الحاجب وحيأه بكل احترام . ثم
 قال له : تريد ان تذهب الان الى الجناح المخصص لك ريثما انبيء القيصر بوصولك ؟
 فاجابه مرسيلوس : لقد كنتم اذا تتوقعون مجيئي فقال نيشيوس الحاجب : ان القيصر
 علم بوصول القاضي مرسيلوس الى رومية .

اما الجناح الذي أعد له فكان فخماً يُشرف على حديقة مكحلة بالازهار
 والرياحين وكان ستة من النوبيين يهيئون له الحمام وجاءه عبد مكدوني طويل القامة
 بقنينة تمر وتبعه آخر حاملاً صينية فضية مملأى بالفاكهة المتنوعة . وقد كان
 الاستقبال الذي أعد له الامبراطور عظيماً . واراد مرسيلوس ان يعرف الغاية من
 اجراء هذا الاحتفال الكبير فما كان عليه الا الانتظار . وبعد هنيئة دخل الحاجب
 وقال له ان الحمام مجهز لك . وان ابنة عالوس مستعدة لاستقبالك في حديقة دارتها
 عندما تحضر

* * * *

اما مرسيلوس فقد سأل في اول الامر عن دارة ديانا لانه شاء ان يذهب وحده
 بدون دليل . واذا اقترب منها اخذ يشي الهرينا . متأملاً إناقتها وهندستها . فقد
 كانت من انجم البناءات الواسعة غير انها لم تكن حصينة ولما وصل اليها ادخله
 الحارس الى البهو ومنه الى الرواق ثم تركه ومضى فشى مرسيلوس بقلب مقبض
 وكانت ديانا متكئة على العمود الرخامي في ذلك الرواق المطل على الحديقة .
 فلما شعرت بدنوء منها التفتت اليه وتفرست في وجهه ظناً منها بانه لم يشف تماماً
 من مرضه العقلي وكانت امارات الخوف بادية على محيأها فلم يستطع مرسيلوس في
 تلك الدقائق المبهجة ان يلاحظ ثوبها الانيق المزركش اعلاه بلون قرمزي وكثيـ

الواسعين المزدرين بازرار ذهبية وكذلك زناها المشدود حول خصرها واكليلها
 اللؤلؤي الاحمر المحيط بحجبتها البيضاء وكانت بهذا كله مثال الجمال الباهر
 فاقتربت منه على مهل بقوامها الرشيق وكانت سمة الملكات بادية على حياها
 الوسيم في كل حركة من حركاتها ورحبت به وصاحفته بكلتا يديها متمنية ان
 يكون قد شفي تماماً

فناداها : حبيبتي ديانا ! بعد ان ضمَّ يديها اليه وابتم لها مبتهجا برويتها
 فسأته . هل اتيت اليَّ حقيقة يا مرسيلوس :
 وبعد ان قربها منه ألقت نفسها بين ذراعيه واخذت تربت على خديه فما كان
 منه الا ان طبع قبلة على خديها فقابلته بمثلها

ولما ناداها بقوله يا معبودتي افلنت يديها منه وكانت الدموع تتساقط من
 مقلتيها . ثم قالت له لنقعد الآن ونتحدث . حتى نعمة صوتها كانت قد تغيرت ايضاً
 فتبعها الى مقعد رخامي مواجه البحر وقعدا هناك فسأله : هل رأيت
 الامبراطور ؟ فلما اجابها بالسلب قالت له : اتنى لك ان تحتصر كلامك معه لان
 افكاره امست شاذة باهتمامه بالسحر والعجائب والارواح ولا يريد ان يتكلم الا
 بالامور المختصة بالاشياء العقلية فانه احياناً يقضي سحابة نهاره ووقتها من ليله يشغل
 باله بمثل هذه الامور بينما العرافون يجلسون حول سريره يزجون به باحاديثهم الملفقة
 وهو يصغي اليهم كأن ذلك من واجباته
 - ربما يُعَدُّ عقله الموت

اجابت ديانا باحناء رأسها . وهو ينتظر مجيئك بفروغ صبر لاعتقاده انك تأتبه
 بشيء جديد . لان هؤلاء الشيوخ قد ارهقوه بشعوزاتهم ولا سيما رودينوس الشيخ
 الذي في عيد القمر الجديد يذبح خروفاً ثم يارس طقوساً بسيطة مدعياً انه رأى رؤيا .
 وقد تتم نبوءته احياناً . ومنذ عشرة ايام تنبأ ان الامبراطور سيعيش الى الابد
 ولذلك يدعوه اليه عند قيامه من النوم لكي يؤكد له نبوءته . فعوضاً عن ان

يدعُ موت ميتة هادئة تراه يقلق باله ويزيد بلباله ويؤكد له صحة قوله
وقالت ديانا : انني اشعر احياناً يا عزيزي انه من العار عليّ ان اعيش في مكان
كهذا محاط باناس خدّاعين يتسّمّنون من وراء غشهم وخداعهم . ثم استطردت
حديثها قائلة : انني اعلم ان ما ستقوله للقيصر حقيقي لا ريب فيه
فكان منه ان طوّق خصرها بيديه وسألها : ماذا ترتئين ان اقول له ؟
اجابته : انت تعلم ما يجب أن تقول لكن لا تنس ان تذكره بشبابه يوم كان
مقتدراً شجاعاً لا يخشى الموت . فلماذا يجب اليوم وهو هرم ان يعيش الى الابد ؟
لقد يظنه الناس انه يريد الموت لكي يلقي اعباء المملكة على عاتق غيره . واذ قالت
هذا دنا منها وقبلها

- اذاً سرّ لي من هنا الى مكان لا نجد فيه اناساً مختلي الشعور لا يقولون
اقوالاً سخيفة وحيث لا يهتم احد بالمستقبل او الماضي بل بالوقت الحاضر فقط .
ان القيصر يريد منا ان نسكن هنا في هذه الدارة التي بناها لنا اما انا فلا يمكنني
ان اقيم فيها : ثم همست في اذنه قائلة : ألا نستطيع ان نستأجر مركباً ونسافر فيه ؟
- انني اذهب بك يا حبيبتي الى المكان الذي تحتارينه ولكنني لا اريد ان
تكروني معي بصفة تالئة

- خذني الى مكان بعيد جداً حيث نعمل لنا بيتاً وحديقة صغيرين بجوار ساقية
ماء ونعيش معاً بسلام

اجابها مرسيلوس : ان علينا واجبات يجب ان نقوم بها تجاه عائلتنا . لذلك
لا نقدر ان نبتعد عنهم كثيراً

- لا بأس انني انتظر بصر ولكن الى وقت قصير لانني لست في مأمن هنا
- لست آمنة على نفسك . ممّن تخافين ؟

وقبل ان تجيبه سمعا وقع اقدام تقارب منهما فشاهدا الحارس مقبلاً نحوهما .
فقال لمرسيلوس : ان طياربوس ضعيف . لذلك لا يستطيع ان يحميني . وغايوس

يجيء غالباً الى هنا . وقد حاولت ألا اكثرت له ولكن جوليا تبذل جهدها - وقبل ان تتم عبارتها وصل الحارس وانحنى قائلاً : ان الامبراطور مستعد ليجتمع بالقاضي مرسيلوس

فاجابه : حسناً سأحضر حالاً

وبعد ان رجع الحارس سأله مرسيلوس : متى ترغبين ان نجتمع ثانية وفي اي موضع ؟

- اذا لم تيسر لنا المقابلة في هذا المساء فيكون غداً صباحاً في هذا المكان عينه

- هل هذا الحارس يخصك

اجابته : لا قد احضرت معي عبدتين فقط . وهذا الحارس يخص بخدمة هذا المكان

سأله ايضاً : هل انت امينة منه ؟

اجابته : نعم . انه مخلص ورزين ايضاً . ولكنني لست ادري هل يخاطر بحياته لاجلي . وقد خطر في بالي الآن انه يخبر جوليا انك كنت تقبلي ولكن لا يهمني من ذلك شيء . فاذهب الان لان الشيخ يكون في انتظارك وهو ايس صبوراً . تعال الي عندما يمكنك ذلك

فاخذها مرسيلوس بين ذراعيه وقبلها ثم قال لها اني لن افكر بمخلوقة سواك

* * * *

لم يشاهد مرسيلوس الامبراطور لآخر مرة الا منذ احدى عشرة سنة وكان وقتئذ في احتفال جمهوري

وكان مرسيلوس يتذكره رجلاً أشيب دميم الخلقه قوي الجسم قليل الانتباه الى الاشراف المحيطين به والى الجمع الغفير المجتمع في الميادين

لما تبوأ طيباريوس العرش لم يكن يجب الاجتماعات الكثيرة ولا الاشراف

كسلفه اوغسطوس . فأَمَل رجال مجلس الشيوخ كفالته مثلاً خيره ونفعه . اما الشبان كمرسيلوس وغيره فانهم تَمَنَّوا له الموت لاعتبارهم اياه نجياً . ولما انتقل الى جزيرة كاپري فقد شهرته تماماً لانه اصبح بعيداً عن مركز الدولة او كأنه استقال من منصبه او عُزل

ولما دُعِيَ مرسيلوس للثول بين يدي جلالته توهم ان يرى منه رجلاً متقدماً غير انه بعد وقوع النظر عليه تبين له انه يوشك ان يموت ولكنه غير اعتقاده حين سمعه يتكلم فقد ظهرت قواه العقلية والجسدية معاً

كان القيصر محاطاً بالوسائد ولم يَبْنِ منه سوى عينيهِ المجوفتين اللتين راقبتا مرسيلوس من خصاص الباب الى ان قعد في الكرسي . اما وجهه فكان جلدأً على عظام بارزة ورقبته منكشمة مصفرة وعروق جبهته نافرة . واصبعه التي اشار بها الى الكرسي كانت شبيهة بمخالب نسر كبير

فانحنى مرسيلوس وغغم قائلاً : جلالتك

فامرهِ طيباريوس بالجلوس وقال له : نرجو ان تكون قد عرفت شيئاً جديداً عن الرداء المسحور . فقد طال غيابك جداً . وقد اخبرني والدك عن صلب رجل مختل الشعور في اورشليم واوغز اليك بيلاطس ان تصلبه وقد اثر ذلك في عقلك . قل لي كيف انت الآن ؟

- اجاب مرسيلوس ان عقلي في حالة صحية تامة يا جلالة الامبراطور

- كل رجل مختل يظن هذا الظن . حتى انت تحال ايضاً ان قيصرك مختل

الشعور

اجابه مرسيلوس ان المجانين لا يزحون يا سيدي

- كيف تعرف انهم لا يزحون ولم ترهم كلهم . ثم اضاف قائلاً : لما اذا نَمَضِيَ الوقت في حديث لا طائل نحته وصل الى مسامعنا ان عبدك اليوناني هجم على كنتوس وقاتله بدون سلاح . هل هذا الامر حقيقي ؟

- نعم يا صاحب الجلالة انه حقيقي ولكن لم تصل الى مسامعكم تفاصيل الحادثة بتمامها وانا لا ابري عبدي منها وما ازال مستاء مما جرى
- انت تكذب قال الامبراطور . لذلك لا نستطيع ان نصدق كل ما ترويهِ لنا . ومع هذا فأرور اولاً ما حدث وبعدئذٍ نحكم له او عليه
فسرد له مرسيلوس الحادثة كما جرت تحت اشجار منزل يوبولس ولما وصل في حديثه عن ان ككتوس لم تبقَ صورة وجهه معروفة من اثار لطمت اليوناني له بقبضة كفه اهتم طيباريوس بذلك واشرق وجهه
ألا يزال العبد عندك ؟ كان يجب ان يُحكم عليه بالاعدام ومع هذا كم تريد ثمنه ؟

اجاب مرسيلوس انني لا اريد ثمنه ولكنني بكل ارتياح اعيرك اياه ما دمت انت ما دمت في قيد الحياة . ربما امبراطورك يعيش الى الابد . ماذا تعرف عن الحياة الابدية ؟

- ان يسوع الجليلي يعيش الى الابد
سأله طيباريوس : اتعني الرجل المائت هو الذي يعيش الى الابد ؟ قل لي كيف تجمع بين مماته وحياته ؟
- عاد حياً يا مولاي

- هذا كلام هذيان لا يُعتد به . ربما لَققت انت وانصارك عملية الصلب ايضاً لان والدك قال انك كنت سكران لا تعي شيئاً . فهل بقيت هناك الى ان تم كل شي . ؟

اجاب مرسيلوس : نعم انني بقيت هناك ولكي تتحقق موته ادخل قائد المئة حربه في قلبه ولم يكن من شك في موته حينئذٍ . وفي اليوم الثالث من الوفاة قام من قبره وعاد الى الحياة وقد شاهده اناس كثيرون في مناسبات مختلفة
فصرخ طيباريوس قائلاً : هذا غير ممكن فاين هو الآن ؟

- لا اعلم اين هو الآن ولكنني أوقن انه حي . وقد تناول فطوره مع اناس على شاطئ بحيرة الجليل . وكمن مرة تجلّى شخصه فجأة في بعض البيوت ورأى الناس آثار قدميه عند مشيه وكان يتكلم ويأكل ويُري جواحه التي اسبب ما لا تبرا . ولم يهتم ان يفتح الباب حين دخوله احد البيوت ولا يشعر الناس بحضوره الا حين يرونه إزاهم

واتفق في احد الايام أن سار رجلان على الطريق العامة وهما يتحدثان عنه فظهر لهما ورافقهما فدعوا لتناول العشاء معهما في تزل يبعد عن اورشليم اثنتي عشرة غلوة فقال طيباريوس : اذا هو غير روح

- لا ليس روحاً ولكنه لم يأكل هذه المرة بل كسر الخبز وشكر لالهه وتوارى عن الانظار وبعد دقائق قليلة دخل الى بيت في اورشليم واذا وجد اصحابه على العشاء قد يأكل معهم

فقال طيباريوس لا اظنه يدخل الى هنا لان المكان محاط بالحرس الملوحي اجاب مرسيلوس : لا اظن ان ذلك يهمه . فهو يذهب الى حيث يريد . يفتح اعين العميان واذان الطرش . ويشفي البرص ، والمفلوجين ، والمجانين . ولم يكن لاصدق هذا كله يا جلالة الامبراطور الا حينما ظهرت حقيقته كظهور الشمس في رائعة النهار فايقت بعدئذ بان يسوع يستطيع ان يعمل كل شي .

- اذا كان بإمكانه ان يعمل كل شي . فلماذا سمح لهم ان يمتوه ؟
- انت يا جلالة الامبراطور مطلع على جميع الاديان ولا يفوتك ان اليهود معتادون ان يقدموا ذبيحة دموية كفارة عن اثامهم . ومن المفهوم ان الجليلي قدم نفسه كفارة لهذا الغرض

سأل طيباريوس : وماذا ارتكب هو من الاثام ؟
اجابه مرسيلوس : لم يرتكب اثماً قط بل انه كفر عن خطايا العالم كله
- اذا كان يقدر ان يكفر عن خطايا العالم كله . فهو يعلم اذا حقيقة الخطايا

- يعرف الذين اقتروها . فهل انت احمق الى هذه الغاية حتى تصدق كل ذلك ؟
- انني اصدق يا صاحب الجلالة . وكان مرسيوس يتكلم بانتباه ويزن كل كلمة يقولها . ان يسوع يستطيع ان يعمل كل ما يريد - في اي وقت - وفي اي مكان - دون ان يعترضه احد . ويعطي من يشاء بغير حساب ولا يبعد ان يزورك متى احب وكله شعور وعطف وحنان نحو الانسانية جمعاء . وذلك مما يعزبك ولما كان طيباريوس يريد ان يستخبر اكثر عن ظهور يسوع واختفائه حسب عينته سأله قائلاً . فاذاً اين يكون عندما يتوارى عن العيان ؟ هل يحق ذاته ؟
- النجوم لا تحقق ذواتها يا جلالة الامبراطور
- اذن تعتقد انه ربما يكون الآن في هذه العرفة دون ان نراه ؟
- اجابه مرسيوس . ليس لك ما تخاف منه يا سيدي لان يسوع لا يكثر العرشك ولا لغيره من العروش العالمية
- ماذا يعتقد ذاته اذا ؟
- يعتقد انه ابن الله
- وانت اذا تقول به
- اقول انه اله وانه اخيراً سيملك العالم كله ولا يكون لملكه نهاية
- ماذا ؟ ايها الاحق اتظن انه يهدم الامبراطورية الرومانية ؟
- اجابه مرسيوس : حينما يملك يسوع تكون الامبراطورية الرومانية قد زالت من الوجود . وامست سائر الممالك يسقط بعضها وراء بعض . وقد تنبأ عنها قائلاً : عندما يملك العالم من شر الحروب والعبودية والبغض وما شاكل ذلك فانه يؤسس له مملكة ملؤها الخير والصلاح
- قال طيباريوس : هذا اقول لا يُعتقد به بحيث ان الصلاح لا يمكن ان يملك العالم
- هل جربتم هذا جلالتكم ؟
- من المؤكد لا . انك لمجنون . من تجرأ قبلك ان يتكلم بكلام كهذا

في حضرتنا . انه يحيط بنا حتى كثيرون يلفقون اخباراً غريبة ولكنك فقههم جميعاً . فانه يشق علينا ان نسمع منك شيئاً من هذا فيما بعد
فسأله مرسيوس قائلاً : هل تسمح لي بالذهاب يا جلالة الامبراطور
فسأله : هل رأيت ديانا ؟

اجابه مرسيوس : نعم

- انها تأثرت جداً حين رجوعك الى رومية منذ سنة وقد خجلت انت ان تقابلها بسبب الضعف الذي طرأ على عقلك - ولكنها اذ آملت شفائك . لم تأمل باحد سواك رفيقاً لها والآن تراك تعود اليها مدتس الاخلاق بهذا الهذيان الذي يرفضه العقل . انت مغترب بالحنو والاصلاح . ماذا تنتظر ان تقول عنك ديانا الآن ؟ هل اعلمتها باختلال شعورك ؟

- لم نتحدث بشيء عن هذا الجليلي

فقال له الامبراطور برفق : ربما كانت رفاهية ديانا وسعادتها لا تهجانك . لكن الامر بالعكس فيما يختص بنا . فقد حان لك الوقت ان تهتم بامرها . فاترك هذه الحماقة

فجلس مرسيوس ولم يرد جواباً . غير ان طيباريوس اخذ يتفرس فيه ثم قال له : امامك طريقان ، إما ان تصمت عن الكلام بشأن يسوع وتلازم وظيفتك كقاضى روماني ابن شيخ روماني شريف ، او تشغلي عن ديانا ابنة غالوس لاننا لا نرضى ان تزوجها برجل احمق . ماذا تقول ؟

- اريدون يا صاحب الجلالة ان تاذنوا لي ان اتعم في هذين الطريقين او

الشرطين

- كم يلزمك من الوقت ؟

الى الظهر غداً ؟

- ليسكن كما طلبت . ولكننا لا نأذن لك ان تنظر الى ديانا لان المرأة حينها

تحب تخسر عقلها او شيئاً منه . وانت قادر ان تقنعها ان ترضى بك زوجاً لها
ولكنها سوف تندم على هذا الزواج . فعليك انت ان تقرّر ما ابديته لك . فامض
الآن وشاور نفسك

ولما تهيأ مرسيلوس للذهاب قال له الامبراطور قف قليلاً : انك لم تخبرنا شيئاً
عن الرداء فقصّ علينا ما تعرفه قبل ذهابك فربما لا نراك مرة اخرى
ولما استأنف مرسيلوس القعود على كرسيه اخبر الامبراطور عن برئه عند لمسه
الرداء وكذلك اخبره عن شفاء يدينا حينما لمسته ايضاً . ولما رأى ان جلالاته منتهيه
اليه شرع يحدّثه عن العجائب الاخرى التي صنعها الجليلي في كفرناحوم وغيرها من
البلدان . ثم ذكر له مسألة نشايل الشيخ فاهتم لهذه الرواية جداً . ولما قال له
ايضاً ان يسوع هدأ العاصفة كما يهدّي الرجل حصاناً شروداً صاح به الامبراطور :
- هذه كذبة جديدة زائفة . لان كثيراً من الالهة تثير عاصفة ، اما هذا فانه
يعرف ان يسكنها . ثم سأله ايضاً : اخبرني ماذا حدث للرداء المسحور ؟

اجابه مرسيلوس : انه لا يزال عندي

فقال الامبراطور : اذا كان عندك هنا فاني احب ان اراه

فاوغز الى الحجاب ان يدعو ديتريوس وبعد بضع دقائق اقبل وامتلأ امامه
وحيّاً فافتخر به مرسيلوس لما له من جمال الصورة وطول الغامة والوقار . وكذلك
سُرّ به الامبراطور حينما وقع نظره عليه فسأله أهذا هو العبد اليوناني الذي يقاتل
قاضياً رومانياً بقبضة يديه ؟

فاجابه ديتريوس : نعم انا هو يا صاحب الجلالة وافضل ان احارب بسلاح

- وما هو سلاحك ؟ أسيف ؟ او خنجر ؟ او غيرها

- سلاحي هو الصدق يا جلالة الامبراطور

فالتفت عندئذ الامبراطور الى مرسيلوس وقال له : ان هذا الغلام لمجنون مثلك .

ثم خاطب ديتريوس قائلاً : قد افكرنا فكرياً حسناً ان نبقيك عندنا لانه لا يوجد

احد في جزيرة كاپري هذه يدري كيف يستعمل السلاح الذي ذكرته الا انت فعليك ان تبقى هنا . ولكن اذهب الآن وأتني بالرداء ولما حنارأسه ومضى سأل طيباريوس مرسيلوس قائلاً : ما هو نوع العجيبة التي سيحدثها لنا هذا الرداء ؟

— لست اعلم يا سيدي

— ربما تظن ان الاوفق ان لا اجرّبه

اجاب مرسيلوس : انني لا اجسر ان انصح لجلالتكم

فسأل طيباريوس بصوت المتزعج . اذا كنت مكاننا فاذا كنت تفعل

— كنت اتأخر عن لبسه

ولما عاد ديمتريوس الى الغرفة حاملاً الرداء المطوي على ذراعه وقف مرسيلوس وقدمه الى طيباريوس الشيخ . فدّ يده ليأخذه على سبيل التجربة . ثم ارجعها حالاً الى تحت لحافه وغنم قائلاً : ابعده عني



الفصل الحادي والعشرون

لو ان الامبراطور طيباريوس دعا احد النبلاء الرومانيين ليتناول طعام الصباح معه في غرفة نومه لعدّ هذا المدعوّ ذلك شرفاً عظيماً له وسُرّ قلبه جداً ولكن دعوة جلالته لديانا ضايقها

كانت ديانا تعدّ الساعات لتجتمع مع مرسيلوس في الصباح عينه بالنظر لمحبتها الشديدة له حتى انها لم يههما شيء سوى ذلك . اما الان فان ميعاد اجتماعها به سيؤجل طبعاً وربما لا يتمّ اذا كانت المقابلة بينه وبين الامبراطور لم تنتهِ بالحسنى ولقد سهرت ديانا الى منتصف الليل تتوقع ورود خبر منه فلم يرد عليها شيء من ذلك ثم غلب عليها النعاس فنامت نوماً متقطعاً . وما ان بزغ الفجر حتى نهضت من فراشها متلهة تنتظر فرصة سانحة لتخرج من غرفتها وتذهب الى دارتها حيث جمعهما التوفيق سابقاً

ولكن ماذا يمكنها ان تفعل الآن وقد دعاها الامبراطور اليه ؟ فكان ان اخفت فشلها عن الخدم واستعدت لتلبية الدعوة . فاخذت الخادمتان تساعدانها في لبس الثياب المزركشة لتُفرح قلب الشيخ وراحت افكارها تحدّثها عما كان بالامكان حدوثه ليلة امس . ثم بدأت تناجي نفسها قائلة : ربما يكون الامبراطور قد دبر له ما يبقيه في هذه الجزيرة وبما ان مرسيلوس عرف كم انا تواقّة لمغادرة جزيرة كاپري فمن المرجح ان يكون قد رفض الطلب وقد دعاني الامبراطور لاستعمال جميع الوسائل لاقتناعه . وقد دلّني فكري على ان هذا الاجتماع سيكون عقيماً فارسلت اكتوس الخادم ليخبر مرسيلوس عن سبب عدم تمكنها من انجاز وعدها له . وبعد ان تظاهرت بالارتياح والبشاشة توجهت الى الامبراطور وقالت له :

انني لا اعدّ تنازلكم بدعوتكم ايائي لتناول فطور الصباح معكم الا تلطفاً زائداً منكم . لذلك التمس من لدنكم العذر عن عاقتي الى هذا الوقت

اجابها قائللاً : قد تناولنا فطورنا من نحو ساعة ثم قال للحاجب : قدم كاساً من عصير الليمون الى ابنة غالوس . ثم اخرج من الغرفة

وبعد هنيهة سألته : هل انتم متوعدكو الصحة يا مولاي ؟ حينذا لو كان بامكاني ان اعمل شيئاً لراحتكم

- ربما تستطيعين فقد دعوناك لاجل هذه الغاية

- انني ساعمل كل ما في وسعي واذا قالت هذا امسكت الكاس بيديها المرتجفتين خشية من ان يسقط

ثم خاطبها قائللاً : قد جرى حديث مطوّل بيننا وبين مرسياوس الشاب الجميل الاحق . واذا ذكر انك اخبرني مرة ان دودينوس كان مجنوناً فانه شعاع من النور بالنسبة الى حالة مرسيلوس هذا

اجابت ديانا انني متكررة جداً من سماع هذا الخبر فقد بقيت معه امس ساعة كاملة ولم يظهر لي منه شيء مخلّ

- ربما لم تتحدثا عن الامر الذي يتأثر منه . أنعماءين انه اصبح معتقداً تمام الاعتقاد ان يسوع هذا اله وانه سيملك العالم بأسره

- لا لا . ارجو من جلالته ان لا تقولوا هذا

- اسأليه فقط . لا بل اذكري امامه اسم يسوع واسمعي ماذا يتكلم بشأنه

قالت ديانا : طبعاً يجب على مرسياوس ان يخبر جلالته عن هذا اليهودي المسكين الميت لانكم لهذا الغرض ارسلتموه

- انه يصرّح ان هذا اليهودي المسكين الميت قد عاد الى الحياة وجال في البلاد وتكلم واكل مع الناس ولا يزال يحول كما يعتقد هو وانصاره ولا يبعد ان يظهر بغتة حيث يشاء وحين يشاء

- ربما انهم لم يقتلوه . فاجابها من المؤكد انهم قتلوه ومرسيلوس يتيقن انه عاد الى الحياة

فسألت ديانا : هل رآه ؟ اجابها ثانية لا ولكنه يؤمن ان يسوع هو الاله الذي سيسيطر على العالم ويملك بقوته الفائقة بدون افتقاره الى جيش
فهرزت ديانا رأسها وقالت قد ظننت انه شئ تماماً . وقد تبين لي من كلامكم ان حالته صارت من سيء الى اسوأ

اذا كان من شئ . يمكن عمله فعليك انت ان تعمله . دعيني اذكرك ان اهتمامنا بهذا القاضي الصغير المختل هو من اجلك فقط وهذه الغاية ارسلنا فاستدعيناه من منوع . وكذلك اوجدنا له وظيفة في خارج البلاد ليعود عقله اليه . ومع هذا فقد اخطانا في ارساله اليها . وقد امسينا الآن غير قادرين ان نفعل شيئاً وهو يعرف حق المعرفة ان لك عليه يدأً بيضاء وهو يحبك كثيراً . ربما تؤثرين عليه فتقنعيه ان يدع هذا الجليلي وشأنه ولا يعود يهتم به ولكنني اؤكد انك لا تستطيعين ان تعلمي شيئاً لان ايمانه به ايمان حقيقي

- اذاً لماذا لا ندعه يؤمن به . انني احب مرسيلوس من صميم قلبي ولا يهمني ايمانه به او بغيره . على اني ساجد ان اصرح له بانني لا اهتم بجماع شئ . يتعلق بهذا الجليلي وربما يضرب صفحاً عن ذكره بعدئذ

قال لها الامبراطور : ولكن المسألة لا تقف عند هذا الحد . فلو ان مرسيلوس كان كأحد السياح في الجليل ووقف على هذه القصة الغريبة وآمن بصحتها فلربما كان اعتقدها انها من عجائب ايام الاسبوع السبعة ثم لا يلبث بعد يسير من الوقت ان ينساها ولكن مرسيلوس يرى نفسه مضطراً ان يعمل شيئاً حسناً مقبولاً في سبيل يسوع لانه صلبه ولأن له ايضاً في ذمته دين لا مناص منه له من ايفائه وهو اعظم جداً من الدين الذي لك عليه

فتأثرت ديانا وسألته اذا كان مرسيلوس قال هذا القول

اجابها لا . لم يقل شيئاً من هذا ولكنه لسوء الحظ ذو ارادة قوية واخلص
عظيم وهذا سيسبب لك وله تبعاً عظيماً . اذ يرى نفسه كما قلنا مضطراً ان يشترك
في حركة الجليلي

اعادت ديانا قائلة : أحركة ؟

نعم . اجابها طيباريوس : وهي تثير نار الثورة وقد امتدت الى ولاياتنا
الفلسطينية . ويمترف الالف من الناس ان يسوع هذا هو المسيح الممسوح ولهذا
السبب يدعون انفسهم مسيحيين . وهذه الحركة تتقدم بسرعة وبقوة نحو مكدونية
والبلاد التي ما بين النهرين

فاصفت ديانا محدقة بصرها في طيباريوس وسألته قائلة أتعنون جلاتكم انهم
يقصدون ان يدمروا المملكة ؟

اجابها ليس بالقوة . فلو اعتلى شاب جاهل عربة ما واخذ ينادي الشعب ويجرضهم
على ان يشهروا اسلحتهم على رؤسائهم فلا يلبنون طلبه . ويسوع هذا يأتي بدون
جيش ولا تهمه المسائل السياسية . بل هو من ذاته لا يريد عرشاً وليس لديه وظائف
ليوزعها على مناصريه ولم يكن ليحارب او يحمل سيفاً او شيئاً يؤهله ان يكون
قائداً . لكنه يفتح عيون العميان ويجعل العرج يمشون . فيقتلوه لانه هيج الشعب
فيعود من الغبر ويقول اتبعوني وانا احرركم . فاذا آمنوا بكل هذا فلماذا لا يتبعونه ؟
يوجد انواع كثيرة من الشجاعة ولكن اقواها هي شجاعة اناس ليس لديهم ما يخسرون
- هل تظن ان مرسيلوس من هؤلاء المسيحيين ؟

- من غير بُد وقد اجترأ ان يتفوه امام ذاتنا الملوكية ان المملكة الرومانية
على شفا الحراب والدمار وهذا امرٌ من الخطورة بكان عظيم . وبما انه قد تلفظ
بهذا الكلام علانية امامنا فلا ريب انه يبدي هذه الملاحظات للشعب

فقات ديانا وهي خائفة : ربما يحاكمكم كخائن

- نعم ولكن لا يهمه شيء . وهذا الامر الغريب المقلق في هذه القضية

الجليلية الجديدة . لان يسوع هوكم لاجل الخيانة وحكم عليه بالصلب فُصلب
غير انه قام من الموت ويعتني بكل اتباعه الذين يضحون بحياتهم في سبيل اتباعه .
لذلك لا يخافون

ولكن ماذا ينتفع مرسيلوس اذا تنبأ بحراب المملكة ؟
اجابها طيباريوس هل تظنين ان المملكة الرومانية باقية الى الابد
- لا لم افكر بهذا الامر مطلقاً

- لا . ربما لا واخذ يناجي نفسه قائلاً . يلذُ للانسان ان يراقب هذه الحركة
تتقدم واذا بقيت تتقدم هكذا فلا شيء يقف في سبيلها ولكنها ستسقط عن قريب
قال طيباريوس : مسكين مرسيلوس قد وعدناه ان يقابلنا اليوم عند الظهر .
وقد افهمناه اننا لا نريد ان نسمح لك ان تلقي نفسك في وهدة الحطير بزفافك الى
رجل يُشغل اوقاته وافكاره بقضية يسوع الحطيرة واذا بقي مصرّاً على الاشتغال
فيها فانه يحسر اصدقاءه وحياته ايضاً . وكذلك قلنا له ان يختار احد امرين اما
ان يترك يسوع وجماعته او نتركه وشأنه ونزفك الى غايوس
فرجته ديانا قائلة : لا يا مولاي لقد صرحت لجلالتكم اني احب مرسيلوس
لا غيره

فاجابها : اننا نقر ان لغايوس غلط ما ولكنه يقدر ان يملك اميرة فتعيشي
سعيدة معه اكثر مما لو كنت زوجة مجنون يجب خيالاً

- وماذا كان جوابه لجلالتكم لما ذكرتم له انكم تجعلوني زوجة لغايوس
- التمس منا مهلة الى ظهر هذا النهار لئتمعن في هذا الامر . ثم تفرس في
وجهها ليري تأثير هذا البلاغ المؤلم في فؤادها
قالت ديانا كأنها تتخاطب نفسها : انه التمس منكم ان تمأوه ريثما يري هل
يسلني الى غايوس ؟

اجابها طيباريوس : نعم ونظنه يفعل ذلك مع حبه العظيم لك . وهيئات ان

يتخلى عن محبته يسوع وهذا ما عنيناه حينما قلنا لك ان هذه الحركة المسيحية ليست امراً بسيطاً تافهاً اذ كل الذين يؤمنون به يضطرون بكل ما عزاً وهان. وهذه حالة مرسيلوس فانه لا شيء يهمه حتى ولا انت.

فقلت ديانا : اذا لا فائدة لنا مضمونة من الكلام معه

- لا بأس اذا جربت . وقد اخذنا منه وعداً بان لا يجتمع بك الا بعد ان يختار احد الشرطين اللذين شرطناهما عليه ومع هذا سنرسل نعلمه انه معفى من الجزاء وعده لانك ربما تستطيعين اقناعه . وتظاهري امامه انك لا تعرفين شيئاً عن مسألة غايوس

* * * *

جلس كل من مرسيلوس وديانا بازاء بعضهما في رواق دارتها المطلّة على البحر الهادئ. وكان غير باق لمرسيلوس سوى نصف ساعة ليجتمع مع طيباريوس الشيخ . ومن المعلوم ان الشيوخ مهما كان خطأهم جسيماً فانه يهمهم جداً المحافظة على الوقت وبعد ان تحادثا وقتاً غير قليل التقت ديانا رأسها على صدر مرسيلوس ولما كانت تتنهد احياناً كان هو بدوره يحنو عليها ويطوقها بيديه

وكانت ديانا عندما اجتمعت معه منذ ثلاث ساعات تحسب بل تعتقد ان تباهل اسباب الحب بينهما سيحل لها هذه المشكلة . وقد اظهر لها مرسيلوس من عواطف الحب والحنان ما اهتزت له اعصابهما لانهما شعرا بل ايقنا بان لا احد يقدر ان يفرق بينهما فابتهج قلب ديانا من الفرح وقالت ما دمنا انت لي وانا لك ليفعل العالم ما يشاؤون - سواء سقطت المملكة ام لم تسقط ليذهب يسوع ويصنع خيراً الى الابد ويملك على الشعب بالصلاح . ليحارب العالم اويهلك جوعاً فلا يستطيع احد ان يفرقنا . ولما رفعت رأسها طبع مرسيلوس قبلة في عينيها وسمع نبضات قلبها . فقلت له : تعال نجلس ونفكر في الجواب الذي تردّه للامبراطور

جلسا متلاصقين ثم ابتعدت عنه ديانا قليلاً وكانت نار الحب في قلبها تشع من عينيها . اما شفقتها فكأنتا هادئتين فقالت له : دعنا نقرر ما يجب ان نقواه للامبراطور لانه يرغب لي ان اعيش عيشة الاميرات في صفو بال وهو يعرف حق المعرفة انني احبك فقل له ان يعهد اليك بوظيفة ما في رومية

فذكرها مرسيلوس بان الامبراطور يريد منها ان تسكن في دارتها بكايري اجابته ولكننا نقدر ان نقنعه ان يغير وأنه لان الدارة لم يكمل بناؤها بعد ولا يمكنه ان يراقب البنائين لانه مريض . فربما يسره الا يتم بشأنها في المستقبل . دعنا نقول له اننا نريد ان نذهب الى رومية لزيارة والدينا ربما يرضيه هذا الامر اجابها مرسيلوس ربما يوافق عليه لانه ما من احد يدرك نيته

فاستطردت ديانا بحجراته وعندئذ تستطيع ان تفعل ما تشاء . فتجدد صداقتك مع اصدقائك وتجتمع معهم في النادي حيث كنت تصرف اكثر اوقاتك فيه باجواء التمارين والاستحمام

- كان هذا قبل ان عرفت ما اقتضى ذلك النادي الرخامي من النفقات

- آه يا عزيزي لم لا تكف عن شغل بالك بامور كهذه . انك تتوجع من اجل العبيد الذين حملوا رخامه من المقلع وايضاً الرخام الذي نحن قاعدون فوقه . وكذلك الرخام الذي في منزلكم . انني اصوب رأيك واوافق عليه واتأسف على ان يكون بعض الناس عبيداً لبعض ولكن ما الذي تستطيع ان تفعل انت وحدك تجاه هذا الامر الواقع

- تنهد مرسيلوس تنهداً عميقاً وهز رأسه . ثم استوى جالساً وظهر بريق الفرح في عينيهِ وقال لها : سأقص عليك قصة رجل غريب عجيب

تغير الشعاع الذي كان في عيني ديانا وقالت له : اذا كانت قصة الرجل الذي تعنيه افضل ان لا تقصها علي لانه سبب لك اتعاباً كثيرة فقد حان لك الوقت ان تنساه لانني اعتقد انه لم يحسن اليك

اجاب مرسيلوس كما تشائين . وقد زال بريق الفرح من عينيه وسكت
فالتصقت فيه ديانا وهي نادمة وقالت : لا بأس قل ما تريد ان تقوله عنه
وكان مرسيلوس يتوقع هذه الفرصة الثمينة ليخبرها على يسوع وقد استعد
لهذا الامر منذ ايام لانها لا يسهل عليها ان تفهم حالاً وربما لا تصدق هذه القصة .
راجع بذكرته جميع ما يحاول ان يطلعها عليه من اخبار يسوع وتعاليمه وبيان
عجائبه وانه محرر طبيعة العالم بأسره

اما الآن وهي ملتصقة به فقد افكر ان يخبرها بادیء بدء مسألة يونانان
والخمار ولما اخبرها عنها قالت : كيف اخذوا الخمار من يونانان واعطوه لتوما فان
ذلك يعدّ عملاً دنيئاً

فوافق مرسيلوس على صحة اعتقادها وقال انه كان عملاً عفيفاً ولكنه جعل
منه رجلاً صغيراً

- ولماذا ييمانون منه رجلاً وهو ما يزال في سن الحداثة ؟

ولما رأى مرسيلوس ان كلمة رجلاً صغيراً لم تكن مناسبة اخبرها كيف كان
شعور الاحداث نحو يسوع باجتماعهم حوالیه وهو في محل النجارة وكيف كانوا
يتبعونه عندما يعود مساء الى البيت

ثم اخبرها كل شيء عن مريم وصوتها وعن العرس وكيف انها كانت تعيسة
ولما منحها يسوع رخامة الصوت اصبحت مبهجة سعيدة ترتل لاهالي القرية فتفرج
همومهم وتفرح قلوبهم بعد تعب النهار

- هل كانت مريم هذه تحب يسوع ؟

- نعم بل كان الجميع يحبونه ؟

- اظن انه كان يقتكر انه من الخطأ ان يحب الانسان شخصاً واحداً

- ان يسوع لم يكن شخصاً عادياً وكذلك قدرته الفائقة الوصف كانت غير

عادية ايضاً و كان شعوره بان حياته تختص بالعالم قاطبة

واهتمت ديانا ان تستفهم اكثر عن اعمال يسوع فسألته : وما هي الاعمال العجيبة التي قام بها ايضاً وقبل ان يحدثها بقصة ليديا رأى ان يجبرها عمأ اصاب عقله من اذى الشوب الذي أجبر على لبسه ليلة الولاية

فقالت له هذا يسوع المسكين كان قد تألم كثيراً . فلم يكن معهم الحق ان يستهزئوا بشيابه . وكان شجاعاً ولم يؤذ احدأ

ولما لمس مرسيلوس شعورها الحقيقي مع يسوع اخذ يقص عليها ما حدث له ذلك النهار في اثينا وكيف انه قصد الانتحار ليتخلص من حياة اليأس وكيف انه لما لمسه ثانية شفي شفاء تامأ

فاغرورقت عينا ديانا بالدموع عندما رفعت راسها وتطلعت فيه وقالت ارجع ظني انك شفيت عند لمسك اياه لانه كان يختص برجل وحيد

اجابها هذا ما احسست به حينما وضعته على ذراعي . فضلاً عن شعوري بصدائة قوية انعمت آمالي وجددت في نفسي حب الحياة . اتصدقين يا ترى ما اقول ؟

اجابت : نعم اصدق ما تقول واذا كنت عجيبت مما جرى لك اولأ بواسطة الرداء المذكور فلا اعجب كثيراً مما جرى لك اخيراً . ثم سأله ان يبين لها مسألة ليديا وبعد ان بيئها مفصلة قالت له كم كان صعباً عليها ان توسع لها طريقاً بين الجمع الغفير لكي تصل الى يسوع . ولما قالت هذا اضطر مرسيلوس ان يحدثها عن ذلك الجمع

فقال : ان اولئك المساكين كانوا يتركون اموال الحياكة وآلات الخراطة ويتبعونه ايامأ عديدة ينامون في اثنائها على الارض جائعين منهوكي القوى ليكونوا قرييين منه . وكانت ديانا مصغية اصغاء بشوق وسرور وهي معجبة بقصة الجليلي وما كاد يفرغ من حديثه حتى سأله : اتؤمن انت حقيقة انه حي ؟ فاجابها بالايجاب . ثم اكمل الرواية عن ظهوره مراراً في تلك النواحي

- وهل تعتقد ان استفانوس رآه رأي العين ؟

- وهل تجدين هذا صعباً تصديقه بعد كل ما سمعته مني ؟
 - اريد ان اؤمن بما تؤمن به انت يا مرسيلوس . وما ان فاهت بهذه العبارة
 حتى ضمتها الى صدره وقبل فاها ووجنتها بفرح شديد وقال لها ان مشاركتك اياي
 في هذه القصة كانت لها في نفسي احسن وقع لانه مع علمي بشعورك بالامور الفائقة
 للطبيعة لم اكن انتظر منك ان تفهميها بسرعة زائدة
 حسناً . قالت ديانا ، ان هذا امرٌ مختلف اما الذي خشيته هو ان هذه الرواية
 ربما تؤثر على حياتك ولكنها رواية والحق يقال مجد ذاتها جميلة يا مرسيلوس .
 ليس علينا في ادراك كنهها فيجب ان نعيش عيشة هنيئة كأنه لم يحدث شي .
 فاجابها بعد سكوت وتفكير عميق : اعلمي يا عزيزتي انها أثرت على حياتي
 اشد التأثير ولا اقدر ان اعيش متصوراً او مقتنعاً بانها خيالية لم تحدث
 - اذاً ماذا اعتمدت ان تعمل ؟
 - لست اعلم تماماً . انما الذي اعلمه هو ان عليّ واجباً . ولو حاولت ان اعيش
 كما كنت سابقاً لما استطعت ذلك مطلقاً
 ثم وصف لها بحماسة شديدة الحالة الغريبة الظاهرة في البلاد فقال : ان الحادث
 الذي اثر في سكان الجليل لم يكن ابن ساعته بل اهتز له العالم اجمع لان سكان
 الارض كافة عاشوا آلافاً من السنين بغير رجاء مستعبدين اذلاء جائعين وكان الرؤساء
 والزعماء يقتلون وينهبون العاجزين
 ثم استطرد حديثه قائلاً والغضب باد على وجهه انظري الى سجلنا فترين ان
 المملكة الرومانية قد اتحدت نحو نصف العالم عبيداً لها . وقد ظننا اخضاعها لتلك
 الولايات الصغيرة دليلاً على الشجاعة فاذا هو ظلم وعدوان
 كذلك انظري الى النقش العظيم والالواح النحاسية المدبجة بالنقوش العظيمة
 المفروزة بصورة خاصة للامبراطرة والفرسان والولاة والقواد والقضاة الذين بلا شفقة
 ولا وجدان ذبحوا من وصلت اليه ايديهم من الناس العاجزين عن المدافعة عن حقوقهم

وحقوق بلادهم ونحن نقدرهم ونفتخر بفضائلهم واعمالهم الشائنة
يا حبيبتي ديانا اسمعي وعي ما اقصد عليك : بينما كنت مسافراً في المركب الذي
اقلني الى بلدي التجهت افكاري نحو عظمة رومية والآثار التذكارية التي في الساحة
العامة والقصور الفخمة الرخامية وتذكرت عندئذ ان هذه الاشياء المهمة الجميلة اما
ان نكون سرقتها من امم ارق منا معرفة وذكا او اننا بنيناها من الاموال
الاميرية التي اغتصبناها من البؤساء والجياع . وقد كرهت نفسي هذه الافعال الدنيئة
التي يسمونها بسالة

فقال له ديانا : ولكنك لا تستطيع ان تفعل شيئاً كما قلت لك
اجابها مرسيلوس وكانت عاصفته قد هدأت نوعاً : يا رومية المنيع العائشة في
الكسل والرفاهية التي دفعت ثمنها اكينتانيا وانكليا هسبانيا وغلطية وكريت
وكبدوكية ويوننتس وتريس تلك المدن التي كان اهلها البؤساء يصرخون من الم
الجوع . نعم ابطالنا يستهزئون بيسوع لانه اغزل لا سلاح له ولا جيش وانهم
يعدونه ضعيفاً لكونه سفك دمه كفارة عن خطايا البشر . ولكن سيأتي الوقت
الذي يحصل فيه يسوع على ما يريد

فتنهدت ديانا وسألته : وما تود ان تفعل اذا ؟

- اني في الوقت الحاضر متأكد ما لا يجب ان افعله وهو ان لا اذهب الى
نادي القضاة حيث اجلس متكاسلاً متظاهراً انني نسيت الرجل العظيم الذي يستطيع
ان يخلص العالم يكفيني ارتكاب هذا الاثم وانا بريء الساحة من هذا العيب
سألته ديانا : هل يدور في خلدك ان تتبرأ من اصدقائك وتمسك بهؤلاء
العبيد المساكين وتجول معهم ؟

- نحن العبيد المساكين لاهم يا حبيبتي لانهم باتباعهم يسوع الجليلي الالهي
يكونون سائرين الى ساحة الحرية الرحبة ومع كونهم مكبلين بالسلاسل فان
نفوسهم مطلقة لا مكبلة

سألته ديانا هذا السؤال وهي مصفرة الوجه : لا اظنك تريد ان تلتحق بهم ؟
فغمغم مرسيلوس قائلاً : قد التحقت بهم وتمّ ما تمّ

واذ سمعت ديانا هذا انتصبت واقفة مظهرة خيبة املها وقالت له : يمكنك اذا
يا عزيزي ان لا توقعني في هذه الورطة وكانت دموعها تتساقط كالمنطر . وبعد ان
كفّت عن البكاء خاطبته قائلة : اذا شئت ان تؤول حالتك الى الحراب وتفقد
احترامك وتضي هزاة بين الناس فليكن لك ما تريد

ثم عادت جلست بقربه وطوّقته بيديها وقالت مكتئبة : انك تتوهم يا مرسيلوس
ان تنشيء عالماً جديداً وتخلق اشياء من العدم مع علمي بدرايتك وذكاك . فاذا
كفّ الناس عن العداوة والمقاتلة وعاشوا كما يشاء يسوعك بسلام وامانة ورحمة
حينئذ يصبح العالم من نفسه جديداً . ويتبعد عن الحسد والبغضاء والانتقام ويشبع
هؤلاء الصغار المساكين ويعيشون بطمأنينة . ولكن لم يحن بعد ذلك ائمن الذي
نعلل النفس به . فلماذا اذاً نجمل انفسنا من الان يائسين عادمي الرجاء بل لماذا تلي
بنفسك الى الخارج ثم تنهدت وقالت انك تجرح قلبي . ألا يهّمك امري ؟

اجابها : يا حبيبتي اني افضل ان اموت ولا اراك حزينة . غير انه لم يبق
بارادتي ان اختار الطريق التي يجب السير فيها . ولما كان موعد الاجتماع مع الامبراطور
قد قربت ساعته رفعت عينيها وتطلعت الى نحو الساعة وقالت لمرسيلوس لقد حان
الوقت يا حبيبي يجب الا تدع جلالتك ينتظرك . عذائي اليوم بعد الظهر واخبرني
كل ما يجد

فضها الى صدره وطبع قبلة على وجنتيها ثم قالت . ان سعادتنا لا تدوم لانها
جميلة وحلوة جداً . فاذهب الآن ، ساحاول ان افهم ما ترومه واعلم ان محبتي لك
تريد ولا تنقص . ثم همست في اذنه قائلة : ارجو ان يسوءك يهتم بك

- هل تصدقين ما قلته لك عنه ؟

— نعم يا عزيزي انني اصدق
— اذا فهو يهتم بك ايضاً

* * * *

كان الحاجب منتظراً مجيء مرسيلوس فلما وصل مضى به الى الجناح الملوكي .
ثم فتح له الباب ووقف على حدة فدخل مرسيلوس واغلق الباب وراءه . وعند
اقترابه من السرير الملوكي حنا هامته وانتظر اوامر الامبراطور فلما تفرس في وجهه
قال له : يظهر انك قررت اختيارك ليسوع

فاجابه مرسيلوس بالايجاب مطرقاً بنظره الى الارض

ثم حدث سكوت دلم بضع دقائق

ثم قال له الامبراطور الشيخ : إذن اخرج من حضرتنا

فابطاً مرسيلوس قليلاً . ولما رأى الامبراطور منه ذلك صاح به : اخرج

يا احمق . تخرج حالا وهو يسمع صياح طيياربوس يردد قوله له انت احمق وستموت
للاجل حماقتك . وحقاً انك احمق شجاع وشجاع احمق

* * * *

فلما خرج رأى الحاجب ينتظره في البهو فقال له اذا كنت مستعداً يا سيدي فان
الكروسي بانتظارك ليحملك الى المرفأ وامتعة سفرك نُقلت في الحال

— عندي مقابلة اخرى لا بد منها . اجابه الحاجب : ولكن هذه ارادة

الامبراطور ، وعليك ان تذهب في الحال

— ألا يُسمح لي ان ابث عن عبدي واكلمه كلمة فقط ؟

— ان عبدك اليوناني صدر الامر بسجنه حالا لانه لم يُرد ان يرزم لك حوائجك

فاحضرونا ان نبقيه هنا

- هل قاتل احداً ؟

- نعم قاتل احد النوبيين . ان عبدك شرس جداً ولكن النوبيين سيعلونهم
كيف يتصرف احسن . ثم هنا الحاجب راسه وأشار الى الكرسي الفاخرة . فوقف
اربعة رجال على مقربة منه وانتظروا قدوم المسافر ووقف خلفه عدد من حرس القصر
فقال الحاجب الوداع يا سيدي . ارجو لك سفرة سعيدة



الفصل الثاني والعشرون

كان قد انتشر الخبر على ظهر الزورق الوسيع انه عند وصول المسافر الذي يتوقعون حضوره يجب ان يُقلع الزورق في الحال بدون ابطاء . ولما اقترب الكرسي من معبر المرفأ ابدى الركاب الواقفون على الدرابزون اهتماماً شديداً . الا ان شيوخ مجلس الاعيان النبلاء الذين لم يكونوا من قبل معتادين ان ينتظروا محبي قاض متأخر عن ميعاد السفر شعروا بضجر وسامة لا مزيد عليهما

فتحرك الزورق حين ركوب مرسيلوس فيه وكان عدد الركاب يتنيف على العشرين وقد قعدوا على كراسي انيقة تحت مظلة خفية مزركشة . وكان النسيم اللليل يمر بالخليج فتختلج مياهه المائلة الى الزرقة بما يأخذ بمجامع القلوب ويُسر وكان يُسمع لصوت المجاذيف لطبات متوازنة

اما مرسيلوس فقد جلس بمنزل عن جماعة المسافرين يراقب اسكلة بيتولي . وبعد قليل خرج من عنبر الزورق الفسيح اثنا عشر نوتياً يحملون فوق رؤوسهم المحلوقة صواني فضية وقدّموها الى الركاب وفيها عدة اطعمة شهية تكرر بها الامبراطور . لكن مرسيلوس لم يكن جائعاً لياكل منها شيئاً

كان من الممكن ان يصل الزورق « اوغسطا » الى رومية بمدة يومين لا غير بحيث كان سيره سريعاً جداً . غير ان مرسيلوس لم يُخطر على باله لاول مرة في حياته ان يعرج على منزله لانه يضجر من كثرة سؤالات العائلة وجوابه عليها بما يتعلق بقصة الجليلي . فان والده سيخيب امله ويفض ب عليه . ووالدته ستلجأ الى البكاء وشقيقته لوسيا ستشعر معه ولكن على سبيل الشفقة . وما عساه ان يجيب صديقه الحميم

تولوس حين يسأله ماذا عملت في هاتين السنتين . لذلك صمّم النية على عدم الذهاب الى رومية

ولما مالت الشمس الى الغيب مشى الى ناحية رئيس الملاحين وسأله . هل يرسو الزورق في ميناء اوستيه ؟ فكان جوابه له بالنفي

ولما خيمّ الغسق هبّت من ناحية الشرق سمات الصباح المنعشة للارواح ولم يكن من احد على ظهر الزورق فولج مرسيلوس غرفته واخرج رداء يسوع من كيسه الكبير وطواه عدّة طيّات ولقّه حوله خصره وشدّه بحزام

وكان والده قد بعث اليه بصحبة مرسيلور هدية موضوعة في صرة عقيب وداعه اياه حينما سافر الى جزيرة كاپري حيث كان الامبراطور يتوقع حضوره . ولكنه لم يفتحها الا بعد ان اجتمع هو وديمتريوس على ظهر المركب «كليو» . ولا تسلم عمّا اعتراه من الدهول لما رأى من عطف ابيه عليه بعد ان جرى ما جرى بينهما من سوء التفاهم والنفور . فقد حوت تلك الصرة كمية وافرة من النقود الذهبية القيمة لينفقها في سبيل احتياجاته في ديار الغربه كأنه يقول له انه يمكنه الذهاب في طريقه الخاص ثم خلع مرسيلوس رداءه عنه ووضعه في الكيس الكبير مكان الرداء واضطجع في سرير حجرته ريثما ينقضي الليل . وكانت افكاره اذ ذاك متجهة نحو ديانا وابعادها عنه . وكان يكرر نظره الى ساعة جيبه الصغيرة الموضوعة على مائدته من آن الى آخر ويقول في نفسه اذا صدق ظني فان الزورق «اوغسطا» يدور حول كاپيا عند منتصف الليل

اخيراً خرج من حجرته وتوجه نحو مؤخر السفينة وكانت امتعته مربوطة بحزامه الثقيل فلم يعره الحارس اهتماماً لاول وهلة غير انه قال في نفسه اذا سمعت في خدمته ولو قليلاً فربما اربح منه شيئاً

فقال له ان النور الذي تراه يا سيدي هو منارة كاپيا . أتريد ان احضر لك كرسيّاً ؟ اجابه مرسيلوس بالاجاب . ولما ذهب الحارس لقضاء غرضه غطس مرسيلوس

في البحر بكل هدوء . واخذ في السباحة وقبل ان يصل الحارس بالكرسي وينبئه غيره من الحرس كان مرسيلوس قد توارى في الظلام عن العيان . وفي الحال توقفت حركة المجاذيف واخذ النوتية يلتفتون الى كل جهة ويفتشون عنه واذا لم يجد التنبية والتفتيش نفعاً اضطر الزورق الذي كان بينه وبين رومية مسافة بعيدة ان يواصل مسيره اليها

اما مرسيلوس الذي فرّ تحت جناح الليل من امام عيون رجال الزورق «اوغسطا» وركابه فقد عانى كثيراً من الصعوبة والتعب نظراً لطول المسافة التي قطعها في سباحته للابتعاد عن الانظار ولم يجتهد بها قبلاً ولم يحلم بها في حياته . واما الذي زاد في تعب جسمه مع ما هو عليه من القوة والشجاعة فانما هو ثقل هذه الدنانير الذهبية التي كانت في منطقتة وكذلك تلبّد ثيابه من الماء

وحيث انه وُجد نفسه في هذه الحالة الحرجة اخذ يتفكر في طريقة تنقذه منها فعوّل على خلع ثيابه المبللة التي كانت تعوقه في السباحة ولكنه ما لبث ان رجع عن فكرته بفضل عوقها وتعبها على ان يدخل الى كاپيا بدونها ثم حاول تزج حذائه فلم يستطع تزعه الا بتمزيقه فتركه

وبينا هو في هذه الحالة اذ لمح نور منارة كاپيا يزداد اشراقاً فعلم ساعتئذ انه صار على مقربة من شاطئها الذي لم يصل اليه الا بعد ان تقاذفته امواج ذلك البحر العجّاج يميناً وشمالاً

ولما وجد مرسيلوس نفسه سالماً تهلل وجهه وابتم بعد ان كان عابساً مقطب الجبين . وبعد قليل انتصب على قدميه وطفق يبحث عن بقعة ناشقة يضطجع فيها الى ان تيسر مطاوبه فنام حتى بزوغ الفجر ولكن نومه كان متقطعاً لتبلل ثيابه وسدّة شعوره بتعبه . ولما اشرفت الشمس نشر الرداء على الرمل فنشف حالاً قلبه فوق ثيابه المبللة وشعر اذ ذاك بدفء علاوة على سروره الشديد بنجاته

وبعد قليل من الوقت احسّ بالجوع فتقدم من كوخ احد صيادي السمك وطلب

منه طعاماً فلم يعطه فقصده في الحال فندقاً لاحد البحارة فاعطاه رغيفاً اسود وحساءً (شوريا) ولما فرغ من طعامه وهم ان يخرج كيس الدراهم ليدفع منه ثمن ما اكله ، اجتمع حواليه كثير من البحارة المذكورين ولما لم يكثر لهم ولا ابدى ادنى خوف من كثرتهم تركوه وشأنه

فسار في شوارع كاييا المدينة القذرة واذا رأى ان منطقته الغالية الثمن لم تبقى صالحة لشيء اخفاها في صدر رداءه . ثم واصل طريقه الى قرية تبعد ثلاثة اميال حيث ابتاع كيساً متيناً من جلد المعزى وافرغ ماله فيه ورمى بالمنطقة البالية في احد الآبار

وقبل وصوله الى قرية اخرى خلع عنه رداءه ولف فيه صرة الذهب الثقيلة الوزن التي كاد يغرق بسبب ثقلها في البحر واشترى رداء غيره . واذا كانت الشمس قد ارتفعت في الافق حمل مرسيوس رداء يسوع الجليلي على يده وسار في ازقة تلك القرية غير مفكر فيما يفعل الا انه لم يكن يائساً ولا خائفاً من شيء . بل لم يشعر بوحشة في انفراده وابتعاده عن وطنه واهله لان ذلك الرداء كان له خير رفيق

ولقد كانت تلك القرية على جانب من الجمال بمنظرها البديعة واشجارها الباسقة واطيارها الممزقة وازهارها الفواحة الشائقة النابتة حول الساقية . فكان ذلك كله لعيني مرسيوس قررة وقلبه مسرة . وبعد هذا تمعن في اباسه فوجد نفسه مختلفاً عن عادته . ونام تلك الليلة في الفلاة وجعل الرداء غطاء له وتذكر اذ ذاك كلام يستوس الذي قاله له : للثعالب اوجرة وللطيور اوكار والكن لم يكن ليسوع فراش لينام عليه ولا مسند ليسند راسه اليه

وكان كلما جذب الرداء اليه يشعر بدفء وراحة وطمأنينة . ثم دار ذكر حبيبته ديانا في خاطره والكن لم ييأس من ابتعادها عنه . ونهض متشطاً واغتسل بمياه الساقية الباردة وكان فطوره من الكبوش البري

ثم سمع اصوات اصحاب عربات النقل تعلن ان السياح الذين على راس التلة قد

اقتربوا من اربينو . فتذكر مرسيلوس ساعتئذ انه سمع بذكر بطيخ اربينو المشهور
وقدّر بفكره انه حان اوان قطفه

وكانت الطريق اليها واسعة جداً وممهدة والعناية بها ظاهرة وعلى جانبيها الحقول
تُحْرث وقد امتدّت فيها عروق البطيخ الناضج على مسافات شاسعة وكان الرجال
يقطفونه والنساء والاولاد يجمعونه ويضعونه في مركبات النقل المشار اليها
جلس مرسيلوس قبالة باب مفتوح واخذ يراقب حركة العمّلة ولاحظ ايضاً ان
القرية نفسها كانت مؤلفة من قرى مربّعة ملتصق بعضها ببعض . وفي الجهة الشمالية
منها بيوت متلاصقة البنيان . ويدت له على ارتفاع قليل منها دارة مسقوفة بالقرميد
الاحمر ومحاطة باشجار باسقة فعلم ان هذه كانت تخص بالرجل الذي يملك تلك
البيساتين

وبعد هنيهة اراد مرسيلوس ان يقترب نحو القرية فاوقفه المناظر وسأله : هل
تبحث عن شغل ما ؟

فاجابه مرسيلوس : نعم فاين الشغل وما هو نوعه ؟
فاشار الناظر ماصبعه نحو بستان البطيخ وقال له ان بدل الاجرة اليومية فلس
ونصف مع طعام لتاكل وفراش لتنام عليه

فقال مرسيلوس : ربما يكفيني نصف البدل المذكور لان النهار قد مضى نصفه .
ومع هذا فلا أخفي عليك بان ليس لي اختبار في قطف البطيخ

فذهل المناظر من هذا الجواب وتفرّس في وجهه واخذ يتمعن في امره فما كان
من مرسيلوس الا ان حمل احدى السلال الكبيرة واتجه نحو شغله الجديد

فناداه المناظر قائلاً : انتظر قليلاً يا غلام . ثم اصدقني القول هل تعرف
القراءة والكتابة ؟

اجاب مرسيلوس بالاجاب

- هل عندك علم بحساب الاحصاء ؟

- نعم ، اجاب مرسيلوس

قال المناظر ان كاظو قد طرد كاتبه

فسأله مرسيلوس . ومَن هو كاظو ؟

اجاب المناظر مشيراً بيده الى الدارة والبلد والعقارات ان كاظو صاحب هذه كلها فاصعد اليه وقل له ان المناظر قد ارسلك اليه ليجد لك وظيفة في ادارة املاكه المذكورة واذا لم يتيسر ذلك فعُدْ الى هنا واشتغل بجمع البطيخ

اجاب مرسيلوس : انني افضل الاشتغال بهذه المصلحة ولا بأس بها

- ولكن ألا تعلم ان الكاتب يعطى مرتباً اكبر وطعاماً احسن

- ولكنني انا افضل جمع البطيخ كما صرّحت لك

- ألا يهيك ان تحصل على فلسين ونصف يومياً عوضاً عن فلس ونصف مثلاً ؟

- لا يهمني كثيراً لانني احب القلاة والتأمل في الطبيعة وفي ذلك الجبل العظيم

فقطي فوييكوس عيني بيديه وتطلع في ذلك الجبل مرة ومرتين . ثم نظر

الى مرسيلوس وسأله قائلاً : انت لست محتلاً يا غلام ؟

- لا اظن اني كذلك

اجابه المناظر : الاوفق ان تصعد الى الدارة

* * * *

كان كاظو رجلاً قصير القامة يبلغ من العمر خمسين عاماً ذا سطوة ومهابة وغنى

وكان يتأنق كثيراً في ملبوساته العديدة الغالية الثمن وقد تبين للخاصة والعامة انه

اعتاد ان يسأل اسئلة كثيرة بزهو وعجرفة ويحيب على الاسئلة الموجهة اليه بتهكم

وازدراء شديدين

ولما صعد مرسيلوس الى دارة كاظو لمقابلته كما قال له المناظر وقف قبالة مكتبه

ينتظر اشارة منه فشاهده يمشي مشية الطاووس في الرواق ذهاباً واياباً ويصيح بلـ

شدقيه على الكتبة ويزجرهم بدون تفريق ولا سيما على الكاتب الذي اضطر الى طرده قائلاً : انهم جميعاً اخسأء عادمو الامانة يحبون الكسل والبطالة والاهو ولا يستحقون طعاماً ولا شراباً . وقد كان كلما مرَّ في ذهابه او اياه بقرب مرسيلوس يجدجه بنظره كأنه خصمه اللدود

اصغى مرسيلوس في بداءة الامر الى هذا الصياح بوجه عبوس لكنه بعد ذلك رأى انه لا يستطيع ان يملك نفسه عن شدة الضحك

فنظر اليه كاظو وقال له : هل في الامر ما يضحكك ؟

- نعم ، اجابه مرسيلوس : ربما لا يكون مضحكاً لو كنت انا جائعاً ومجاجة قصوى الى الشغل لكنني لا يمكنني ان اضرب صفحاً عن الطريقة الشاذة التي تعامل بها كل عامل لديك وهو واجم لا يستطيع ان يتفوه بكلمة فلم يصدق كاظو ما سمعته اذناه من كلامه المملوء جرأة وتجاوزاً فلبث في مكانه مشدوهاً

فقال له مرسيلوس : قم كلامك الذي ابتدأت به ولا تهتم بي . وهل يهيك اذا استرحت قليلاً لانني اخذت بالمشي منذ طلوع الصباح حتى هذه الساعة . واذ قال هذا جلس في كرسيه خنم وتنهد . فاقرب منه كاظو وسأله من انت يا غلام ؟ - ان سؤالك اياي بهذه الالهجة لا يستحق جواباً . انني عابر سبيل ولا شغل لي . ان ثوبيكوس وكميلك الح علي ان اسألك وظيفة ما اخدمك فيها خدمة صادقة مخلصة وبدلاً من ان تهلني لابين لك مقصدي هذا . فاجأتني بسكب جام غضبك علي فاسمح لي ان اقول لك : انك لا تستحق ان تسكن في دارة كهذه وان طريقتك في معاملة الغرباء يجب ان لا تكون هنا بل انه يقتضي معاملتهم في هذه الاماكن الجميلة بطريقة الدعة واللطف والصلاح . أليس كذلك ؟

كان كاظو يصغي بانتباه الى كلام مرسيلوس وملاحظاته بكل دهشة واستغراب غير انه ما لبث ان هاج غضبه فقال له : انت لا تستطيع ان تسمعي مثل هذه

الملاحظات ، بل من تكون انت حتى تهينني في منزلي ايها البائس المتسول . اذهب من هنا ولا تُرني وجهك

- انا لست متسولاً . ثم وقف وأبتسم ابتسامة تهكمية وانحنى وباسرع من لمح البصر نزل الى الطريق العامة حيث مشى عدة دقائق وتوجه منها الى بستان البطيخ شاعراً بان شخصاً ما يلحق به . ولما وقع نظر ثوبيكس عليه سألته : ان كاظو لا يريد استخدامك ؟

فهز مرسيلوس راسه ثم حمل سلةً وسار في الحقل حتى وصل الى اول فريق من الفعلة وقال لهم : ما اجل هذا النهار فاجابه رجل شيخ : نعم انه جميل لكن الشغل فيه يزلم الظهر . ثم خاطبته ابنة شابة تدعى متيلا قائلة له : اشتغل قليلاً ثم احكم في ما يبدو لك

خلع مرسيلوس رداءه عنه وطواه ووضعه على حدة وهب يعمل باجتهاد ونشاط فقال له الشيخ لا تشتغل باجتهاد كهذا لان كاظو لا يدفع لك اكثر من البديل المعين ولو اخذ منك التعب كل مأخذ

قال مرسيلوس هذا اطيب بطيخ في العالم . كم هو لذيذ وشهي ومفيد للصحة وخصوصاً في ابان الحر ، والدَّ منه ان يشتغل الانسان عند اشتداد اشعة الشمس فيجتمع بضيائها وبزرقة الجو وجمال الجبال

فكانت الصبية اجل انه بطيخ لذيذ ومفيد . ثم جاء المناظر وقال له : ان كاظو يريد ان يراك . ولما توجه لمقابلته اخذ يوزع في طريقه ما جمعه من البطيخ ويضعه في سلال بعض الفعلة الذين نظروا اليه بدهش وفرحوا اذ امتلأت سلالهم . فقال ثوبيكس وهو سائر معه ان هؤلاء العملة هنا ليس لهم والمرح بل للعمل فقط

- انهم يشتغلون احسن اذا كانوا مسرورين . ألا تظن ذلك ؟

- لست اعلم . انني لم ارَ احداً يشتغل بسرور وارتياح . فارى الآن من الموافق ان تسرع في سيرك لان كاظو لا يقدر ان ينتظر كثيراً وانت تجهل طبعه

تماماً فإنه لا يجامل الناس ويلاطفهم بل يرفقه الحيل ويمازحها
 - انني اصدق ما تنطق به . واذا قال هذا التقي الكيس على كتفه وسار نحو
 الدارة متأملاً منظر الجبل ثم صعد الى التلة

* * * *

لما أدخل مرسيلوس الى غرفة المكتب كان كاظو جالساً مكتباً على منضدته
 يتظاهر بالانهماك في الكتابة فلم يرفع راسه . وبعد ان انتظر مرسيلوس بضعة
 عشرة دقيقة ولم يلتفت اليه مشى نحو النافذة حيث اخذ يتع نظره بالحديقة الغناء .
 عندئذ ناداه كاظو وقال له انت كاتب يا غلام ؟

- لا يا سيدي ثم اقترب منه قليلاً واعاد جوابه له . لا ، لست كاتباً وقد
 سألتني وكيلك قبلاً هل اقرأ واكتب وأحصى فعلية اخبرك بانني قادر على ذلك
 ولكنني لست كاتباً

سأله كاظو : كم تريد اجرة في مقابل عملك اليومي

اجاب مرسيلوس ساقبل بما تدفعه لي بعد ان اشتغل وترى ما استحق

- اعطيت الكاتب الاخير فلسين ونصف علاوة على طعامه ومنامته

- هذه اجرة زهيدة الا اذا لم يكن بإمكانك ان تدفع اكثر منها

- ليست المسألة مسألة امكان بل كم تريد انت ؟

قال مرسيلوس : قد دعوتني متسولاً منذ ساعة وظهر لي انك لا تعتبر المستعطين

المساكين . ربما ساء ظني بك

- اعطيك خمسة دنائير بشرط أن لا تتوانى في العمل ولا تعمل خطأ في

الكتابة

- استمع لي ان اقول لك بصراحة انك تعودت ان تصيح على الناس وتردري

بهم فارجو منك ان لا تفعل ذلك معي

- لم يحسر احد من قبلك ان يبدي لي مثل هذه الملاحظات ولا ان يخاطبني
بمثل ما خاطبتني . وقد عجبت انا من نفسي كيف اسمح لك بهذا التطاول ؟
اجابه مرسيلوس : ساخبرك عن ذلك بكل سرور . انك تملك بساتين واسعة
ولك سطوة مشهورة ولكن ينقصك شي . جوهرى عظيم لا تعرفه انت ولكنك
تؤكد اني انا اعرف ما هو . لذلك استدعيتني اليك
- قد استدعيتك لانني بحاجة الى كاتب نشيط

- انني لست كاتباً . ومع ذلك اذا كنت تصيح علي فاذني اعود الى البستان
حيث اجد رفقاء لي فيه

- انك تجد رفقاء لك بين قاطفي البطيخ القدرين والاصوص الكسالى . . .
- لولا شدة احتياجهم الى القوت الضروري لما قاموا بمجذمتك وانت تعاملهم
بالجفاء والقساوة فلو كنت تعاملهم بالرفق واللين لكانوا مجتهدين وامناء . فلو لم
تكن انت رجلاً طماعاً لكنت رجلاً ممتازاً ومحبواً
- هل تريد ان تقول لذلك الشعب ان اجرهم قليلة ؟

- لا احد ينتظر ان يقال له ان اجرته زهيدة عندما يشغل من الصباح الى
المساء ويتقاضى فلساً ونصف فقط

سأل كاظو : فهم يتدمرون من اجرهم اذا ؟

- لم يتدمروا امامي بتناً

ثم ان كاظو فتح احد الادراج وخرج منها اوراقاً تحتوي على مراسلات واوعز
اليه ان يجلس وراء منضدة الكتابة ويجاوب على كل رسالة وقال له : انني اجهل
القراءة ولكنني اعرف ماذا يطلبون مني . انها مراسلات من منازل العطاء ومن
التجار في اسواق رومية لابتياح البطيخ والعنب والاجاص

جلس اذ ذاك مرسيلوس واخذ يقرأ الرسائل بصوت مرتفع فتهلل وجه كاظو
لانه سيبيع ما يطلبون منه باسعار غالية . ثم وقع نظره على رسالة في اللغة اليونانية

واخذ يقرأها وبعد ان ترجمها له فرح كاظو جداً وسأله : وتعرف اليوناني ايضاً ؟
هذا حسن واخذ يفرك يديه علامة الابتهاج وقال ليفهم العظماء والتجار انه بإمكانني
ان استخدم كاتباً يجيد معرفة اللغة اليونانية . ثم التفت الى مرسيلوس وقال له :
سأعطيك ثوباً جديداً

اجابه مرسيلوس اشكرك كثيراً لان عندي ثوباً احسن من هذا
قال له كاظو ، سمعت بانك تحب الازهار والرياحين . لذلك نرخص لك ان
تتمشي في حدائق الدارة في ساعات الفراغ واذا كنت مولعاً بحب الجياد فيمكنك
ايضاً ان تتوجه الى الاسطبل وتشاهدها
اجابه مرسيلوس اشكر لك تلافك يا سيدي

* * * *

كانت انطونيا زوجة كاظو اصغر منه باثنتي عشرة سنة . ذات قوام رشيق
وتقاطيع جميلة وصوت رخيم لطيف النغمة . صادفها مرسيلوس في الحديقة تجتني
الزهور وتضعها في سلة . فظهر له عند رؤيتها انها حليقة الهمم والغم فبادرته بالتحية
بغير ان تبتم له وقالت : لا بد ان تكون انت الكاتب الجديد . فاجابها
بالاجاب وانه مسرور لوجدانه وظيفة في محيط بهيج كهذا
قالت : أتعني بهذا القول مشهد الازهار والجيال ؟
- أجل . انها بديعة تقرأ بها الانظار . واذا كان يريد الانصراف اوقفته
وسألته عن اسمه

اجابها : مرسيلوس غاليو

- يوجد شيخ في مجلس الاعيان بهذا الاسم . هل هو قرابتك ؟
- ليس لكاتب بسيط مثلي ان يكون قرابة شيخ نبيل جليل نظيره
- ولكنك انت لست كاتباً بل عالم كما يستدل من فصاحة لهجتك وامارات

وجهك وهيتك الكاملة . تأمل يديك الناعمتين فانهما ليستا معتادتين العمل الشاق . كن مطمئن البال ولا تحف فاني لا اتم عليك ولا اسلمك لكن ينم عليك ذلك الثوب الحريري الذي كنت تتردى به في غرفتك . فاصدقني القول اذا وأجبني على سؤالي : أية صلة نسب بينك وبين الشيخ الذي في مجلس الاعيان ؟

- هو والدي بعينه

- اعتقد ذلك . قالت هذا وابتسمت له ابتسامة لطيفة بريئة وسألته :

- ولكن لماذا اعترفت لي باسم ابيك ؟

- لانني رأيت انك تحبين الصراحة وبما انني اريد ان اتكلم الصدق ، لذلك لم

اخدع زوجك لانه لم يسألني عن اسمي

قالت انطونيا : اظنك لا تريده ان يعرف اسمك

اجابها مرسيلوس : نعم افضل ان لا يعرفه . فهل انت تودين ان لا يعرف

ذلك ؟

- نعم اود من كل قلبي . لانه لو عرف انه يستخدم ابن الشيخ غاليلو لكان

افتخاره بذلك عظيماً لا يقدر

قال لها مرسيلوس ربما انت لم تدرسي اخلاق زوجك تماماً فعليك إذن ان تعرفي

كيف تعاملينه مع علمك ان كبرياءه لا تقف عند حد بالنظر الى شدة سطوته على

سكان اريينو الذين يطيعونه طاعة عمياء خوفاً منهم . فليته يعلم ان مهابته ترداد

قيمتها اذا كانت طاعتهم له عن محبة وولاء .

- هل يتخيل لك ان كانوا يعمل ما يحبهم اليه ؟

اجابها مرسيلوس انني اقدر ان اتخيل ذلك اذا اقتنعنا ان يجرب هذه الطريقة

وانا اؤكد ان جو هذا المكان تتميز حالته الحاضرة تماماً . فهل تشائين ان تساعدني

على هذا الامر ؟

لقد فات الاوان فلا يستطيع زوجي ان يكتسب محبتهم مهما عمل من اجلهم
وفوق هذا كله فان سكان اريينو قدرون واغبياء معاً

قال مرسيلوس : نعم هم قدرون يقاوم بعضهم بعضاً ويزدرون حتى بانفسهم
فبناء عليه يجب ان تُنشأ لهم حمامات ليستحموا فيها . فلو كان يبنى لهم بركة وسيدة
تجري اليها ساقية المياه المجلدة التي تنحدر من الجبل وتدفن حارة الشمس لكان
الفعل يبنونها في اثناء عطلتهم بين موسمي البطيخ والعنب . ولكن هؤلاء يحتاجون
الى التشجيع

في تلك الساعة وفد عليهما شاب في الثلاثين من سنه وكان يشبه والدته انطونيا
تمام الشبه . فقال لها مرسيلوس اظن انه ابنك

اجابته متنهدة : نعم انه ابني وهو حيائي ويريد ان يتعلم فن الحفر لانه يميل
اليه كثيراً غير ان والده لا يوافق على ذلك لسوء حظه . ثم التفتت اليه وقالت تعال
يا انطونيوس لاعرفك الى مرسيلوس غاليو الكاتب الجديد

فقال له مرسيلوس : ان والدتك اخبرتني انك مولع بفن الحفر . اريد ان
تربني مثلاً بما صنعت ؟

- هل لك معرفة بهذا الفن ؟

- نعم لي المام به ومع هذا فاني مستعد ان اعطيك بعض ملاحظات عليه

* * * *

لم يستطع الشاب انطونيوس الانتظار الى الصباح بل حمل بعد العشاء المثال
الذي كان يحفره وجاء به الى غرفة الكاتب الجديد ووضعه امامه على المنضدة
وقال : انه يدرك ان هذا المثال الذي يمثل هيئة مصارعين ليس حسناً

فقال له مرسيلوس لماذا لا يكون حسناً يا انطونيوس . ولكن قل لي ما اسما
هذين المصارعين ؟

- ما اسميهما بعد

- ولكن لكي يكون شغلك تاماً حسناً يجب ان يكون لهما شخصية حقيقية معروفة لدى الخاصة والعامة . لنفرض ان احد هذين الشخصين يدعى سيربوس قبض عليه الجند في كريت واحرقوا بيته واخذوا ماشيته ثم قتلوا امرأته وابعدوا ابنه الشاب الى رومية في مركب الاسرى وخيروه اما ان يتصارع في الميدان واما ان يجتذف في المركب فاختار المصارعة آملاً ان يقتل الرجل الآخر لكي يخلص حياته والرجل الآخر هذا يدعى كاليثرو كان له مزرعة صغيرة وكرة ومعزى وثلاثة اولاد صغار . وحاولت امرأته ان تحبسه بين الثنن ريثما يمر الجند ولكن محاولتها لم تنجح فانها لولا عليها بالاضرب امام اولادها وجروا زوجها كاليثرو بعد ان كبلوه بالقيود ولما كان شديداً في المقاتلة ارسلوه الى الميدان ليتصارع مع سيربوس وها هما يتصارعان . انني اعتقد ان كاليثرو يقتل سيربوس لانني لا احب موقف الاخير فقال انطونيوس لمرسيلوس : لا اظنك تحب القتال . هل حاربت احداً ؟

اجاب : ليس في الميدان

- هل قتلت احداً يا سيدي ؟

- انها تذكر مؤلم يا انطونيوس . لبتك انتقيت موضوعاً آخر . لآنك لا تحب

القتال ولا تعتقد به

اجاب انطونيوس : وليس ذلك فقط بل اخجل ان اقول انني اخاف منه ولذلك

حفرت هذه الصورة لاطهر شجاعتي لدى الغير

- لقد اظهرت اعظم شجاعة بقواك الحقيقة وقواك هذا يحتاج الى بسالة اكثر

مما لو قلعت عين احد الابطال

فسراً انطونيوس بهذا المديح . فاقترح مرسلوس ان يصنعا رسماً بخلاف هذا .

رسماً يسترهما وقال لانطونيوس : اقرضني قليلاً من الطين وعُدْ اليّ صباح غد لكي

اريك ما اكون قد رسمت

فلما جاء انطونيوس في الصباح اراه مرسيلوس ما كان قد اشتغل في الساعات الاولى من الليل فسّر بذلك سروراً عظيماً . لانه رسم على ذلك الطين بركة للسباحة وحولها رجال ونساء . واولاد يستمدون للاستحمام فيها . كان حولها رجل ضعيف ذو لحية طويلة جداً ملقاة على كتفه . وطفل صغير كان على وشك السقوط فيها ووالدته مسرعة لتمسكه ، الى ما هنالك من الرسوم

ثم ابان مرسيلوس لانطونيوس انها غير كاملة بعد لانها تحتاج الى تمثيل

اجاب انطونيوس اظن ان هذا المثل سيكون مستهجناً جداً

- نقدر ان نوسع الرسم اكثر وبذلك يتاح لك ان تعمل مناظر كثيرة .
اتذكر تلك الصخرة البيضاء الكبيرة المنقورة التي بقرب الجسر فانها تشبه حوضاً طبيعياً . فضع رسمها هناك محفوفاً بأشجار كثيرة وعندئذ يعرف الجميع مركز البركة - انها لفكرة حسنة ان يكون لنا بركة كهذه يا سيدي

* * * *

بعد ان اعتاد مرسيلوس قضاء واجباته الجديدة . اصبح العمل الذي كان يستغرق يوماً لانجازه يتم بنصف يوم فقط . وكان انطونيوس يتوقع مجيئه بفروغ صبر ، ولاحظ كاظو ذلك بسرور وقال له ان لديك شغلاً كثيراً يا مرسيلوس فلا ينبغي ان تتعب نفسك كثيراً بمصلحة ابني

اجابه مرسيلوس : ان لولدك موهبة فنية طبيعية فيجب ان يحافظ عليها ولا يهمل شأنها وبذلك يغدو حفاراً مقتدراً فريداً ولكنه يحتاج الى التشجيع - وأية منفعة له من هذه الحرفة ؟

لم يجبه مرسيلوس مباشرة على سؤاله بل قال له : انت قد ائسست لنفسك تجارة واسعة مهمة ولا اخال ان ابنك يقدر ان يزيد عليها اقل تحسين . على انه هو بدوره يريد ان يؤسس له عملاً اقتداءً بك لانك انت بثبت في صدره هذا الاجتهاد

والطموح فهل يجوز العقل ان تتوانى الآن في تشجيعه وتحميسه

ان كثيرين من الحفارين لا يستطيعون تحصيل معاشهم ولكن كاظرو والد هذا الحفار من كبار الاغنياء فعليه ان يباهي بموهبة واقتدار ابنه انطونيوس وكما انه جعل له شهرة واسعة في تجارته فلا يصعب على انطونيوس ان يجعل له شهرة مثله في حقل الفن

انت لا شك تمنى سعادة ابنك ونجاحه ولكن يجدر بك ان تهتم بامرءه ولو قليلاً فتراه محباً لك ومخلصاً

اجابه كاظرو : ان انطونيوس يستخف بي ولا يحبني كوالدته

- في الحق ان ابنك يحبك . وفي استطاعتك ان تكتسب محبته اكثر مما تفتكر اذا اردت ذلك . تعال معي الآن وانظر الى شغله

- فلما دخلا ووقفا قبالة الرسم ظهر على انطونيوس الخوف من ازدراء والده اما كاظرو فمدق نظره في المنظر المتقن صنعاً وقال ان هذا المكان غير صالح للبناء لانه حينما يذوب الثلج تدخل المياه بكثرة فتهدمه من اساسه فمن الموافق ان يكون البناء في مكان مرتفع

فتركما مرسيلوس وحدهما وقد اعتذر ان عنده شغلاً ما وسار في الدار وتجاوزها الى الرواق وهو يبتسم . فلما رآته انطونيا الحت عليه كي يخبرها ما حدث . فذهلت لما قال لها ان زوجها وابنها يتشاوران بشأن المكان الموافق لبنيان بركة للسباحة فسألته يجوز ان التحق بهما ؟ اجابها : ليس في هذا الوقت

* * * *

جرت هذه الامور في منتصف شهر تموز وكان مرسيلوس يجلس كل ليلة بازاء باب حقل البطيخ يراقب الفعلة لدى قبضهم اجرتهم . وكانوا يبرون بالقرب منه ويحيونه او يتكلمون معه لانه ظهر لهم ان الكاتب مخالف لهم لا مخالف

في بادية الامر شاع خبر ان كاظو سيئني لهم بركة ماء ليسبحوا فيها عندها
 يستمبون من قطف البطيخ واشترط عليهم قائلًا : كل من يريد ان يعمل في بنائها
 يسمح له بالسباحة فيها وتدفع له اجرته . وقد عرف الجميع ان الكتاب له يد في
 هذا المشروع . فلما فاتحوه بذلك قال ان مرجع العمل يعود الى كاظو وهو يخبرهم
 عنه في حينه

في احد الايام اجتمع حول مرسيلوس نحو من عشرين نفساً فاخبرهم قصة رجل
 عروف في بلاد بعيدة . وكان ذلك الرجل يخاطب الشعب المسكين الحامل احمالاً
 ثقيلة وقال ايضاً ان حياة الانسان لا تكون موقوفة على الاشياء التي يملكها بل كم
 يخف تعسه اذا كان لا يشتهي ممتلكات الغير . فاذا اردت ان تكون سعيداً فخذ
 سبيل السعادة غيرك ايضاً

فسأله رجل شيخ وماذا عمل يسوع لكي يسعد سواه من البشر ؟
 اجاب مرسيلوس ان يسوع لم يكن رجلاً عادياً لانه صنع عجائب عديدة وشفى
 كثيرين من امراضهم المزمنة . وكان لمسهم لشوبه كافيًا لشفائهم وقد فتح عيون
 العمي . وقبل ان يرجع سكان اريينو الى بيوتهم خاطبهم قائلًا : اذا اردتم ان
 تسموا قصصاً اكثر بشأن المعجزات التي صنعها يسوع فليكن اجتماعنا غدًا بعد
 العشاء تمامًا

وهكذا جرت العادة ان يجتمع مرسيلوس معهم كل ليلة على التلة المخضرة في
 سفح الجبل . فاخبرهم اولاً عن الجمهور الغفير الذي تبع يسوع وشرح لهم مفصلاً
 كل اعجوبة صنعها ولا سيما باعادة رجل يونان الى حالته الطبيعية . وكيف اعطى
 حمارة الى الولد الكسيس . واخبرهم ايضاً عن صوت مريم وعن منوال الحياكة الذي
 اصلحه للمرأة وكيف انها حاكت له ثوباً . الى آخر ما هنالك من العجائب المتعددة
 فكانوا يصفون اليه بدون ان يبنسوا ببنت شفة . وينتظرون كل يوم بفارغ
 صبر اقتراب المساء ليسمعوا اكثر مما سمعوا . وفي اليوم الثاني يعيدون ذلك على مسمع

ورفقانهم في الحقول . وكان ثوبيكس ايضاً يجي . ليسمع . في احدى الليالي جاءت
انطونيا وابنها وجلسا في مؤخر الجمع وسمعا منه قصة اشباع يسوع الخمسة الآلاف
نسمة من زاد غلام صغير . وتمهدته بكلمة لطيفة تلك العاصفة الهوجاء .

قال له كاظو في اليوم الثاني : سمعت انك تقصّ قصصاً غريبة على السكان ؟
اجابه مرسيلوس نعم أقصّ عليهم ما صنعه المعلم العظيم من الاعمال العظيمة التي تأخذ
بجميع القلوب وتنعش الشعب الساكن في ولايات فلسطين
- وما هو نوع تلك الاعمال ؟

فاخبره مرسيلوس عن بعض عجائبه وتعاليمه السامية

- وهل كان يسوع هذا يصادق الفقراء فقط ؟

- من غير بدّ وكان له اصدقاء من الاغنياء ايضاً فكانوا يدعونهم في اغلب
الافاق الى قصورهم . واؤكد انه يلدّ لك ان تسمع ما جرى في بيت احد الاغنياء
الذي يدعى زكّا . وبعد ان سرد له مرسيلوس ذلك قال كاظو وهل وزّع نصف
امواله على الفقراء ؟ وكان عمله هذا مشكوراً ؟ تريدني ان اقتدي به واعطيهم
نصف مالي ؟ هذا لا يمكن البتة

- جرّب ان تريد اجرة الفعلة من فلس ونصف الى فلسين وانظر لكي ترى

نتيجة الزيادة

- اذا فعلت ذلك فان المناظر يظنّ حالاً انني جُنت

- كذلك زد اجرتهم من ثلاثة فلوس الى خمسة واعطي ثمانية فلوس عوضاً عن

العشرة ولا تقلّ له انك دفعت الزيادة مني بل دعهم يعتقدون انها منك

- حسناً اذا كنت احمق لهذه الدرجة فليكن لك ما تريد

* * * *

افتخر كاظو جداً بمسألة البركة واقراً انه سرّ بفكرة بنائها . غير ان الشعب

لم يعرفوا ما غير افكار كاظو ولكنهم اعتقدوا ان ما حصل له قد حصل لهم
ايضاً . وكذلك لاحظ كاظو ان الحسائر التي كانت تنجم عن اتلاف البطيخ قد
خفّت جداً وان زيادة الاجرة قد حلت محل الحسائر . ولم يخبره مرسيلوس انه خطب
في الفعلة حاضاً اياهم على اظهار امتنانهم لكاظو وان يكونوا دائماً امناء ومخلصين
في اشغالهم

لما ابتدأ العنب ينضج احب كاظو ان يجول بين الكروم . ففي ذات يوم سمع
القطافين يرتلون فما ان وقع نظرهم عليه حتى لزموا السكوت فسأل المناظر عن سبب
سكوتهم . اجابه : خشية من ازعاجك . فقال دعهم يرتلون . من قال لهم اني
لا احب الترنيم

وسرّ المناظر ان ترورهم امرأة كاظو لانها لم تعتد زيارتهم من قبل وسألها
كيف صغت شالها الذي لبسته امس

وفي مساء ذات يوم بينما كان مرسيلوس يجول في الكروم سأل انطونيوس هل
يؤذن له بالجولان بصحبته . وعند الباب حمل مرسيلوس سلتين وكان قد اعطى
انطونيوس واحدة منهما وقال له : اذا شئت ان تعمل معي معروفاً فلنقطف العنب
معاً ونضعه في السلتين الى ان تمتلئنا

سأل انطونيوس : لم ذلك ؟ ألا يظن بنا القطافون سوءاً ؟

- كلا . بل يقدرونا قدرنا ويمثلون بنا فتريد قيمتهم في انفسهم وفي اشغالهم
ثم اقتربا من امرأة تبدل جهدها لترفع سلة ثقيلة عن عاتقها وتضعها في العربة .
ولم يتحرك الحوذي لمساعدتها

فقال له مرسيلوس مدّ يدك وساعدها يا انطونيوس . ولما ساعدها نظر الجميع
بدهشة وسروراً من تواضعه

ثم قال له مرسيلوس بصوت منخفض اشكرك يا انطونيوس . اجابه قائلاً :
لم تصعب عليّ مساعدتها ولا شكر على الواجب

- ولكنك بهذا العمل تكون قد ساعدت كل شخص هنا حتى ذاك ايضاً

* * * *

لما انتصف شهر آب وخفّ طلب الفاكهة امست واجبات الكاتب قليلة فاخبر

كاظو انه مصمم على الذهاب

قال له كاظو : ألا تريد ان تبقى عندنا وقتاً اطول لتساعد انطونيوس في

صناعة الحفر ؟

- قد افهمته تقريباً كل ما اعرفه

- لا تقل هذا انه بحاجة ان يتعلم منك كثيراً وقد صيرته بتعليمك اياه رجلاً

- انت الذي صيرته لا انا . ألا ترى كم يعتمد عليك في كل حاجة ويستند الى

رأيك ؟ فعليك انت ان تعمل منه رجلاً

ثم سأله : اتريد ان تعود الى اريينو في الصيف القادم ؟

- لمست اعلم اين اكون وقتئذ

- متى تسافر ؟

غداً باكراً يا سيدي

اخيراً خرجا معاً الى الحديقة حيث شاهدا انطونيا فدعاه كاظو امامها ليتناول

عشاءه معهم فسُرت انطونيا بالدعوة . ثم سأل اين انطونيوس يجب ان اخبره . واذا

قال هذا اتجه نحو البيت

ولما ذهب زوجها سألت مرسيلوس قائلة أأنت مسروراً هنا ؟ ألم نعمل لك

كل ما تريده ؟

- بلى ومن اجل هذا انا ذاهب

- ألا تذكر القصة التي قلت ان سكان قانا قالوا انهم آمنوا بان يسوع حوّل

الماء الى خمر . انه يسهل عليّ ان اصدق تلك القصة لانها ليست اصعب من التغيير

الذي احدثته في سكان اريينو

وفي ذلك المساء اجتمعت كل القرى حسب عاداتهم ليسمعوا قصة جديدة من مرسيلوس . وقد رافقه كازو وانطونيا وانطونيوس فجلس هو في المكان المعد له وابتدأ يقول : قد احسنتم جميعكم بما اظهرتم من عاطفة اللطف نحو فلن انساكم ابداً . فتنبه الجميع لما سمعوا قوله . ثم تابع حديثه قائلاً : قد اخبرتكم قصصاً عديدة عن يسوع الجليلي الذي صادق الفقراء والمساكين . اما في هذا المساء فاني اقص عليكم قصة واحدة اخرى عنه وهي اغرب قصة سمعتموها لحد الآن فعسى ان تكون هدية وداعية لكم

وهذه القصة مخزنة للغاية وهي عن رجل لم يفهمه العالم وقد تركه اصدقاؤه في آخر ساعة وحوكم ظالماً وعدواناً واخيراً مات ميتة قاسية . وقد روى القصة المذكورة بأسلوب لطيف مؤثر حتى جعل اغلب المجتمعين ان يبكوا

ثم استطرد قائلاً : وليس من الغريب ان يضطهد الحكماء ويُقتل الكثيرون منهم ولكن يسوع عاد الى الحياة ثانية فهو الآن حيٌ ويمتد لمكوناته في العالم كافة . ليس من الضروري ان تبكوا عليه وتذرفوا دموعكم لانه لا يطلب شفقتكم بل مساعدتكم اياه وذلك بان تعاونوا بعضهم بعضاً وان تنتظروا بحبيته ثانية

فصرخ احد الرجال سائلاً : اين هو الآن يا سيدي ؟

اجاب مرسيلوس : لا احد يعرف مقره . ربما يظهر في وقت لا تنتظرونه فيه فلا تدعوه يفتاظ منكم . اريدون ان تحفظوا هذا ولا تنسوه ؟

ولما امسى المساء وقبل ان يتفرقوا اخرج مرسيلوس ورقة من جيب رداؤه وقال لهم : في احد الايام عندما اجتمع حول يسوع جمهور من الناس على راس تلة حدثهم بهدوء عن الحياة الهنيئة المباركة . وقد تلاها امامي صديقي يستوس وقد كتبتهما فأرعوني سمعكم لكي اتلوها انا بدوري عليكم
حدثت سكوت تام عندما اخذ مرسيلوس يقرأ ما يلي :

« طوبى للساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات . طوبى للجزاني لانهم يتغزّون . طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض . طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يُشبعون . طوبى للرحماء لانهم يُرحمون . طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله . طوبى لصانعي السلام لانهم ابناؤ الله يُدعّون . طوبى للمطرودين من اجل البر لان لهم ملكوت السموات . طوبى لكم اذا عيروكم من اجلي كاذبين . افرحوا وتهللوا لان اجركم عظيم في السموات »

* * * *

استيقظ مرسيلوس قبل بزوغ الفجر ثم خرج من الدارة ولم يلتق احداً في طريقه الا الابنة الشابة متيلاً التي فاجأته بظهورها من بين الاشجار التي وراء الباب لكي تودعه . فقال لها انك صديقة صدوقة فسادك كرك دائماً فقالت احتس لنفسك يا مرسيلوس وافلتت يديها منه وتوارت عن العيان

كان مرسيلوس قد أوى الى فراشه ليلة امس ولكن الشك كان يخامر افكاره لانه عرف انه أرسل بمهمة وقد انتهت الآن . وسمع مؤخراً هاتفاً يقول له يجب ان تتوجه الى رومية . وما زالت توسلات انطونيوس ترن في اذنيه وقد حاول هو وابواه ان يقنعوه بالبقاء فلم يقتنع

اما في هذا الصباح فانه التقى همه جانباً وشعر ان يداً تقوده الى حيث لا يعلم . ولم يستطع الى هذا الحين ان يعرف لماذا قذفته الامواج الى شاطي كاييا ولاي سبب مضى الى اريينو واستخدم فيها . وعند الظهر كان قد قطع سلسلة الجبال وتقدم نحو الطريق العام حيث كانت العربات ومركبات النقل تخرج من اذقة الوادي المحصب . والقبار يتصاعد في الجو وحرارة الشمس المحرقة تكاد تذيب الاجسام وكان السواقون يجلدون دوابهم بقساوة لكي يسرعوا بالوصول الى رومية

اما مرسيلوس فانه اخترق ذلك الزحام المزعج الى ان وصل الى أكتري عند

غياب الشمس فدخل حانة من حاناتها تغصُّ بالناس وهم في هَرَجٍ وهياجٍ شديدين من الداخل والخارج . فسأل رجلاً واقفاً بالقرب منه ما هو سبب هذه الحركة الشديدة يا ترى ؟ اجابه لقد ذاع خبر وفاة الامير غايوس

اخيراً وقف صاحب الحانة على كرسي وصاح بالجمع المزدحم قائلاً : كل من لا يريد ان يتناول عشاءه فليخرج خارجاً . وكان جالساً في وسط الحانة ثلاثة رجال من رومية يجتسئون كؤوس المدام وحولهم جمهور غفير مصغر لسماع ما جريات الحادثة المشؤومة فاقرب مرسيلوس من الثلاثة الرومانيين ليسمع ما يقولون . فانبأوا ان كنتوس احد اعضاء مجلس الشيوخ وامرأته سيليا أولما وليمة شائقة في منزلها على شرف كاليغولا الصغير ابن جرمانيكوس الذي وصل من غلاطية . وفيما كان المدعون على المائدة شعر الامير غايوس بألم عظيم لم يلبث نحواً من ساعة حتى لفظ روحه

واذ رأى الرجال اصغاء الجمهور لهم اخذوا يتكهنون عن اسباب الوفاة فقالوا من الراي المرجح انه مات مسموماً لان صحته كانت حسنة جداً . غير ان الشبهة لم تقع على احد الى الآن . اما لوسيا التي اغرق شقيقها القاضي مرسيلوس نفسه منذ بضعة اسابيع والتي كانت زُفَّت الى طولوس ذلك النهار عينه فقد تحصت مع الامير المذكور في المساء ولكن لم يكن لتخاطبهما ادنى اهتمام امام عامة الناس لانهما كانا مثلين كثيراً

ولم يشبهه احد بسيجانوس الشيخ الذي كان جالساً قبالة الامير وقت العشاء ولو كان هذا لا يحبه . فان سيجانوس اعقل من ان يرتكب هذه الجريمة في مثل هذه الظروف الحرجة

فسأل صاحب الحانة قائلاً : كيف يتمكن كنتوس من السكنى في قصور خفية واقامة مآذب فاخرة مع ان والده تمسكوس ليس ثرياً فمن اين اتته هذه الثروة ؟ اجاب احد الثلاثة : ان اواصر الصداقة بين الامير غايوس وكنتوس متينة

جداً . فاجابه الثاني ربما تعني بقولك : ان الامير غايوس وامرأة كنتوس صديقان حميان . أليس كذلك ؟

فانبرى صاحب الحانة وقال : ها . ها . قد عرفت السبب . فاجابه اكبر الثلاثة الرجال سناً : لا تعجل في حكمك . ان كنتوس لم يكن حاضراً الوايمة فقد أرسل الى كاپري في آخر دقيقة
- فَمَنْ سَمِّهِ إِذَنْ ؟

- هذا الذي يريد معرفته كل انسان . ثم قال لصاحب الحانة خذ هذه القنينة واملاها خمرأً ولا تكثر من الاسئلة . وبعدئذٍ التفت الى الجمع ليسمع تمة الحديث وحدق الى مرسيلوس وقال : اظن اننا تكلمنا بل الحرية

اما مرسيلوس فانه تبع صاحب الحانة وطلب منه تهينة الحمام لكي يستحم واعداد غرفة ليبيت فيها تلك الليلة . ولما نال مرامه اخذ يناجي نفسه قائلاً : لم يبقَ بعد من سبب لحوف ديانا من غايوس . هذا امرٌ قد اراح بالي . ومن يتسلم زمام الاحكام في رومية ؟ ربما ينصب الامبراطور الآن سيجانوس بالنيابة

ومن دس السم في طعام غايوس يا ترى ؟ ربما تكون سيليا التي عاملها الامير المذكور معاملة سيئة . ولكن لا اؤكد ان سيليا تُقدم على فعل فظيع كهذا . بل ربما يكون كنتوس اوعز الى احد الخدم وذهب هو الى كاپري بهمة ما . واني احب ان اعرف هل اجتمع بديتريوس في كاپري يا ترى ؟

وقد اقترنت لوسيا . هذا امرٌ حسن لانها كانت تحب طولوس وربما تكون اخبرته بما جرى لها مع غايوس حينما كانت صغيرة ولكن طولوس لا يقدم على هذا الامر . ثم راجع بذكريته كل اعمال سيليا وترجع عنده انها هي التي وضعت السم في الطعام . وعلى كل حال فقد استراحت رومية من تلك الحيلة وربما تتحسن احكامها الآن

الفصل الثالث والعشرون

لما جاء الساعة الى كاپري معلنين وفاة الامير غايوس كان من رأي جوليا ان لا تفاجيء زوجها الامبراطور بخبر هذه الفاجعة المؤلمة بسبب شدة مرضه مع انها كانت تعلم ما بينهما من الجفاء والنفور . وتظن انه حينما يسمع بذلك تستريح افكاره وتأخذ صحته بالتحسن

وقد استعسن جميع الشعب فكرة جوليا الصائبة وشكروها على اهتمامها الشديد بصحة الامبراطور واثنوا على درايتها وحكمتها بايعازها اليهم ان لا يذكر احد منهم امامه شيئاً مما حدث ثم كتبت مرسوماً في الحال وسلمته الى قائد المئة الذي اوصل نبأ هذه الفاجعة القادحة وأمرته بالرجوع الى رومية باسرع من البرق بدون ان ياخذ قسطاً من الاستراحة

ولم يخبر الحاجب الذي رافقه الى الاسكلة عن ايعاز الامبراطورة اليه بالرجوع سريعاً ولكنه اخبره ان الكتاب كان مرسلاً الى كاليغولا « الحذاء الصغير » فاجابه الحاجب : نعم الحذاء الصغير و كان هذا الاخير قد رأى ابن جرمانيكوس حين كان ابن عشر سنوات . اما جوليا الشبيخة التي كانت الحوادث المختلفة تتعاقب عليها فانها كانت على احر من الجمر تنتظر مجيء حفيدها في هذه الساعة الحرجة . لانه لما اتى كنتوس في اليوم السابق يطالب منها ان تدعوه الى كاپري لم تلح عليه بالمجيء بل ضحكت مسرورة قائلة : انها سترسل تدعوه فليبق الآن شهراً او شهرين هناك

اجابها كنتوس قائلاً : ان الامير غايوس ظن انك تكونين مشتاقة لرؤية

الحذاء الصغير . وطلب مني ان اقول انه لن يبقيه في رومية اذا شاءت جلالته
- اجابته اننا نستطيع الانتظار فليبقه

اما اليوم فقد تغيرت الحالة لان جوليا ارادت ان ترى كاليغولا الملقب بالحذاء الصغير . وكان من حسن حظه ان يصبح ذا منفعة في هذه الساعة المهمة وقد احتملت مصيبتها بصبر وشجاعة لا مزيد عليها كما يليق بامبراطورة رومانية وطققت تعدد الساعات عدداً ريثما يجيء حفيدها وكان جلوسها بقرب النافذة تراقب الذهاب والاياب بكل تمن . وفيما هي على هذه الحالة من القلق رأت وفداً كبيراً من الشيوخ صاعدين الى دارة جوؤس . ثم انعمت النظر في قاربها الاسود اللون لترى اذا كان مبحراً من بتيولي

فلما وصل كاليغولا الى كاپري لم يُظن ان جدته الطموح تود له ارفع من منصب نائب عادي في الحكومة تحت اشراف سيجانوس حتى ولا جوليا نفسها تصوّرت ما سيحدث من الامور المدهشة

لما كان كاليغولا ابن ست عشرة سنة لم تقوَ قدماه على حمله لضعفه الشديد وكانت تبدو اشارات غريبة على رغبته من وجهه الشبيه بوجه الثعلب . وكانت اظافره تحدش الجسيم كاصابع السعدان . غير انه لم يكن احمق بل كان خبيثاً للغاية ولما كان جرمانيكوس يتأكد انه ما يزال في عقله شيء من النقص الذي ظهر في طفولته اصرّ على الاشراف على شؤونه حتى في الحقول العسكرية . فدأله الضباط كثيراً بحيث امسى شرس الاخلاق جداً . وكانوا يسرّون ويضحكون من اعماله الغريبة . وشاء احداهم ان يصنع له (جزمة) صغيرة فكان يحتذيها ويتقلد الضباط في اصدار اوامره الى الجنود . لذلك أُتِيب بالحذاء الصغير حتى لم يبق احد يذكر انه سُتِي حين ولادته باسم عمه غايوس . ولما كان صغير السن يعمل اعمالاً مقايرة كانوا يضربون عنها صفحاً ويعدون لها حسنة

ولكنه حينما اصبح في السادسة عشرة كانوا اذا لطم احد الضباط يعدّون عمله

هذا وقاحة لا تُحتمل حتى ان جرمانيكوس لما رأى وارثه انه امسى في حالة لا تطاق عزم على ارساله الى عمه الامير غايوس الى رومية آملاً ان يجعل منه رجلاً . وقد شاع مؤخراً حين سمع الضباط بموت غايوس فقالوا انه توفي في وقت مناسب اشد المناسبة وصل كاليغولا في ساعة متأخرة من النهار فاخذته جوليا ولقنته ما يجب ان يعمل ثم ادخلته الى غرفة الامبراطور المظلمة بالاستاز حيث وقف اكثر من اثني عشر شيخاً في الظلام منتظرين التفات طيباريوس اليهم . ثم تنبه الى وجود شاب جاثٍ عند وسادته يبكي . فاخبرته الامبراطورة بصوت متأثر من الحزن ان غايوس المسكين قد توفي وان كاليغولا لا يتعزى عن فقدته وخسارته فرفع الامبراطور يده الضعيفة وامرها على راس كاليغولا وقال : اهذا ابن جرمانيكوس ؟

خفا الغلام رأسه وبكى بكاءً شديداً ولس يد الامبراطور المسترخية . ثم سأل اذا كان ثمة من شيء يستطيع عمله . فاجابه الامبراطور قائلاً : نعم يا بني فسألته جوليانا بصوت منغل أتعني المملكة ؟ فاقترب الشيوخ ليصفوا الى ما يقول نعم . اجاب الامبراطور بصوته الضعيف فالتفتت جوليا وقالت للشيوخ الذين اصابهم الذهول : هل سمعتم ان كاليغولا اصبح الامبراطور . أليس كذلك يا صاحب الجلالة ؟ فهمس طيباريوس كلامه مجيئاً . بلى يا جوليا * * * *

ولما جنَّ الليل امسى الامبراطور في حالة التزع يجود بنفسه وقد بذل مهرة الاطباء كل ما في وسعهم لتحسين صحته ولو قليلاً فلم يجديهم سعيهم فتيلاً . ثم أُذن للقيف الكهنه ان يقوموا بفروضهم الدينية . ودعوا الشيوخ وكانوا لا يزالون

في دهشة عظيمة من شدة الصدمة التي اصابتهم وحادوا في الطريقة التي يبنشون بها مجلس الاعيان بان ابن جرمانيكوس القاصر اصبح سيد المملكة العظيم . ولا شك ان المجلس كان قادراً لو كانت له الجرأة الكافية ان يلغي قرار طيماريوس غير انه لم يرض ان يغيظ جرمانيكوس ولا الجيش

مضى اكثر من اسبوعين ولم تشاهد ديانا طيماريوس لان جوليا اصدت امرها بعدم السماح لها بالدخول . ومع هذا فان ديانا لم تنقطع عن المحي . الى الردهة المملوكة تسأل عن صحة الامبراطور فكانت الحاشية تجيبها انه في اشد مرضه لذلك يجب عدم ازعاجه بشيء البتة

وبعد ان وصل ديتريوس الى كاپري اقامه الامبراطور طيماريوس عليها حارساً بحيث ظهر له انه لا يستطيع التأمين على حياتها مدة طويلة . لذلك عهد اليه بحمايتها على ان ديتريوس لم يكن بطمانينة من نحوها بل ازداد باله قلقاً لانه عرف بانتكاس صحة الامبراطور مع علمه بسطوة جوليا الفاتكة فحاول جهده ان لا يدعها تشعر بذلك واخذ يسعى سعيًا حثيثاً لنجاتها بطريقة سرية اذا اصبحت في خطر ما

عندما أجبر مرسيوس على مفارقة ديانا خطيبته امست بعده في غم واضطراب وسوء خلق . تؤثر الوحدة على الاجتماع . ولم تستطع وقتئذ ان تثق باحد من الموجودين في الجزيرة فكانت تقضي اوقاتها في الرواق بدارتها طوراً تقرأ ولكن بدون تفنن ولا لذة وتارة تشتغل بشيء تتلهى به وحيناً تنادي خادمتها وتسمح لها ان ترافقها وكثيراً ما كانت تجيء وحدها وديتريوس يتبعها كظلمة من مكان الى آخر فكانت تثق باخلاصه جداً . اما الآن فانها اصبحت تعتمد عليه كصديق وفي لا وصلت الاخبار الى كاپري عن غرق مرسيوس علم ديتريوس عن ثقة ان خبر غرقه لم يكن حقيقياً وعزى قلب ديانا بكلامه الصائب وبراهينه القوية قائلاً : انه غير محتمل ان يغرق مرسيوس نفسه لانه كان عليه واجب مهم يجب ان يؤديه

ولما كان قريباً من كاييا فقد انتهر الفرصة للاختفاء هناك فابتعنت ديانا بذلك وتغزى قلبها

لم يطل حديثهما عن هذا الامر مع توالي الايام فكان ديتريوس يجلس على درجات الرواق ويحيب على استئلتها عن حاله وحالة سيده في اثينا وعن آل يوبولس وعلى الاخص عن ثيودوسيا وعن نجاتها من كنتوس الذي كانت تقته كل المقت وكانت تسأله ايضاً : أكان يكتب ثيودوسيا ؟ ولماذا لا يقترن بها ؟ فكان يجيبها انه كان يرأسها وهي تحببه على رسائله وانه متى اصبح حراً مطلق الارادة فلا يتأخر عن الاقتران بها . وكانت الايام تمرّ سراعاً وديانا تنهال عليه بالسؤالات عن مصنع بن يوسف وعن استفانوس وعن الجليليين الذين يتكلمون همساً عن النجار الذي عاد الى الحياة وسيعيش الى الابد

فكانت ديانا تصغي بانتباه تام الى اجوبته الصريحة عن كل اولئك وهي آخذة في التطرّيز والتخريم وهو يشتغل في صنع حبل بوصل القطع الصغيرة بعضها ببعض التي كان يجمعها من الاسكلة . وبعد فراغه من عمله كان يحبسه تحت الرواق . ولما رأت ذلك الجبل الطويل الذي عمله قالت له : انك تقصد شيئاً بهذا الجبل ؟ اجابها : كلاً وانما احب ان اشغل يدي كما تشغلين انت يديك

وبعد ان يتمم ديتريوس واجباته اليومية ويؤمن على وجود ديانا في جناحها الخاص كان يتوجه في اغلب الليالي الى الاسكلة . فتعرّف اليه الحراس والبحارة واجبوه كثيراً لذكائه وبسالته فضلاً عن انه كان ياتيهم بما زاد من الطعام او يرجو من ديانا ان تطلب من الفواكه والمربيات زيادة عن احتياجاتها ليقدم ذلك لهم وكانت احدى السفن تسافر صباح كل يوم الى بيتولي لتسحق ما يحتاج اليه بائعو اللحم والفاكهة . ففي احدى الليالي عندما اقبل ديتريوس الى الاسكلة وجد البحارة كلهم يتوقعون وصوله بسرعة زائدة . فاجبروه انه قد سُحق الى بيتولي كمية وافرة من بطيخ اريينو وقد أرسلت بطيخة اليه منها بمثابة هدية خاصة وقد

وُضعت في صندوق ولما اخرجها منه اجتمع حوله كثيرون وسألوه هل تعرف احداً في اريينو ؟

اما هو فانه ادار البطيخة بين يديه فرأى عليها رسم سمكة وعلم عندئذ ان سيده مرسلوس هناك فلم يقدر ان يملك نفسه لشدة الفرح والابتهاج وفي صبيحة الغد عندما عادت ديانا الى الرواق كعادتها سألتها ديمتريوس : هل سمعت ببطيخ اريينو قبلاً ؟ اجابته على الفور : انها كان يلذ لها اكله في بيتها . فاخبرها انه قد بُعث اليه بواحدة كبيرة منه من هناك . ثم جاء بها وسألتها اليها - هل تعرف احداً هناك ؟ وما هذا الرسم الذي عليها فانه صورة سمكة . هل يعني شيئاً ؟

واذ ذاك عاد ديمتريوس الى حيث كان قاعداً وقال لها : اعلمي ان من عادة جماعة المسيحيين عندما يريد الواحد منهم ان يخبر الآخر عن محل وجوده او عن الطريق التي يجب ان يسلكها ان يرسم له صورة سمكة على احد جانبيها او على الرمل اذا كانت تلك الطريق رملية او على صخرة عند منعطفات الطرق او على احد الابواب . وكذلك اذا التقى غريبان في فندق ما واراد الواحد منهما ان يتعرف الى الآخر ليعلم أنه مسيحي ام لا فانه كان يرسم له هيئة سمكة في اصبعه

- لماذا يقتصر المسيحيون على صورة السمكة دون غيرها ؟

- لان الحروف الاولى من كلمة سمكة في اليونانية تعني « يسوع المسيح ابن

الله مخلص »

- ولكن هل تعتقد انه يوجد مسيحيون في اريينو ؟

فتفرس ديمتريوس في عينيها وعلى شفتيه ابتسامة غامضة وقال : يوجد على الاقل

مسيحي واحد وكلانا نعرفه

فهمست ديانا بنفس مقطوع قائلة : مرسلوس !

* * * *

انتبه سكان كاپري لكاليغولا الصغير عند قدومه وشاهده ديتريوس ماشياً
بازاء الامبراطورة جوليا لدى دخولهم الى الدارة جوئس . وبعد مضي ساعة من
الوقت اهتزت الجزيرة بالهز الذي تلقته وهو ان الشاب السمج اصبح امبراطوراً
وسيلبس التاج عن قريب . وعلاوة على ذلك انتشر نبأ خطير بان الامبراطور
طيباريوس قد امسى في غيبوبة لا يعي معها شيئاً وستودي بحياته
وبما ان الامبراطور الان قد امسى عاجزاً عن قضاء اي امر وان حفيده سيخلفه
على العرش ففي طاقة جوليا ان تقوم باي عمل شاءت . وربما ترغب ديانا على مؤانسة
كاليغولا

وقد كان ظن ديتريوس لهذا الامر في محله لان ديانا دُعيت لتناول العشاء مع
الامبراطورة وحفيدها في عشيّة ذلك النهار . ومع ان ساعات طيباريوس كانت
معدودة ومحدودة حتى الان فان كاليغولا الصغير وجب ان يكون له ما يسره
فقبلت ديانا الدعوة على كرم منها واعتبرت قبولها امراً واجباً لا مناص لها منه .
فانتظرها ديتريوس خارجاً نحو ساعتين كاملتين . ولما حضرت كانت هيئتها تدل
دلالة واضحة على حدوث شيء ما . فاسرّت الى ديتريوس ان كاليغولا الممقوت
قد اظهر لها اهتماماً وقبحاً حتى ان جوليا نفسها بكنته وحذرته من اعادة ذلك
بكلمة قاسية

- كني . كني . انك لا تستطيعين البقاء هنا فساحاول انقاذك هذه الليلة من
الجزيرة

ولكنها اعترضت قائلة : بل هذا محال يا ديتريوس

- سنرى . نعم ان الامر يكون خطراً ولكن لا مانع من التجربة سرّاً

وبعد ان علمها . اذا يجب ان تعمل سألها : هل تخافين ؟

فاقرّت له قائلة : انني احاف بلا شك . غير اني ساجرب ان اعمل ما علمتني
ولست اخني عليك انني افضل الفرق على ان يضع ذلك المعتوه يده عليّ مرة اخرى

قال ديمتريوس : اذاً عليك ان تخرجي من الدارة جوئس الساعة الواحدة بعد نصف الليل وتمشي وحدك الى رواق دارتك.

وبعد ان قال لها ذلك تركها لدى باب غرفتها وخرج لتجولاته الليلية فذهب اولاً الى الرواق وسحب الجبل من مخبأه وربط طرفه الواحد بشجرة سرو متينة والقى طرفه الآخر في الهوة العميقة ووقف ينظر الى سطح الصخرة المائلة الى جهة الامواج المتلاطمة . وقد ارتعدت فرائصه خوفاً عندما تصور ما يحصل لديانا عند رؤيتها تلك الهوة العميقة لان النزول فيها يحتاج الى جرأة نادرة ثم عاد الى غرفته وجاء بالصرّة التي هيّاها لديانا ولم تكن سوى ثياب بقاء وقبعة بحري

وعند رجوعه كان يستوقفه الحراس ليتحدثوا معه عن حوادث النهار فاضطر ان يتأخر . ومع ان الوقت كان ثميناً فانه لم يُرد ان يثير الشبهة عليه لسرعته . وعندما وصل الى الاسكلة انتخب احسن زورق واحضر المجاذيف وحيّاً البحارة ثم اجر في تلك الليلة المقمرة وعندما وجد نفسه في مأمن طفق يجري الزورق بشدة فائقة كما يزوم ليصل بهما الى الجهة الشرقية من الجزيرة . فلما واجه البحر قوي عجيبيج الامواج ولما طغت مياه البحر واشتد تلاطم امواجه خفق قلبه بشدة ليس من التعب الزائد الذي كان يعانيه بل من ان يلحق بديانا احد

ولو ان الاحوال كانت جارية كالعادة لما كان بإمكان ديانا ان تتوجه الى دارتها عند منتصف الليل دون ان يعترضها احد ولكن بما ان الامبراطور كان على فراش الموت كان كل انسان يعمل ما يحظر له في تلك الليلة

اخيراً تبين له على ضوء القمر جرف الدارة الطويل . فجذب الزورق الثقيل الى اسفل الصخرة المرتفعة وحدّق بعينه نحو قمتها وبالكاد استطاع ان يهدىء القارب من هياج الامواج . وكاد قلبه يشب من صدره اذ شاهد بقتة ديانا تتزحلق على الجبل بسرعة مع انه كان قد حذرهما من سرعة النزول لكي لا تنجرح يديها وتسقط

ولكن الذي دُهِش منه هو انها بعد وصولها الى منتصف الهوة توقفت فجأة
وظهر له ان الجبل يُسحب من فوق وهي تُسحب معه . فنظر الى اعلى الصخرة
فشاهد شخصين يجذبان الجبل فترك المجذافين من يديه ووضع يديه على جانبي فمه
وصرخ باعلى صوته قائلاً : أَلْتِي بِنَفْسِكَ يَا دِيَانَا . فاحتارت في امرها . فصرخ
قانية : اقفزي يا ديانا

اما قاربه فانه كاد يلتطم بصخرة وبغمة تركت ديانا الجبل وسقطت في جُرف
الماء الهائل واختفت عن نظره . فسحب ديمتريوس القارب واخذ يفتش عنها الى ان
ظهر رأسها اولاً ثم رآها تسبح فمدَّ لها ذراعه ونشلها
ثم ادار الزورق الثقيل وجذف حول منعطف الجزيرة مستظلاً بظل الصخرة .
ولم يفوها بكلمة الى ان وصلا الى مياه التربة الهادئة . فاوقف القارب في فم كهف
ثم جلس وقال : حقاً انك ابنة شجاعة يا ديانا . اجابته لست كذلك واكنني اشعر
ببرد شديد

قال لها : قد هيأت لك ثياباً في دُرج مقدمة القارب ثم ساعدها على النهوض
وقال لها : افتحي الباب فتجديها فسألته :

- هل هي للتنكر ؟

اجابها : كلا بل هي للتدفئة

- لماذا اكنوس والحارس الثاني لم يطلقا عليَّ الرصاص ؟

- لربما يصيبك رصاص بندقيتهما . لانه قيل لاكتوس ان يقيقك على الجزيرة
لا ان يؤذيك . هل فهمت انه كان لاحقاً بك ؟

- لم افهم ذلك الى ان وصلت الى دارتي وسمعت صوته تماماً اذ ناداني وكانت
تلك ساعة هائلة حينما كانا يجذبانني الى فوق وخفت ان يتخلص الجبل من يدي

اجابها ديمتريوس : لا شك بذلك . هل انت شاعرة بدفء الآن ؟ وهل
وجدت قبعتك

- قد وجدتها لكن ذوقي يأبأها لانها قبيحة الشكل . قالى اين نحن متوجهان

الآن ؟

- الى احد الشواطى حيث نختبى فى النهار . ونجذف غداً كل الليل ثم نغادر القارب بجوار فورميا . لا تخشى شيئاً يا سيدتى ما دمت قد بعدت عن الجزيرة

جفرى الزورق بسرعة والنسيم العليل يكتنفه من جميع جهاته
فسألته ديانا : كم تبعد المسافة بين فورميا واريينو ؟

- خمسين ميلاً الى الشمال الشرقى

- يظهر ان لك خبرة فى تلك النواحي . هل سافرت اليها سابقاً ؟

اجابها ديمتريوس : كلام اسافر لكنتى قلشت عنها فى الخريطة

- هل نذهب الى اريينو ؟

- هل تشائين ؟

لم تجب ديانا على سؤاله . كان النسيم يزداد قوةً وديمتريوس يجذف بكل قوته
فسألها : هل انت خائفة ؟ اجابته : ليس الآن ثم اخذت ترغم مسرورة وقالت :

توحي الى نفسي ان احداً معتن بنا فى هذه الليلة

- نعم يا ديانا . هل تعتقدين ذلك حقيقة

- نعم اعتقد انه يعتنى بنا عند هبوب العاصفة

- أجل لقد عرف انه يعتنى باصدقائه فى العاصفة

* * * *

كان كاليفغولا راغباً جداً فى وظيفته السامية التى سيتقلدها حتى انه لم يحضر مأتم
الامبراطور طيماريوس لسبب انحراف قليل فى صحته . ولم يقيم بالواجب الرسمي الذى
يليق به بل اهتم حالاً بتهيئة معدات حفلة تنصيبه وكذلك لم يبال بواجب دفن
عمه غايوس كما يُدفن الامراء من قبل

ومما يمكن قوله : لو ان الامبراطور طيباريوس كان محبوباً من شعبه لكان اقام له الشعب مأتماً خفياً حافلاً ولكن علاقته انقطعت بينه وبين الشعب منذ اثنتي عشرة سنة تقريباً حتى لم يبقَ احد يهيمه امره سواء عاش ام مات . حتى في مجلس الشيوخ فالذين منهم كانوا يهجونه قبلاً بما لا يعنونه كانت خطبهم التي رثوه بها ركيكة سخيفة

ولم يكن الحزن على الامبراطور الا بين ليلة وضحاها لان الشعب انزل رايات الحداد عن مقترق الطرق الرسمية التي كان قد مرَّ بها قبل مرضه . ولكن فريقاً من النبلاء عز عليهم هذا العمل الشائن الذي اظهره الشعب ليس لكونهم اهتموا بشأن طيباريوس بل لاجل كرامة المملكة نفسها . اذ كيف ينصبون على العرش غلاماً قاصراً غير جدير بمنصب خطير كهذا . ولكن كاليغولا لم يكن لتهمة هذه التقاليد ولم يعبا بنصائح وزرائه المعتاضين . وقد عمَّت المدينة اخبار شذوذه وعدم اهليته للقيام باعباء المملكة وتحمل مسؤولياتها

دامت ولائم التتويج اسبوعاً كاملاً وكانت النفقات باهظة بحيث لم يُسمع بثملها قط . الوف مؤلفة من الشبان والشيب دُعوا الى حضور الولائم والملاهي واكثروا من المآكل والمشروبات الروحية على اختلاف اجناسها حتى غلوا وعربدوا وسفكوا دماء بعضهم البعض . الامر الذي لم تعهده وتشاهده رومية فيما مرَّ عليها من الازمنة اما سكان رومية الحقيقيون فانهم وقفوا واجمين تجاه هذا الاسراف العظيم . ولكن الذين كانت بطونهم فارغة لم يبالوا الا باشباعها ، خصوصاً لانهم من حزب « الحذاء الصغير » الذي يساعدهم مادياً واديباً بتقديده لهم جميع احتياجاتهم دون ان يسألوا من اين ياتي بكل تلك الاموال لانه جعلهم يعتقدون ان كل هذا من كرمه وجود اياديه وصرح قائلاً : ان مسؤولية فقر الشعب تقع على الاغنياء ليس الاً اما سيجانوس الشيخ فانه جاء الى مجلس الاعيان خائفاً وائساً من تلك الحالة المشؤومة ولكن المجلس لم يستطع ان يقوم بعمل ما . وقد قُتل الشيخ المذكور في

الليلة عينها . اما جوليا الشيخة التي جاءت الى رومية ظناً منها انهم يحترمونها ويكرمونها ويعطفون على جلالتها كالملكة الارملة فقد ارجعوها في الزورق الملوكي حالاً الى كاريي بدون احتفاء .

وكانت الولايم تقام في القصر اياماً وليالي والنظام مفقود تماماً . فكان غير المدعويين يحشدون في تلك الحفلات زرافات ووحداً والانتصاب تُقلب ثم تكسر على البلاط . والضيوف الشرسون يتدحرجون على الدرج الرخامي الرقيق . اما عدد السكان العربدين فلا يحصى

وكان يسير ذلك الموكب في الشارع تتقدمه المركبة الفخمة المذهبة التي تقل الامبراطور القاصر وهو ببزته الرسمية المزخرفة ثل من الشراب وشعره منتفش . وكان كنتوس يحمل بيده كيساً مملوءاً من النقود الرومانية التي كان ينثرها الامبراطور على الشعب الهائج . وقد اخذ منه هذا المشهد الرائع كل مأخذ فكان فرحاً مرحاً لا يسأل عن شيء ولا يهجم امرٌ من الامور

وقد لازم الاهالي الوطنيون قصورهم وهم في حالة لا مزيد عليها من الغيظ واليأس ولم يبذلوا اقل احتجاج على كاليغولا الذي امر بتزع رؤوس نصف تماثيل العظماء المحترمين المنصوبة في الساحة العامة ووضع محلها باحتفال مؤثر رسوماً تمثله . كذلك لم يحتجوا حينما صنع تمثالاً من العاج والذهب لجواده المطهم انسينانس واقامه في القصر ورقاه الى رتبة قنصل

واغرب الشعب في القهقهة حين اعلن الخداء الصغير ان جواده انسينانس هو إله واصدر امراً ان يسجدوا له في الهياكل وهذا ما ادى الى ارتباك الكهنة لان الهياكل كانت قد فقدت حرمتها وكرامتها من اوامره الشاذة واحتاجت الى اصلاح ومصلحين وكان كاليغولا قد ارسل سعاة ليقتشوا عن ديانا الجميلة ولذلك كان يستعلم من كنتوس عنها يومياً وكان تفتيشهم يذهب ادراج الرياح . وبعثوا حارساً الى بيت غالوس الغائب والد ديانا فاخذ يراقب خروج امرأته التسعة ودخولها ويسأل الخدم

ويتهددهم ويعذبهم . وجرى اعدام اكتوس الحارس واثنين آخرين معاً في كاپري
وهدد كاليغولا كنتوس بالغزل اذا لم يحضرها امامه
وكان كنتوس يهجم وجودها لسببين اولهما انهم اذا لقوا ديانا فلا بد من لقاء
ديمتريوس ايضاً . وقد غضب من قبل غضباً لا مزيد عليه لانه لما جاء الى كاپري
ليطلب من الامبراطورة جوليا ان تأخذ كاليغولا لم يعلمه احد بوجود ديمتريوس في
تلك الجزيرة

ولم يكن مستغرباً ان تسمي ديانا وديمتريوس طعاماً للاسماك لان زورقهما كان
فارغاً تتلاعب به الامواج . وكان البحر هائجاً على اسده . ولم يترك احد اثرأ للتائمين
من فورميا الى كاييا

فازداد غضب الخداء الصغير وصاح صيحات منكرة لان ديانا كانت الفتاة
الوحيدة التي ازدرت به واطهرت له بهربها من القصر العظيم شجاعته . لذلك يكون
سروره شديداً اذا وجدها وداس بقدميه عجوفتها . فالتفت اليه كنتوس وقال له :
ولكن يجب يا صاحب الجلالة ان تنخلصوا من الخادم اليوناني قبل تخلصكم
من ديانا

— هل يجبها ذلك العبد اليوناني ؟ فقد اخبرني انها تحب ذلك القاضي المختل
الذي صاب اليهودي وفقد عقله لانه اعتقد بنفسه انه صلب الها واماته
فعجب كنتوس غاية التعجب من تذكره ما اخبره سابقاً عن الجليلي والجموع
الكثيرة التي تبعته وقد كان في ذلك الحين بحالة السكر الشديد . ولكن يظهر
ان الرواية اثرت عليه فلم ينسها . فقال للامبراطور :

— الامر المحقق يا مولاي ان ديمتريوس هذا هو العبد الخاص لمرسیاوس ولا بد
من ان يكون اقسم له بجريته

فاجاب كاليغولا : ها ! اذا كان في امكانه حمايته
قال كنتوس : ولو فرضنا يا سيدي انه لا يستطيع ذلك وحصل القبض على

ديانا فان هذا اليوناني لا يهمه المجازفة بحياته لينتقم لها
قال كاليغولا : بُف . وماذا يستطيع ان يفعل ؟ انك جبان احمق . هل تظن
يا كنتوس ان هذا العبد يهاجمنا بدخوله علينا او يقف في حضرتنا ؟
- ان هذا اليوناني رجلٌ خطر . فانه استطاع مرة ان يهجم بدون سلاح على
احد القضاة ويضربه ضرباً مبرحاً

- وهل بقي بعد اعتدائه عليه في قيد الحياة ؟
- نعم واصبح عضواً في عدد حرس الامبراطور بالدارة جوقس
- وهل عرف طيباريوس بجريئته ؟
- لا شك في ذلك لانني اخبرت الامبراطورة
فسأله كاليغولا : مَنْ كان القاضي الذي هاجمه ذلك العبد ؟
فارتبك كنتوس ولم يجب على السؤال فخدق فيه كاليغولا وقهقه ضاحكاً
فاحمرَّ وجه كنتوس من جرأ ذلك وابتم بحضوع وقال ان الامبراطور
طيباريوس لم يحبني قط

- ربما طيباريوس الشيخ اقام العبد حارساً له ليكافئه . ان الفرصة سانحة لديك
الآن . ففتش عنه ومتى ظفرت به اقتله في الحال

- انني لا اريد ان اتقاتل مع عبد يا صاحب الجلالة
ضحك الخداء الصغير وقال بالطبع ليس مع هذا اليوناني فاسرع وابحث عنه الى
ان تجده واعهد الى رجل اشجع منك لكي يقضي عليه . لانني لا اريد ان يكون
حرّاً . والآن اخبرني عن مرسيلوس الذي عرض حياته لخطر البحر وصار من اتباع
ذلك اليهودي . هل تستحسن ابنة غالوس هذا الاعتقاد ؟

فاجاب كنتوس انه لا يعرف . ولكن لديه اسباباً تجعله يعتقد ان العبد اليوناني
هو الآن مسيحي لانه انخاز الى سكان اورشليم

قال الامبراطور : ولكنه يحارب . لانني فهمت ان اتباع يسوع لا يُسمح

لهم بالمحاربة

- ربما يكون ذلك يا مولاي . ولكن اذا غضب هذا اليوناني فانه لا يلتمس
اذناً من احد لكي يحارب من حاربه ويناوش من ناوشه لانه حيوان شرس
فسأله الحذاء الصغير : ما هو اعتقادك بقوة حرس القصر ؟
- هم متيقظون ومخلصون يا سيدي
- لا يمكن ان يدخل غرفة نومنا قاتل
- لا يقدر ان يدخل من الخارج ولكن اذا قرّر اليوناني ان يقتل الامبراطور
فانه لا يدخل من رتاج القصر بل يشب على دولاب مركبة الامبراطور ويضعه
بجانبه طعنة نجلاء تكون القاضية عليه
- ولكن الشعب يقتله حالاً ولا يصبر عليه . قال هذا وهو ينتفض خوفاً
- من غير بد يا صاحب الجلالة ربما يحدث القتل بعد فوات الفرصة . اما هذا
اليوناني فاذا اراد الانتقام فلا يهجمه دفع الثمن
- فقال كاليغولا : يجب من الآن فصاعداً ان يُضاعف عدد الحرس ولا سيما عند
مقابلة الشعب لنا فيسير على جانبي العجلة الملوكية . وكن انت الوكيل والرقيب
على هذا الامر
- ان امر جلالتك على الرأس والعين . لكن اذا سمع لي الامبراطور ان
اتكلم بهذا الصدد فاقول انكم تستطيعون تجنب هذا الخطر اذا كنتم تتركون
ابنة غالوس طليقة من القيود لانكم اذا كبستموها فلا يلبث الجيش كله ان
يقاومكم اشد مقاومة لانه يحترم والدها غاية الاحترام
- قال الحذاء الصغير بعد ان احتسب كؤوساً عديدة من الخمر : متى كنا بحاجة
الى نصائحكم ؟ فان امبراطور الرومان لا يسأل : أيستحسن كل من الجند رأيه
ام لا . بل لا تهتم قضايا الشيوخ في المجلس لان الشعب معنا
- اجاب : يكون الشعب معكم بلا شك اذا اشبعتموه من الاطعمة

- سنظمهم متى شئنا . واذا لم نشأ ذلك فإذا يحدث يا ترى ؟ هل يفقد النظام ونضطر الى ارجاعهم الى بيوتهم ؟

اجابه كنتوس : ان الشعب الجائع لا يكف عن ازعاج غيره
سأل كاليغولا : بالنهب اليسير . اليس كذلك ؟ دعهم يسرقون فان اصحاب
الحمازن اغنياء . اننا لن نتدخل في هذه الامور . ولكننا لا نسمح بعقد اجتماعات
مهما كان شأنها

ليس من الصعب ان نفرق الاجتماعات العلنية بل اصعب من الصعب ان
نشئت شمل الجمعيات السرية

اجاب كنتوس بعد ان تظاهر بالافتكار : لم ارض ان اذكر لك عنها شيئاً
لان لدى الامبراطور هووماً كثيرة . اننا يُعتقد انه يوجد اتباع كثيرون لهذه الديانة
الجليلية الحديثة

- آه . هم الشعب الذين لا يُسمح لهم ان يجاروا فليجتمعوا ويتهامسوا ولكن
قل لي كم هو عددهم ؟

اجاب كنتوس لا احد يعرف وقد فهمنا انهم يزدادون يوماً عن يوم . ان
البيوت التي يدخلها اناس اثناء الليل يراقبها الجند . وقد يحدث ان يدخل الجنود
احد البيوت المشتبه بها فلا يجدون فيها شيئاً من الاسلحة والنظام مستتب . ولكنهم
يعادرون البيت الذي اجتمعوا فيه الى بيت آخر . وكان الامير غايوس يفتش عنهم
منذ اشهر ولم ينجح

قال كاليغولا : هذا امر بسيط فليجتمعوا ويتحدثوا بقدر ما يشاؤون واذا
شاؤوا ان يسموا اليهودي المائت الهاً فلهم ملء الحرية . ان حصاني انسيلتاتوس اله
لا احد يهجه هذا الامر

- ولكن هؤلاء المسيحيين يدعون ان ذلك الجليلي ليس مائتاً . وحسب
ليانهم انهم رأوه في مناسبات شتى منذ تاريخ صلبه ويعتبرونه ملكهم

فانتبه الحذاء الصغير من غفلته وصرخ قائلاً : ماذا ! ملك ؟ دعهم يعتقدون ويقولون عن هذا اليهودي ما يشاؤون ولكننا لا نأذن لهم ان يعتبروه ملكاً .
اقبض على هؤلاء الحق فاننا سنخنق هذه الفكرة الدينية الحديثة ما دامت طفلة في المهد

قال كنتوس : ولكنها غير باقية في المهد يا صاحب الجلالة فان فلسطين غدت ملائكة بهم وقد تجرأوا ان يظهروا انفسهم ويعلنوا امرهم في كورنثوس واثينا وبلدان اخرى يونانية

فسأل كاليغولا : اين هيئة الحكومة وسطوتها ؟ العلماء مستغرقه في سباتها ؟
— كلا يا صاحب الجلالة فقد سُجن قاداتهم وأعدموا . ولكن هذا الشعب على جانب عظيم من الشجاعة لا يخشى الموت بحيث يعتقد انه اذا مات اليوم فسيحيا غداً بُف ، صرح كاليغولا : قليلون هم الذين يعتقدون هذا الاعتقاد . اما الذين يؤمنون بالجليلي فانهم اقل من القليل ولا يهمننا امرهم ابداً

ثم قال كنتوس ان كورنيليوس كاپيتو شديد التخوف من كثرة عددهم ويقدر ان في رومية وحدها الآن من هؤلاء المسيحيين اكثر من اربعة آلاف شخص
— وما هو موقفه حيال هذه الخيانة الفظيعة

اجاب كنتوس : لا اعلم انها حركة غريبة يا صاحب الجلالة فسلح اتباعها الوحيد هو ايمانهم ان ليس ثمة من موت ما . وكورنيليوس كاپيتو ليس بوسعه ان يسحق اشخاصاً يرفضون ان يموتوا عندما يُقتلون

— انت تتكلم بكلام رجل احمق فارسل واستدع في الحال ذلك الضعيف العقل لكي يأتي غداً الى هنا ويعطي حساباً عن نفسه . وابدل ما في وسعك لا اقاتك القبض على ذلك اليوناني اما حياً او ميتاً

ثم قال نادِ لنا الحاجب لاننا نريد ان ننام

* * * *

لو ان واحداً من معارف مرسيلوس سأله بعد سياحاته العديدة هل يعرف رومية
لاجاب حالاً انه يعرفها تمام المعرفة لانه امضى فيها معظم حياته . اما الآن فقد بدأ
يكشف ان الذي يعرف رومية من وجهة حياته كقاضٍ صغير غني مستريح وهو
ابن احد شيوخ مجلس الاعيان صاحب الامر والنهي فان حالته تختلف من هذه الوجهة
الثانية اذا عرفها كسائح بسيط متواضع خالٍ من العمل يبيت في احد الاكواخ القائمة
قرب الاسواق العامة ثم يخرج الى شاطئ نهر التيبر ليواجه سوقاً غاصة بالجمهير
المتخاصمة اثناء الليل واطراف النهار

لم يعلم مرسيلوس الى الآن لماذا اضطرَّ ان يعود الى رومية . فقد مضى عليه
فيها عشرة ايام وهو يصطدم بتلك الجماهير الغفيرة مشتمراً النفس من الاقذار والاساخ
المنتشرة ومن سوء آداب الالوف الذين لم تكن حياتهم افضل من الجرذان التي
كانت تجول في الاسكلة من ناحية الى ناحية . وقد امسى كل انسان فيها قدراً
حتى غدا هو قدراً ايضاً لانه من الصعب ان توجد التسهيلات الكافية للنظافة في نزل
بسيط

وعندما اجتاز الموكب الاحتفالي الساحة العامة لتأدية الفرائض الدينية قبل دفن
الامبراطور كان مرسيلوس بين الجماهير الكثيرة وقد تأثرت نفسه جداً لما شاهد من
علامات الضعف البادية على هيئة والده بسبب الهموم الكثيرة التي صيرته شيخاً
عاجزاً . ولم تكن علامات الضعف والهمم منحصرة في والده فقط بل كانت بادية
على وجوه جميع الرجال النبلاء . ولا عجب من ذلك لان المملكة كانت في عهد
فضائح وذل وهوان . ومما آلم مرسيلوس ايضاً استسلام والده لليأس بعد ان كان
مثالاً لرباطة الجأش والهمة العالية

وبقي اسبوعين كاملين يطوف في الاسواق ويقف تارة هنا وطوراً هناك ليضعي
الى سبب ما يراه من المخاصمات العنيفة بين هذا وذاك او ليسأل سؤلاً لطيفاً عن
ذلك من قريب . فكان الرجال غالباً لا يصغون اليه بل يتركونه وشأنه علماً منهم

انه من غير طبقتهم لمغايرتهم اياه في نعمة صوته وفي عاداته ولذلك لم يثقوا به
ففي احدى الليالي اذ كان مرسيلوس في حالة يأس شديدة ارسل رسالة الى
مرسيپور يخبره فيها عن محل اقامته وانه يريد مواجهته في الوقت والمكان الذي
يعينه . وبعد ذلك بساعتين رجع الرسول بجواب يشير عليه فيه ان يتوجه الى مقبرة
اليهود القديمة الساعة الثانية بعد الظهر حيث يجده بانتظاره

فتذكر مرسيلوس ذلك المكان لانه يذكره بمحادثة تاريخية جرت منذ منتي
سنة حينما اخضع انطونيوس فلسطين لسلطته فساعت اذ ذاك حالة اليهود حتى ان
الوفاء منهم ترحوا عنها وكان لرومية نصيب كبير منهم . الا ان كثرة عدد النازحين
ازعج حكومتها . لذلك اصدرت شريعتها امراً بمحصر حرية المهاجرين وابعادهم الى
ناحية نهر التير حيث رخصت لهم ان يتعاطوا اشغالهم وقد حرمتهم الجنسية
الرومانية وابقتهم تحت نير الاضطهاد

ولما كانت تقاليدهم توجب عليهم احترام موتاهم . لذلك تأثروا للغاية عندما
عينت رومية لهم مكاناً بعيداً لدفنهم في الجهة الجنوبية من المدينة حيث غطى قليل
من التربة صخرة عمقا مئة قدم فقط . فكان المواطنون المتهوسون يذهبون ليلاً
وينجسون قبورهم

على ان اليهود المصابون باشروا بمجهود كلية حفر منفذ في احد جوانب الصخرة
المذكورة وبنوا في اسفل هذا المنفذ ممرات لولبية وحفروا في جدرانها سراديب لموتاهم
وغرفاً لالتجاء التائمين منهم . ومع مرور الزمن خفت وطأة الاضطهاد عنهم وأذن
لعدد من اغنيائهم الذين ساهموا بسخاء في تشييد بنايات واقامة تماثيل للدولة بمنحهم
الجنسية الرومانية وبهذا خف الضغط على بني جنسهم

واخيراً أهمل شأن تلك المقابر القديمة ولم يبق احد يزورها سوى البعض من
علماء الآثار وقد عجب مرسيلوس من اختيار مرسيپور هذا المكان لاجتماعهما فيه
لان المسافة كانت بعيدة جداً

ولما وصل الى هنالك قبل الوقت المعين كان مرسيبور ينتظر مجيئه في حرج من السرو . يتد نحو ربع ميل من الطريق العامة حتى القبور المهجورة . فلما لمح مرسيبور وكان قاعداً على الارض نهض حالاً مرحباً بقدومه وصاحه بكلمات يديه وكان التأثر الشديد بادياً على وجهه الجعد وكذلك مرسيلوس الذي لم يبق قاضياً تحركت عواطفه وتأثر لتأثره فضمه الى صدره وتعانقا وتذكر كل منهما ذلك الزمن الغابر حين كان مرسيلوس طفلاً يركض يشكو تعباً او الماء الى مرسيبور الكورني الرصين الدمث الاخلاق

فقال له الكورني . لقد خشيت انا وعائلتك من خبر غرقك في البحر ونحننا عليك . فلماذا هذا كله ؟

اجابه مرسيلوس : قد اضطرت ان اسبب لها هذا الاسى والاسف لانهم اذا افتكروا بوتي فانهم يحزنون غير انهم يذكرونني بشديد الحب ولكن لو جئت الى البيت وانا معول على ان اقضي حياتي بخلاف ما يتوجب على ابن غاليو الشيخ لكن سببت لهم حزناً اعظم . ففي الحالة الحاضرة هم حزاني ولكن ليس اذلاً بل شرفاء - ولكن لماذا اطلعتني على هذا الشيء مع انه سر عظيم تفشيه الى من هو مخلص لسيدته ؟

اجاب مرسيلوس : لانني رأيت يوم دفن الامبراطور ان هيئة وجه والدي الجميل قد تغيرت والهيئة ارتسمت في عينيه وان كتفيه انحنت وقامته فقدت رشاقته فألم كل هذا قلبي كثيراً . فهل تنصحين ان اعود اليه ؟ لا شك انك تقول لي انه يجب عليّ ان اقلع عن الشغل الذي باشرت القيام به واعدو الى البيت كما كنت قبلاً . أليس كذلك ؟ انني لا استطيع ان افهمك جيداً العهد المفروض عليّ القيام به لانه لم تسنح لك الفرصة لفهمه

وقبل ان يتم عبارته قال له مرسيبور : لا يا بني ليس في امكانك الاقلاع عن دعوتك الجديدة مهما جد لك من الامور . وانا اعلم هذا ولا اجهله كما تعتقد انت .

لان الانسان عندما يؤمن بان يسوع هو ابن الله الحيّ وانه هنا والذي جاء ليقيم
مملكة عدل وصلاح لجميع الناس فانه لا يمكنه ان يتخلى عن ذلك الايمان . واذا
تخلى عنه لسبب ما فعنى هذا انه لم يحصل عليه ابداً
خلق مرسيلوس واصغى الى كلامه بكل قواه ثم قال انت اذاً مسيحي
يا مرسيبور ؟

اجابه : حينما جئت آخر مرة الى البيت افكر ديمتريوس انني يجب ان اخبرك
عن ايماني واجتماعي مع المسيحيين الآخرين في رومية
فاعاد مرسيلوس العبارة مندهشاً : مع مسيحيين آخرين في رومية ؟
نعم ، اجاب مرسيبور : وهم في خطر عظيم . وعرفت عندئذ بانني لو اخبرتك
عنهم لكنت لحقت بهم . وكل هؤلاء الرجال لا يستطيعون الاجتماع سرّاً بل جماعات
قليلة منهم لثلا تقع الشبهة عليهم . وان قاضياً نظيرك لا يستطيع عملاً مثل هذا .
لذلك اخفيت هذا الامر عنك

وقد اصدر مؤخراً الامبراطور الجديد امراً مشدداً يهدد فيه بالموت كل من
يؤري مجتمعا مع المسيحيين . واسننا نعلم اليوم عاقبة دعوتنا لانه يُقال ان كاليغولا
الصغير شرس الاخلاق عنيف في احكامه لا يراعي في الانام خليلاً
اجابه مرسيلوس : ان كاليغولا الصغير محتل العقل

- ربما يظهر لك انه كذلك غير انه لا يحجم عن القيام بمذبة . وقد عرفت
حين ارسلت اليّ الكتاب بانك ستقيم مع المسيحيين وتجتمع معهم ايضاً . انما عليك
ان تفكر مرتين قبل المجازفة بحياتك لاننا نحن الذين لا اهمية لهم يمكنهم الاختباء
مدة مديدة . اما انت فلا تقدر ان تختبئ مطلقاً لان الامبراطور يرحب بالفكرة
التي تجعلك مثلاً لهم

- ولكنك لا تنصح لي ان الود بالفرار من وجهه

- لا احد يعرفك كما اعرفك انا يا ابي فأصنع سمحك الى ما اقوله لك : ان

حياتك ثمينة ولا تقدر الآن ان تفعل شيئاً نافعاً للناس الخائفين فما عليك الآن الا ان تغادر المدينة ريثما يوجد هذا الامبراطور لنفسه شيئاً آخر من الامور القاسية يتلهم به حينئذ تعود اليها مطمئن البال

فاجاب مرسياوس : انك تتكلم الآن كخادم امين لوالدي يهتم بمصلحة ابنه لذلك اشكر لك عواطفك . انا هذه الطريقة ليست نصيحة مسيحي مسيحي آخره هل اخبرك ديتريوس او غيره عن سفر يسوع الاخير الى اورشليم حين كان تلاميذه يعرفون الخطر المهدق به فيما لو ذهب في اثناء العيد اليها وحاولوا ان يشنوه عن عزمه ؟ قائلين له ان حياته ثمينة ولذلك لا يجب ان يهلكها ولكن يجب ان يبقيا خلاص العالم - وماذا كان جوابه لهم ؟

اجابهم : انه يجب على الانسان احياناً ألا يحذر صديقه من الخطر وهو سائر في طريقه ليتم واجباته . وقال ايضاً انه يجب على الانسان احياناً ان يخسر نفسه ليخلصها وان الذين حاولوا ان يخلصوا حياتهم خسروها . لا يا مرسيبور انا اعلم انك تريد لي الخير . وبناءً على هذا فانا سابعي في رومية . ألا تعلم اننا نخسر دعوتنا اذا كنا نحن الذين نؤمن بها لا نضحي بكل غال ورخيص في سبيلها فوقف اذ ذاك مرسيبور وقال دعنا نجتمع معهم فسأله مرسيلوس في اي مكان ؟

اجاب مرسيبور : هناك في المقابر حيث يوجد ثلاثون شخصاً يعقدون جلساتهم ويستشير بعضهم بعضاً في ما يجب اجراؤه من الاعمال لضمان نجاح مستقبلهم سر مرسيلوس وتعجب حين سمع انه يوجد ثلاثون عضواً مسيحياً في رومية فقال له بل يوجد اكثر من اربعة آلاف عضو اما هؤلاء الثلاثون فهم قاداتهم ومرشدهم وقف مرسياوس لا يبدي حركة من هذا الخبر العجيب . اخيراً قال : ان ملكوته آت قريب مما ظننت

- اصبر يا ابني فان امام ملكوته طريقاً وعرة صعبة المسلك

ثم ان مرسيبور قاده الى المنفذ الضيق المظلم حتى وصلا الى ممشى ظهر منه نور خفيل . فاقترب منه رجل طويل القامة ورفع سراجاً فوق راس مرسيوس وحدق فيه وسأل من هذا ؟ اجابه مرسيبور انه القاضي مرسيوس غاليو وهو واحدٌ منّا يا ليتو

فسأل ليتو : ما لنا وللقضاة ؟

- ان مرسيوس ضحى بشيء كثيرة من اجل ايمانه وهو يعرف هذا الايمان اكثر منا جميعاً ما عدا واحداً

- اذا كنت تكفله فادخله معك

ثم انهما بعد ان سارا في الممشى الطويل اقبلا على ممر آخر وكان مرسيبور يقول لمرسيوس ان ليتويظن ان هذا الايمان يجب ان يتمسك به الفقراء فقط وكثيرون يعتقدون اعتقاده ولكن قد حان الوقت ليعلموا علم اليقين ان قاضياً رومانياً مثرياً يستطيع ان يكون من اتباع يسوع الحقيقيين . لاننا قد سمعنا كثيراً عن فضائل الفقراء

اذ ذاك وصلا الى باب خشبي ثقيل خرج من الظلام حارس فافهمه مرسيبور هوية مرسيوس ووضعته . ثم اشار اليه بالمشعل الذي في يده الى رسم فوق العتبة التي فوق الباب وسأله ما معنى هذا ؟

اجابه مرسيوس انه علامة المسيحيين السرية

- هل اخبرك احد عنها او رأيتها في غير هذا المكان ؟

- قد رأيتها في اماكن عديدة في الجليل وفي اورشليم

ثم قال الحارس دعني اسألك اذا : لماذا العلامة سمكة هل تدل على شيء مقدس ؟

فافهمه مرسيوس معناها الحقيقي . فاصغى الحارس الى ما يقوله كل الاصغاء

- اذا يمكنك الدخول . وافصح له المكان

فدخل مرسيلوس ومرسيپور القاعة الواسعة التي كانت تسع اشخاصاً كثيرين
غير الذين شاهدتهم مجتمعين في زاوية حول رجل ملتجئ كبير الجثة يتكلم معهم وفي
صوته بحة . فاقتربا منه وتمكنا من سماع صوت الخطيب الغيور

فسأله مرسيپور هامساً وهو يتسهم هل تعرفه ؟

اجاب مرسيلوس : من غير بُد ، هذا هو الصياد الكبير



الفصل الرابع والعشرون

في صباح ذات يوم حارّ الهواء كان المناظر ثوبيكوس جالساً عند الباب يتشأب وهو يراقب العملة البالغ عددهم ثمانين من رجال ونساء وشبان وشابات وهم آخذون بقطف العنب الاحمر اللون باعثناء لارساله الى الاسواق وبيعه

فرأى على مسافة تبعد عنه قليلاً شاباً يسوق حماراً بطيئ المشي مربوطاً بعجلة مملوءة حشيشاً . وكان الشاب نحيل الجسم يضرب الحمار كلما وقف او تباطأ بقدة من الجلد كانت بيده واحياناً يحجره بكل قوته . وكان الشاب المذكور واضعاً على رأسه قبة من الصوف وهيئته تدل على شدة تعب

وكان ثوبيكوس يحدق اليه ويضحك وقد تبين له بانه غير معتاد ترويض الحمار فقال المناظر المذكور في نفسه : ترى من يكون هذا الشاب ؟ على انه يعرف ابناه الفلاحين الذين كانوا في ضواحي اريينو وحيرهم وعجلاتهم ولم يسبق له ان رأى سائق العجلة هذه ولا الحمار المربوط بها . فاخذ يقترب منه وينعم فيه النظر قائلاً : لم يتفق لي مرة ان صادفت احداً آتياً من حقل ينقل قشاً في عجلة مثل هذه يلبس ثياباً كاصحاب مقالع الحجارة وعلى رأسه قبة كقبعات البحارة

ولما وقفت الدابة امام الباب المفتوح على مصراعيه اخذ الشاب يضربها بسوطه الى ان انحلت عقدة رسنها فاجفلت وهروا الى حيث الكلا وشرعت تلتهم منه فتبعها مسرعاً وامسكها وكانت انامله نحيفة للغاية . وبعد ان نظر الى المناظر قليلاً ذهب الى حيث كانت الدابة ترعى

فطفق ثوبيكوس يتأمل ذلك الشاب وبعد ان دقق نظره في ملامحه تبين له انه انشى متنكرة فقال لها ساد بر الرسن عنك يا ابنتي ، تعالي الى هنا واجلسي في الظل

واقتراني بقليل من العنب الذي في السلة لان هيتك تدل على تعب شديد فقد
ظننتك غلاماً

ف نظرت اليه الابنة ملياً ثم ابتسمت له وخلعت العرقية الصوفية عن راسها فتدلى
شعرها الحالك السواد على كتفها فضحك المناظر قادراً قدرها ثم ضحكت هي ايضاً
وقالت انت لطيف جداً سأكل من العنب لانني عطشى من شدة الحر
اما الحمار المتعب فانه قفر عن السياج وحاول ان يجرّ ذاته مرة اخرى فذهب
ثوبيكوس لكي ياتيه بقليل من القش الذي في العجلة ليهده . فصرخت الابنة
قائلة : يجب ألا يأكل من هذا القش لعدم استفادته منه . واذ ذاك بدت علامات
الحرق على حياها

فالتفت اليها ثوبيكوس وسألها بلهجة خشنة . من يرافقك في هذه العجلة
ايتها الشابة ؟ واذ قال هذا فُتس بين القش

فقالت له ارجو منك الاترعجه لانه اخي وهو مريض

- اذا كان مريضاً فلم تغطينه به وترعجينه . ولما ازاح القش عنه بغت ديميتريوس
اليوناني فقال له المناظر : انت اخوها المريض ؟ فأتت الابنة بسرعة الى جانبه واسرّت
اليه قائلة : اننا في مأزق حرج وقد جئنا الى هنا آمين ان نجد رجلاً يدعى مرسيلوس
غاليو لكي نستعين به . وعند سماعه ذكر مرسيلوس تغيرت هيئته واجلها بلطف
قائلاً : ان مرسيلوس غادر هذا المكان منذ اسبوع فهل انتما من اصدقائه ؟
نعم اجاب الاثنان معاً . فاخذ ثوبيكوس يقلب نظره فيهما ويتأملهما وفي
نفسه شك من امرهما

ثم نظر الى اذن ديميتريوس وقال له . انك عبد واني اذ كر انه جاء امس فرقة
من الجند من كاپري يفتشون في الدارة عن ابنة غالوس وعبد يوناني يسيران في
طريقهما الى رومية

فاقر ديميتريوس قائلاً : الحق معك يا سيدي . ان هذه الشابة تدعى ديانا ابنة

العضو غالوس وهي مخطوبة لمرسيلوس غالو الذي هو سيدي وأنا أدعى ديمتريوس
فذهش ثوبيكوس وسأل: هل ارسل اليك مرسيلوس شيئاً منذ بضعة اسابيع؟

- نعم ارسل اليّ بطيخة في صندوق

- وهل كان عليها كتابة؟

- كان عليها صورة سمكة

ثم تطلع ديمتريوس الى هنا وهناك وقفر من العجلة . وكان العملة يحملون من
الحقل حملاً كبيراً من الفاكهة ويقتربون به الى الباب . فقال ثوبيكوس لديمتريوس
اشغل نفسك بالدابة كي لا يشتبه بك احد وانت ياديانا اصعدي على مهل الى حيث
انطونيا امرأة كاظو واخبرها هويتك . ويجب ان يفتق احدكما عن الآخر لان
كل انسان هنا يعلم امر التفتيش الذي جرى عنكما امس

قالت ديانا ربما يخشون ان يأووني

- هم يخبرونك ذلك . اصعدي ولا تسرعي في السير لان بقاءك هنا غير ممكن

* * * *

ان المكدونى الطويل القامة الذي كان واقفاً في باب الدارة نظر اليها نظرة
غير مستحسنة وسألها قائلاً : ما عرضك ايها الغلام من مقابلة امرأة كاظو فييجدر
بك ان تقابل كاظو نفسه

اجابته ديانا : انني اريد مواجهة امرأته وانا لست مستعظياً

ففكر المكدونى هنيهة ثم قال : تعال معي اذاً . ثم تقدمه الى الحديقة التي

كانت انطونيا تتنزه فيها و اشار اليه بالاقتراب نحوها ورجع الى مكانه

ظهرت انطونيا ظهوراً جميلاً في لباسها الانيق الفاتح اللون وفي قبعتها الواسعة

وكانت تناظر عبدها وهو يقطف الزهور التي في الحديقة ولما سمعت وقع اقدام التفت

الى ورائها وانعمت نظرها في الغريب لعلها تعرفه . فقالت للعبد اذهب الآن . ولما

بدأ يتفرس في وجه الغلام المذكور امرته بان يمضي في الحال
 فاستهلت ديانا حديثها قائلة : اعذريني عن مواجعتي اياك بهذه الهيئة المتشكرة
 الخيفة . لانني اضطرت ان اظهر بمظهر غلام
 - ولكنك لم تستطعي التكر كفاية لان كل حركة منك دلتني على انوثتك .
 تعالي اجلسي بقربي ودعيني افهم ما حاصل لك . لقد بلغني انهم يفتشون عنك أليس
 كذلك ؟

فاوقفتها ديانا على قصتها باسواب موجز ثم قالت لها : يجب علي ان لا اسبب
 لكم تعباً وازعاجاً ولكن ارجو منك الآن ان تسمحي لي بالاستحمام اولاً ثم
 بالمبيت ولو ليلة واحدة عندك اذ ربما اتمكن من الذهاب غداً
 اجابتها : اننا نستطيع ان نساعد كل من احب مرسياوس . فلندخل اذن الى
 المنزل . ثم مشت امامها الى المشى حيث التقت زوجها خارجاً من مكتبه فقالت
 له : اعرفك بالآنسة ديانا ابنة العضو غالوس التي كان الجند يبحث عنها . واعرفك
 انت يا ديانا الى زوجي

فسألها كاظو : ما الذي فعلته حتى اوجبوا القبض عليك ؟
 اجابته زوجته بالنيابة عنها : انها هربت من كاپري خوفاً من الامبراطور الصغير
 الذي صمم على احضارها بين يديه

قال كاظو مشمئزاً : من ؟ الحذاء الصغير - المسخ الحقيق ؟
 صه . هم . قالت انطونيا . أنتوي ان ترج جميعاً في غيابة السجن . فعلينا
 الآن ان نهتم بامر ديانا فهي خطيبة مرسياوس
 فسر كاظو سروراً عظيماً عند سماعه ذلك وضم يديها بين يديه وقال لها :
 انك ستبقين هنا وهل من رجل يستطيع ان ياخذك من عندنا بسهولة . ثم استطرد
 قائلاً : وكان الجند يبحثون كذلك عن عبد يوناني بلغهم انه مر معك
 اجابته انطونيا هو في الكرم مع ثوبيسكوس ويجب ان نعمل لتخليصه من هذا

المازق الحرج

سأل كاظو : مَنْ مِنْ خدمننا يعرف شيئاً عنهما ؟

- دعنا نخبرهم حقيقة الواقع لانهم حينما يعلمون ان ديانا خطيبة مرسيلوس وان

ديميتريوس هو عبده فلا اظن عندئذ ان احداً منهم يقدم على افساء سرها

- لا تعجلي في حكمك لان المكدوني الطويل الواقف عند الباب يتمنى ان

يستلم مبلغ الخمسمئة فلس الذي وعدت الحكومة باعطائه لمن يسلمها اليها . على

اني سابلغه وغيره من الخدم ان الذي يقشي سرها يُجحد كثيراً

فقال له انطونيا امرأته : الاوفق ان نأتمنهم ولا نتهددهم ولو كان مرسيلوس

هنا لاستصوب هذا الراي

قال كاظو : اذكر ان مرسيلوس كان يجعل الناس يحترمون انفسهم اكثر مما

هم عليه . ثم التفت الى ديانا وسألها : هل انت في عداد هؤلاء المسيحيين ؟

- اخشى ان لا اكون في عدادهم لانني صعب علي فهم ديانتهم . ثم التفتت

نحو انطونيا وسألتها : هل تكلم مرسيلوس كثيراً بشأنها في غضون وجوده هنا ؟

اجاب كاظو : قد غير عقيدة اهالي القرية جميعاً وستخبرك انطونيا بكل ما

جرى لانها هي ايضاً صارت مسيحية

فقال انطونيا : ان مرسيلوس مع ما هو عليه من اللطف ودماثة الاخلاق فقد

كان يعمل خيراً مع كل واحد منا حتى مع سيد اريينو

* * * *

اما انطونيو الصغير الذي كان مشغولاً بعمله في صناعة النقش والحفر سحابة

نهاره في غرفة شغله فلم يعلم ان في ضيافة آله ابنة شريدة تائهة . ولما دخل غرفة

الطعام عند العشاء اخذ يمتذر عن عاقته . ثم لم يكذب نظره يقع على تلك المخلوقة

التي لم يواجل منها في حياته حتى بُهِت واعتبرته دهشة شديدة . وقد زاد في حسنها

ذلك الفستان الحريري البديع اللون والشكل الذي البستها اياه انطونيا ولم يلاحظ
قط انه فستان والدته

كان انطونيو قد ذهب الى رومية مع ابويه ثلاث مرات لحضور حفلات الاعياد
وقد لمخ من بعيد محفات عليها نساء وطنيات رائعات الحسن والجمال . غير انه لم يشاهد
البنة سيدة من طبقة ديانا على مرأى ومسمع منه . لذلك اخذ يتأمل محاسنها ملياً
ويعجب غاية العجب فقالت والدته لها هذا ولدنا انطونيو . ثم عرفت به قائلة :
هذه ضيفتنا الآنسة ديانا ابنة العضو غالوس . فوجه في الحال حديثه اليها . بلغني
عن ثقة انهم يبعثون عنك فكيف اتفق وجودك هنا ؟

اجابته والدته : لقد جاءت لتفقد عن خطيبها مرسيلوس . فأتت كاظو عبارتها
قائلاً : هو شباب محظوظ بلا شك

فوافق انطونيو على قولها بتحمس شديد اضحك كلاً من ابويه والفتاة ديانا
ايضاً التي خاطبتهم بقولها :

يسرني ان ارى منكم جميعاً هذه العاطفة الطيبة نحو مرسيلوس ومن المؤكد
عندي انه امضى وقتاً سعيداً جليلاً بين ظهرانيكم . ثم قالت لانطونيو : لقد
اخبرتني والدتك انك ملّم في صناعة الحفر والك ميل خاص الى مزاولتها . فاجابها
انه لم يعمل شيئاً يستحق الذكر فطلبت منه ان يريها مثلاً من شغله . وقد لاحظ
الفتى نغمة صوتها العميقة تختلف عن اصوات بقية الفتيات . ولما ذهب ليحضر لها
نودجاً من شغل يديه قالت انطونيا ان الفضل يعود الى مرسيلوس الذي علمه كل ما
يعرف وكأنها بهذا الكلام تسر قلب ديانا وتشتي على غيره خطيبها ومهارته في هذا
الفن الجميل

قالت ديانا : كان على مرسيلوس ان يكون حقاراً لا جندياً

اجاب انطونيو : نعم لانه يكره الحُصام ويجب السلام

فقالت ديانا على الفور : نعم ان مرسيلوس يجب السلام ولكن لا يوجد بين

جنود رومية من يحسن فن الحرب نظيره

قال كاظو : ما كنت لاعتقد ان مرسيلوس شجاع ويحسن الكرّ والفرّ لانه لم يأت على ذكر شيء من هذا القبيل

ثم قال انطونيو : انني سألته مرة ، هل قتل في حياته شخصاً ما ؟ فرأيت اذ ذاك علامة التأثر والنفس بادية على وجهه واجابني : انه لا يريد ان يذكر هذا الموضوع

واذ سمعت ديانا هذا تغيرت هيئتها فادرك انطونيو انه قد طرق مسامعها ما تتأثر منه عواطفها الرقيقة فارتبك في امره وازداد ارتباكاً حيناً سألها كاظو : هل كانت تعرف شيئاً عن ذلك ؟

فاحت راسها وتنهدت ثم قالت : منذ سنتين أو عز اليه ان يميت رجلاً ولما وجد اخيراً ان الرجل بريء الساحة من جرمه ورأى ان الشعب يحترمونه وحزنوا عليه كثيراً. لذلك حزن هو ايضاً معهم

قالت انطونيا : لا شك في انه يغتم لموته . لان مرسيلوس في طبيعة الرجال الشفيقين المحبين لعمل الخير

واذ اراد كاظو ان يزيل اثر الكدر الذي اصاب خاسات ديانا اخذ يخبرها عن حب اهاالي اريينو لمرسيلوس واحترامهم له . وعندما رآها تصغي اليه بكل جوارحها اخبرها ايضاً عن بركة السباحة الجديدة . فقال ان مرسيلوس يبدي رأياً صائباً وعند ابراهه الى حيز العمل ينسبه اليك وهذا ما يشجعك ان تعلمي ما هو افيد لمصلحة الشعب

ثم استطرد قائلاً : كان مرسيلوس رجلاً عبقرياً ذات صفات حميدة ممتازة وقد صنعت له فرص سعيدة عديدة لكي يعيش برخاء ورفاهة ومع هذا كله فقد آثر ان يتزل الى حقل البطيخ ويشغل مع عامة الناس الذين كانوا يسرّون كثيراً بوجوده فيما بينهم . ويأتون اليه كل ليلة فكان يكلمهم في تلك البقعة الحضراء بشأن يسوع

وعجائبه . فهل اخبرك بذلك ؟

- نعم قد اخبرني

- ولكنهم امانوا يسوع صاحب تلك المعجزات . فتابع زوجها الحديث قائلاً : ولكن مرسيلوس يؤكد انه قام من قبره وعادت اليه حياته ثانية ولكنني لا اظن ذلك

فالتفت انطونيو الذي كان مشرّداً الافكار الى ديانا وسألها اتعلمين من صلب ذلك الجليلي ؟

اجابته : نعم . كيف لا اعلم

فضرب انطونيو المائدة بقبضة يده وقال بما ان مرسيلوس قتل ذلك الرجل الذي قضى حياته في عمل البر والاحسان الى الناس فان الطريقة الوحيدة التي يكفر بها عن خطيته هذه هي ان يقتدي به ويقضي اوقاته في العمل نفسه بل يجب عليه ايضاً ان يصطليح مع يسوع هذا ويسأله المغفرة

قالت ديانا : نعم يا انطونيو ولكن علاوة على هذا كله فان مرسيلوس يعتقد قام الاعتقاد ان يسوع قد جاء الى العالم وسيمضي الى ابد الابدن وانه سيؤسس مملكة جديدة يلقي مقاليدها الى اناس صالحين بحيث لا يبقى بعد ذلك من حروب ولا اخبار حروب ولا مخاصمات وسرقات وما شاكل ذلك

هذا مبدا شريف قال كازنو ، من لا يشترك الى السلام . من لا يريد ويفرح بشرية الصلاح ؟ كل نوع من الاحكام يكون افضل من شرائع حكومتنا هذه . ولكن هذا الامر لن يتم . وان رجلاً له موهبة وذكاء كمرسيلوس يجب الا يلقي بنفسه الى الهلاك

فاعترض انطونيو قائلاً : ربما يسوع لم يلحق بنفسه فاذا كنا ننتظر عالماً جديداً يجب ان يبتدي في وقت من الاوقات او في مكان من الامكنة . وقد يمكن ان يبتدي منذ الآن . ماذا تعتقد يا ديانا ؟

فوضعت ديانا يديها على عينيها ثم هزّت راسها واجابت لا اعلم يا انطونيرو . الف
الذي ا قوله : ليت ذلك لم يحدث

* * * *

ولما لم يحدث شيء في اثناء الثلاثة الاسابيع التي مضت افكرت ديانا انها اذا
عادت الى رومية فلربما تكون في مأمن ويكون الامبراطور قد زال عنه غضبه عليها
فاهمل امر التفتيش عنها . غير ان كاظو لم يكن فآله كفألهما فوضع ان الحذاء
الصغير كان منهمكاً جداً أولاً بآتم الامبراطور طياريوس ومن ثم بحفلة تنويجه الحافلة
فضلاً عن اعداد الولايم في حينها ولم يكن لديه متسع من الوقت ليفكر باجراء
امور اخرى . وليس هذا فقط بل الجند نفسه كان يؤدّي واجباته في ابأن الاحتفالات
والالعب . لذلك لا اظن انه نسيك واغفل امرك فارى من الموافق ان تنتظري
قليلاً

ثم ان انطونيا عانت ديانا وقالت لها : قد رأيت ان كاظو يودّ لو تمكثين هنا
بعد وهذا ما يودّه ايضاً انطونيرو وانا . وقد اكدت ديانا حقيقة حبها وكلامها لان
ضيافتهم لها بلغت الحد الاقصى وقد بدأت هي تودّ انطونيا وكان حب انطونيا لها
يكاد يقرب من حد العبادة

ثم قالت لهم لقد عاملتموني جميعكم في تزولي عندكم معاملة حسنة جداً لا اقدر
على وصفها ولا يمكنني نسيانها ابداً . غير ان والدتي لا بُدّ ان يكون بالها قلقاً من
نحوي كلما سألوها عني او فتشوا منزلها . وجُلّ ما تعلمه بشاني هو انني فررت من
كايري في قارب صغير . ولا استطيع ان ابعث اليها رسالة لانني اخشى ان
يطلع عليها الحرس ويعرفوا عندئذ محل اقامتي فيلحقوا بي

كان ديتريوس يشتغل في الكرم في اثناء النهار ويبيت عند ثوبيكوس وكان
مساء كل يوم يذهب الى محل اقامة ديانا ويستعلم عنها فكانت تنصح له ان يعتصم

بالصبر مع انها كانت عالمة حق العلم انه يكاد يذوب شوقاً للاجتماع بمرسيلوس
ففي ذات مساء بعد العشاء استنجت ديانا من اضطراب حالة كاظو انه قد حدث
شيء جديد . ولما نهضوا عن المائدة وتوجهوا الى غرفة الجلوس ناولها رسالة مخطوطة
بسرعة باللغة اليونانية يقول فيها ديمتريوس انه مسافر الى رومية ويرجو ان يحظى
بسيده وان بقاءه هنا يزيد في حرج موقفك وان كاظو يستحسن رأيي بالسفر فاتبعي
نصائحى ولا تحاولي الاتصال بعائلتك . واذا سمح لي الوقت فلا اتأخر عن الذهاب الى
مزلكم لاشاهد والدتك واطمنها عنك

وكان ثوبيكوس واقفاً عند مدخل الباب فاقتربت ديانا منه وسألته : أسافر
ديمتريوس ماشياً ام اكرى دابة لركوبه ؟

اجابها ثوبيكوس : ان ديمتريوس امتطى صهوة جواد سيدي السريع ولبس ثوباً
من ثيابه

واذ كانت العائلة جالسة بجوار النبع جاءت ديانا وجلست بينهم . ثم التفتت الى
كاظو وقالت له : انني اشكرك على حسن تطفلك بما اظهرت من المروءة نحو
ديمتريوس واقدّر ما فعلته معه ومع مرسيلوس ومعى . فاسار بيده اشارة تدل على
ان ما اجراه لا يستحق الذكر ولا الشكر

ولكن عينيه كانتا مضطربتين وقال : ان اليوناني لم يكن في مأمن هنا ولا
يتيسر لاحد ان يكون آمناً في اي مكان لان اثنين من سائقي عرباتنا رجعا اليوم
من رومية واخبرا ان الفوضى قائمة على ساق وقدم والنظام مفقود فيها وان جماعات
المشردين السكديين واللصوص الماهرين الشرسين يدخلون الخازن في رابعة النهار
ويقتلون اصحابها المحترمين . والامبراطور يتهم المسيحيين ان لهم يداً في تلك الجرائم
الفظيعة . لذلك يجلدونهم ويلقونهم في السجون

فعلا وجه ديانا الاصفرار وقالت : كيف احوال مرسيلوس يا ترى فانه لا
يدافع الدفاع اللازم عن نفسه

وقد قالوا أيضاً ان البحث عن عبدكم اليوناني وعنك انت كذلك قد بلغ شدته . لان هذا العبد ضرب عضواً رومانياً ضرباً مؤلماً واهانه اهانة عظيمة وقد صدر الامر بالقاء القبض عليه حياً او ميتاً . اما انت فيظهر ان الامبراطور لا يريد ان يلحق بك ادنى اذى بل يدعي الاهتمام بامر سلامتك . وقد شاع ان اليوناني فرّ بك وكالغولاً يريد ان يجدوك

اجابت ديانا : مسكين ديمتريوس كيف يمكن ان ينجو والتفتيش عنه جاد في كل مكان ؟

قال كاظو : بما ان ديمتريوس يعرف ان لا فائدة له من حياة يقضيها بالفرار فاذا قبضوا عليه يدعهم يرجون المكافأة المقدمة لهم

سألت ديانا : أ يوجد عنده سلاح ليدافع عن نفسه

اجابها كاظو : ليس عنده الا خنجره فقط

ثم قالت انطونيا ان زوجها قد اقام حراساً في اماكن مرتفعة على الطريقين العامتين حتى اذا لحوا جنوداً مقبلين فانهم يسرعون بالانباء عنهم

قال كاظو : لما اتوا الى هنا فتشوا الدارة كلها ودققوا النظر فيها ولكن لم يكن يحظر ببالهم ان ابنة العضو غالوس تندس بين العملة

فقالت ديانا : هذه افضل طريقة اركن اليها

لم يوافق كاظو على ذلك في الحال ولكنه قال لا بأس فان انطونيا ستهي لك ثياباً موافقة لتلبسها غداً صباحاً وعسانا ان نجد لك مكاناً آخر نخبئك فيه لان لا مأمّن لك في هذه الدارة . ولي ملء الثقة اذا اكتشف الحرس مخبئك اخيراً فانهم يعاملونك معاملة حسنة . ولكن هذه اوامر الامبراطور لهم فلا مردّ لها ومهما عمل سيكون شريراً

وبعد نصف الليل بساعتين بينما كان لنتيوس نائماً نوماً ثقيلاً على فراش من الثبن في زاوية الاسطبل اذا به يستيقظ فجأة على نباح الكلب الذي اعتاد ان ينام بقربه ويصغي بانتباه وتيقظ الى كل حركة . وفيما هو كذلك سمع وقع اقدام وحوافر فتناول مصباحه وخرج وكان كلبه يبو قد سبقه . ثم عاد بعد لحظة يعوي بصوت متقطع يدل على فرحه فتبين اذ ذاك للنتيوس شخص ديمتريوس وهو يقود جواده

فقال له ديمتريوس اسكته يا لنتيوس حتى لا يوقظ كل من في البيت . فصاح الشيخ : اهلاً بديمتريوس وهو يتفرس في وجهه الشاحب

- اعتن بالجواد غاية الاعتناء فقد افرطت في وخزه وادخله الى حجرتك لان الدم يسيل منه وهو متألم

- انهم يفتشون عنك يا ديمتريوس

اجاب : نعم فقد تبعني ثلاثة فرسان على بُعد خمسة اميال هنا وقد تجاوزت طريق اثنين منهما اما الثالث فانه ادركني واذا كنت احاول ان ارميه عن سرج جواده ضربني بسيفه . ثم كشف عن كتفه وكان الدم يسيل منها فقال له احضر لي قليلاً من الماء ورباطاً

فلما رأى لنتيوس جرحه العميق قال انه بليغ وخطر وقد فقدت دماً كثيراً . ان ردائك ملآن دماً وحذاءك ايضاً فالأوفق ان تضطجع هناك

اجاب ديمتريوس بصوت ضعيف سافعل ذلك وبعد ان اضطجع على فراش العبد المسن اخذ هذا يغسل له جرحه بماء واسفنجة . وخرج الكلب يبو يلحس حوافر الجواد الملطخة بالدم . وعقيب هذا العمل سأل ديمتريوس : هل جاء القاضي مرسيوس الى هنا ؟

فتفرس لنتيوس بوجه ديمتريوس واجابه : ألم تسمع انه مات منذ ثلاثة اشهر او اكثر وقد اغرق ذاته في البحر . مسكين سيدي الصغير

- لا شك انك تحب سيدك محبة شديدة وهو كان يحبك ايضاً . وبناء على

ذلك فاني سأفضي اليك بسرّ ارجو ان تحتفظ به في خزانة صدرك . فاطمنك ان
القاضي حي يرزق وهو هنا في رومية

فصاح لنتيوس مبتهجاً : لماذا لم يأت إذن الى البيت ؟
سياتي يوماً ما . اما الآن فايقظ لي مرسيپور بغير ان تقلق احداً من اهل البيت
- اسهل ان اوقظ دسيموس لانه في الطبقة السفلى

- انني لا اريد دسيموس ، ساذهب وادعو مرسيپور بذاتي . ولما حاول
النهوض لم يستطع من شدة الضعف . ادع لي اياه وذلك بطرح شيء ما في حجرته
بقرب سريره ليتنبه من نومه وحينما يقترب من النافذة اخبره بانك تريد مقابلته بدون
ان تذكر له اسمي . ثم قل له ان ياتيك ببعض الربط

جاء مرسيپور ولما رأى حالة ديتريوس قال له يجب ان تدعو الطبيب يا ابني
- لا يا مرسيپور انني افضل ان اموت جريحاً على ان يُقطع راسي . ثم التفت
الى لنتيوس وقال له : خذ جوادي الى الاسطبل ونظفه جيداً وخذ الكلب ايضاً
فان لديّ مرسيپور وهو كاف للاعتناء بي . واذ ذاك اغلق مرسيپور الباب وجثا
على الثبن واخذ يضمّد جرح ديتريوس . ثم قال له ان حالتك خطيرة
- اما الآن فليس عليّ من خطر . ولكن قل لي ما هي الاخبار ؟ هل
رأيت مرسيلوس ؟

اجابه مرسيپور : ان مرسيلوس موجود في المقابر

- يا له من مكان مسحور للتخيمة

- ليس كما تظنه فانه يوجد اكثر من مئة شخص من الرجال المعروفين وقد

جاء المسيحيون بالموونة منذ بضعة اشهر مضت

قال ديتريوس : ولكن عندما يكتشف الجنود محل اقامتهم يصطادونهم

كالارانب

- ليس كما تعتقد لانه يوجد هناك كثير من المراتيب الطويلة العميقة لا

يقدر احد ان يجتازها ويخاف الجنود من النزول فيها بحيث لا يستطيعون العودة منها وقد حدث لهم مثل هذا حينما كانوا قبلاً يبحثون عن اليهود التائبين في هذه الاماكن فقد ضلوا طريقهم ولم يعودوا منها

ثم سأل: هل رباط الجرح شديد او رخو؟ ولما لم يجبه اخذ يحس نبضه ثم نضح وجهه بالماء فلم يسمع له حركة وقد امسى جسداً هامداً . فهب من مكانه يركض نحو البيت لاهثاً فاتقى غاليو نازلاً على السلم فسأله ما الخبر يا مرسيپور؟ اجابه ان ديتريوس مجروح وهو يموت في الاسطبل

- هل دعوت الطبيب؟

- لا لم يشأ ان ندعو له طبيباً لانه محتبى

قال غاليو: ارسل احداً على الجواد ليدعو سرييدون طبيب العائلة سريعاً واحملوا ديتريوس الى البيت . فن العار ان يموت ميتة الكلاب . ثم دخل الاسطبل وصاح به : ديتريوس ! ديتريوس !

ففتح عينيه الغائرتين وحرك شفتيه البيضاء وقال بصوت غير مسموع عند - امرك - يا سيدي . وتنهى من الالم

ولما شاهد غاليو الجمع المحتشد حواليه قال لهم : انتبهوا لما اقول لكم . احمالوه باعتناء وادخلوه الى البيت وضعوه في غرفة مرسيلوس . وانت يا مرسيپور اخلع عنه ثيابه الملوثة بالدم ولف جسمه باحرام صوف دافئ.

فذهب احد العبيد ليدعو سرييدون ، وستة انفار من الخدم حملوه الى غرفة مرسيلوس . واذا كان غاليو صاعداً وراءهم التفت الى مرسيپور وقال له : لم لم تنبئني بذلك؟ فهل انا معروف بينكم انني قاسي القلب بحيث ادع احد عبيدنا المخلصين يموت ميتة الحيوانات وليس لي ادنى علم به؟

فاجاب مرسيپور : انت تعلم يا سيدي انهم كانوا يفتشون عنه ولم نعد نعلم ما نفعل ولو لم تدفعه الضرورة الى المحبي . الاستعلام عن سيده لظل حيث كان ونجا

كما حصل له في طريقه

- اتعني انه جاء ليستعلم عني ؟
- لا يا سيدي بل عن مرسيلوس
- ألم تجزبه ما حدث لسيده
- ان ديتريوس يعتقد ان مرسيلوس هنا في رومية
- لماذا لم تعلمه حقيقة الامر ؟
- اجاب مرسيلور : هذه هي الحقيقة بعينها . ثم امسك بسيده كي لا يقع من شدة الانفعال

- لماذا لم تبتوني بذلك قبلاً ؟
- لان مرسيلوس مسيحي ، والمسيحيون يراقبهم الجواسيس مراقبة شديدة .
- لذلك لم يشأ ان يسبب التعب لعائلته
- فسأل غالو : اين هو الان ؟
- فهمس مرسيلور باذنه انه في المقابر
- ابني في المغاير القديمة مع اللصوص والرعاع ؟
- اجابه مرسيلور انهم ليسوا رعاياً يا سيدي . ولكنهم جماعة امناء محبو السلام
- يختبئون من امبراطور ظالم مختل الشعور
- ولما مرأ بجوار غرفة لوسيا امر غالو مرسيلور ان لا يحدث صوتاً في مروره من هناك لان لوسيا في غرفتها بحيث زوجها قد توجه لقضاء مهمة رسمية
- كيف يمكننا ان ندعو مرسيلوس ؟
- لا نقدر على ذلك يا سيدي لان وجوده يكون خطراً على البيت
- لا بأس من ذلك . ارسل ادعه
- واذ كان الخدم يخرجون من الغرفة بعد ان وضعوا ديتريوس على فراشه ظهرت
- توتيا في الباب وسألت مرسيلور ماذا حدث ؟ ولما رأت ديتريوس مضطجعاً في سريره

ارتفعت ودخلت الغرفة وألقت نفسها عند قدميه فاتهمها مرسيدور وقال لها يجب ان تساعدي الآن فاذهبي حالا واحضري احراماً ودفننيه

واذ كان ينزع عن رفيقه رداءه الملوث بالدم قال لسيدة لا يوجد احد سواي في هذا البيت يسمح له بالدخول الى المقابر

- ولماذا يسمحون لك بالدخول؟ هل انت واحد منهم؟

فاجاب بالايجاب بجنو رأسه

فقال له غاليو : اسرع بالذهاب حالا وخذ جوادين معك . واذا ذاك شعر عن ساعديه واخذ ينزع حذاء ديمتريوس من رجليه فدخلت ترتيا خادمة لوسيا باحرام من الصوف وجاءت سيدتها بعدها بكأس من الخمر المعتقة الصرفة فانخذ غاليو المعلقة من يدها وصب قليلاً منها بين شفتيه المفتوحتين فابتلعه بدون وعي ثم انهضه قليلاً وأدنى الكأس من فمه ليسقيه اكثر من ذلك فلم يستطع ان يفتح فاه

ولما كان الاب وابنته وحدهما قال لها غاليو ان اخاك حي وقد ذهب مرسيدور ليأتي به . ثم استطرد قائلاً : ارجو ان ياتي في الوقت

فدهشت لوسيا اذ سمعت ذلك وتمسكت بكمّ والدها وسأته : اين هو شقيقي الآن؟

اجابها : في المقابر

- لا يا والدي ، لان كل الذين هناك سيقتلون لان امرأ مشدداً صدر الى طولوس لكي يهاجم ذلك المكان ويجهلهم في قبضة يده

ثم فتحت ترتيا الباب فدخل الطبيب ومشى توتاً نحو ديمتريوس ورفع جفني عينيه ثم جس نبضه وقال ضموا الزقة ساخنة على الجرح فاذا لم تنجح فلا تضر فدعونا نجرب

لم يبق من حاجة للاخبار عن وجود ديانا بين العملة في الكروم لان كل سكان اريينو عرفوا قصتها وتحذثوا بها ثلاثة اسابيع كاملة بحيث لم تُبق الدارة سر وجودها مكتوماً. حتى ان الفلاحين المؤمنين على هذا السر شعروا بان لهم حق الشراكة مع غيرهم في حمايتها والمدافعة عنها حين الاقتضاء.

اما كاظو فانه كان غوراً باهالي مدينته الذين حافظوا على تعهدهم له بكتمان امر ديانا في مقابل المكافأة المقدمة لهم وذلك لسبيين اولها . ان المكافأة التي كان يعد بها الامبراطور امسى الحصول عليها بين الشك واليقين حتى ولو رجت بشرف . وفي اعتقاد سكان اريينو ان الذي يقلل معاملته مع الحكومة تكون احواله سائرة في طريق النجاح لانهم لم يحفظوا كرامتها ولم يروعوا حرمتها سواء كانت وطنية ام اجنبية لان مأموريها اذال حمق . حتى اذا دفعت الدنائة احدى الى افشاء سرها فلا يمكنه ان يحصل على المكافأة المذكورة . وقد اتفق الشباب على هذا الراي ولكن حسب اعتقاد انطونيا انه كان ثمة سبب آخر افضل يجعل سكان اريينو يتكتمون وهو انهم يذكرون مرسيلوس بامتنان لاجل المنافع العديدة التي اوجدها لهم حتى انهم لم يروا شخصاً فاضلاً مثله بتاتاً . وقد اعتقد خاصة الشعب وعامةهم ان مرسيلوس كان تحت ظل عناية الاله الجليلي الذي مع تخصيصه حيانه لبث روح السلام والصلاح في صدور الناس فانه كان يدخل الى البيوت وهي مقفلة الابواب والمنافذ . وكان يهيك ألا تراه في ليلة مظلمة واقفاً بالقرب من فراشك ويسألك كيف بعث عروس صديقه مرسيلوس الى كاليغولا

يا كراً في اول صباح تزلت فيه ديانا الى الكرم . اوقف ثوبيكوس بعضاً من الرجال والنساء عند دخولهم الى الكرم واخبرهم السبب الموجب لتزول ديانا للعمل بينهم واوعز اليهم ان يذيعوا ذلك بين سائر العملة وان يعاملوا ابنة العضو غالوس كما يعاملون بعضهم بعضاً . ويجب ألا يسألها احد منهم شيئاً او يحدق اليها نظره او يعرضوا عنها . وكذلك يجب على كل انسان اذا جاء الجنود الى الكرم ان يهتم

بشغله غير ناظر الى حمايتها منهم او دفاعه عنها لئلا يوقعوا الشبهة عليها
ولما وصلت متيلاً اوقفها المناظر وقال لها يجب ان تنتظري الى ان تصل ديانا
فتأخذها الى اقصى مكان في الكرم بعيداً عن الطريق العامة وترى ماذا يجب عمله
- لا يُطلب منها ان تشتغل بل ان تعرف شيئاً من الشغل
فقاطعت كلامه متيلاً قائلة : لماذا اخترتني انا هل تريد ان احمل لها السلة لكي
لا تبدل نعومة يديها البضاوين

- كلا بل انك كنت تودين مرسيلوس وترغبين في ان تتعرّفي الى أناس من
طبقتها الرفيعة . ها هي آتية فاحسني معاملتها كما تحسنين معاملة غيرها
فاما وصلت ديانا قالت هاأنذا اتيت فماذا تطلب مني ان اعمل يا ثوبيكوس
- ستعاملك متيلاً واثار باصبه اليها . فناولتها هذه سلة وسارت قدامها فسبقتها
ديانا في سيرها وقالت ارجو ألا اكون عبئاً ثقيلاً عليك . اريني كيف اعمل فقط
اجابتها متيلاً : عليك ان تتظاهري بالعمل فقط
فقالت ديانا بصوت مهموس اني احب ان اشغل
اجابتها متيلاً : ولكن هذا يضر بشرة يديك
- لقد اتضح لي انك قررت على ان لا تحبيني . أهذه هي الطريقة التي
تعاملين بها ابنة اخرى سواي

اجابتها متيلاً : ولكنني انا لست شيئاً بالنسبة اليك لان مقامك رفيع
ومعروف عندنا
- هذا حقيقي ولكن انا انسانة مثلك من جيلة واحدة ولا تدل صورتك على
انك لست شيئاً

- انت كريمة الخلق تودين ان تتلطيني وتمرحي معي بدون تكلف
- انني لست كذلك ولكنني خائفة اريد ان اذهب الى والدي
فقالت لها متيلاً : كوني مطمئنة البال ولا تخافي شيئاً لانهم لا يبحثون عنك هنا

ما دمت معنا ولكنهم يبحثون عنك في الليل بدارتك
 فقالت ديانا : قد افكرت بذلك غير انني لا اجد مكاناً سواها انا في
 وبعدئذ ناولتها متيلاً مقصاً صغيراً وعلمتها كيف تقصّ عنقود العنب باحتراس
 لئلا تتلفه . فهبتا تعملان معاً بنشاط واجتهاد وبعد وقت يسير سألتها ديانا : أوجد
 لي في بيتك مكان انام فيه ؟

اجابتها متيلاً : من دواعي الاسف ان يبتنا حقير مؤلف من غرفتين فقط
 الواحدة منهما لوالدي والثانية صغيرة جداً لمنامتي ولا اظن انك ترضين ان تنامي
 معي فيها

لم لا . هل تسمحين لي ؟ فاني ادفع لك اجرتها
 - لا تكلميني بخصوص الاجرة مطلقاً

وضعت ديانا يدها على ركة متيلاً وقالت لها : ذكرت لي منذ ساعة انك
 لست شيئاً ولكن ما فعلته الآن يدلّ دلالة محسوسة على انك شيء عظيم .
 فاجابتها متيلاً حقيقة انك تحبين النكات يا ديانا

* * * *

اما ما كان من امر مرسيپور فانه امتطى الجواد وسار به ينهب الارض لان
 مهمته كانت ضرورية وكانت الجياد التي في اسطبل الشيخ غاليو اصيلّة ونشيطة
 جداً وخصوصاً الجواد الادهم المختص به . وبعد ان قطع مرسيپور مسافة الجسر
 الذي كان قد بناه يوليوس قيصر غادر الطريق العامّة المعروفة وعرج على عين الطريق
 الممتدة الى جهة المقالع لان الوصول الى المقابر من ناحية الطريق العامّة والدخول
 الى بابها الاعتيادي خطر جداً من الجند الذي كان مراقباً حركات المسيحيين
 وكان في نيته ان يدخل الباب السري الموصل اليها غير انه خشي من ان يضيّعه
 بحيث كان مجبوراً باحد المقالع المهجورة . ولما وصل الى المقلع المذكور ترجّل عن

ظهر جواده وربط الجواد الآخر معه واخذ يتلمس طريقه على ضوء القمر الضئيل الى ان اقترب من بركة ماء فارغة وتذكر انه غطس فيها مرة ثم تمشى بجذر في الظلام الدامس فسمع صوتاً يوقفه . ولما ذكر اسمه افسح له الحارس سبيل المروء فقال له : اذهب وادع لي مرسيوس وقل له ان خادمه الذي هو واحد منا يعالج سكرات الموت بسبب جرحه البليغ

- إذن قف مكاني وتول الحراسة ريثما اعود

فاخذ مرسيبور يعد الدقائق التي وجدها كالساعات الى ان ظهر له على ضوء مصباحه في احد السرايب شخصان مقبلان مرسيوس اولاً ثم بطرس وقد اتفقا على ان يمتطيا الجوادين وان يصرف مرسيبور ليله في المقابر

فسأل مرسيوس مرسيبور قائلاً : هل اخبرت والدي انني هنا ؟

- نعم ولكنه من عظم سروره بانك حي لم يبق مهتماً بكونك مع المسيحيين . واكد بانه سيحفظ هذا السر . لكن اسرع الان فان ساعات ديمتريوس امست معدودة

* * * *

استلم لنتيوس زمامي الجوادين ولما رأت لوسيا اخاها اقتت نفسها بين ذراعيه وهي تبكي وترجف

فسألها مرسيوس بالحاح : الا يزال ديمتريوس حياً ؟

اجابت لوسيا انه لا يزال يتنفس ولكن الطبيب سرييدون يقول انه ضعيف مشرف على الموت وان يبقى له من الحياة سوى ساعة واحدة

فالتفت مرسيوس نحو رفيقه وقال لشقيقته هذا سمعان بطرس وقد جاء مؤخراً من الجليل وله معرفة كافية بديمتريوس

فألحني بطرس امامها وقال لها بصوت عميق خادملك يا اختي . اجابت لوسيا باكية اهلاً بك ، تعالوا لنذهب الآن لئلا يذهب وقتنا سدى

وفيا هم صاعدون لاقاهم غاليو في رأس السلم وعانق ابنه وهو صامت . ثم
القت كورنيليا بنفسها بين ذراعي ولدها . اما بطرس فبقي منتظراً فعرفته لوسيا الى
والدها كصديق لاختها فسأله ما هو اسمك ؟ اجابه بصوت عميق : بطرس

نحن الشيخ راسه له ونظر اليه نظرة جامدة كأنه يقول له ما معنى مجيئك الى
هنا . واذا لم يكن بطرس يستطيع الانتظار بعد اقتراب من غاليو الذي اخذته
الدهشة وقال له بلهجة الحاكم الأمر : إِمض بي الى حيث ديمتريوس

ولما رنَّ صوت الأمر الغريب في مسامعهم ابتعدت كورنيليا عن ابنها . واما
غاليو فانه مشى امامه الى غرفة ديمتريوس فتبعهما الجميع واصطفوا حول فراشه . ثم
اشار غاليو الى الطبيب سرييدون فافسح مكانه لبطرس الذي امسك بكلتا يديه
القويتين يدي ديمتريوس الضعيفتين الضعيفتين وهزَّهما وصاح : ياديمتريوس كانه
يدعوه من مسافة بعيدة فلم يكن من مجيب . ثم ناداه بصوت كهجيج المياه
قائلاً : ارجع يا ديمتريوس

فلم يثنفس احد وكانت الجماعة واقفة حول الفراش كالاصنام . وبغطة جلس
بطرس قامته ومدَّ لهم يديه وأمرهم قائلاً : اخرجوا واتركونا وحدنا فخرج الجميع ما
خلا مرسيولوس الذي تأخر لیسأل هل اخرج انا ايضاً ؟ نحنا بطرس راسه علامة
الايجاب . وعند خروجه رآه يخلع رداءه عنه

وقفت الجماعة عند راس السلم منتظرة ان تسمع صوت بطرس ايضاً ولكن لم
يجد شي . من هذا . ثم تزل غاليو بكل حذر وتبعه سرييدون الطبيب . ودخلت
كورنيليا وولداها الى غرفة نومها ولم يبق احد في المشى سوى ترتيا التي قعدت عند
باب ديمتريوس تصفي

وبعد نصف ساعة خرج مرسيولوس يسأل ماذا حدث . فهزَّت ترتيا رأسها مجزن .
ثم تزل الى غرفة والده فراه جالساً خلف مكتبه لا يعمل عملاً فقعده على كرسي
بالقرب منه وبعد دقيقة سأله مستهزئاً : هل يظن صديقك هذا انه يصنع العجائب ؟

- ان لبطرس موهبة غريبة يا سيدي
 - ان معاملته لنا غير عادية فانه يتولى مسألة المريض ويخرجنا والطبيب من
 الغرفة . هل تعتقد انه يقوم باعمال فائقة الطبيعة ؟
 - لا انعجب من ذلك لان بطرس لا يعرف المداينة بل هو رجل حرّ أمين
 فيجب الاّ تحكم عليه بشي . الى ان ترى النتيجة
 - النتيجة هي موت ديمتريوس . فلو كان عندنا اقل امل بانه يشفى بالادوية لكنا
 فعلنا ذلك . كم يقتضي لنا من الوقت ان ننتظر حتى يتمّ سحره ؟ بل ما هي
 الاعمال التي يريد ان يعملها ؟
 - لست اعلم يا سيدي . هل عرفت انت كيف جرح ديمتريوس هذا الجرح
 البليغ ؟

اجاب غالوبان هزّ راسه . ولكنك كنت بلا شك فهمت منه انه ساعد ديانا
 على هربها من كليري . ويقال انه محكوم عليه لانه تعدّى على عضو من اعضاء
 المجلس وضربه واهانه اهانة عظيمة
 فانتصب مرسياوس على قدميه حالا ودنا من والده وسأله : هل فرّت ديانا معه ؟
 انني لم اسمع قط كلمة بهذا الشأن . فاين هي الان ؟
 - ما من احد يعرف مقرها وقد خرجت من البيت . والامبراطور يصرح بانه
 يهجه امرها وقد ارسل من يفتش عنها
 - ولماذا يهجه امرها ؟ ربما ديمتريوس يعرف مقرّها . واطن ان ما حدث له
 كان بسببها

اجابه غالوب : اذا كان ديمتريوس يعرف مقرّها فسيأخذ سرّه معه يا بنيّ
 ثم عاد مرسياوس الى غرفة والدته وهو مشغول البال فوجدّها نائمة ولوسيا
 مضطجعة على احد المقاعد فقعد بقربها ومسك يدها . وكان الفجر قد ابتدأ ضياؤه
 يشتت ظلام الغرفة

فهمست لوسيا في اذن اخيها سائلة : اما يزال ذلك الرجل هناك ؟ فاجابها اخوها
بالاجاب . ثم مشى نحو الباب وفتحہ وتطلع في المشى فلم يجد ترتيا هناك . ثم
اغلقه وعاد لجلس بالقرب من اخته

* * * *

ولما سمعت ترتيا صوت فتح الباب وثبتت من مكانها فتجلى لها وجه الجليلي
الملتحي فقال لها هامساً : اذهبي بهدوء وسكينة واحضري حماء سخناً (شوربا)
فلبث امره وتوات بهدوء على السأم بدون ان تعلم احداً . ولما عادت بالطعام قرعت
الباب ففتح لها بطرس واغلقه خلفها . فشاهدت ديمتريوس مصفراً الوجه كالاموات
ومن حواليه الوسائد وهو مشرد الحواس . فنظر اليها بفتور

قال لها بطرس لا تكلميه شيئاً لانه قد جاء من مكان بعيد وما يزال في ذهول
فاعطيه قليلاً من الحساء بقدر ما يستطيع ولا تدعي سيده الا في الوقت الذي يسأل
عنه ولا تدخله احداً عليه ما لم يعد اليه نشاطه وانا ذاهب الآن

- ولكن يا سيدي كيف تذهب من غير ان ترى العائلة فانهم يريدون ان
يشكروا لك صنعك

- لا اريد ان اجيب على اسئلتهم لانني منهوك القوى . ولما اقترب من الباب
التفت الى ديمتريوس وقال له : تشجع واذكر العهد الذي وعدت ان تحفظه . عليك
ان تعود الى بلادك وتشهد لمسيحك الذي شفأك

وبعد ان خرج بطرس اعطته ملعقة من الطعام فلحق ما فيها بدون وعي واخذ
يتفرد في وجهها

فسأله : أتعرفني الآن ؟

اجابها : ترتيا نادي لي مرسيلوس

فوضعت الاناء على المائدة واسرعت لتدعو مرسيلوس . فاجتمعت العائلة حولها
واخذوا يسألونها اسئلة ملحة عنه

اما هي فاتها صممت على ادخال مرسيوس وحده عليه . فدخل مسرعاً واخذ
يدي ديمتريوس بين يديه وقال له بصوت ممزوج بالخوف قد اعادك بطرس الى الوجود؟

اجابه . نعم من سفرة بعيدة

فسأله مرسيوس . هل تذكر شيئاً ؟

اجابه : اذكر شيئاً قليلاً

- هل رأيت احداً ؟

- ليس بتمام الوضوح ولكنني سمعت اصواتاً كثيرة مختلفة

- هل تريد ان تعود ؟ فشهد ديمتريوس وهز رأسه

فسأله اخيراً : اين بطرس ؟

اجابه : قد ذهب

واذ اشتبهت ترتيا انه يريد ان يكلم مرسيوس سرّاً خرجت من الغرفة

فاضاء وجه ديمتريوس وقال ان ديانا في اريينو في دارة كاظو واري من الموافق

ان تذهب اليها لان الامبراطور يطلب احضارها وهي خائفة من مقابلته

- هل شفيت تماماً يا ديمتريوس لكي اتركك الآن واتوجه في الحال اليها

- نعم يا سيدي وانا ساسافر ايضاً وقد نذر بطرس نذراً وعليّ ان اعود الى

اليونان لأففيه

فنظر اليه مرسيوس باحترام وقال : لاجل الملكوت الجديد اليس كذلك ؟

لقد أقيمت على عاتقك مسؤولية عظيمة تحيط بها الاخطار . انني سامنتك صك

تحريرك من نير العبودية اليوم

- يصعب عليّ يا سيدي فراقك جداً

- وانا يعزّ عليّ ان تسافر ولكن اذا كانت حياتك رُدّت اليك بواسطة النذر

الذي نذرته فيجب عليك ان تفيهّ مهما كلفك الامر

فتمت ترتيا الباب قليلاً فأشار اليها مرسيوس بالدخول . فقدمت صحيفة الحساء

فلحق ما فيها حتى الثالثة . فقال له مرسيلاوس هذه علامة تحسن صحتك واعلمها تعيد اليك بسرعة قوتك ونشاطك

واذ شعر مرسيلاوس انه يجب ان يبشر سائر العائلة بشفاء عده دخل حالاً غرفة والديه فوجدهم جميعهم هناك فاخبرهم الخبر السار العجيب بان ديمتريوس قد شفي وهو يتناول الآن فطوره

قال غاليو : هذا غير ممكن واسرع الى الباب فقال له مرسيلاوس انتظر قليلاً يا سيدي . ان ديمتريوس لا يزال ضعيفاً وليس عنده قوة كافية للتكلم - ولكنني اريد ان اكلم الجليلي لان ما حدث ليس امراً بسيطاً . ان سربيدون الطبيب قال ان ديمتريوس على أهبة السفر الى الابدية قالت ترتيا : ان بطرس قد ذهب يا سيدي لانه كان تعباً جداً ولم يرد ان يرى احداً

فسأت كورنيليا قائلة : كيف تظن انه عمل هذا الامر ؟

اجابها : مرسيلاوس : ان بطرس رجل مسيحي . ان البعض الذين عاشوا بقرب يسوع حصلوا على قوات خاصة . لذلك لم اجد شفاء ديمتريوس امراً عجيبياً لانه هو ايضاً مسيحي . وقال ان بطرس نذر له نذراً وعليه ان يفيته ، وهو ان يذهب الى اليونان ويعمل بمجد بين ابناء وطنه

فسأت لوسيا : وما هو نوع العمل ؟

اجاب مرسيلاوس : بضم الناس معاً لكي يعزوا شأن الملكوت الجديد ويثبتوا دعائهم

- ألا يسبب له تحدته عن الملكوت الجديد تعباً ؟

اجابها اخوها : لا شك بذلك ولكن ديمتريوس لا يدع شيئاً يؤخره او يقف في طريقه

قالت لوسيا : مما لا ريب فيه انه يسره الذهاب الى اليونان واذكر انك اخبرتني

انه كان يحب ابنة في اليونان اظنها تُدعى ثيودوسيا
 قال الشيخ غاليو انه مزعم ان يتناول فطوره في غرفة المكتبة ويطلب من
 مرسيلوس ان يتناوله معه . اما كورنيليا فذهبت لتنام واما لوسيا فانها ذهبت الى
 غرفتها اولاً ثم توجهت الى غرفة ديمتريوس وقرعت الباب ففتحته ترتيلاً ثم عادت
 ادراجها . فقالت لوسيا اننا فرحون جداً بنبيلك الشفاء التام واخبرنا مرسيلوس انك
 ستعود الى اليونان ثم وضعت خاتماً في يده وقالت : قد حفظته لك كما اوصيتني وها
 انا اردّه اليك وربما تعطيه الى ثيودوسيا . فابتسم ديمتريوس من كلامها وقال ربما
 تجده ثيودوسيا شيئاً لكن ليس لها حق ان تشاركني في اخطاري
 وفي الحال دخل سربيدون ووقف قرب الفراش ينظر الى مريضه نظرة خجل
 وتبين حالاً ان ديمتريوس دهش من رؤيته

فقالت لوسيا : هذا هو الطيب هل تذكر انه كان هنا في الليل -

- لا : اجاب ديمتريوس ، لا اذكر شيئاً

فسأله سربيدون : ماذا فعل ذلك الرجل الجليلي الكبير الجثة ؟

اجابه ديمتريوس : هو صلى فقط

فسأله سربيدون : مَنْ هو الاله الذي يصلي اليه ؟

- لا يوجد الا اله واحد

- اله يهودي اليس كذلك ؟

لا ، ليس يهودياً . ان الله اب لجميع الناس وهو في كل مكان . وكل واحد
 منهم يقدر ان يصلي اليه باسم يسوع الذي جاء ليؤسس مملكة عدل وسلام

اجاب سربيدون : هذه هرطقة مسيحية . هل يدرك صديقك الذي من
 فلسطين انه يُقبض عليه لادعائه شفاء الامراض في امور كهذه ؟

اجابت لوسيا : كلا انه بريء من هذا الادعاء . واطنه لم يدّع حينما شفى

ديمتريوس

قال سرييدون : يجب ان نشكوه الى السلطة . واذ قال هذا اتجه نحو الباب
فقلت لوسيا : يظن الانسان ان الطبيب يُسرّ بتعاني مريضه مهما كانت
وسائط الشفاء

فلم يجاب سرييدون ولكنه خرج محتتماً من الغيظ وتزل الى المكتبة حيث
كان غاليو وابنه يتناولان الطعام

فقال له غاليو بلطف : اجلس وتناول الفطور معنا . اننا لا نلومك على شعورك
هذا ولكن ما حدث كان امراً غير عادي . لا شك انك تسرّ بشفاء اليوناني ولو
كانت الطريقة شاذة

بقي الطبيب واقفاً ورفض كل ما قُدم له من الفاكهة وقال غاضباً . ان من
سوء حظ الشيخ غاليو ان يعرف الناس دعوته لاحد المسيحيين المفسدين لكي يداوي
مريضاً في بيته

فوثب مرسيلوس عن كرسيه وقابله وجهاً لوجه وقال له : انت ورياؤك يا مَنْ
تدعي الاهتمام بشفاء المرضى . هل يمكن ان تكون هكذا حسوداً وتعمساً حتى
انك تغضب حينما تُعاد حياة انسان اليه بواسطة ناجعة افضل من ادويةك الباطلة ؟
فلصق سرييدون بجانب الباب وقال سيكلفك هذا الكلام ثمناً غالياً يا مرسيلوس
ثم خرج

فقال غاليو لابنه بعد ان خرج الطبيب كنت ارجو ان ارضيه لانك جرحت
حاساته ودست كبريائه ولا بُدّ من ان يسبب لنا تعباً كثيراً اذا علم ان ديمتريوس
مقيم هنا

- الحق معك يجب ان تبعده من هنا

- يستطيع ان يسافر اليوم ؟

- سيذهب بصحبتي الى اريينو حيث انا ذاهب

قال غاليو : لا يستطيع مطلقاً الركوب على الجواد . فالأوفق ان ترسله في عربة

الى بسكار وما اخال انهم يبحثون عنه في ميناء ادرياني وانا سارافقه لان مرافقتي له
تساعده على عدم تعرضهم للتفتيش عنه . وسادّبر تذكرة تؤذن بمروره بغير اعتراض
ولا افارقه الا بعد ركوبه احدى السفن المسافرة الى كورنثوس

- ان هذا الكرم خلق زائد ياسيدي . يا ليت كل انسان يعامل عبيده مثل
هذه المعاملة الحسنة

اجابه غاليو : اما من جهة هذا فليس من عادتي ان ارافق عبيدي عندما
يسافرون الى بلاد اجنبية ولا اسمح لهم في ركوب عربتي الخاصة . لكن حادثة
ديتريوس بخلاف ذلك . لان حياته عادت اليه بطريقة تفوق الطبيعة ويجب ان يقوم
بنذره والا فليس له حق ان يحيا

قال مرسيلوس : انك تقدر ان تكون مسيحياً حقيقياً . وما ان نطق بهذه
العبارة حتى تغيرت هيئة والده لانه لم يحن الوقت ليدي تصريحاً كهذا امامه
فاجابه والده : الرجال الشرفاء كانوا يحتفظون بكلامهم قبل ان ظهرت الديانة
المسيحية بزمان طويل . والآن دعنا نستعد للسفر في هذا النهار لانه ملائم لنا لان
رومية لا تفتش عن التائبين في هذا اليوم الذي تنهياً فيه لاستقبال العيد السنوي .
فبناء على ذلك اوعز الى ليتوس ان يخرج العربّة ويعدّها لسفرنا



الفصل الخامس والعشرون

سارت العربية مسافة شاسعة في المدينة والحِيَال يتتبع اثارها عن بعد بغير ان يعترض طريقها احد وقد صدق قال الشيخ غاليو في ان هذا اليوم كان مناسباً جداً لسفرهم فلو شاء شخصٌ ما ان يسافر من رومية على غرّة من دون ان يشعر به احد من الجند او غيرهم لما تيسر له ذلك الا في اليوم المذكور. ومع ان عيد جوبيتر الذي هو اشهر واشرف اعياد السنة كان باقياً لموعد الاحتفال به زهاء ثلاثة ايام فان استعدادات الشعب لتعييده وتكرّغه كانت قائمة على قدم وساق

وقد غصّت اسواق المدينة بمجاهير لا تعد ولا تحصى من ذوي الخلاعة ومحيي الملاهي الفرحين الثملين . واقام الاهالي معالم الزينة على اختلاف انواعها والزُّوَار تفد على المدينة من النحاء بعيدة وصدى اصواتهم يملأ الفضاء فضلاً عن غوغاء جماعات السياح وغازفي الآلات الموسيقية والمغنين والراقصين والبهلوانية والسحرة والمنجمين ومروّضي الدببة والسعادين ومن لفّ لفّهم

وقد توقفت اشغال الحكومة وغمر الابتهاج قلوب الوطنيين والغرباء معاً وانتشر القول ان « اللودي روماني » (اسم العيد) سيكون مشهوراً هذه السنة اكثر مما قبله من السنين الفائتة لان الامبراطور الحالي كان على جانب عظيم من الكرم . اما سلفه طيباريوس الشيخ الذي كان شحيحاً يفضّض في اوقات الاحتفالات فقد قضى نجبه واستراح من حكمه اغلب رعيته

وسيجانس الشحيح الذي كان يدفع للامير غايوس حصته من الدراهم مقسطة لاوقات معينة فقد لفظ روحه وانتهى شحه وحساباته وهكذا كانت نهاية غايوس الامير المذكور فقد طوته الارض وتخلصوا منهم جميعاً . اما الخدّاء الصغير فان من

اقصى امانيه ان يجعل من عيدِه هذا يوماً تاريخياً مشهوداً يتهج فيه الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم حتى جماعة المسيحيين الذين يستريحون من مداممة الاضطهاد لهم مدة عشرة ايام على الاقل

وقفت عربة الشيخ غاليو في اثيرانو في منعطف الطريق فترجل مرسيلوس عن صهوة جواده ليودّع المسافرين . فهزّ يد والده مؤكداً له انها سيجتمعان عن قريب . وودّع ديمتريوس ايضاً الذي اثر وداعه في عواطفه تأثيراً شديداً

اما مرسيلوس الذي لم يكن اقل تأثراً منه فانه تغلّب على شعوره الرقيق وقال له : ارجو لك السلامة في سفرك يا ديمتريوس وان تكون جميع مساعيك واعمالك الصالحة مكحلة بالنجاح والفلاح . ولا ادري ايجتمعنا الحظ في وقت قريب او بعيد

اجاب ديمتريوس مبتسماً ابتسامة ضعف : ربما لا نجتمع يا سيدي فقال مرسيلوس : مهما كان الوقت قصيراً او طويلاً فلا بدّ من اجتماعنا . اتؤمن بهذا يا ديمتريوس ؟

اجاب ، نعم اؤمن من كل قلبي

وبعد الوداع وتبادل العبارات الولائية الخالصة بينهما امتطى صهوة جواده المطهم النشيط . ولما كان باله قد اطمأن الاطمئنان الكافي الى صحة ديمتريوس وسفره فقد شعر بقوة جديدة في عضلاته ولم يبقَ شيء جديد يهيمه سوى ذهابه الى خطيبته ديانا

وعند وصوله الى اربينو تحت جناح الظلام عرفه حارس الدارة حالاً فقال له مرسيلوس لا توقظ احداً فانني سابعث عن مربوط لجوادي وعن محل لأبيت فيه قال هذا ومضى الى الاسطبل فاودع فيه الجواد بعد ان اشرف على شربه واطمأن الى راحته وتوجه الى الغرفة التي كان يشغلها سابقاً حيث رقد رقاداً ثقيلاً من جراء التعب الذي كابده في اثناء اليومين الاخيرين من سفره السريع

لقد رأى ابيوس كاظو انه ليس من الضروري تشغيل ديانا في الكرم في ايام هذا الاحتفال لان كل الذين يشغلهم الاهتمام بامرہ لا يجدون فرصة للبحث عن مكان وجودها وتسليمها الى الامبراطور . لذلك جيء بها في الليلة الماضية الى الدارة ولما شعرت ديانا لاول صباح انها اصبحت في مأمن من الخطر الذي كان يحقد بها سابقاً نامت نوماً هادئاً لذيذاً لا يعتوره قلق او أرق وكان من انطونيا ان تركتها نائمة هانئة لكي تستريح تماماً

وبعد بزوغ الفجر ييسير من الوقت تزل كاظو الى الاسطبل ليشرف على خيله فاخبره السائس عن مجيء مرسيلوس فصعد حالاً الى غرفته فوجده مستيقظاً فاخذاً باطراف الحديث زهاء نصف ساعة عن كل ما جرى لها منذ افتراقهما . غير ان مرسيلوس لاحظ ان كاظو لم يبق مقتخراً كما كان من قبل بل كان مستعداً ان يبدي فصيحة جديدة عند مسيس الحاجة اليها

فسأله كاظو لماذا لا تباشر من اليوم الاقتران بخطيبتك لان كثيرين يعتقدون انك ميت في عداد الاموات . لذلك يدعي كاليغولا ان له الحق باظهار اهتمامه بامرہا ولكن عندما تتزوجها فلن يبقى له بعد ذلك من حجة يحتج بها . اليس هذا صحيحاً ؟

فلم يجب مرسيلوس حالاً بل اخذ يفكر الى ان قال له كاظو :

- ألسنا مرتبطين برباط المحبة المتين ؟

اجاب مرسيلوس بلى ولكن الامر المهم في هذه المسألة ان ديانا غير واثقة كل الثقة من زفافها الي

اجاب كاظو: غير واثقة ؟ لا تقل هذا القول لانها صرحت مراراً انها خطيبتك

- هل صرحت بذلك ؟

- نعم صرحت بدون شك

- لما تلاقينا لآخر مرة قالت ان زواجنا لا يصح ان يتم لكوني اصبحت مسيحية

- ولكن ديانا مسيحية مثلك . فاذا كانت الديانة المسيحية مرتكزة على اساس اظهار الشفقة والصدقة والوداعة والتواضع نحو الشعب الذي هو دونك في الرتبة والجاه العريض فان ديانا المزدانة بجلى هذه المزايا الكريمة تستحق الجائزة الاولى على ذلك . يا ليتك رأيتها تستغل بيديها البيضاء الناعمتين كسائر العملة في الكرم وقد مضى عليها اسبوع او اكثر وهي تنام في كوخ صغير مع متيلا التي اصبحت تحبها حباً شديداً . اما متيلا فانها تغيرت تغيراً محسوساً كأنها اصبحت فتاة اخرى غريبة لا تعرفها

- لقد بلغ مني السرور كل مبلغ لدى سماعي هذا الوصف البديع . نعم ان ديانا ذات سجايا مسيحية تذكر فتشكر ولكن يوجد فرق عظيم بين ارادة ديانا ان تسير حسب تعاليم المسيحيين وبين اضطراري الى الانضمام الى الحركة التي لا تقر بها الحكومة . وان اقضي وقتي مع أناس امست حياتهم هدفاً لخطر دائم . وهذا الذي تعارض عليه ديانا

فقال كاظو : انك لا تستطيع ان تلومها لاجل ذلك
- ولا انا ، قال مرسيلوس . لان ليس لي اختيار في هذه القضية

* * * *

هذا ما جرى بين كاظو ومرسيلوس . اما انطونيا فانها جلست وياه في الرواق البارد الهواء ثم سكنت فجأة واسرعت في سيرها . اما ديانا فانها تزلت الى السلم بهدوء فلما رآها مرسيلوس بادر الى لقاءها . فابتسمت له ابتسامة الغبطة والسرور والقت نفسها بين ذراعيه

فقال لها يا حبيبتي ديانا واخذ يقبلها ضاماً اياها الى صدره

فاغضت عينها وبكت كطفلة ثم قالت له : هل اتيت لاجلي ؟
اجابها : يا ليتني اقدر ان اكون بجانبك دائماً يا حبيبي
خفت رأسها واجابته قائلة : ألم يكن هذا هدفا الذي زمني اليه ؟
اجابها : هذا كل قصدك يا ديانا ؟ اتكونين لي مهما حال دوننا من الصواب ؟
اجابته بمعانقتها له وأدنت منه شفتيها ليقبلها
فقال لها : اني هذا اليوم ؟ فالتفتت اليه بعينين واسعتين تتلأأ فيهما دموع
السرور واجابت : لم لا . ثم امسكته بيدها وقالت بغنج ودلال ، تعال لنبشرهم
بما تم بيننا فانهم عاملوني احسن معاملة . ولا ريب في انهم يفرحون لفرحنا . ثم
تمشيا متأسكي الايدي يتزفان من خمرة الابتهاج حتى وصلا الى الحديقة
كانت انطونيا قد اجتمعت هي وزوجها فيها فلما اقتربا من مكانها وابلغاها
تلك البشرى وقفت انطونيا وفاجأت مرسيلوس وطبعت على خده قبله حسب العادات
المألوفة . وكذلك قبلت ديانا كاظو مع زوجته ثم التفتت اليه قائلة : بما انك سيد
ارمينو فني امكانك ان تقوم براسم عقد اكليلنا
اجابها : هذا احسن شيء اقوم به
فقال مرسيلوس : ولكن يجب ان يجري في هذا اليوم
اجاب كاظو : بلا شك
فقالت لهم انطونيا : لنجلس هنا ونتدبر الامر . ومن رأيي ان تكون حفلة
العقد بسيطة بحيث لا يكون فيها سوى العائلة فقط . ولكن - اين انطونيو ؟
فاجابها مرسيلوس : قد سألت عنه فقبل لي انه لم يستيقظ بعد من نومه
ثم استطردت انطونيا قائلة : اما اذا استحسنتم ان توسعوا الحفلة وتدعوا الى
حضورها كل سكان ارمينو فلا بأس بذلك لان جميعهم يحبونكم ولا يتأخرون
عن القيام بكل خدمة تازمكم
فألحت ديانا قائلة : ولتكن الحفلة قبيل الغروب على بساط من الحشيش الاخضر

حيث كان مرسيلوس يعظمهم
وبعد ان وافقوا على هذا الامر قال كاظو : ساخبر ثوبييكوس باي امنحهم
فرصة يوم كامل يتمكنون فيه من الاستعداد
اجاب مرسيلوس : حبذا هذه الفرصة الجميلة واجمل منها تطلقك وكرم اخلاقك
واذ رأوا انطونيو مقبلاً قالت والدته بحنو : قد اقبل الفتى الكسلان . وكان
انطونيو ماشياً مطرقاً لانه كان غارقاً في لجة من التفكير ولما رفع نظره ركض
مسرعاً نحو مرسيلوس الذي ضمه الى صدره بحب وحنو
فقال لهم الفتى : لماذا لم تدعوني ؟ كم من الوقت تستطيع ان تبقى عندنا
يا مرسيلوس ؟

اجابته والدته : اننا سنبقيه هو وخطيبته عندنا بقدر ما نستطيع ويستطيعان
لان حفلة عرسهما تجري في ليلة هذا النهار
فدأ انطونيو يده الى مرسيلوس وهنأه ثم ادار وجهه الى ديانا ليصاحفها ويهنئها
فقال له والده : يُفرض عليك ان تقبلها . واذ ذاك صفت حمرة الحياء والجل
وجهه فكان من ديانا ان شجعت بدنوئها منه وقبلته فقبلها هو ايضاً . وبعد ذلك
ذهب ليتناول فطوره

اما كاظو فذهب الى الكرم حيث اعطى اوامره الى ثوبييكوس بخصوص ذلك
النهار . وانطونيا اسرعت الى البيت لتهم بمعدات الوليمة
اما مرسيلوس وديانا فانهما جلسا بقرب بعضهما من بعض . فقالت له اخبرني الآن
كيف وجدك ديتريوس ؟

فسرد لها الرواية بحذافيرها بحيث اخذت تبكي وقالت مسكين ديتريوس فانه
شجاع ومخلص معاً . وبرؤه العجيب . ولكم يكون سروره عظيماً بالحصول على
حريته ورجوعه الى ثيودوسيا

- ليس لديه ما يقدم لها لان حياة مسيحي غيور يا حبيبتي ليس لها قيمة عنده

وديتريوس لا يخشى خطراً في أية حالة كان . على كلِّ فلا اظن ان محبة ثيودوسيا له تقلّ من اجل ذلك فاذا ذهب اليها فانها ترضى به زوجاً لها

فقالت ديانا : اظنك تشير بهذا القول الى ايضاً . فانا اقبلك على الحالة التي انت فيها . فضمّها اليه وقبلها . ثم اكل كلامه قائلاً : ان كاظو يرى من الموافق ان اذهب بك الى والدتك وانا وافق معه لانك بريئة غير متهمّة بذنب ما ولم يبق ثمة من حجة لكاليغولا كي يدّعي ان له الحق بالاهتمام بك بعد زواجك

- وانت يا حبيبتي ماذا يقال عنك بعد ان سمع الجميع انك غرقت . وهل يسمع الامبراطور انك مسيحي ويغض طرفه عنك

- ربما يسمع ذلك ولكن علينا ان نحاطر لانه لا تنال الرغائب الا بركوب الاخطار والمصائب . ولا يبعد عن الامبراطور مع ما هو عليه من التقلب في الراي ان يضرب صفحاً عن مقاومة جماعة المسيحيين والانتقام منهم . وبما ان والدي شيخ ذو نفوذ في مجلس الاعيان فلا يمكنه من القاء القبض عليّ قبل اكمال الفكرة كثيراً والاقدام على عمل كهذا . ومع هذا كله فاننا لا نستطيع الاحتجاج دائماً فلنذهب بشجاعة لكي نرى ما يجري من الامور لان الامور كما يقال مرهونة بارقاتها

فسألته : ولكن متى نذهب ؟

اجابها : ان آل كاظو يتكبدون جداً اذا تركناهم حالاً . فلنبق الى ما بعد الغد حيث يكون احتفال «لودي روماني» قد ابتدأ ونكون نحن في امان وراحة ففكر على الطريق

- هل يسهل ذلك علينا من غير ان نصطدم بالحفراء ؟

- نعم يا حبيبتي اذا كنا متنكرين وعرفونا فعندئذ نكون قد جئنا على انفسنا بانفسنا ووقعنا في وهدة الهلاك

فالتصقت ديانا به وقالت له : انني لا اخشى شيئاً اذا كنت انت معي

* * * *

كان سكان اريينو سحابة ذلك النهار يتزعون الكلاً اليابس عن الارض
 الخضراء وكان قوبييكوس واقفاً يلاحظ بناء مظلة كبيرة لاجراء الحفلة فيها . ولما
 اتم بناءها زينتها الفتيات بالازهار والنباتات . وكان طهاة المطابخ يشتغلون طول
 النهار تهيئة الاطعمة الفاخرة ، والحبازون يخرجون من الافران الكعك اللذيذ على
 انواعه . وكانت رائحة الخرفان المشوية والبطاط المقلية تهيج القابلية . وقد ظن
 القائم على ادارة مائدة الشراب ان سيده قد فقد عقله عندما فهم ان من الواجب ان
 تدار كووس الحفرة على كل الحاضرين من سكان اريينو

ولما اقبل العروسان سكنت حركات جميع من كانوا جالسين على عشب تلك
 البقعة الخضراء ولكن ما لبثوا هتية حتى ارتفعت اصواتهم بالترحيب بهما وابداء
 عواطف التهنئة لهما والاحتفاء . بال كاخو القادمين معهما

فجلسا تحت الرواق الصغير وحدث سكوت مرة اخرى بين الحضور كأن على
 رؤوسهم الطير . وكان كاخو ذو الطلعة الموقرة المهيبة قد ضم يديهما معاً وسألها
 ان يقرأ بطوعهما واختيارهما بانهما يريدان ان يصبحا زوجين يريد الواحد منهما
 لنفسه ما يريده للآخر من الحب الصادق والوفاء والاحترام . وبعد ذلك اعلن عقد
 زواجهما رسمياً

ثم حياً العروسان سكان اريينو الذين هتفوا لهما ثانية ولا سيما آل كاخو الكرام
 الذين وفروا لهما جميع اسباب المسرات وتمنوا لهما التوفيق والسعادة

ثم تقدم قوبييكوس وامراته منهما وقدما لهما التهانى القلبية وكذلك فعل جميع
 الرجال والنساء الذين كان مرسيلوس يعرفهم باسمائهم . وبعدئذ طوقت ديانا خصر
 متيلاً وطبعت على خدها . قبله حارة ، ومتيلاً بكت وارادت ان تهني مرسيلوس
 تهينة عادية فكان منه ان جذبها من يدها نحوه وقبلها فكان عمله هذا يستحق
 الذكر . ولما رأى الجمع هذا المشهد هتفوا لها حتى اصبحت حائرة في امرها الى اين
 تذهب وماذا تقول

اخيراً دعا كاظو . ثوبيكوس اليه وقال له انه يريد ان يكلم الحضور فاشار
ثوبيكوس اليهم بالسكوت . فخطبهم كاظو بما يناسب المقام ثم دعاهم الى الوليمة
التي اعدّها لهم . فتقدّم عبید الدارة من الجميع حاملين على ايديهم اطباق الاطعمة
الذيذة

فقال كاظو : دعونا الآن ندخل الى الدارة

فاجابته ديانا : لنتناول غداءنا معهم مرة واحدة جبراً لخواطرم

فقال لها مرسيلوس : انت حقيقة لؤلؤة ثمينة يا ديانا

قال كاظو : وقد احضرنا ايضاً مأكولات مبردة بالثلج

فوضعت ديانا يدها بيد كاظو بولاء ووفاء وقالت دعهم ينتظرون فابتسم لها
ورضي بما قالت وقد طفع السرور على قلوب الحاضرين حتى ان انطونيو الحُجول
الطبع كان واقفاً وراء المائدة لابساً مريلاً وهو يقطع بسكينه قطعاً عديدة من خوم
الحرفان المشوية لسكان اريينو

* * * *

كان من الطبيب سرييدون انه وشى بعائلة غاليو اولاً لان كبرياءه قد كُمرت
وبالتالي لانه لم يبق له ما ينتفع به مادياً او ادبياً من تلك العائلة . لذلك عزم على

ان ينتقم من مرسيلوس ويخون العائلة التي وضعت اياه قبله تحت حمايتها

فلو سلمنا جدلاً ان الحادثة وقعت قبل ذلك ببضعة اسابيع لكان الطبيب
المذكور كظم غيظه . لكن الاوقات كانت قد تغيرت ولم يكن هنالك من فائدة

تُجنى من المشاركة على طلب عطف المحافظين بل كان من الموافق والسلالة الحاضرة في
الحكم ان تُقطع العلاقة مع تلك كي لا يُحرق مع تيارها

ان كاليغولا الشاب او بالاحرى الخداء الصغير لم يبق له من جلد لمراعاة خواطر
الشيوخ والسياسيين اصحاب مبادي الاقتصاد الوطني الذين لا يوافقون على بذخه

واسرافه وتهوؤسه لانه كان معروفاً لديهم عزمه على ازالة العقبات الشائبة في اول فرصة ممكنة

كان كنتوس من معارف سرييدون الذي لم يره منذ ترقيته الى المنصب الرفيع في بلاط كاليغولا . وكان من حسن حظ الطبيب المذكور ان طسقوس السياسي العجوز الذي كان يعتني به قد توفي في الربيع مما سبب ذلك قطع المواصلات بين العائلتين . ولما لم يكن يعلم هل يظل طبيب العائلة الخاص بعد موت رئيسها فقد رأى من مصلحته ان ينجر كنتوس عن الجهة التي كان يؤد الاغياز اليها في اثناء المشادة التي حصلت بين الحذاء الصغير ومجلس الاعيان

ومع انه كان متحمساً ومتأثراً فقد ردته افكاره عن الدخول فجأة على كنتوس للوشاية بغاليو والتمس بكياسة تعيين موعد لمقابلته التي لم يؤذن بها له الا بعد ثلاثة ايام . وهذا التأخير مكّنه من تحسين روايته لانه علم من امين سره ان دسيموس اخبره ان كلاً من غاليو ومرسيلوس واليوناني قاموا برحلة سرية

وبعد ان شق لنفسه طريقاً بين الجموع المحتشدة وصل الى القصر الامبراطوري واضطر ان يبقى واقفاً في ردهة الاستقبال الفاصلة باعيان المقاطعات . ومع ان الوقت كان لا يزال باكراً فان اكثر اولئك الاعيان كانوا ثملين

اخيراً اذن للطبيب بالدخول الى مجلس كنتوس لمقابلته في بضع دقائق معدودة كما صدر امره لانه كان يريد ان تكون مدة المقابلة قصيرة جداً حتى اخبره الطبيب ان لديه معلومات تتعلق بديميتريوس اليوناني وخلاصتها : ان رجلاً مسيحياً من اصل يهودي دُعي الى قصر غاليو لعيادة اليوناني الجريح الذي كان جرحه بسيطاً . وان القاضي مرسيلوس الذي اُشيع عنه انه مات اتى بهذا المسيحي الى بيت والده وبذلك اظهر انه يعطف على المسيحيين الثوريين . وبعد ذلك اخرج غاليو وابنه ذلك العبد اليوناني وذهبا به الى مكان مجهول اتخبطته

ومع ان كنتوس اهتم لسماع هذه الشكوى فانه لم يبدِ كلمة شكر لذلك

الطبيب بل ومنحه توبيخاً شديداً على سكوته طول هذه المدة عن هذا الامر بقوله
 له . انت غبي يا سرييدون ولو لم تكن ابن ابيك الحكيم لما كنت اتق بك لثنيقية
 الحشرات عن جسم كلب

ولما دار في خلده انه نال حظوة عند صديق الامبراطور استأذن بالخروج بكل
 خشوع واحترام . ولقد كان من الصعب في هذه الايام ان يعالِم المرء اي طريق
 يسلك لنيل الخطوة في عيني كاليغولا . وكان من الواضح لدى الخاصة والعامة ان
 الامبراطورية تسير بنحطى حيثة نحو الحراب والدمار . لكن في نية كاليغولا قبل
 سقوطه وهلاكه ان يسقط ويهلك كل من اعتقد باية فضيلة كانت

على ان كنتوس لم يخبر الحذاء الصغير حالاً عما اسرَّ اليه به الطبيب سرييدون
 لانه ظنَّ انه من المستحسن القاء القبض على مرسيلوس في اول الامر واسره حتى
 يقف منه على مقرّ ديانا ، الامر الذي بلا ريب يسرّ الامبراطور . وبناءً على هذا
 فان كنتوس امر بعض حرس القصر ان يضعوا بيت غاليو تحت المراقبة لكي يجبروه
 عن كل ما يجده هناك

وقد رجع الحرس في اليوم الثاني واعلموه بعودة غاليو وحده في عربة . لكن
 بما ان الفوضى كانت منتشرة في جنبات القصر وماذب البلاط في إبان حركتها فقد
 قرّر كنتوس ان يؤجل تنفيذ غايته التي يرمي اليها الى وقت اكثر مناسبة . غير انه
 من جهة اخرى امر الحرس ان يشاربوا على مراقبة المنزل بحيث اذا رأوا القاضي
 مرسيلوس فلا يتأخرون دقيقة عن القبض عليه

ان المسألة قابلة بوضع طولوس المفتخر في مأزق حرج قبل انهاءها . لكن امر
 طولوس لا يهجه بعد الآن ولا تجني فائدة من ورائه . وقد سرّ كنتوس عندما
 افتكر انه كان قد اقترح ايقاد طولوس لاجراج المسيحيين من المقابر . وكما بالخلي
 تكون المهمة اخرج عندما يرى طولوس نفسه مضطراً للقبض على رفيق عمره وزوج
 اخته . حسن جداً ، فليكن ذلك

وفي ليلة العيد الثالثة وصلت الاخبار الى كنتوس ان ديانا بلغت الآن بيت والدتها وقد اوصلها مرسيلوس

اما الخدء الصغير الذي كان يحتمي كؤوس الراح طيلة ذلك النهار فانه غدا في حالة غضب شديد يشتم ويسب ويضرب القائمين على خدمته لانه كان من عادته بعد قضاء نهار كهذا ان يذهب تَوّاً الى فراشه وينام بهدوء وسكينة . ولكن الجلبة التي في الشوارع سببت له ارقاً وألماً في راسه عرف بها جميع سكان البلاط حتى كنتوس نفسه نال حصة معاومة من شتائم الامبراطور لانه كان مسؤولاً عن صراخ المحتفلين بالعيد وعن حالة القصر السيئة . ولم يكتم جلالته بجرح احساساته بل انحى باللائمة عليه بقوله : حتى الاحتفالات التي أُقيمت في ندوة يوليو العامة كانت مسخرة من المسخر ولم يكن شيء مضجر مثل انشودة جوبيتر

— ولكن ألسنا مضطرين يا صاحب الجلالة الى اتباع الطقوس القديمة ؟

فكان لجواب كنتوس الذي دافع به عن نفسه في غير وقته المناسب وقع سيء في قلب الامبراطور مما اثار غضبه الشديد ثانية فهب يزعم قائلاً : انه قد اكتفى من خدمة الحماقي وقد آن الاوان ليعطي وظيفة كنتوس شخصاً آخر اجدر منه بالقيام بها . لان كنتوس لم يبرهن في مدة وزارته كلها عن اقتداره وحسن ادارته ولما سمع كنتوس ما سمعه من انتقاد الامبراطور وذمه حاول في الحال ان يجتنن موقفه لدى جلالته فاوعز الى الجميع ان يخرجوا من غرفة النوم الملوكية . ولما غادروها قال كنتوس بتحمس : لقد وجدنا يا مولانا ابنة غالوس

فصاح الخدء الصغير ها ا انهم ظفروا بها اخيراً . واين ظفرتم بتلك الغادة الجليلة الجميلة

— في البيت يا صاحب الجلالة وقد وصلت الى هناك منذ ساعة فقط

— هل اوصلها ذلك اليوناني الذي تحبه انت وتودّه

— لا يا مولانا ان الذي اوصلها هو القاضي مرسيلوس الذي انتشر خبره بين الشعب

انه أغرق نفسه في البحر . اما اليوناني فقد خبأه الشيخ غاليو في مكان مجهول
- إذن قد وُجد حبيبها ؟ وماذا كان يعمل في غضون المدة التي اعتقدوا فيها
انه غرق ؟

- كان محتبئاً في مكان امين . ويقال عنه انه اصبح من جماعة المسيحيين
- فرعق الحذاء الصغير ، ماذا ؟ مسيحي ! كيف يشترك قاض نيل مع اناس
سفلة اردال . ايعتقد ذلك الاحق انه يستطيع القيام بشورة ما ؟ هلمّ اقضوا عليه
في اي مكان وجدتموه لعيانه وخيانتته واثنوا به حالاً اليانا الآن !
اجاب كنتوس : قد اقبل المساء يا صاحب الجلالة وسيكون غداً غير الاجتماع
عظيماً

- بالحققة اننا امسينا في تعب شديد يقرب من الهلاك من جراء هذه الاحتفالات
المملة التي ستمت منها نفوسنا . ما هو نوع العذاب الذي يفرضه علينا الاله
جوبيتر غداً

اجابه كنتوس : ان جلالنكم ستحضرون الالاب قبل الظهر . وبعد ذلك
يبدأ الاستقبال لالحرس البريتوري ولشيوخ مجلس الاعيان ومن ثمّ تقام المأدبة لهم
ولنساتهم

قال كاليغولا متذمراً : لا بدّ من انهم يخطبون في الجمع اليس كذلك ؟
- هي العادة يا مولانا وبعد قيامهم عن المائدة الملوكية يسير الموكب الى هيكل
جوبيتر حيث يسجدون له عند السحر

- ان هذه العادة باتت مضجرة الى النهاية . هل خطر في بالك يا كنتوس ان
هذه المأدبة التي تقام لاجل العجز الخرفين تكون ذات رونق وخفامة بغير خطب ؟
اجاب كنتوس : سيكون لدى جلالنكم على المائدة نداء يسرون الحواظر
ونقرّ بهم النواظر وفي مقدمتهم ابنة هيرودس انتيباس والي الجليل وبيريه
فرعق كاليغولا قائلاً : سالومة تلك الفتاة الطائشة التي رأيناها مرات عديدة

- لقد كنت اعتقد انكم الفيتم عشرتها حسنة لذينة . ألم تسعَ جهدها لترضي جلالتكُم ؟

- ادعُ ابنة غالوس لتجلس عن يميني وسالومة عن يساري وسنطلب من سالومة ان تعيد على مسامعنا ما لديها من القصص الفكاهية
- ولكن ألا تظن ان العضو غالوس يعتبر هذا الامر مسيئاً الى ابنته ومحطاً بقدره ؟

- انها تستحق ذلك لانها تهيب القاضي الشيء الكثير من ابتساماتها الشمية وهو الرجل الوحيد الذي يرجو ان يقبل الحكم فابعث من يأتي به بغير تأجيل والقه في غيابة سجن القصر ولا مانع من ان تُعدَّ له كل ما يلزم لراحته لانه قاضٍ وأدعُ ديانا الى هذه المادبة . وانت يا كنتوس تستطيع ان توسع نطاق الدعوة عند طلوع الصباح . واذا أبت ديانا القبول فاوضح لها ساعتئذ ان الامبراطور يمكنه ان يتساهل مع صديقها المسيحي اذا لبّت امره وشرّفت المقام بحضورها
اجاب كنتوس : كنت اعتقد ان جلالتكُم تملون الى ديانا وتودون ان تنالوا حظوة في عينها . اتظنون يا مولانا ان تهديدكم اياها تحصل منه منفعة ما ؟ لا اظن يا صاحب الجلالة . لكنكم لو اظهرتم لها العطف والاهتمام بشانها لربما تنسى مع الايام حبها لمرسیاوس

- ان هذه المخاوفة المتعجرفة لا تجدي معاملتها باللطف فتيلاً بل انها تحتاج الى الضرب بالسياط . اما حينئذ فقد اعددت له ما يردعه عن غيه ويعيده الى رشده

- ولكنه ابن الشيخ غالوي يا صاحب الجلالة

- ليكن ابن من كان لاننا سنعطي ذلك الهرم درساً جديداً جيداً يقدر المجلس بوجبه ان يجرم في الحكم

لم يذهب شخص جليل اعظم من كنتوس نفسه الذي كانت تحيط به الجنود
الفرسان بالبستهم العسكرية الرسمية ليدعو ديانا الى المأدبة التي اعدّها الامبراطور .
ولما دعاها خرجت بعد هنيئة من غرفتها مصفرة الوجه وعيناها منتفختان مغرورقتان
بالدموع وكان هو بانتظارها في فسحة الدار ومع هذا فقد ملكت نفسها ووقفت
امامه بعظمتها . اما والدتها يولا التي خرجت معها ووقفت بجانبها فكانت ترتجف
اعضاؤها من شدة القلق عليها

فسلمها كنتوس رقعة الدعوة ولكي لا يدع الوقت الثمين ان يذهب سدى
اخبارها محتوياتها فتنهدت على رغامها . فقالت له والدتها وهي تحاول ان تهدى روعها
وصوتها المرتجف . ارجو منك ان تحبر الامبراطور ان ابنة العضو غالوس حزينة كاسفة
البال ، لذلك لا تصلح ان تكون نديمة لجلالته

اجابها كنتوس منحنياً : ان هذه الدعوة موجهة الى ابنة غالوس وليس الى
والدتها فهي تقدر ان تحجب عن نفسها

قالت ديانا . ان والدتي قد نطقت بالصدق ايها السيد فارجو منك ان تحبر
الامبراطور انني مريضة جداً فليستلطف بقبول اعتداري عن عدم استطاعتي حضور
المأدبة في الوقت الحاضر

اجاب كنتوس قائلاً : يجدر بي ان اخبرك ان صديقك القاضي مرسيلوس هو
الآن في احد سجون القصر وسيحاكم غداً محاكمة المشاغبين العصاة . اما اذا كانت
ابنة غالوس تريد ان تحجب دعوة الامبراطور الذي يمتنى حضورها الى مأدبته الملوكية
فان بإمكان جلالته تخفيف الحكم نوعاً ما عن صديقها مرسيلوس

اجابت ديانا بصوت ضعيف : حسناً ساذب

فقالت يولا بجماسة : لو كان زوجي هنا لكانت الدماء تجري كلاماً قبل ان
يحكم على مرسيلوس هذا الحكم العنيف

اجابها كنتوس : يا حضرة السيدة انك افرطت في كلامك فان تهديك هذا لا

يفيدك شيئاً . وانه يصعب علي أن اشكوك الى جلالته غير اني اشير عليك ان تكوني
رصينة حكيمة ولا ترمي الكلام على عواهنه فيما بعد . واذا قال هذا انحنى امامها
وخرج الى الخارج هو واتباعه

* * * *

لقد اخذ الدهش من مرسيوس مأخذه لا لاقى من اكرام واحترام حرس القصر
له الذين قبضوا عليه ومن موظفي السجن ايضاً . لكنه ظن ان ذلك كان بالنسبة
الى منصبه الرفيع . وقد كان من امرهم بعد ان خرج من منزل غايوس الذي كان
نائماً فيه ان مضوا به الى باحة الدار حيث كان قائد مئة مع عشرين جندياً بانتظاره

واذا رأى ان لا فائدة من مقاومته عدداً كبيراً كهذا ، طلب من القائد ان
يسمح له باحضار حوائجه الخاصة فاجاب في الحال سؤله

وقد كانت ساعة فراق اليمه جداً بينه وبين ديانا التي تمسكت به وهي تشفق
وتبكي والدموع تتساقط كالطر من عينيها

فقال لها : كوني شجاعة يا حبيبتي . ربنا ارسل الامبراطور يدعوني لينقذ من
شأني او ليوبخني ثم يطلق سراحي بعد ان يزودني بنصائحه . فعلمنا ان نصبر ونعمل
انفسنا بذلك

ولم يستطع ان يتصلص منها الا بعد الجهد الكلي فتركها على حالتها من الحزن
والاكتئاب وتبع القائد طائماً . ثم قدموا له جواداً واركبوه بينهم بحيث لم يكن
احد من المحتشدن في الاسواق ليشبه انه تحت الاسر

وعندما وصلوا به الى القصر ادخلوه الى السجن الواقع تحت الارض الا انه كان
مضيئاً ومعرضاً للهواء وارضه مفروشة فرشاً مريحاً وقد اعلمه قائد المئة ان له الحرية
ان يجبر اصدقاءه عن محل وجوده وان يكتب اليهم ما يشاء فترسل رسائله حالاً .

وكذلك رخص له ان يستقبل اي زائر جاءه من اصدقائه وغيرهم . وبعد ان استقر به المقام جلس الى منضدة الكتابة وكتب الرسالة الآتية :

مرسيبور : انني في سجن القصر منهم بارتكاب الحيانة . اعلم عائلتي بذلك . واخبر والدي ألا يعرض نفسه في الوقت الحاضر لمهمة خطيرة . انني أعامل في سجنني معاملة حسنة لا بأس بها . وانك تستطيع زيارتي بغير مانع . فاحضر لي الرداء .
مرسيلوس

وبعد وقت قصير من بزوغ الفجر جاء مرسيبور وهو يلهث من التعب لانه امسى هراً . فأذن له الحرس في الدخول عليه وعادوا ادراجهم الى حيث كانوا واقفين . فدخل مرسيبور وكانت يدها النحيلتان باردتين ترتجفان من الضعف المستولي عليه وعينه تشقان عن تأثر وكآبة

وقال لمرسيلوس : انني افصل الموت لنفسي يا بني على ان اراك عرضة لهذا الاضطهاد الاليم

فاجابه مرسيلوس : انه من الضروري احياناً ان يضحي الانسان بنفسه للمدافعة عن غاية عظيمة . انني متزعج جداً ليس من الحالة التي انا فيها بل من اجل الذين يحبونني !

فطلب مرسيبور من مرسيلوس بالحاح قائلاً : دعني ادعو بطرس فان له قوة ايمان عجيبة ربما يتمكن بها من ان يخلصك من السجن

فهز مرسيلوس رأسه وقال : لا يا مرسيبور ان حياة بطرس ثمينة جداً عندنا ولا نزيد ابداً ان يطرح في غيابة السجن

فسأل الرجل المسن باكياً : ولكن ألا يجيء المسيح ويخلصكما معاً

- ليس من الحق ان تمتحن مشيئة المسيح يا مرسيبور

وعندئذ اخرج مرسيبور الرداء من تحت جيبه وسلمه اياه
ثم قال مرسيلوس بلطف واضعاً يده عن كتف الرجل المسن . لا يضطوب
قلبك يا مرسيبور . تعال غداً ربما تكون الاخبار احسن

* * * *

ان الذي آلم ديانا شديد الالم وهي جالسة على المائدة الملوكة بقرب الامبراطور
الثل هو ما شاهدته من علائم اليأس والحيرة البادية على وجه الشيخ غاليمو . فقد جاء
وحده الى الوليمة على رغمه قياماً بالواجب عليه . وقد اعد له مائدة بعيدة منفردة
ليجلس عليها ومع هذا فانه كان هو وديانا يسترقان النظر من وقت الى آخر . وقد
ظهر لديانا انه كان معتقداً انها تركت ابنه في إبان محنته . وكانت تود من صميم
قلبها ان تذهب اليه وتفهمه حالتها ولكن رأت هذا من رابع المستحيلات
اما الامبراطور كاليغولا فكان جُل اهتمامه موجهاً نحو سالومة وقد بذل جهده
ليجعلها على اعادة بعض قصصها البذيئة على سمعه ولكنه لم ينجح . واذا رآها متظاهرة
بجلى الطهارة والحشمة حار في امره وقد شق عليه ان يرى ان ما اعدّه للمأدبة لم يأت
حسب رغبته وان جلوس ديانا عن عينته بعظمتها وسموها وسالومة عن يساره ترفض
ان تتأمر معه لاذلال ديانا، لذلك تولاه الكدر من جراء ذلك وشاء ان يجتنب مركزه
فالتفت نحو سالومة وقال بصوت عال بحيث يجعل ديانا تسمع ما يقوله . قد
القينا القبض على احد المسيحيين الذي دفعته وقاحته الى قلب الحكومة راساً على
عقب وقضيته هذه شغلت افكارنا وهي مهمة بجداتها لانه قاض . فهل يسرك
يا سالومة ان تريح يرتد عن دينه امام الحرس البريتوري ومجلس الاعيان
فابتسمت له سالومة ابتسامة غامضة واجابت الا اذا كان الامبراطور يريد ان
يرى ذلك منه وعلى كل فالمسألة خطيرة . لان هؤلاء المسيحيين يا صاحب الجلالة لا
يرتدون عن ايمانهم . وقد اتفق مرة ان والذي اراد ان يذل رجلاً مسيحياً امام

محكمتنا ويرده عن عقيدته فاذا بهذا الرجل يتفوه بخطاب متين العبارة ثلم به صيت عائلتنا كلها وقدح في بنوع خاص . فليتك سمعت ما صرح به امام المحكمة من الانتقاد والذم حتى اضطررنا الى معاقبته اشد عقاب فاضاء وجهه كاليغولا عند سماعه ذلك وسأل هل جلدتوه ؟

فاجابت : كلا بل قطعنا راسه

- حسناً فعلتم . ولكن اى قصاص تفرضون على أناس هنا في الجليل يقولون اقوالاً غير حقيقية عنك وضحك ضحكاً عالياً يقرب من القهقهة ثم التفت نحو ديانا ليري تأثير هذا الحديث عليها فوجدها صفراء كالاموات

اما كنتوس الذي كان عريف الحفلة فانه قدّم كورنيليوس كاپيتو الى منصّة الخطابة فكان خطابه اردأ خطاب القاه في حياته . فكان من الواجب ان يراعي حرمة المقام ويأتى على ذكر الحذاء الصغير ومدحه تجاه الجمهور لكنه كان رجلاً حراً صادقاً فلم يستطع ان يتغلب على حرية ضميره ويمدحه

ثم انشد جوق الموسيقى انشودة الاحتفال وبعده التى امير مصري خطبة اوشك كاليغولا من سماعها ان ينام لكنه انتبه من نومه و اشار الى كنتوس الذي لم يلبث ان همس في اذن مساعده

ثم قال الحذاء الصغير لسالومة : ينبغي ان ننظر الآن في حقيقة ولاء واخلاص قاضينا المسيحي الذي اوغزت للحرس ان يأتوا به الى هنا

- اذكروا يا مولاي ما قلته جلالتمكم ان هؤلاء الناس المسيحيين لا يهابون احداً سواء كان كبيراً ام صغيراً

- اتريدون ان نضع شرطاً فيما بيننا ؟

- الامر امركم

فترع كاليغولا سواراً زمردياً من يده ووضع على المائدة وترعت سالومة ذخيرة من السلسلة الذهبية المنوطة بجيدها وفتحتها فاذا فيها

خصلة من الشعر فدهش وسألها : ما هذه ؟ خصلة شعر ؟

- نعم انها من راس الشخص الوحيد والبطل الفريد الذي احببته في حياتي
فلما سمع كاليغولا ذلك انتصب على قدميه . وكل جمهور الرومانيين الاشراف
وقفوا وانحنوا . وارمأ اليهم بيده ان يلزموا مركزهم وقد تأثرت عواطفه مما رآه
من الامانة الفائقة نحو التاج واستطرد قائلاً : انه لا يُستغرب من الحرس البريتوري
ومجلس الاعيان ان يعتبروا قيمة الاخلاص نحو الامبراطور والامبراطورية فتهتفوا له
هتافاً موجزاً

وتابع كلامه فقال انه بلغه ان جماعة من المشاغبين في الخفاء يستمنون انفسهم
مسيحيين طفقوا منذ حين يتكلمون كلاماً لا طائل تحته عن رجل يهودي مشاغب
يدعى يسوع وهو في عرفهم ملك وقد حُكم عليه بالموت صلباً لحيانة اقترفها فاقلق
معها راحة الرعية . فضلاً عن انه اتخذ له بضعة تلاميذ من بعض صيادي الاسماك
الجهلة الضعيفي الشهور . فراحوا يقولون في كل حذب وصوب ان رئيسهم يسوع
الذي مات قد عاد الى الحياة وعزم ان يقيم مملكة له

ومما قاله ايضاً بهذا الصدد : لو ان هذه الاشاعة التي لا ظل لها من الحقيقة قد
اقتصرت على بعض المتعصبين البلاء الاعبياء الذين يرجون ان يجنوا من ورائها نجاحاً
وفلاحاً لما كنا نعبأ بهم وباشاعتهم ولكننا فهمنا مؤخراً ان احد قضائنا مرسيلوس
غاليو اصبح واحداً منهم

وما ان رن ذكر اسم مرسيلوس في آذان الجمهور حتى تطاوت اعناقهم واتجهت
انظارهم نحو والده الشيخ غاليو الذي كان رابط الجاش لم يظهر اقل تغير في سحنته
بل استمر يتفرس في وجه كاليغولا بغير ان ينطق ببنت شفة او يحرك عينيه
ثم اكل كاليغولا كلامه قائلاً : اننا نأبى تصديق هذه الاشاعة عن القاضي
مرسيلوس . لذلك له الحق حسب شريعتنا ان يقف امامكم ويدافع عن نفسه

كان افتتاح ديانا بمرسيلوس عظيماً حينما دخل عالي الجبين مصحوباً بحرس القصر إلى قاعة المأدبة ووقفوا جميعاً امام مائدة الامبراطور الموكية السامية . كان الحرس من خيرة الشبان تتراوح اعمارهم بين العشرين عاماً الى الثلاثين فقط وهم جميلو الصورة عريضو الاكتاف اقوياء ولون بشرتهم نحاسي . اما ديانا فكان نظرها في مرسيلوس انه اجمل منهم صورة وأشدّ بأساً وبسالة . فقالت مناجية نفسها : لو ان يسوع الذي وهب لمرسيلوس حبيبهما القوة والصبر على احتمال هذه المحاكاة القاسية وطلب ان يكون له من اتباعه ومريديه رجل مجاهد كامل المروءة نظيره لما اختار غيره

على ان ديانا كانت خائفة كل الخوف من ان مرسيلوس لا يدرك وجودها بقرب ذلك الحذاء الصغير الضعيف النفس والارادة والسكرير التعس ذي المقلتين الضيقتين والفم الذي ملء شدقيه القبايح والشتائم . لكن ما تصورت فيه لم يصحّ لانه فهم تماماً ، حين وقع نظره عليها خفق قلبه لها واشرق وجهه غبطة وارتياحاً وابتسمت شفاته ابتسامة الحب والحنان والشوق وهي اصبحت حالتها كحالتها فاسرعت نبضات قلبها وعلا حياها الوسيم امارات الجبور

ثم أوعز الى مرسيلوس ان يتقدم الى الامام تجاه الامبراطور فاقترب حالاً من حضرتة وعندئذ وقف جميع الحضور وكان سكوت رهيب

اما الموكب فقد ظلّ خارج القصر واقفاً ومنتظراً رجال الحكومة ليسيروا الى هيكل جوبيتر . وكان اثنا عشر من اساتذة الموسيقى يعزفون اناشيد النصر وهم يرتدون الاردية الانيقة الخاصة وينتظرون سير موكب الفرسان . اما جماهير الشعب فكانوا واقفين في الشارع الكبير يزعم بعضهم بعضاً ويعجبون ويعربدون من كثرة الشراب غير ان فسحة دار المأدبة كانت هادئة

فشرع كالينولا وهو شامخ الانف منتفخ الاوداج يحاكم مرسيلوس بقوله له : لقد لتهمت باشتراكك مع جماعة من الثوريين التابعين لزمرة المسيحيين ويقال ان اكثرهم من العبيد والبرابرة قد ادّعوا واذاعوا ان لهم ملكاً يهودياً فلسطينياً حكم

عليه بالموت لاجل الحيانة والتجديف واقلاق راحة العموم فبماذا تجيب عن هذا الاتهام؟
فتطلعت ديانا الى وجه حبيبها الصبيح الهادي. الذي لم يكن عليه اثر من الخوف
بل كان يبدو للناظر كأنه ينال حظوة في عيني الامبراطور وقد تجلى لها وهو في لباسه
الانيق الرسمي جميلاً للغاية . ثم اخذت تسائل نفسها : ما هذا الرداء الرمادي الذي
كانت يدها متمسكتين به . ولما تكشف لها انه الرداء ذرفت دموعه سخينة من
عينها وقالت بحشوع :

« اتضرع اليك ايها المسيح ان مرسيلوس الذي يعتصم بردائك وهو يجبك
ويؤمن بقدرتك وقد ضحى بحياته من اجلك يسعى جهده اليوم لكي يكفر عما
اساء به اليك . فابتهل اليك ان تنقذه من الشدائد والضيقات »

فاجاب مرسيلوس بصوت هادي سمعه كل من كان في دار المأدبة : حقاً
يا صاحب الجلالة اني مسيحي ولكنني غير مشاغب ولا مشترك في مؤامرة قلب
حكومتكم . وان يسوع الذي صلبته انا هو في الحق ملك على ان مملكته ليست
من هذا العالم لانه لا يطلب عرشاً ارضياً . فان ملكوته مختص بالعقل والقلب
السليمين الذين يهدفان الى السلام والعدل والصلاح لجميع البشر

فصرخ كاليغولا قائلاً : قد قلت انك صلبت ذلك اليهودي فلماذا تضحي
بحياتك كرسول له ؟

- يحق لك ان تسأل هذا السؤال يا مولاي . غير انني اصرح لجلالتكم بان
يسوع هذا كان بريئاً من كل جرم . وعند محاكمته حاول الوالي الذي حضر بنفسه
المحاكمة ان يقنع المشتكين عليه ان يعفوا عنه . كان يحول بين الشعب القروي ناصحاً
لهم ان يعاملوا بعضهم بعضاً بكل محبة ولطف وان يكونوا أمناء اوفياء رحماء
بكل معنى الرحمة . وقد شفي مرضاهم وفتح اعين العميان منهم وكان فضلاً عن هذا
يعزّي المحزونين والمصابين بالضيق والشدّة . وكانت كلماته العذبة بلسمًا شافياً
لجراحات قلوبهم ، لذلك تبعه الوف مؤلفة منهم من مكان الى آخر يوماً فيوماً ولم

يقعدهم شي . عن سماع تعاليمه وارشاداته الحكيمة والاتصاق به . وقد تركوا
مجامعهم حيث كان كهنتهم لا يهتمون من امرهم سوى ان ياخذوا منهم العشور
والخراف وقنعوا ان يعيشوا عيشة واحة مع اناس على شاكلتهم امناء واثقياء .
توقف مرسيوس عن الكلام قليلاً فامره الامبراطور ان يتم خطابه قائلاً له :

اذك محام مقتدر لانك تقنعني ان اصير مسيحياً

فاجابه مرسيوس بلهجة ناعمة محزنة : وقد أمرت يا صاحب الجلالة ان أشرف
على اقامة عملية الصلب . ولما كانت محالته بلغة اجنبية اجهلها تمام الجهل . لذلك
لم افهم شيئاً عن الجناية العظيمة التي نسبوها اليه حتى قضوا عليه بالموت صلباً :
لكنني ادركت انا ما ارتكبته من الجرم

فصرخ كاليفولا قائلاً : ألجرم ! وهل تحسب اطاعة امر الملكة جرماً ؟

اجاب مرسيوس : الملكة يا صاحب الجلالة مؤلفة من بشر ، والبشر كلهم
غير معصومين من الخطأ وهذه يا مولاي اكبر غلطة حصلت

- إذن فالمملكة تعمل غلطاً . ربما تقول ايضاً في وقت قريب ان الامبراطور

يغلط

اجابه مرسيوس : انني يا صاحب الجلالة احكم على نفسي لا على الامبراطور

- لم يكن كاليفولا منتظراً ان يسمع هذا التفسير . وفي الوقت نفسه سمع
صوتاً صادراً من ناحية سالومة فثار غضبه و اشار باصبعه الى الرداء الرمادي الذي كان
مرسيوس متمسكاً به وسأله ما هذا الشيء الذي بين يديك ؟

- هو رداؤه يا صاحب الجلالة . ثم رفعه ليراه الجميع وقال : قد لبسه حتى الصلب

- أو لك جرأة ان تحضره معك الى هنا ؟ سلمه الى رئيس الحرس

فلبى مرسيوس امره ولكن القائد مدّ يده بتردد ليتناوله فسقط الرداء على
الارض على رغبه وقد انتظر القائد من السجين ان يرفعه عن الارض لكن مرسيوس
لم يفعل شيئاً من هذا الا بعد ان امره كاليفولا

فأخفى مرسيلوس، ورفع وسأله الى القائد وهذا امر احد الحرس ان يستلمه فسقط الرداء مرة اخرى

قال كاليفولا : اعطني هذا الرداء . واذا مديده ليستلمه نظرت اليه سالمة محذرة اياه من لمسه . عندئذ قال له : سأله الى ديانا فانها تحفظه لك تذكراً منك فكان ما حدث في تلك الدقائق المديدة مؤثراً للغاية لان ديانا اطرقت بخشوع لتستلم الرداء من يد مرسيلوس وكانت فرصة سانحة ليشاهد كل واحد منهما الآخر ويبتدما ابتساماً الحب والوفاء كما لو كانا وحدهما . عندئذ اتجهت العيون نحو ديانا التي ضمت ذلك الرداء الى صدرها بلطف وحنو كما تضم الام ولدها وتهلل وجهها فرحاً وسروراً

فارتبك الخداء الصغير في امره لانه قصد ان يجعل هذه المسألة رواية تمثيلية هزلية لتؤثر على مجلس الاعيان ولكن حال دون ذلك بعض العراقيل . ثم قال يجب على العظماء ان يفهموا ان امبراطورهم الجديد يتوقع منهم ان يخلصوا له ويطيعوا او امره سواء كان الشخص فقيراً او صاحب رتبة عالية . واذا لم تمثل الرواية حسب مشيئته ولم يمدح حسب توقعه من هذه المحاكمة اشتد غضبه وحدث في مرسيلوس قائلاً له : يتبين لي انه يهكم جداً امر هذا الرداء

نعم يا سيدي

-- هل انت احمق لدرجة انه يتخيل لك ان هذا الرداء ساحر ؟

-- ان له قوة عجيبة يا صاحب الجلالة عند الذين يؤمنون ان ابن الله لبسه حدث اذ ذاك في الغرفة حركة عظيمة اشترك فيها الجميع اذ انفتحت الواحد نحو الآخر متذمراً

فصرخ كاليفولا : ايها المجدف ! كيف تتجاسر وانت واقف في عيد جوبيتر المقدس ان تعلن بهدوء ان يهوديك المصلوب هو اله ؟

فاجاب مرسيلوس : انني لا اقول ذلك استخفافاً بجوبيتر ، ومليكي لا يتأثر من

هذا الاكرام . وهو يشفق على كل انسان يتوق الالتجاء . تحت ظل احد الاجنحة .
ان يسوع لم يأت الى العالم كي يُشهر حرباً على من يروم ذلك ولكنه اتى ليدعو
كل الذين يحبون الحق والرحمة ان يصفوا الى صوته ويسيروا سيرة حسنة نظيره
افتخرت ديانا بمرسيلوس كثيراً لانه لم يكن كانه هو يُحاكم بل كل شخص
موجود في تلك الدار كان كانه تحت المحاكمة . وقد اخذ القضب من كاليغولا كل
ما أخذ

ثم ناجت نفسها بقولها : كيف يكون مرسيلوس لو اتيح له ان يُنصب
امبراطوراً ؟ وادارت ان تصرخ قائلة : ايها الشيوخ سلّموا تاج الملك الى مرسيلوس
ليعزّز شؤون المملكة ويرفع مقامها في عيون الرعية
كان قد آن الموكب ان يبتدىء فارفع صراخ الناس خارجاً لان صبرهم نفذ
وضجروا من الانتظار

اخيراً فاه كاليغولا بالكلمات الآتية بصرامة : ايها القاضي مرسيلوس غاليو
اننا نعرف علينا ان نحكم عليك بالموت امام والدك الشيخ وشيوخ مجلس الاعيان
النبلاء الذين خدموا المملكة معه خدمات صادقة . فعليك الآن ان تعمل ذهنك
جيداً وتضمن في ما تجيب عن سؤالنا الاخير هذا . هل ترتد عن ايمانك هذا بذلك
اليهودي الجليلي الذي دعا نفسه ملكاً وتقلع عن انقيادك الى طاعته واللجوء اليه ؟
حدث سكوت مرة اخرى في قاعة المأدبة . وفي هذه الفترة كانت سالومة قد

تناولت من على المائدة السوار الذهبي المرصع بالزمرّد وادخلته في معصمها
فاجاب مرسيلوس : اذا كانت المملكة ترغب في الإصلاح والاصلاح والعدالة
بين جميع الناس على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم فان ملكي يكون بجانبها وجانب
مليكيها . اما اذا كانت هي ومليكيها يعملان على استعباد الناس واهلاكهم
بطرق متنوعة من جوع وخوف وكآبة واسر حرية وما شاكل ذلك فان ملكي
الذي هو ملك العدل والسلام لجميع العالم يتقدم الى الامام بخطى رشيدة لمحق هذه

المصائب والمصائب وجاب السعادة والطمأنينة لقلوب البشر . ربما لا يكون لك
الحظ غداً ان تشاهد تشييد هذا الملكوت الحصين - ولكنه آت
فسأله كاليفولا : أهذا هو جوابك النهائي ؟

اجابه : نعم يا صاحب الجلالة

عندئذ انتصب كاليفولا واعلن حكمه امام الجميع قائلاً : ايها القاضي مرسيلوس
غاليو اننا حكمنا عليك ان تؤخذ حالاً الى ساحة الرماية التابعة لقصرنا حيث يجري
اعدامك وذلك لحياتك

ولما لفظ هذا الحكم حدث امرٌ آخر اثار عواطف السامعين . فان ديانا
غادرت مكانها وتولت من على السلم بشجاعة وافتخار ووقفت بجانب مرسيلوس
فطوقها بذراعه بلطف ورجا منها قائلاً لا . لا يا حبيبتي اصغي الي يا حبيبة قلبي لا
تفعليني شيئاً . انني مستعد ان اموت . وليس من مبرر ولا داعر لمجازفتك بحياتك
فودعيني واتركيني

فابتسمت له ديانا ثم واجهت الامبراطور ولما كلمته كان صوتها منخفضاً عميقاً
ولكنه واضح تماماً لكي يسمعه ويحبه شهود هذه الرواية الغريبة في بابها وقالت :
يا صاحب الجلالة انني اعترف امامكم بانني مسيحية ايضاً ومرسيلوس هو زوجي
فاسمحوا لي ان اذهب معه

لحدث في قاعة المأدبة غفمة اعتراض . واما كاليفولا فنهز رأسه وقال شافعاً
فيها : ان ابنة عالوس شجاعة ولكنها بريئة من التهمة وليس لنا من رغبة في تادييها .
انك تحبين زوجك بلا شك ولكن حبك له لا يفيد عندما يموت
- نعم يفيد اذا كنت انا معه لاننا لن نفترق ابداً وسنعيش معاً في ملكوت
الحبة والسلام

فقال كاليفولا في ملكوت المحبة والسلام . إيه ! وانت ايضاً تؤمنين بذلك
الملكوت ؟ فيجدر بك الآن ان تنتحي ناحية لان ليس عليك شكوى ولا دعوى

- اذا شاءت جلالته فاني اقدم لكم برهاناً يوجب الحكم عليّ . انني
لست اودّ ان اعيش ساعة واحدة في مملكة سائرة الى الحراب وترضى رعاياها ان
يسيطر عليها امبراطور لا يهيمه خير شعبه
فتنفس الحضور الصعداء . اما كاليغولا فانه ذهل من هذه الجرأة واصغى وهو
فاتح فاه

ثم استطردت ديانا قائلة : اظني اذكركم الآن بلسان كل شخص من
الحاضرين . ان كل الرجال الحكماء هنا يعلمون حق العلم ان المملكة باسرها
سائرة الى الدمار ولا يفوت ادراكهم سبب ذلك . اما انا فلي ملك آخر وارغب في
الذهاب مع زوجي الى ذلك الملكوت
فاسود وجه الامبراطور وحلف بالهته صارخاً : اذهب انتما الاثنان الى
ملكوتكما

ثم اوماً الى رئيس الحرس واصدر امره . فنفخ في البوق وعلت دردبة الطبل .
فسار مرسيلوس وديانا ويده بيدها بين الحرس الى جهة الممر الذي تحت القناطر .
وقد حاول غاليو الشيخ وهو يتجف ان يشق له طريقاً بين الجمع ولكن اصحابه
ارجعوه وانذروه

ولما غاب الموكب عن العيان فوجي . الحضور بضحك الخذاء الصغير الثمل
فصرخ صراخ المجانين . انهما ذاهبان في طريقهما الى ملكوت احسن . ها 1 ها 1
ولكن لم يعتقد احد هذا الاعتقاد ان عبارته هذه مدعاة للضحك والاستهزاء الا
هو وحده بل كان جماعة الشعب واقفين واجمين كأن على رؤوسهم الطير وامارات
الاستياء والعبوسة بادية على وجوههم

ولما لاحظ انهم لم يشاركوه في غبطته وانشراحه اخذته حدة الغضب في الحال
ولم يأمرهم بالخروج من لدنه بل غادرهم وتزل على السلم وفيما هو نازل زلقت رجله
فالحال امسكه كتوس بكلتا يديه . وكانت الموسيقى في الخارج تغزف تكريمة

واجلاً لجوبيتر

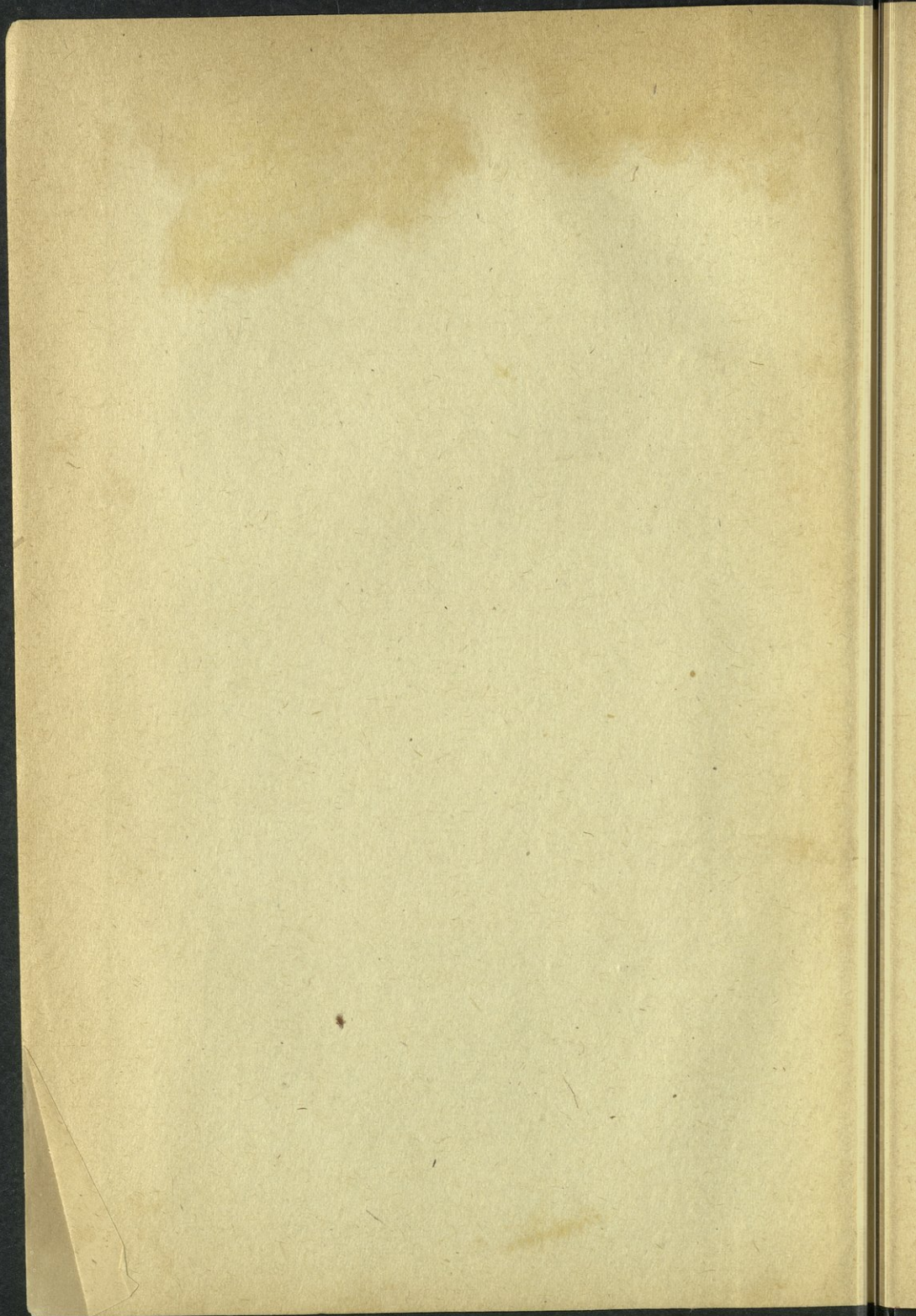
فشى مرسيلوس وديانا بين الحرس وهما ممسكان الواحد بيد الآخر وقد علا
وجهيهما الاصفرار ولكنهما كانا يبتسمان . وكان موكب المحتفلين بذلك العيد قد
تجاوز المشى الطويل ثم هبط السلم الرخامية الى ان وصل الى ساحة الاعدام . ولما
لم يكن الجمع المحتشد في الخارج عالماً ما كان جارياً فقد ظن ان هذه اول فرقة من
النبلاء تشترك في مرافقة الموكب الى هيكل جوبيتر فقابلوها بالهتاف الشديد
فتقدم مرسيبور منهما ودموعه تنساقط على خديه . فلما رآه مرسيلوس همس
كلمة في اذن ديانا . فابتسمت له واومأت بالايجاب
ثم انسلت من بين الحارسين وطرحت الرداء بين يدي الرجل الهرم وقالت له
اعطه للصياد الكبير

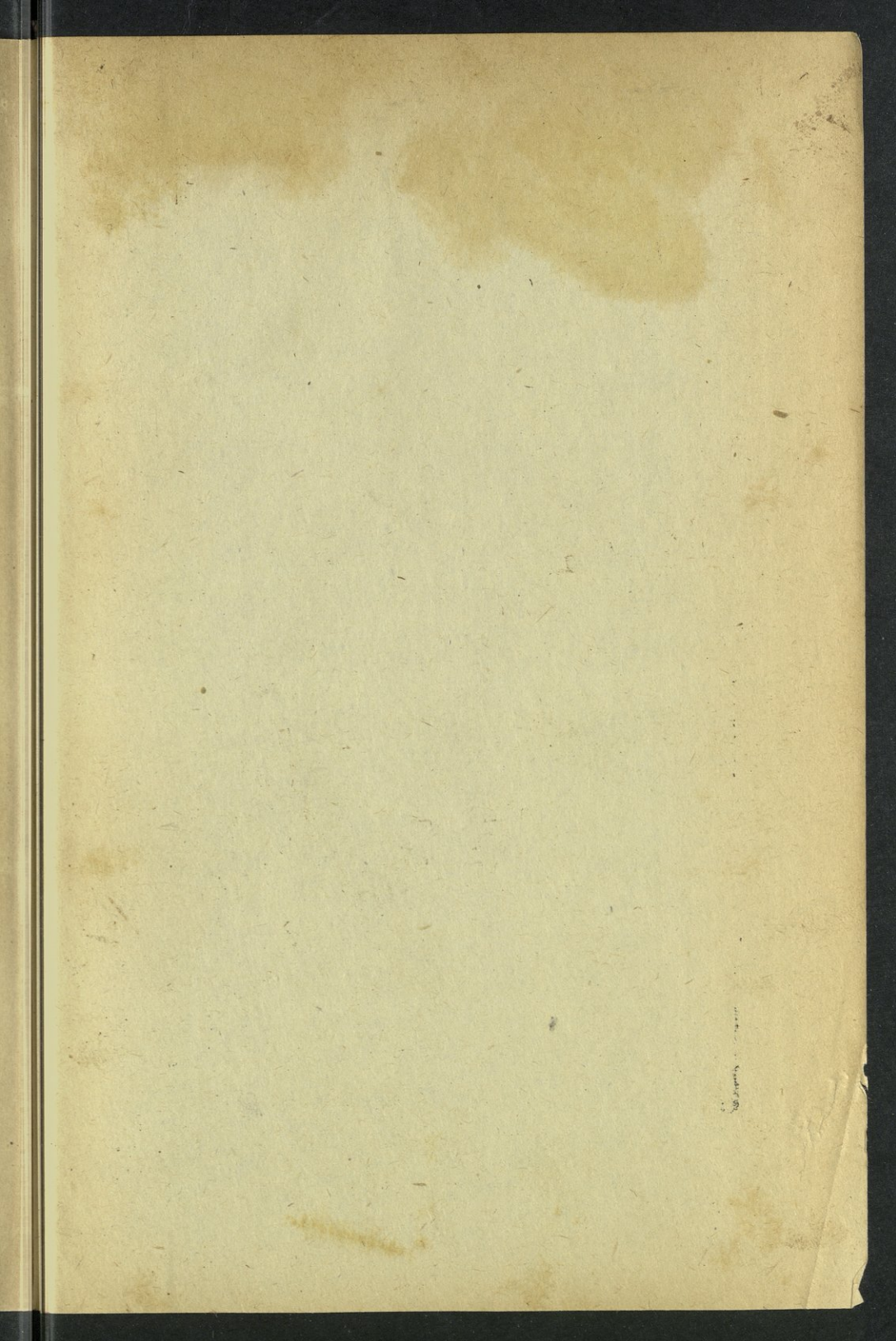
انتهت

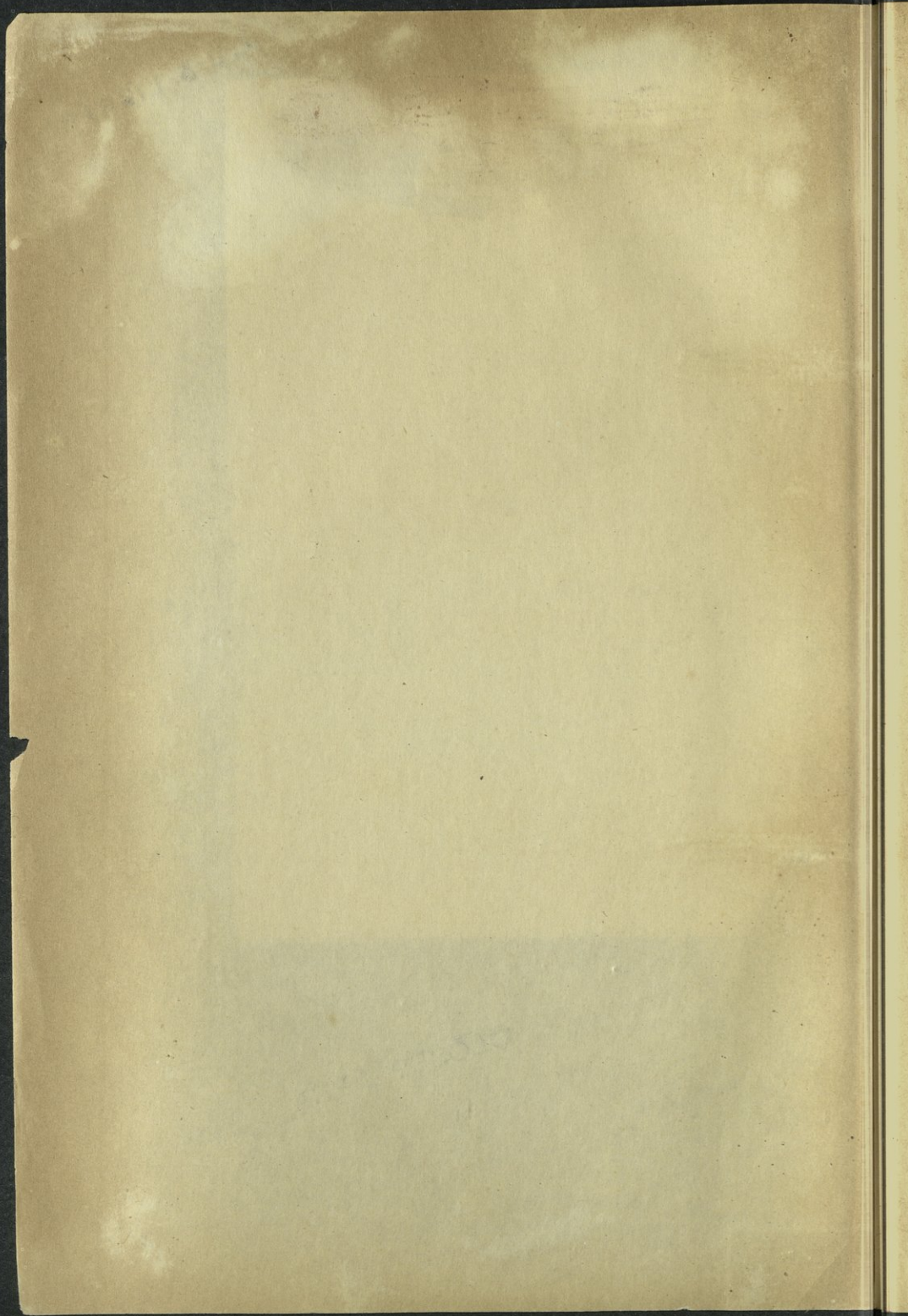


1847
The following is a list of the names of the persons who have been
admitted to the membership of the Society since the last meeting.
The names are given in alphabetical order of the surnames.
The names of the persons who have been admitted to the membership
of the Society since the last meeting are given in alphabetical order
of the surnames.









A. U. B. LIBRARY

DATE DUE

CLOSED AREA

A.U.B. LIBRARY

CA:818:D734rA:c.1

دوغلس، لويد كاسل

الرداء

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



81864538

CLOSED AREA

CA:818:D734rA

دوغلس

الرداء .

Borrower's

Borrower's

CA
818
D734rA

